2

ڤيكتوريا أڤيارد

VICTORIA AVEYARD

GLASS SWORD

السيف الزجاجي

KNEEL OR BLEED



رواية

ترجمة: دينا هيكل

GLASS SWORD

السيف الزجاجي

ولدت لقتل ملك، لإنهاء عهد الرعب قبل أن يبدأ حقًا.
إذا كان هناك شيء واحد تعرفه (ماير بارو)، فهو أنها مختلفة. دماء (ماير) حمراء -لون دماء العامة من الناس- لكن قدراتها الفضية، القدرة على السيطرة على البرق، حولتها إلى سلاح يريد البلاط الملكي السيطرة عليه.
بينما يلاحقها (مافين) الملك الفضي المنتقم، تبدأ (ماير) في العثور على مقاتلين آخرين من الحمر الفضيين وتجنيدهم للانضمام إلى الثورة. لكن (ماير) تجد نفسها على طريق مميت، معرضة لخطر أن تصير نفس نوع الوحش الذي تحاول هزيمته.
في الكتاب الثاني المشوق في سلسلة الملكة الحمراء، تزداد حدة الصراع بين جيش المتمردين المتزايد والعالم الذي تقسمه الدماء الذي عرفوه دائمًا. ويضع (ماير) في مواجهة الظلام الذي نما في روحها.



ڤيكتوريا أڤيارد هي كاتبة وكاتبة سيناريو ولدت ونشأت في بلدة صغيرة في ولاية ماساتشوستس الغربية. لديها بكالوريوس في الكتابة للسينما والتلفزيون من كلية الفنون السينمائية بجامعة جنوب كاليفورنيا.
وهي مؤلفة Red Queen #١ في نيويورك تايمز الأكثر مبيعًا وسلسلة Realm Breaker الأكثر مبيعًا في USA Today
تعيش في لوس أنجلوس.
ترجمت كتبها إلى أكثر من ٤٠ لغة ولا تزال في ازدياد.







KAYAN PUBLISHING

فيكتوريا أفيارد

السيف الزجاجي

ترجمة: دينا هيكل



مكتبة ياسمين على تليجرام

أفيارد، فيكتوريا
السيف الزجاجي : / فيكتوريا أفيارد.
ترجمة : دينا هيكل.
القاهرة : كيان للنشر والتوزيع، 2024.
432 صفحة، 20 سم.
ردمك : 978-977-820-235-9
ا- القصص الامريكية
أ- هيكل ، دينا (مترجم)
ب- العنوان : 823
رقم الإيداع : 28521 / 2023
الطبعة الأولى : يناير 2024.



كيان للنشر والتوزيع
إشراف عام:
محمد جميل صبري
نيفين التهامي

٤ ش حسين عباس من شارع جمال الدين الأفغاني- الهرم- محافظة الجيزة.
هاتف أرضي: 0235918808
هاتف محمول: 01000405450 – 01001872290
بريد إلكتروني: kayanpub@gmail.com
info@kayanpublishing.com
الموقع الرسمي: www.kayanpublishing.com



إهداء

إلى جدي وجدتي، هنا وهناك. أنتما دومًا في الوطن.


تليجرام
غواص في بحر الكتب

الفصل الأول

أجفل. قطعة القماش التي أعطتها لي نظيفة، ولكن لا تزال رائحتها كالدماء. لا يجب أن يزعجني هذا. فبالفعل تُغرق الدماء ملابسي. الحمراء دمائي والفضية تنتمي لآخرين: (إيفانجلين)، (بتوليموس)، واللورد المُتحكم بالماء (النيمف)، وكل من حاولوا قتلي في الحلبة. أظن أن منها ما ينتمي لـ(كال) أيضًا. نزف بوفرةٍ على الرمال، من جروح وكدمات بيدِ من يُسَمَّون بجلّادينا. هو يجلس مقابلي الآن يُحدق في قدمَيه، ويسمح لجروحه بالبدء في عملية الالتئام البطيئة بشكلٍ طبيعي. ألمح أحد الجروح على ذراعي، ربما سبَّبْه (إيفانجلين)، ما زال حديثًا وعميقًا بالقدْر الكافي ليترك ندبة. يبتهج جزء منِّي من فكرة أن هذا الجرح القاسي لن تَشفِيَه يدُ مُعالج فضي باردة. أنا و(كال) لم نعُد في عالم الفضيين الآن، مع أشخاص يُمكنهم ببساطة محو ندباتنا المُستحقة. لقد هربنا أو على الأقل، أنا هربت. قيود (كال) تُذكرنا بأسرِه.

تَكِزُ (فارلي) يدي، لمستُها لطيفة، لدهشتي. «أخفي وجهكِ، يا فتاة البرق. هذا ما يُلاحقونه.»

ولمرة، أفعلُ ما يُقال لي. يتبعني الآخرون، ويرفعون الأوشحة الحمراء لتُغطي أفواههم وأنوفهم. وجه (كال) هو آخِر وجهٍ مكشوف، ولكن ليس لوقتٍ طويل. لا يُقاوم (فارلي) عندما تربط الوشاح حول وجهه، مما يجعله يبدو كواحدٍ منَّا. لو كان ذلك فقط.

يُسبب طنين كهربائي إشعالَ النيران في دمائي، يُذكرني بالقطار السُّفلي النابض الصارخ. يحملنا للأمام بلا هوادة تجاه مدينة كانت يومًا ما ملاذًا. يسرع القطار صارخًا فوق القضبان القديمة مثل المُسرع (السويفت) الفضِّي فوق الأرض المفتوحة. أستمع لصرير المعدن، وأشعر به عميقًا داخل عظامي حيث يستقرُّ ألَم بارد. تبدو قوتي وغضبي في الحلبة كذكرى

بعيدة، تاركة خلفها فقط ألمًا وخوفًا. بالكاد يُمكنني تخمين ما الذي يفكر به (كال). فقدَ كل شيء، كل شيء عزيز لدَيه. والد، أخ، مملكة. كيف يُمكنه التماسُك في سكونٍ تام لولا حركة القطار، لا أعرف كيف. لا أحتاج أن يقول لي أحد سبب عجلتنا. (فارلي) وحرَّاسها، المشدودون مثل السلك الملفوف، تفسيرٌ كافٍ بالنسبة لي. ما زِلنا نهرب.

جاء (مافين) من هذا الطريق من قبلُ وسيأتي مجددًا. وهذه المرة معه غضب جنوده ووالدته وتاجه الجديد. بالأمس كان أميرًا واليوم صار مَلكًا. ظننتُه صديقي، خطيبي، والآن أعرف أفضل. في وقتٍ ما وثِقت به. وحاليًا أعرف أنه يجب عليَّ كرهه والخوف منه. ساعد في قتل والده من أجل التاج ولفَّق الجريمة لأخيه. يعلم أن الإشعاع المحيط بالمدينة المُدمرة مجرد كذبة وخدعة، ويعلَم إلى أين يتَّجه القطار. الملاذ الذي بنته (فارلي) لم يعد آمِنًا، ليس لنا. وليس لك.

ربما بالفعل نُسرع في اتجاه فخ.

تلتفُّ يدٌ حولي بقوة، تشعر بقلقي. (شايد). لا زلتُ لا أُصدق أن أخي هنا، حي، والأغرب من هذا أنه مثلي. أحمر وفضي وأقوى من كليهما.

«لن أتركهم يأخذونكِ مجددًا». همس بصوتٍ منخفض بالكاد سمعتُه. أظن أن الولاء لأي أحدٍ غير الحرس القرمزي وحتى العائلة ليس مسموحًا به. «أعدك بذلك.»

وجوده له تأثير مُريح، يعود بي في الزمن. قبل التجنيد ليومٍ ممطر عندما كنَّا نستطيع التظاهُر بكوننا أطفالًا. لا شيء موجود غير الوحل والقرية وعادتنا الحمقاء في تجاهل المستقبل. الآن المستقبل هو كل ما أستطيع التفكير فيه، أتساءل: أي طريق مُظلم وضعتنا أفعالي عليه.

«ماذا سنفعل الآن؟» أوجِّه سؤالي لـ(فارلي) ولكن عينيَّ على (كيلورن). يقف بجانب كتفِها، حارس وَفِيٌّ، فكُّه متوتر وضمَّاداته دامية. أُفكر أنه كان صياد سمكٍ تحت التدريب منذ وقتٍ ليس ببعيد! مثل (شايد) يبدو في غير مكانه، شبح من زمن قبل كل هذا.

«هناك دومًا مكان للهرب إليه.» أجابت (فارلي)، تركيزها على (كال)

أكثر منِّي.

تتوقَّع منه القتال والمقاومة، ولكنه لا يقوم بأيٍّ منهما.

«أبقِ يدَكَ عليها.» تقول (فارلي) وتلتفِت تجاه (شايد) بعد لحظة طويلة. يُومِئ أخي وأشعر بكفِّه ثقيلًا على كتِفي. «لا يمكن أن نخسرها.»

لستُ جنرالًا ولا خبيرة تخطيط، لكن منطقها واضح. أنا فتاة البرق الصغيرة، كهرباء حية، صاعقة برق في شكل إنسان. يعرف الناس اسمي ووجهي وقدراتي. أنا نفيسة، أنا قوية و(مافين) سيفعل أي شيءٍ ليوقفني من ردِّ الضربة. لا أعرف كيف يقدِر أخي على حِمايتي من الملك الجديد المُختل، على الرغم من أنه مثلي، على الرغم من أنه أسرع شيءٍ رأيته في حياتي. لكن يجب أن أومن بذلك، حتى إن بدا كمُعجِزة. ومع كل هذا فقد رأيتُ الكثير من الأشياء المستحيلة. وهروبٌ آخَر سيكون أقلَّها. يتردَّد صوت فوهات المسدسات وهي تنزلق في مكانها وتطقطق في القطار بينما يستعد الحرس. يتحرك (كيلورن) ليقف أمامي، يترنَّح قليلًا، وقبضته قوية على البندقية المُعلقة على صدره. ينظر لأسفل وملامحه ليِّنة. يُحاول الابتسام ويجعلني أضحك، ولكنَّ عينَيه الواسعتَين الخضراوَين خطيرة وخائفة.

وعلى النقيض، يجلس (كال) في هدوء، تقريبًا في سلام. رغم أنَّه لدَيه الأكثر ليخافَه، مُقيَّد ومُحاط بالأعداء ومُطارَد من قِبَل أخيه، ولكنه هادئ. لستُ متفاجئة؛ فقد وُلِدَ وترعرع جنديًا. الحرب شيء يفهمه، ونحن بالتأكيد في حربٍ الآن.

«أتمنَّى ألا تُخططي للقتال.» يقول لأول مرةٍ منذ دقائق عديدة، ولكن كلماته تلدغ (فارلي). «أتمنى أن تُخططي للهروب.»

«وفِّر أنفاسك أيها الفضي». تفرد كتِفَيها. «أعلم ما يجِب أن نفعله».

لا أقدِر على منع الكلمات من الانفجار منِّي. «وهو أيضًا.» نظراتها تِجاهي حارقة، ولكني تعرضتُ للأسوأ. حتى إنني لا أجفل. «يعرف (كال) كيف يُقاتلون، يعرف ماذا سيفعلون ليُوقفونا. استغلِّيه.»

كيف هو شعورك أن يستغلك أحد؟ بصَق هذه الكلمات تجاهي في السجن أسفل وعاء العظام وجعلني أتمنَّى الموت. الآن بالكاد تؤلِم.

لا تقُل أيَّ شيء، وهذا كافٍ لـ(كال).

«سيكون لدَيهم (سناب دراجون)[1].» يقول (كال) بتجهُّم.

يضحك (كيلورن) بصوتٍ عالٍ: «زهور؟»

«طائرات نفاثة»، يقول (كال)، وعيناه تلمع في بُغض. «أجنحة برتقالية، أجسام فضية، طيارٌ واحد، سهلة في المناورات، مثالية للهجوم على المناطق الحضارية. كلٌّ منهم يحمِل أربعة صواريخ، وبحساب كتيبة كاملة، هذا أربعة وثمانون صاروخًا يجب أن تتفادوها، بجانب الذخائر الخفيفة. هل يُمكنكم تحمُّل ذلك؟»

قابلَه الصمت فقط. لا، لا نستطيع.

«وطائرات الـ (سناب دراجون)[1] هي أقل ما يجب أن يُقلقنا. ستدور فوقَنا لحماية المحيط ولإبقائنا في مكاننا حتى تصِل القوات البرية.»

ينظر لأسفل، يُفكر بسرعة. يسأل نفسه ما الذي كان سيفعله إذا كان على الجانب الآخر. إذا كان الملك بدلًا من (مافين).

«سيحاصروننا ويقدِّمون شروطًا. أنا و(ماير) مقابل هروبكم.»

تضحية أخرى. أتنفَّس ببطء. هذا الصباح، بالأمس، قبل كل الجنون، كنتُ على استعدادٍ للتضحية بنفسي لإنقاذ (كيلورن) وأخي. ولكن الآن ... الآن أعرف كم أنا مُميزة. الآن لديَّ آخرون لحمايتهم. الآن لا يمكن خسارتي.

«لا يُمكننا الموافقة». أقول، حقيقة مُرة. نظرة (كيلورن) ثقيلة، ولكنِّي لا أنظر لأعلى. لا يُمكنني تحمُّل حُكمه.

(كال) ليس بهذه القسوة. يُومئ، يتَّفق معي. «لا يتوقَّع منا الملك أن نُوافق». يُجيب: «ستجلب الطائرات الدمار فوقنا، والباقي سيتخلَّص من الناجِين. سيكون الأمر أكثر بقليلٍ من مذبحة.»

(فارلي) مخلوقة تتحلَّى بالكبرياء، حتى وعندما تكون مُحاصرة بشكلٍ مروع: «ماذا تقترح أن نفعل؟» تسأله وتميل فوقه. كلماتها تقطُر مقتًا:

١- اسم زهرة أنف العجل :Snapdragon[1]

«الاستسلام الكامل؟»

شيء مُشابه للاشمئزاز يظهر على وجه (كال). «سيقتلك (مافين)، في زنزانة أو في أرض معركة، لن يترك أيًا منّا على قيد الحياة.»

«إذن من الأفضل أن نموت ونحن نقاتل». بدا صوت (كيلورن) أقوى مما هو مُفترض أن يكون، ولكن هناك رجفة في أصابعه. يبدو مثل باقي الثوار، مُستعدًّا أن يفعل أي شيءٍ من أجل القضية، ولكن صديقي ما زال خائفًا. ما زال فتًى لا يتعدى الثامنة عشرة، لدَيه الكثير ليعيش من أجله وأسباب قليلة للموت.

يسخر (كال) من إقرار (كيلورن) القسري والجريء، ومع ذلك لا يقول شيئًا آخر. يعلم أن أي وصفٍ تصويري زائد لموتنا الحتمي لن يساعدَ أيَّ أحد.

لا تُشاركه (فارلي) عاطفته وتلوِّح بيدها، ترفض الاثنَين بشكلٍ مباشر. خلفي أخي لدَيه نفسُ الإصرار. يعلَمون شيئًا لا نعلمه، شيئًا لم يقولوه بعدُ. علَّمَنا (مافين) جميعًا ثمن الثقة التي في غير محلِّها.

«لن نكون مَن يموت اليوم.» هذا كل ما قالته، قبل أن تتحرك لمُقدمة القطار. صوت حذائها مثل المِطرقة التي تضرب أرضًا معدنية، كل ضربة بها عزيمة عنيدة.

أدرك أن القطار يُبطئ قبل أن أشعر بذلك؛ تضعف الكهرباء وتخبو بينما ننزلق تجاه المحطة تحت الأرض. ماذا يمكن أن نجد في السماء فوقَنا، ضباب أبيض وطائرات ذات أجنحة برتقالية؟ لا أعرف.

لا يبدو أن الآخرين يهتمُّون؛ يخرجون من القطار ولدَيهم هدفٌ عظيم. في صمتِهم يبدو الحرس المُسلح المُقنع كجنودٍ حقيقيِّين، ولكني أعرف أفضل. هم ليسوا بأندادٍ لما هو قادم.

«استعدي». يهمس صوت (كال) في أُذني ويجعلني أرتجِف. يُذكرني بأيامٍ ماضية، بالرقص تحت ضوء القمر. «تذكَّري كم أنتِ قوية!»

يتحرك (كيلورن) لجانبي ويفصِل بيننا بكتفِه قبل أن أُخبر (كال) أن قُدرتي وقوتي هما كل ما أثق به حاليًا. الكهرباء في عروقي ربما هي

الشيء الوحيد الذي أثق به في هذا العالم. أريد أن أومِن بالحرس القرمزي وبـ(شايد) و(كيلورن) بالطبع، ولكني لن أسمح لنفسي بذلك، ليس بعد الفوضى التي وضعْنا بها ثقتي وبصيرتي العمياء تجاه (مافين). واختيار (كال) غير وارِد في كل الأحوال. هو سجين، فضي؛ هو العدو الذي سيخونُنا إذا استطاع، إذا كان لدَيه مكان آخَر للهروب.

لكن ما زلت، بطريقةٍ ما، أشعر بانجذابٍ ناحيته. أتذكَّر الفتى المهموم الذي أعطاني عملةً فضية عندما كنتُ نكرة. بهذه اللفتة الوحيدة غيَّر مُستقبلي، ودمَّر مستقبله. ونتشارك في تحالُف؛ تحالف غير مُريح صُنِع بين الدماء والخيانة. نحن متَّصلان، متَّحِدان ضد (مافين)، ضد كل من خاننا، ضد عالَم على وشك أن يُمزق نفسَه لنصفَين.

***

ينتظرنا الصمت. ضباب رمادي رطب مُعلق فوق أنقاض مدينة (نايرسي)، يُقرب السماء لأسفل لدرجةٍ يُمكنني لمْسُها. الجو بارد برودةَ الخريف، فصْل التغيير والموت. لا شيء بالسماء بعدُ، لا طائرات لتُمطر دمارًا فوق مدينةٍ مُدمرة بالفعل. تتقدَّم (فارلي) بوتيرة سريعة، تقود من قضبان القطار للجادَّة المهجورة الواسعة. الدمار مقسومٌ كوادٍ أكثر رماديةً وحطامًا مما أتذكَّر. نتحرك شرق الشارع تجاه الواجهة المائية الضبابية.

تميل المباني العالية نِصف المُدمرة فوقنا، نوافذها كعيونٍ تُراقبنا نعبُر. ربما ينتظر الفضيون داخل الفجوات المُحطمة والأقواس المظلَّلة، مُستعدِّين لقتل الحرس القرمزي. لن يُعطيني رفاهية الموت السريع النظيف، أو أسوأ، أفكر. ربما لن يدَعَني أموت على الإطلاق.

تبعث الفكرة بالبرودة في دماغي كلمسة راجف (شيفر) فضي. بقدْر كذب (مافين) عليَّ، ما زلتُ أعرف جزءًا صغيرًا من قلبه. أتذكَّره يُمسك بي عبر قضبان الزنزانة، يتمسَّك بي بأصابع مُرتجفة. وأتذكَّر الاسم الذي يحمِله، الاسم الذي يُذكرني بأنه ما زال هناك قلب ينبض داخله. كان اسمه (توماس)، وشاهدتُه يموت. لم يستطع إنقاذ هذا الفتى. لكن يمكنه إنقاذي بطريقته الخاصة المُلتوية. لا، لن أمنحه رِضَى شيء كهذا. أُفضِّل الموت.

لكن مهما حاولت، لا يُمكنني نسيان الظلَّ الذي ظننتُه عليه، الأمير التائه المَنسي. أتمنَّى لو كان هذا الشخص حقيقيًا. أتمنَّى أن يكون موجودًا في أي مكانٍ غير ذاكرتي.

أنقاض (نايرسي) لها صدى غريب، أهدأ مما يجب أن يكون. ولمفاجأتي أدركت السبب. اختفى اللاجئون. المرأة التي تُزيح جبال الغبار، الأطفال التي تختبئ في المصارف، ظلال إخوتي وأخواتي الحُمر، لقد هربوا جميعًا. لم يتبقَّ أحد غيرنا.

«فكِّري كما تُريدين بـ(فارلي)، لكنها ليست حمقاء». يقول (شايد) مُجيبًا سؤالي قبل أن أسأله. «أعطت أمر الإخلاء بالأمس، بعد هروبها من (أركيون). اعتقدت أنك أو (مافين) ستعترِفان تحت التعذيب».

كانت مُخطئة. لم يكن هناك داعٍ لتعذيب (مافين)؛ فقد سلَّم المعلومات وعقله بإرادته. فتح عقله لوالدتِه، وتركَها تُحرك مِخلبَها خلال كل شيء. القطار، المدينة السرية، القائمة. كل شيء لها الآن، مثلما كان هو دومًا. يمتدُّ صفُّ الحرس القرمزي خلفنا في غوغاء غير منظَّمة من الرجال والنساء المُسلحين. يمشي (كيلورن) خلفي مباشرة، عيناه مُندفعتان، بينما تقود (فارلي). يُبقِي رجلان ضخمان (كال) على أطراف قدمَيه، يُمسكان بذراعَيه بقوة. مع أقْنِعَتِهما الحمراء، يبدو أنهما مخلوقات من الكوابيس. هناك القليل منَّا الآن، ربما ثلاثون، قليل جدًّا من نجا.

«لم يتبقَّ منَّا العدد الكافي لإبقاء هذه الثورة مستمرة، حتى وإنْ هرَبْنا مُجددًا». أهمس لأخي. يُخمِد الضباب المُنخفض صوتي، ولكنه يَسمَعُني. يرتجف طرفُ فمِه، يريد أن يبتسِم. «هذا ليس من شأنك».

قبل أن أضغط عليه يتوقَّف الجُندي أمامنا. ليس وحدَه؛ ففي بداية الصف ترفع (فارلي) قبضة يدها وتُحدق بلوح السماء الرمادية. يفعل الباقون مثلها، يبحثون في السماء عما لا نستطيع رؤيته. فقط (كال) يُبقي عينَيه على الأرض؛ فهو يعرف مُسبقًا كيف يبدو هلاكنا.

تهبط صرخةٌ غير بشريةٍ بعيدة علينا عبر الضباب. هذا الصوت ميكانيكيٌّ ومُستمر، يدور فوقنا. وليس وحيدًا. اثنا عشَرَ ظلًّا يُسرعون خلال السماء،

تُمزِّق أجنحتهم البرتقالية الغيوم. لم أرَ طائراتٍ نفاثةً بشكلٍ جيد من قبل، ليس عن قُرب وبدون غطاء الليل، لذا لم أقدِر على منع فكِّي من السقوط مفتوحًا عندما يظهرون. تَصيح (فارلي) بالأوامر تجاه الحرس، لكني لا أسمعها. أنا مشغولة بالتحديق بالسماء، أراقِب الموت المُجنَّح يميل بالأعلى. مثل دراجة (كال)، الآلات الميكانيكية جميلة، معدن مُقوَّس بشكل مُستحيل وزجاج. أظن أن مُتحكِّمًا بالمعادن (ماجنيترون) فضيًّا كان لهُ دورٌ في صناعتها، وإلا كيف يُمكن للمعدن أن يطير؟ تشتعل مُحركات يشوبها الأزرق أسفل الأجنحة، إشارة واضحة لوجود الكهرباء، ولكنها بعيدة لدرجة أني لا أقدِر على التأثير عليهم. يُمكنني فقط المشاهدة ... في رُعب.

يصرخون ويدورون حول جزيرة (نايرسي)، لا يكسرون دورانهم. أكاد أجزم أنهم لا يضرُّون، لا شيء عدا طيور فضولية أتت لتُشاهد بقايا الثورة المُدمِّرة. ثم يُسرع سهم من المعدن الرمادي بالأعلى وفي أثره الدخان، يتحرك بسرعةٍ بالكاد نقدِر على رؤيته. يصطدم ببناءٍ في آخر الجادة، ويختفي داخل نافذة محطمة. ينفجر ضوء من الأحمر البرتقالي خلال ثانية، مُحطمًا الطابق بأكمله في البناء المُتداعي بالفعل. يتحطَّم فوق نفسه، وينهار فوق أعمدةٍ عمرُها ألف عامٍ وتنكسِر كعيدان الأسنان. يميل البناء بأكمله، ويسقط ببطءٍ وكأنَّ المشهد غير حقيقي. عندما يرتطم بالشارع، ويسدُّ الطريق أمامنا، أشعر بدوِيِّه عميقًا داخل صدري. تضربنا سحابة من الغبار والدخان مباشرة، لكنِّي لا أجبُن. فتتطلَّب إخافتي أكثر من ذلك الآن.

خلال الغشاوة البنية والرمادية، يقف (كال) معي، حتى عندما ينحني آسِريه. تلتقي عيونُنا للحظة، ويُسقط كتفَيه. الإشارة الوحيدة التي سيتركني أراها هي الدالَّة على الهزيمة.

تُمسِك (فارلي) بأقرب حارسٍ ويرفعها لتنهض. «تفرَّقوا!» تصيح، وتُشير تجاه الحارات على جوانبنا. «للجانب الشمالي، وإلى الأنفاق!» تُشير تجاه مُلازِميها بينما تتحدث، تُخبرهم إلى أين يذهبون. «(شايد)! لجانب المنتزه!»

يُومئ أخي، يعلم ما تقصد. يميل صاروخ آخر تجاه مبنًى آخر، فيُغطي على صوتها. لكن من السهل تخمين ما تصرخ به. اركُضوا.

جزء منِّي يريد أن أثبُت مكاني، أن أقف وأقاتل. برْقي البنفسجي والأبيض سوف يجعلني هدفًا بالتأكيد، ويجذب الطائرات بعيدًا عن الحرس الهاربين. ربما حتى آخُذ طائرةً أو اثنتَين معي. لكن لا يمكن ذلك. أنا أكثر قيمةً من الباقي، أكثر من هذه الأقنعة الحمراء والضمَّادات. يجب أن أنجو أنا و(شايد)، لو لم يكن من أجل القضية، فمِن أجل الآخرين. من أجل القائمة من المئات مِثلنا، الهجناء، الحالات الشاذة، الممُسوخ، المستحيلات الحمراء والفضية الذين سيموتون إذا فشِلنا.

يدرك (شايد) ذلك مثلما أُدرِكُه. يلفُّ ذراعه حول ذراعي، قبضته قوية تكاد تترك كدمة. يكاد أن يكون الركض بجانبه سهلًا للغاية، أتركه يقودني خارج الجادة الواسعة لمنطقةٍ متشابكة من الأشجار الضخمة الخضراء والرمادية التي خرجت للطريق. كلما تعمَّقنا للداخل كلما ازدادت الأشجار كثافة، مُلتفة حول بعضها مثل الأصابع المشوَّهة. ألفُ عامٍ من الإهمال حوَّلَت هذه المنطقة الصغيرة لغابةٍ ميتة. تحمينا من السماء، حتى صار بإمكاننا فقط سماع صوتَ الطائرات وهي تقترب أكثر. لا يبتعِد عنا (كيلورن) أبدًا. للحظة، يُمكنني أن أتظاهر أنني بقريتنا، أتجول بـ(الستيلتز) باحثةً عن المرح والمتاعب.

والمتاعب هي كلُّ ما نجده.

عندما يتوقف (شايد) أخيرًا، وتجرح كعوب قدمَيه التراب أسفلَنا، أجد فرصة للنظر حولنا. يتوقف (كيلورن) بجانبنا، وبندقيتُه مُوجهه للسماء دون جدوى، لكن لا يتبعنا أحد آخر. لا يمكنني حتى رؤية الطريق، أو الأوشحة الحمراء الفارَّة من الأنقاض.

يُحدق أخي بالأعلى عبر فروع الأشجار، يُراقب وينتظر أن تبتعد الطائرات عن نطاقنا.

«إلى أين نذهب؟» أسأله وأنا ألهث.

يُجيب (كيلورن) بدلًا عنه. «النهر!» يقول. «ثم المحيط، هل يُمكنك

إيصالنا؟» ينظر تجاه يد (شايد) وكأنه يرى قُدرته واضحةً على جسده. لكن قدرة (شايد) مدفونة مِثلي، خفية حتى يختار أن يُظهرها.

يهزُّ أخي رأسه نفيًا. «ليس في قفزة واحدة؛ فالمسافة بعيدة. ثم إني أُفضِّل الركض وتوفير قُدرتي». عيناه تُظلمان، «حتَّى نحتاجها بحق».

أُومِئ اتفاقًا معه. أعلَم بطريقةٍ مباشرة كيف يمكن أن تكون قُدرتك مُستنزفة ومُرهقة داخل عظامك، بالكاد تقدِر على الحركة، ناهيك عن القتال.

«إلى أين يأخذون (كال) ؟»

سؤالي يجعل (كيلورن) يجفل ألمًا.

«إلى الجحيم إذا اهتمَمت.»

«يجب أن تهتم». أقول في اندفاع، حتى وصوتي يرتجف في تردُّد. لا، لا يجب أن يهتم. ولا أنا أيضًا. إذا رحل الأمير فيجب أن نتركه. «يمكنه مساعدتنا في الخروج من هذا. يمكنه أن يُقاتل معنا.»

«سيهرب أو يقتلنا في اللحظة التي نعطيه فيها الفرصة.» يقول مندفعًا، ويخلع قناعه ليكشف عن ملامحه الغاضبة تحته.

في عقلي، أرى نيران (كال). تحرق كل شيء في طريقها، من المعدن للحم.

«كان بإمكانه قتلك مسبقًا». أقول له، لا أبالغ ويُدرك (كيلورن) ذلك.

«بطريقةٍ ما ظننتُ أنكما كبرتُما على أن تتشاجرا هكذا». يقول (شايد) ويقف بيننا. «هذه حماقة مني.»

يُجبر (كيلورن) نفسَه على الاعتذار من بين أسنانٍ مطبقة، لكني لا أفعل المِثل. تركيزي على الطائرات، أترك قلوبها الكهربائية تنبضُ مُقابل قلبي. تضعف بمرور الثواني، تبتعِد أكثر وأكثر. «تبتعد عنا. إذا كنَّا سنذهب فيجب أن نفعل الآن».

ينظُران تجاهي في تعجُّب، ولكن لا يُجادلني أيٌّ منهما.

«من هنا». يقول (شايد) مُشيرًا عبر الأشجار تجاه ممرٌّ صغير بالكاد يكون مرئيًّا، حيث أُزيل التراب ليكشِف عن الحجارة والأسفلت تحته. مجددًا، يُشبك (شايد) ذراعَه بذراعي، ويندفع (كيلورن) للأمام، يقود

بوتيرةٍ سريعة لنتبعها.

تحتكُ بنا الفروع وننحني في الممر الذي يزداد ضيقًا حتى صار من المُستحيل أن نركض جنبًا إلى جنب. لكن عوضًا عن تركي، يضغط بشكلٍ أضيق. ثم أدرك أنه لا يضغطني، بل الهواء، العالَم. كل شيءٍ وأي شيءٍ يضيق في ثانية سوداء حارقة. ثم خلال لحظة، نصير على الجانب الآخر من الأشجار، ننظُر خلفَنا حيث يخرج (كيلورن) من الغابة الرمادية.

«لكنه كان يسبِقنا». أتمتم بصوتٍ عالٍ، وألتفت بين (شايد) والممر. نعبر لمنتصف الطريق، والسماء والضباب يتحركان بالأعلى. «أنت ...!»

يبتسِم (شايد). فعل يبدو في غير محلِّه مع صرخات الطائرات البعيدة. «فلنقل ... إنني قفزت. طالما تتمسَّكين بي فيُمكنك القدوم معي.» يقول قبل أن يُسرع تجاه الزقاق القادِم.

يُسرع قلبي لمعرفة أنني قد انتقلتُ آنِيًا للتو، لدرجة أنه يُمكنني نسيان مُعضلتنا. لكن تُذكرني الطائرات سريعًا. ينفجر صاروخ آخر في الشمال، ويدمِّر بناءً في دويٍّ كالزلزال. يندفع الغبار عبر الطريق في موجةٍ تَطلينا بطبقةٍ أخرى من الرمادي. الدخان والنيران مألوفان بالنسبة لي الآن لدرجة أنني بالكاد أشتَمُّهما، حتى وعندما يبدأ الرماد في السقوط كالثلوج. نترك آثار أقدامِنا به، ربما ستكون آخِر آثارٍ سنتركها.

يعلم (شايد) إلى أين يذهب وكيف يركض. لا يُواجه (كيلورن) مشكلة في مجاراته، حتى مع ثِقل بندقيتِه. بحلول هذا الوقت، كنا قد قُمنا بدروةٍ حول الجادة. في الشرق، تخترق دوَّامة من ضوء الصباح الغبار والتراب، تجلب معها هواء البحر المالح. في الغرب، يرقُد المبنى المنهار مثل العِملاق الساقط، يسدُّ طريق العودة للقطار. يرتفع زجاجٌ محطم، وهياكل المباني المعدنية، وألواح غريبة عاكسة من الأبيض الباهت حولنا كقصرٍ من الدمار.

ما كان هذا؟ أتساءل في سكون. كان (جوليان) ليعلم. فقط التفكير في اسمه يُؤلِمني، وأدفع بهذا الشعور بعيدًا. تندفع بعض من الأوشِحة الحمراء عبر الهواء المُمتلئ بالرماد، وأبحث عن خيالٍ مألوف. لكنني لا أرى (كال) في أي مكان، وهذا يجعلني مُرتعبة.

«لن أرحل بدونه.»

لا يهتمُّ (شايد) بالسؤال عمَّن أتحدَّث. هو يعلم مُسبقًا.

«سيأتي الأمير معنا، لدَيكِ كلمتي».

تُمزِّقني إجابتي من الداخل. «لا أثِق بكلمتك».

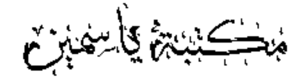
(شايد) جندي. لم تكن حياته سهلة، والألم ليس غريبًا عنه. لكن ما زال إعلاني مؤلِمًا بعُمق. أرى ذلك في وجهه.

سأعتذر لاحقًا. أقول لنفسي.

إذا جاء لاحقًا.

يطير صاروخ آخر فوقَنا، ويضرب على بُعدِ عدة شوارع منًّا. لا يُغطي صوت دوِيِّه البعيد الصوت الأكثر رعبًا وقسوةً الذي يعلو حولنا.

إيقاع أقدامِ ألف جنديٍّ قادمِين.



الفصل الثاني

يُثخَن الهواء بغطاءٍ من الرماد، ممَّا يبتاع لنا بعض اللحظات للتحديق في هلاكنا القادم. يتقدَّم ظلُّ الجنود من الشمال. لا أستطيع رؤية أسلحتِهم بعدُ، لكن الجيش الفضِّي لا يحتاج لأسلحةٍ ليقتل. يركض بعض الحرس الآخرين أمامَنا، يفرُّون هاجِرين الجادة. في الوقت الحالي، يبدو أنهم قد يَهربون، ولكن إلى أين؟ لا يُوجَد غير النهر والبحر وراءه. لا يُوجَد مكان للرحيل، لا يوجَد مكان للاختباء. يتقدم الجيش ببطء، بوتيرةٍ محيرة غريبة. أُحدق خلال الغبار، أبذل جهدًا لرؤيتهم. ثم أُدرك ما هو ذلك، ما فعله (مافين). تشتعِل الكهرباء داخلي وخلالي، مما يجعل (شايد) و(كيلورن) يقفزان للخلف.

«(ماير)!» يصيح (شايد)، نصف متفاجئٍ ونصف غاضب. لا يقول (كيلورن) شيئًا، يُشاهدني أترنح في مكاني.

أُمسك بذراعه ولا يجفل. قد رحلت شرارة الكهرباء، يعلم أنني لن أؤذِيَه. «انظر». أقول وأشير.

كنَّا نعلم أن الجنود قادمون. أخبرَنا (كال) بذلك، حذَّرنا أن (مافين) سوف يُرسِل فيلقًا بعد الطائرات النفاثة. لكن حتى (كال) لم يكن ليتوقع هذا. فقط قلبٌ مُلتوٍ مثل قلب (مافين) يُمكنه أن يحلُم بهذا الكابوس. الناس في الصف الأول لا يرتدون اللون الرمادي الباهت الذي يرتديه جنود (كال) المدربون ببراعة. هم ليسوا بجنودٍ على الإطلاق. هم خدَم في معاطف حمراء، أوشحة حمراء، سترات حمراء، سراويل حمراء، أحذية حمراء. الأحمر كثير لدرجة أنهم يبدون نازفين. وحول أقدامِهم، سلاسل حديدية تصطدم بالأرض. يؤلِمني صوتها ويغرق صوت الطائرات النفاثة والصواريخ وحتى صياح أوامر الضبَّاط الفضِّيين المُختبئين خلف الجدار الأحمر. كل ما أسمعه هو السلاسل.

يتوتر (كيلورن)، ويصيح. يتقدم للأمام ويرفع بندقيته ليُطلق النيران، لكن السلاح يرتجف بين يدَيه. الجيش ما زال في الجهة المقابلة من الجادة بعيدًا للغاية حتى بالنسبة لمُصوِّبٍ مُحترف وحتى بدون الدرع البشري. الآن هذا أسوأ من المُستحيل.

«يجب أن نستمرَّ في التحرك». يُتمتم (شايد). يشتعِل الغضب في عينَيه، لكنه يعلم ما يجب فعله، ما يجب أن نتجاهَلَه حتى نبقى على قيد الحياة.

«كيلورن، اذهب معنا الآن وإلَّا سنتركك.»

كلماتُ أخي مؤلِمة، تُوقظني من حالة الذهول والفزع. عندما لا يتحرك (كيلورن)، أُمسك بذراعه، وأهمس قي أُذنه، في أملٍ أن أُغطِّي على صوت السلاسل.

«(كيلورن).» هذا الصوت الذي استخدمْتُه مع أُمي عندما ذهب إخوتي للحرب، عندما يُعاني أبي من أزمة تنفُّس، عندما تتدهور الأمور. «(كيلورن) لا يُوجَد ما يُمكننا فعله لهم.»

تخرج كلماته كفحيح من بين أسنانه. «هذا ليس حقيقيًّا.» ينظر خلف كتفِه تجاهي. «يجب أن تفعلي شيئًا. يُمكنك إنقاذُهم.»

ولِعاري الأبدي، أهزُّ رأسي نفيًا. «لا، لا يمكنني.»

نُواصل الركض، ويتبعنا (كيلورن).

تتفجر صواريخ أخرى، تزداد سرعةً وقربًا مع كل ثانية تمر. بالكاد يُمكنني أن أسمَع بسبب الطَّنين في أذنيَّ. يتمايل المعدن والزجاج مثل عيدان القصب مع الرياح، ينحني ويتحطَّم حتى يتساقَط كالمطر الفضِّي الجارح فوقنا. وقريبًا، صار مِن الخطر الركض، تشتدُّ قبضة (شايد) عليَّ. يُمسك بـ(كيلورن) أيضًا، ويقفز بنا بينما ينهار العالَم. تلتَوِي مَعِدتي كلَّما اقترَبَ الظلام كلَّمَا اقترَبَت المدينة المُنهارة. الرماد وغبار الخرسانة يَخنُقان بصيرتَنا، ويصعُب علينا التنفُّس. يتحطَّم الزجاج في عاصفةٍ برَّاقة، ويترك جروحًا سطحية على وجهي ويديَّ، مُمزِّقًا ملابسي. يبدو (كيلورن) أسوأ حالًا منِّي، ضمَّاداته حمراء من الدماء الطازجة، ولكنه يظلُّ يتحرك حريصًا ألا يبتعد عنا.

لا تضعف قبضة أخي أبدًا، ولكنَّه بدأ يتعب، يصير أكثر شحوبًا مع كل قفزة. لستُ عاجزة، وأستخدِم شراراتي لأصدَّ شظايا المعدن الحاد التي لا يقدِر حتى (شايد) على القفز بنا بعيدًا عنها. لكن لسْنا كفاية، لا نكفِي حتى لإنقاذ أنفُسِنا.

«كم من المسافة يتبقَّى؟» يبدو صوتي صغيرًا، يُغرقه تيَّار الحرب.

وسط الضباب لا أرى أبعدَ من بضعةِ أقدام. وكل ما أشعر به هو الأجنحة، والمحركات، والكهرباء الصارخة من أعلى، التي تقترب أكثر وأكثر. ربما نكون مثل الفئران التي تنتظر أن تصطادها الصقور من فوق الأرض. يُوقفنا (شايد) فجأة، تفحص عيناه البُنيَّة الفاتحة المكانَ من جانبٍ لآخر. وللحظةٍ مُرعبة، أخاف أن يكون تائهًا. «انتظرا»، يقول، يعلَم شيئًا نجهله.

يُحدق بالأعلى، بهيكلِ مبنًى كان في وقتٍ ما عظيمًا. ضخم وأطول من أعلى بُرج في قصر قاعة الشمس، أوسع من ميدان القيصر العظيم في (أركيون). تسري رجفة في عمودي الفقري عندما أُدرك أنه يتحرك. للأمام والخلف وللجانبَين، يتمايل على أعمِدةٍ مُنحنية مُهترئة بسبب عقودٍ من الإهمال. بينما نشاهد، يبدأ في المَيل لناحية، يسقط ببطءٍ أولًا مثل الشيخ الذي يستقر على كرسِيِّه، ثم أسرع وأسرع، يسقط فوقَنا وحولَنا.

«تمسَّكِي بِي.» يصرخ (شايد) فوق الضجيج ويُعدِّل قبضتَه علينا معًا. يلفُّ ذراعه حول كتفيَّ، ويضمُّني بشدةٍ إليه، بالكاد أتحمَّل قوته. أتوقع الشعور غير المُريح بالقفز، لكن بدلًا من ذلك، يُرحِّب بي صوت مألوف.

طلقات نيران.

الآن ليست قدرة (شايد) هي ما تُنقذ حياتي، بل جسدُه. طلقة رصاص مُوجَّهة لي تصطدم بلحم ذراعِه من أعلى، بينما تُهاجم أخرى ساقَه. يصرخ في ألم، يكاد يسقط على الأرض المُتشقِّقة أسفلَنا. أشعر بالطلقة عبرَه لكن ليس لديَّ وقتٌ للألم. تُغني طلقات أخرى عبر الهواء، أسرع وأكثر من قُدرتنا على قِتالها. يُمكننا فقط الركض فارِّين من المَبنى المُنهار وكذلك من الجيش المُتقدِّم. يُلغي أحدُهما تأثير الآخَر عندما يسقط المعدن المنحني بيننا والفيلق. على الأقل، هذا ما يجِب أن يحدُث. الجاذبية والنيران سبَّبت

سقوط المبنى، لكن قُدرات الفضيِّين (الماجنيترون) أوقفَتْه من حمايتنا. عندما أنظر للخلف، يُمكنني رؤيتهم، في دروعهم السوداء وشعرهم الفضي، ما يقترب من الاثني عشر منهم يُزيلون كل دعامةٍ أو عمود يسقط. لستُ قريبة بالقدْر الكافي لرؤية وجوههم، لكنَّني أعرف منزل (ساموس) جيدًا. تقود (إيفانجلين) و(بتوليموس) عائلتهما، يُخليان الطرُق حتى يتقدَّم الفيلق. حتى يُنهوا ما بدءوه وهو قتْلنا جميعًا.

لو دمَّر (كال) (بتوليموس) في الساحة، لو كنتُ أظهرت لـ(إيفانجلين) نفس قدْر الطيبة التي أظهرتْها لي. حينها كان يُمكن أن يكون لدَينا فرصة. لكنَّ رحمتَنا تأتي بثمن، ويُمكن أن يكون حياتنا.

أتمسَّك بأخي وأدعمُه بقدر استطاعتي. يتولى (كيلورن) الرفع الثقيل؛ فيأخُذ الجزء الأكبر من وزن (شايد)، يُجرجِره نصفيًّا تجاه فوهة اصطدام لا تزال تُدخِّن. نقفز بداخلها في سرور، نجدها ملجًا من عاصفة طلقات النيران. لكنها ليست كافية، وليس لوقتٍ طويل.

يلهث (كيلورن) وتتكوَّن قطرات عرق فوق حاجبَيه. يُمزق أكمامه، ويستعملها كضمَّادات لساق (شايد). ويُلطخها بالدماء بسرعة. «هل بإمكانك القفز»

يُكشِّر أخي حاجبَيه، ليس للشعور بألَمِه، بل بقدرته. أفهم ذلك جيدًا. وببطءٍ يهز رأسه نفيًا، وتُظلم عيناه. «ليس بعدُ.»

يسب (كيلورن) هامسًا. «إذن ماذا نفعل؟»

آخُذ لحظة لأُدرك أنه يسألني وليس أخي الأكبر. ليس الجندي الذي يعرف المعارك أكثر مِنَّا. ولكن لا يسألني حقًّا أيضًا. ليس (ماير بارو) من قرية (الستيلتز)، ليس اللصَّة أو صديقته. يبحث (كيلورن) عن شخصٍ آخَر الآن، عمَّن أصبحتُه داخل ردهات القصر ورمال الحلبة.

يسأل فتاة البرْق.

«(ماير) ماذا نفعل؟»

«اترُكاني، هذا ما ستفعلانه». يقول (شايد) في ألَمٍ من بين أسنانٍ مُطبقة، ويُجيبه قبل أن أفعل. «اركضا تجاه النهر. ستجِدانِ (فارلي). وسأقفز إليكم

بأسرع ما يُمكن.»

«لا تكذب». أقول، أُحاول أن أمنع نفسي من الارتجاف. لقد عاد أخي إليّ للتو، شبح عائد من الموت. لن أتركه يرحَل مُجددًا ليس من أجلِ أيِّ شيء. «سنرحل من هنا معًا. جميعنا.»

يهزُّ صوت تقدُّمِ الفيلق الأرض. نظرة واحدة من فوق حافة الفوهة تُخبرني أنهم على بُعد أقلّ من مئة ياردة، ويتقدَّمون بسرعة. يُمكنني أن أرى الفضيين من بين الفجوات خلال الصف الأحمر. يرتدي الجنود المُشاة الزي الرمادي للجيش، ولكن بعضهم يرتدي دروعًا، ألواحُها مَطلية بألوان مألوفة. المُحاربون من المنازل النبيلة، أرى بعضًا من الأزرق، والأصفر، والبُني، وأكثر. المُتحكِّمون بالماء (النيمف) والمُحركون عن بُعد (التيلكي) وحريري الحركة (السيلك) وبالِغو القوة (السترونج أرم)، أقوى المُحاربين الفضيين الذين يُمكن أن يقذفوهم تجاهنا. يَعتقدون أن (كال) قاتل الملك، وأنا إرهابية، وسيُدمرون المدينة كلَّها ليَسحقونا.

(كال).

فقط دماء أخي وأنفاس (كيلورن) غير المُنتظمة تمنعني من القفز خارج الفوهة. يجب أن أجده، يجب أن أفعل ذلك. إن لم يكُن من أجلي فمن أجل القضية، لحماية عملية الانسحاب. قيمة (كال) كقيمةِ مئةِ جنديٍّ بارع. هو درع ذهبي. لكنه على الأرجح قد رحل، هرب بعدما أذاب قيودَه وركض عندما بدأتِ المدينة في الانهيار.

لا، لن يهرب. لن يهرب أبدًا من هذا الجيش، من (مافين) أو منِّي.

أتمنَّى أن أكون مُخطئة.

أتمنَّى ألا يكون ميتًا بالفعل.

«اجعله ينهض يا (كيلورن)»! في قاعة الشمس، السيدة الراحلة (بلونوس) علَّمتْني كيف أتحدَّث كأميرة. بصوت بارد، ثابت، لا مجال لمنافسته.

يُطيعني (كيلورن)، ولكن (شايد) لا زالت لدَيه القدرة على الاعتراض. «سأبطئكُما فقط».

«يمكنك الاعتذار عن ذلك لاحقًا.» أُجيب، وأساعده على النهوض. لكنِّي

بالكاد أنتبِه لهما؛ فتركيزي في مكانٍ آخر. «تحركا.»
«(ماير) إذا كنتِ تظنين أننا سنتركك ...»
عندما ألتفِت تجاه (كيلورن)، هناك شرارات في يديَّ وإصرار في قلبي. تمُوتُ كلماته قبل أن تخرج من بين شفتيه. ينظر خلفي، تجاه الجيش المُتقدم مع كل لحظة تمر. يزيل الفضيُّون (التيلكي) و(الماجنيترون) الحطام من الشارع، ويفتحون الطريق المُدمَّر في أصوات احتكاك معدنٍ بالصخور.
«اركضا.»
يُطيعني مُجددًا، ولا يقدِر (شايد) على فعل أيِّ شيءٍ غير أن يعرج بجانِبه، ويتركاني بالخلف. بينما يتسلَّقان ليخرُجا من الفوهة، ويتعثران في اتجاه الغرب، أتَّخذ خطواتٍ محسوبة تجاه الشرق. سيتوقف الجيش من أجلي، يجب أن يفعل.
بعد لحظةٍ مروعة، يُبطئ الحُمر حركتهم، وتطنُّ سلاسِلُهم بينما يتوقَّفون. خلفهم، يوازن الفضيُّون البنادق السوداء فوق أكتافهم، وكأنها لا شيء. تتوقَّف وسائل النقل الحربية، آلات ضخمة بعجلاتٍ سائرة طاحنة مُصدِرة صريرًا، في مكانٍ ما خلف الجيش. أشعر بكهربائها تطرق عبر عروقي.
الجيش قريبٌ بما يكفي الآن لأسمع الضبَّاط يصرخون بالأوامر.
«فتاة البرق!»
«حافظوا على الصف، ابقَوا ثابتِين!»
«صوبوا أسلحتكم!»
«لا تُطلقوا النيران!»
الأسوأ يأتي آخرًا، ويُدوي عبر صمت الشارع المُفاجئ. صوت (بتوليموس) مألوف، مليءٌ بالكراهية والغضب.
«أفسحوا الطريق للملك!» يصيح.
أترنَّح للخلف، توقعتُ جيوش (مافين)، لكن ليس (مافين) نفسه. هو ليس جنديًّا مثل أخيه، وليس لديَّ شأن في قيادة جيش. ولكن ها هو، يتلصَّص خلال الجنود التي تُفسح له الطريق، (بتوليموس) و(إيفانجلين) يتبعانه. عندما يخرج عبر الصفِّ الأحمر، تكاد ركبتاي تنهاران. درعه أسود

مصقول، وعباءته قرمزية. بطريقةٍ ما يبدو أطول عمّا كان هذا الصباح. ما زال يرتدي تاج أبيه ذا الشُّعلات، رغم أنه ليس له مكان في ساحة معركة. أظنُّ أنه يُظهر للعالَم أنه فاز بأكاذيبه، ويالَها من جائزة عظيمة تلك التي سرقها. حتى من هذا البُعد، أشعر بحرارة نظرتِه وغضبِه المُتقلِّب. يُحرقني من الداخل للخارج.

لا شيء غير صرير الطائرات من أعلى؛ هذا الصوت الوحيد في العالَم.

«أرى أنكِ لا زلتِ شجاعة»، يقول (مافين) صوتُه يتحرك عبر الجادة. يتردَّد بين الأنقاض، يَغيظني. «وحمقاء.»

مِثلما في الساحة، لن أُعطيه رضا رؤية غضبي وخوفي.

«يجب أن يدعوكِ بالفتاة الصغيرة الهادئة». يضحك في برود، ويضحك معه جيشه. يظل الحُمر صامِتين، وعيونهم مُثبتة على الأرض. لا يريدون رؤية ما على وشك الحدوث. «إذن أيتها الفتاة الهادئة، أخبري أصدقاءك الفئران أنَّ كل شيءٍ انتهى. هم مُحاصرون. ناديهم وسأمنحُهم هبةَ الموت الجيد.»

حتى وإن كان بمَقدرتي إعطاء هذا الأمر، لن أفعل أبدًا. «لقد رحلوا بالفعل.»

لا تكذبي على كاذب، و(مافين) أكبر كاذبٍ على الإطلاق.

لكنه ما زال يبدو غير مُتأكِّد. قد هرب الحرس القرمزي مراتٍ عديدة من قبل، في ميدان القيصر، في (أركيون). ربما يُمكنهم الهرب حتى الآن. ياله من عار سيكون! يالها من بداية كارثية لحُكمه!

«والخائن؟» يصير صوتُه حادًّا، تقترب منه (إيفانجلين). يلمع شعرها الفضي مثل طرف الشفرة، أكثر بريقًا من درعِها المصقول. ولكنه يبتعِد عنها، يُربِّت على جانبها كما تفعل القطة مع لعبة. «ماذا عن أخي التعِس، الأمير الساقط؟»

لا يسمع إجابتي؛ فليس لديَّ إجابة.

يضحك (مافين) مُجددًا وهذه المرة تطعن ضحكته قلبي. «هل تخلَّى عنكِ أيضًا؟ هل هرب؟ قتل الجبان والِدَنا وحاول سرقة عرشي، فقط لينسلَّ

ويختبئ؟» تقسو نبرتُه، يتظاهر من أجل النُّبلاء وجنوده. من أجلهم يجِب أن يظلَّ الابن المفجوع، ملكًا لم يكُنِ التاجُ قدَرُه، لا يريد شيئًا أكثر من تحقيق العدالة للموتى.

أرفع ذقني في تحدٍّ. «هل تظن أن (كال) سيفعل شيئًا كهذا؟»

(مافين) بعيدٌ كل البُعد عن الحمق. هو لئيم، ولكنه ليس غبيًّا، ويعرف أخاه أكثر من أي أحدٍ على قيد الحياة. (كال) ليس بجبانٍ ولن يكون أبدًا. كذبه على رعاياه لن يُغير ذلك. تخون عيون (مافين) قلبه وينظر لجانِبَيه، للأزقة والشوارع التي تقود بعيدًا عن الجادة المدمرة. يمكن أن يكون (كال) مُختبئًا في أي منهم، ينتظر فرصة الهجوم. يُمكن أن أكون أنا الفخ، الطعم الذي يُمكنه إخراج الخبيث الذي دعوتُه مرةً بخطيبي وصديقي. عندما يدير رأسه، ينزلق التاج، كبير جدًّا بالنسبة لجمجمته. حتى المعدن يعلم أنه لا ينتمي إليه.

«أظنُّك تقِفين وحدك يا (ماير).» يتحدث بلُطف. رغم كل ما فعلَه بي، اسمي في فمِه يجعلني أرتجِف، أفكر في أيامٍ مضت.

في وقتٍ ما نطقَه بعطف ومحبّة. الآن يبدو كلعنة.

«رحل أصدقاؤك. لقد خسرتِ. أنت مسخ، الوحيدة من نوعِكِ التعِس. ستكون إزالتُك من العالَم رحمة.»

المزيد من الأكاذيب، وكلانا يُدرك ذلك. أُقلد ضحكته الباردة. وللحظةٍ نبدو كأصدقاء مجددًا، ولا شيء أبعدَ عن الحقيقة. تمرُّ طائرة فوقنا، تكاد أجنحتها تخدش أطراف الأنقاض القريبة. هي قريبة للغاية، قريبة جدًّا. يمكنني أن أشعر بقلبها الكهربائي، مُحركها الصاخب يُبقيها بطريقةٍ ما مُرتفعة في الهواء. أحاول الوصول إليها بأقصى قُدرتي كما فعلت من قبل مراتٍ عديدة، مثل الأضواء، والكاميرات، مثل كل سلك ودائرة كهربائية منذ صِرتُ فتاة البرق، أتمسَّك بها وأُغلقها. تميل الطائرة وأنفُها لأسفل، تنزلق عبر الهواء للحظةٍ بأجنحة ثقيلة. مسارها الأصلي من المُفترَض أن يأخذها عبر الجادة، بالأعلى فوق الفيلق لحماية الملك. الآن تسقط مُقدمتها أولًا تجاههم، وتطير فوق الصف الأحمر لتصطدِم بمئات الفضِّين. لم يكن

(الماجنيترونون) من منزل (ساموس) و(التيلكيون) من منزل (بروفوز) بالسرعة الكافِية لإيقاف الطائرة بينما تحرث الشارع، وتقذف بالأسفلت والأجساد لأعلى. يكاد صوت انفجارِها المُدوي أن يُسقطني أرضًا، ويدفعني لمسافةٍ أبعد. صوت الانفجار يُسبب الصمم، والتشوش والألم. لا يوجد وقت للتألُّم. تردَّد في عقلي. لا أُبالي بمشاهدة فوضى جيش (مافين). أنا أركض بالفعل، وبرْقي معي.

تحمي شراراتٌ بنفسجية وبيضاء ظهري، وتُبقيني آمنةً من المُسرعين (سويفت) الذين يحاولون أن يلحقوا بي. يصطدم البعض منهم ببَرقي في محاولةٍ لاختراقه. ويسقطون في أكوام من اللحم المُدخن والعظام المرتجِفة. أنا شاكرة لعدم قدرتي على رؤية وجوههم، وإلا كنتُ سأحلم بهم لاحقًا. تأتي الطلقات النارية تاليًا، لكن عَدْوِي في مسارٍ متعرج يجعلني هدفًا صعبًا. الطلقات القليلة التي تقترب منِّي تتمزَّق صارخة عند درعي، مثلما كان من المُفترَض أن يفعل جسدي عند اصطدامي بالشبكة الكهربائية في اختبارات الملكة. تبدو هذه اللحظة بعيدةً للغاية. بالأعلى، تصيح الطائرات مجددًا، هذه المرة تحرص على البقاء بعيدة. لكن صواريخها ليست بنفس التهذيب.

وقفت أنقاض (نايرسي) لآلاف الأعوام، لكنها لن تنجو من هذا اليوم. تنهار الشوارع والمباني، دمَّرتها قدرات الفِضيِّين والصواريخ بنفس القدْر. أُطلِق سراح كل شيءٍ وكل شخص. يقوم (الماجنيترونون) بثَنْي وكسْر الدعامات المعدنية، بينما يقذف الفضيُّون من (التيلكي) و(السترونج أرم) بالحطام عبْر السماء الرمادية. تنزف المياه من المواسير بينما يحاول (النيمفيون) إغراق المدينة، ويطردون باقي الحرس المُختبئين في الأنفاق أسفلنا. تعوي الرياح، قويةً مثل الإعصار بسبب المُتحكِّمين بالرياح (الويند ويفر) في الجيش. تلسع المياه وفُتات الحطام عينيّ، وتكاد الرياح الشديدة تُعميني. تهز انفجارات المُدَثِّرين (الأوبلفين) الأرض أسفلنا وأتعثَّر في ارتباك. لم اعتَدِ السقوط. لكن الآن وجهي يحتك بالأسفلت، ويترك دماءً في أثره. عندما أنهض، تُسقطني مجددًا صيحة الصارخين (البانشي) مُحطمة الزجاج،

وتُجبرني على تغطية أُذني. تتساقط المزيد من الدماء بسرعةٍ وبغزارة بين أصابعي. لكن (البانشي) التي أسقطتني أنقذَتْني أيضًا بدون قصد.

عندما سقطت اندفع صاروخ آخر فوق رأسي، قريبٌ لدرجة أنني أشعر بتموُّجات في الهواء. ينفجر قريبًا مني، تنبض الحرارة خلال درعي الكهربائي المتعجل. أتساءل بشكلٍ بسيط إذا كنت سأموت بدون حواجبي. لكن عوضًا عن أن يَحرقني، تظلُّ الحرارة ثابتة، غير مُريحة، ولكن مُحتملة. تجذبني أيدٍ قويةٌ مليئة بالكدمات لأنهض، ويلمع شعرٌ أشقر في ضوء النيران. بالكاد يُمكنني أن أتعرَّف على وجهها خلال العاصفة اللاذعة. (فارلي).

اختفى سلاحُها، وتمزَّقت ثيابها، وعضلاتها ترتجف، ولكنها تظلُّ متمسكةً بي. خلفها شخص طويل مألوف يرمي بخيالٍ أسود عبر الانفجار. يمنعه بذراع واحدة ممدودة. اختفت قيوده، ذابت أو أُلقِيَت بعيدًا. عندما يستدير تزداد نيرانه، تصل إلى السماء والشارع المُدمَّر، لكن ليس إلينا. يعلم (كال) جيدًا ماذا يفعل؛ يُوجِّه العاصفة النارية من حولنا مثل المياه حول الصخور.

مَثُل في حلبة القتال، يُكوِّن جدارًا مشتعلًا عبر الجادة، يَحمينا من أخيه والفيلق خلفه. لكن الآن، نيرانه قوية، يُغذيها الأكسجين والغضب. تقفز عبر الهواء، ساخنة لدرجة أنها تشتعل بلون أزرق شاحب في قاعدتها. تسقط صواريخ أخرى، لكن مُجددًا، يسيطر (كال) على قوتها، ويستخدِمها ليُغذي قُدرته. يكاد المشهد أن يكون جميلًا، رؤية ذراعَيه الطويلتَين تنحنِيان وتدوران وتُحوِّلان الحطام لحمايةٍ بوتيرةٍ ثابتة. تُحاول (فارلي) أن تجذبني بعيدًا، وتغلبني. مع النيران التي تحمينا، ألتفِتُ وأرى النهر على بُعدِ مئة ياردة. يُمكنني حتى أن أرى الخيالات الضخمة لـ(كيلورن) وأخي يعرجان تجاه الأمان المُفترض.

«هيا يا (ماير)». تزمجر، وتُجرجر جسدي الضعيف والمليء بالكدمات.

للحظة، أتركها تسحبُني معها. يؤلِمني التفكير بوضوح. ولكن نظرة واحدة للخلف، وأفهم ما الذي تفعله وما الذي تُحاول أن تجعلني أفعله.

«لن أرحل بدونه!» أصرخ لثاني مرةٍ هذا اليوم.

«أظنه يقوم بعملٍ جيد بمفرده». تقول وعيناها الزرقاء تعكس النيران.

في وقتٍ ما، ظننتُ مثلها. أن الفِضِّين لا يقهرون، آلهةً على الأرض، أقوياء لدرجة أنه لا يُمكن تدميرهم. لكني قتلتُ ثلاثة منهم فقط هذا الصباح: (أرفين)، و(السترونج أرم) من منزل (رامبوز)، واللورد (النيمف) من منزل (أوسانوس). وربما أكثر بالعاصفة البرقية. وكادوا أن يقتلوني و(كال) أيضًا. اضطُررنا أن نُنقذ بعضنا في الحلبة. ويجب أن نفعلها ثانية.

(فارلي) أضخم وأطول وأقوى منّي، ولكني أكثر ليونة. حتى وأنا مُصابة ونصف صماء. بحركةٍ سريعة بكاحلي، ودفعةٍ واحدة محسوبٌ وقتُها، تتعثر للخلف وتتركني. ألتفِت في نفس الحركة، وكفّاي ممدودَتان لأشعُر بما أحتاجه. يوجَد كهرباء أقلُّ بكثيرٍ في (نايرسي) من (أركيون) أو حتى (الستيلتز)، لكني لا أحتاج أن أمتصَّ الكهرباء من أي شيءٍ الآن. يُمكنني صناعة الكهرباء الخاصة بي.

تصطدِم الضربة الأولى من مياه (النيمفين) بالنيران بقوةِ موجة مدٍّ عارمة. يَغلي ويتبخر معظمها، لكن الباقي يسقط على الجدار الناري، ويُخمد ألسنة اللهب الضخمة. أجيب على المياه بالكهرباء الخاصة بي، أتَّخِذ الموجات المُلتوية التي تتحطَّم في منتصف الهواء هدفًا لي.

خلف الموجة، يتقدم الفيلق الفضي للأمام، مندفعًا تجاهنا. على الأقل تم سحب الحُمر المُقيدين، صاروا بمؤخرة الصف. هذا فعل (مافين) لن يتركهم يُبطئونه. يُقابل جنوده برْقي بدلًا من الهواء، وخلفه تقفز نيران (كال) عائدة من الجمرات.

«تراجَعي ببطء!» يقول (كال)، ويُشير بيدٍ مفتوحة. أتبع خطواته المحسوبة، حريصة ألّا أنظر بعيدًا عن الهلاك المحتوم. معًا نتبادل المواقع للأمام والخلف، لنحمي انسحابنا. عندما تسقُط نيرانه، يرتفع برقي وهكذا. معًا لدَينا فرصة. يُتمتم بأوامر بسيطة، متى نتحرك، متى نرفع جدارًا ومتى نُسقطه. يبدو أكثر إرهاقًا مما رأيتُه يومًا، عروقه زرقاء قاتمة تحت جلده، وتحاوط دوائر رمادية عينَيه. أعلَم أنني أبدو أسوأ بالتأكيد. لكن وتيرته

تمنعنا من الاستسلام كليًّا، تسمح لأجزاء صغيرة من قوَّتنا بالرجوع عندما نحتاجها.

«فقط أبعد قليلًا.» تقول (فارلي)، صوتها يتردَّد من خلفِنا. ولكنها لا تركض مبتعدة. تبقى معنا، وبالرغم من أنها مجرد بشرية، هي أشجع مما ظننتُها.

«أبعد حتى ماذا؟» أُزمجر عبر أسنانٍ مطبقة، وأقذف بشبكةٍ أخرى من الكهرباء. بالرغم من أوامر (كال)، أصيرُ أبطأ، ويخترق القليل من الحطام دفاعَنا. يتحطم على بُعد عدة ياردات منَّا، ويتحوَّل لغُبار. يكاد ينفَد وقتنا. ولكن هكذا (مافين).

يُمكنني أن أشتَمَّ رائحة النهر، والمُحيط بعدَه. حادٌّ ومالح، يَستدعِينا لكن لأيِّ غاية، لا أعرف. أعرف فقط أن (فارلي) و(شايد) يؤمِنان أنه سيُنقذنا من فكِّي (مافين). عندما أنظر خلفي، لا أرى شيئًا غير الجادة، تنتهي عند طرف النهر. تقف (فارلي) مُنتظرة، يتحرك شعرُها القصير مع الرياح الساخنة. اقفزا. تهمس قبل أن تقفِز من فوق حافة الشارع المُحطم.

ماذا بينها وبين القفز تجاه الهاوية؟

«تريدن أن نقفز؟» أخبر (كال)، وألتفِتُ في الوقت المناسب لِأُعوضه عن درعِه.

يُزمجر في موافقة، في تركيزٍ قويٍّ فلا يتحدَّث. مثل برْقي، تزداد نيرانه ضعفًا ورفعًا. يُمكننا أن نرى عبرَها الآن الجنود على الطرف الآخر. تُشوِّش الشعلات الوامضة ملامِحَهم، تُحوِّل عيونهم لفحمٍ مشتعِل، وأفواهَهم لأنيابٍ مبتسمة، والرجال لشياطين.

يتقدَّم أحدهم من الجدار، لقُربٍ يكفي ليحترق. ولكنه لا يشتعِل. بل يزيح النيران كالستار. شخصٌ واحد يُمكنه فِعل ذلك. يهزُّ (مافين) الجمر عن عباءته السخيفة، ويترك الحرير يحترق بينما يصمد درعُه. لدَيه الوقاحة ليبتسِم. وبطريقةٍ ما، (كال) لدَيه القوة ليلتفِت بعيدًا. بدلًا من أن يُمزق (مافين) يدَيه العاريَتَين، يُمسك بِمعصمي بقبضته الساخنة الحارقة. ونركض معًا، لا نبالي بحماية ظهرنا. (مافين) ليس بِندٍّ لأيٍّ منَّا، وهو يُدرك ذلك. بدلًا

من ذلك يصرخ. رغم تاجِه والدماء على يدَيه، ما زال صغيرًا.

«اركض أيُها القاتل! اركضي يا فتاة البرق الصغيرة! اركضا سريعًا وبعيدًا!» يتردَّد صوت ضحكته عبر الأنقاض المنهارة، يُطاردنا. «لا يُوجَد مكانٌ لا أستطيع فيهِ أن أجدكما!»

أُدرك بضعفٍ أن برقي يفشل، يضعف بينما أبتعِد أكثر. وتنهار نيران (كال) معه، وتكشِفنا لباقِي الفيلق. لكنَّنا بالفعل نقفز في الهواء للنهر الذي على بُعد عشرة أقدام أسفلنا. نهبط ليس في رذاذ مياه، بل في صوت معدنٍ مُدوٍّ. يجب أن أتدحرج لأمنع كاحِلي من التحطُّم، لكن ما زلت أشعر بألَمٍ عبر عظامي. ماذا؟ تنتظِر (فارلي)، تغرق رُكبتاها في مياه النهر الباردة بجانب أنبوبة أسطوانية بفوَّهة مفتوحة. دون أن تتحدَّث تهبط عبرَها، وتختفي داخل ما يرقد أسفلَنا. ليس لدَينا وقت للجدال أو الأسئلة، ونتبَعُها عُميًا.

على الأقل (كال) لدَيه الحس الجيد لإغلاق الفوهة خلفنا، بفصْلِنا عن النهر والحرب بالأعلى. تُصدر صريرًا هوائيًا وتُشكِّل قُفلًا مُحكمًا. لكنه لن يحمينا طويلًا، ليس ضد الفيلق.

«أنفاق أخرى؟» أسألُ لاهثة، وأُدير وجهي تجاه (فارلي). تتكوَّن بُقع في بصري مع الحركة وأُضطر أن أسقط مقابل الجدار، ساقاي مُرتجفة. مثلما فعلتُ في الجادة، تضع (فارلي) ذراعها تحت كتفي، وتدعم وزني.

«لا هذه ليست أنفاقًا.» تقول بابتسامة مُحيرة.

ثم أشعر بها، شيئًا مثل البطارية يُصدِر طنينًا، ولكنه أكبر، أقوى. ينبض في كلِّ مكانٍ حولنا، عبر ممرٍّ غريب تسبح به أزرار وامِضة وأضواء خافتة صفراء. ألمح الأوشحة الحمراء تتحرك عبر الممر، تُخفي أوجه الحرس. يبدو وكأنهم في ضباب، مثل الظلال القرمزية. في أنين، يرتجِف المَمرُّ بأكملِه ويسقط بزاويةٍ لأسفل.

«مركب. مركب تحت سطح الماء.» يقول (كال). وصوتُه بعيد ومُرتجف وضعيف. مثلما أشعر.

لا يبتعد أيٌّ منَّا بضعةَ أقدامٍ قبل أن ننهار مقابل الجدران المائلة.

الفصل الثالث

في الأيام القليلة السابقة، استيقظتُ في زنزانة وفي قِطار. والآن في مركب تحت سطح الماء. أين سأستيقظ غدًا؟ بدأتُ أفكر أن كل هذا كان حلمًا أو هلوسة أو أسوأ. لكن هل يمكن الشعور بالتعَب في الحلم؟ لأنني بالتأكيد مُتعبة. تعبي عميق داخل كل عضلةٍ وعصَب. وقلبي جُرِح كليًّا، ما زال ينزف من الخيانة والفشل. عندما أُفتح عينيَّ، وأجد الجدران الرمادية الضيقة، يسرع كلُّ ما أردتُ نسيانَه عائدًا. وكأنَّ الملكة (إيلارا) داخل عقلي ثانية، تُجبرني على عَيش أسوأ ذكرياتي مُجددًا. على الرغم من مُحاولتي، لا يُمكنني إيقافها.

أعدِمت خادماتي الصامتات، ذنبهنَّ الوحيد هو طلاء بشرَتي. قُتِل (تريستان) برُمح مثل الخنزير. (والش)، كانت بعُمر أخي، خادمة من (الستيلتز)، صديقتي، واحدة منًا. وما زالت، ماتت بقسوةٍ بفعل يدِها، لحماية الحرس، وقضيَّتنا وأنا. مات المزيد في أنفاق ميدان القيصر، حرسٌ قتلَهم جنود (كال)، قتلَتْهم خُطتنا الحمقاء. تُحرقني ذكرى الدماء الحمراء، وكذلك الدماء الفضية.

(لوكاس)، صديق وحامٍ، فِضّي بقلبٍ طيب، أُعدِمَ بسبب ما جعلناه أنا و(جوليان) يفعله. السيدة (بلونوس)، تمّ قطْع رأسها لأنها علّمتني كيفية الجلوس بطريقةٍ لائقة. الكولونيل (ماكنثوس)، (رينالد إيرال)، (بيليكوس ليرولان) تمّت التضحية بهم من أجل القضية. أكاد أتقيّأ عندما أتذكر توءم (ليرولان) الصّبية، أربعة أعوام، قتلَتْهم التفجيرات وبعدَها إطلاق النيران. قال لي (مافين) إنها كانت حادثة، أنبوب غاز مثقوب، ولكنّي أعلم أفضل الآن. يَجري شرُّهُ عميقًا ليكون هذا مجرد حادث. لا أشكُّ أنه اهتمَّ برمْيِ المزيد من الأجساد داخل النيران، ولو لإقناع العالم فقط أنَّ الحرس القرمزي وحوش. سيُقتَل (جوليان) أيضًا و(سارة). ربما هما موتى بالفعل.

لا يمكنني التفكير بهم جميعًا. هذا مؤلِم للغاية. تعود أفكاري لـ(مافين) نفسه، لعينَيه الزرقاوَين واللحظة التي أدركتُ فيها أن ابتسامتَه الساحرة تُخفي وحشًا.

الفراش أسفل منِّي قاسٍ، والأغطية رقيقة، لا يُوجَد حتى وسادة، لكن جزءًا منِّي يريد العودة للاستلقاء. يعود بالفعل صداعي، يَخفُق مع النبض الكهربائي للمركب المعجزة. هذا تذكرةٌ صارمة أنه لا تُوجَد لي راحة هنا. ليس بعد، ليس مع كلِّ ما يجب أن نفعله. القائمة، الأسماء، يجب أن أجدهم. يجب أن أحميهم من (مافين) ووالدته.

تنتشِر الحرارة عبر وجهي، ويصير جلدي أحمر من ذكرى كتاب (جوليان) الصغير من الأسرار التي فاز بها بصعوبة. سجِّل لمن هُم مثلي، لديهم طفرة غريبة تُعطينا دماءً حمراء وقدرات فضية. هذه القائمة هي إرث (جوليان) وإرثي. أرمي بساقي من فوق الفراش الصغير، ويكاد رأسي يصطدِم بالفراش فوقي. أجد كومةً من الملابس المَطوية بعنايةٍ على الأرض. سروال أسود طويل للغاية، قميص أحمر قاتم مُهترئ عند المرفقَين، وأحذية فقَدَتْ أربطتها. لا شيء مثل الملابس الفاخرة التي وجدتُها في الزنزانة الفضية، ولكنها تُشعِر بشرتي بالصواب.

بالكاد أضع القميص فوق رأسي عندما يُفتَح باب الحُجَيرة على مصراعيه المعدنيَّيْن. ينتظر (كيلورن) في ترقُّب على الجانب الآخر، ابتسامته قصرية وقاتمة. لا يجب أن يحمرَّ خجلًا، فقد رآني في مراحل مُتعددة من نزع الملابس لصيفيَّاتٍ عديدة، ولكن وجنتَيه تصير حمراوين على أيةِ حال.

«ليس من عادتكِ أن تنامي طويلًا.» يقول وأشعر بالقلق في صوته.

أهزُّ كتفي وأنهض على ساقَين ضعيفتَين. «أظنني احتجتُ ذلك.»

يُسيطر صوتُ رنينٍ غريب على أُذني، ثاقِب وليس مؤلِمًا. أهزُّ رأسي للأمام والخلف محاولةً أن أتخلَّص منه، وأبدو ككلبٍ مُبلل في نفس الوقت.

«هذا بسبب صرخة (البانشي).» يتحرك تجاهي ويُمسك برأسي بين يدَين لطيفتَين لكن خشِنتَين. أستسلِم لفحصه، وأتنهَّد مُنزعجة. يلفُّني للاتجاهَين، وينظر لأُذنَين كانتا حمراوَين من الدماء السائلة منذ وقتٍ طويل.

«أنت محظوظة أنها لم تضربك مباشرة».

«أنا الكثير من الأشياء، لكن، أظنُّ، ليس منها أني محظوظة.»

«أنت على قيد الحياة يا (ماير).» يقول بحدَّة، ويبتعِد. «هذا أكثر ممَّا يمكن أن يقوله الكثيرون.» نظرتُه تُعيديني لـ(نايرسي)، حيث قلت لأخي إنني لا أثق بكلماته. وفي أعماق قلبي، أعرف أنني لا زلتُ كذلك.

«أنا آسفة.» أهمس سريعًا. بالطبع أعلم أن آخرين قد لَقُوا حتفهم، من أجل القضية ومن أجلي. لكني متُّ أيضًا. ماتت (ماير) من (الستيلتز) اليوم الذي سقطت فيه فوق درع الكهرباء. (مارينا) الأميرة الفضية المفقودة ماتت في وعاء العظام. ولا أعلم الشخص الجديد الذي فتح عينيه على متن القطار السُّفلي. أعلَم فقط من كانت وماذا فقدت، وثِقَل ذلك يكاد يُحطمني.

«هل ستُخبرني إلى أين نذهب أم هذا سِر آخر؟» أحاول أن أبعد المرارة عن صوتي، ولكني أفشل فشلًا ذريعًا.

(كيلورن) مُهذب بقدرٍ كافٍ ليتجاهل ذلك ويستند إلى الجدار. «تركنا (نايرسي) منذ خمس ساعات، ونتَّجِه للشمال الشرقي. هذا بحقِّ كل ما أعرفه.»

«وهذا لا يُزعجك على الإطلاق؟!»

يهزُّ كتفَيه فقط. «ماذا يجعلك تظنِّين أن مَن بالأعلى يثِقون بِي أو بكِ في هذا الصدد؟ تعلَمين أفضل من أيِّ شخصٍ كم كنا حمقى، والثمن الكبير الذي دفعناه.» مُجددًا، أشعر بألم الذكريات. «قلتِ بنفسك، لا يُمكنكِ الثقة بـ(شايد). أشك أن أيَّ شخصٍ سيشاركنا أي أسرار في أي وقت قريب.»

الطعنة لا تؤلِم بقدْر ما توقَّعت. «كيف حاله؟»

يرمي (كيلورن) برأسه مُشيرًا للممر. «قامت (فارلي) بصنع مقرٍّ طبي صغير من أجل الجرحى. هو أفضل من الآخرين. يُلعن كثيرًا، ولكنه بالتأكيد أفضل.» تُظلم عيناه الخضراء قليلًا، وينظر بعيدًا. «ساقه ...!»

أشهق، «مُصابة بعدوى؟» في البيت في (الستيلتز)، العدوى كانت بنفس قدْر السوء كذراع مبتورة. لم يكن لدَينا الكثير من الأدوية، وبمجرد أن

تفسد الدماء، كل ما يمكن فعله هو التقطيع في أملٍ أن تسبق الحُمَّى والأوردة السوداء.

لراحتي، يهزُّ (كيلورن) رأسه. «لا (فارلي) أعطته الكثير من جرعات الأدوية، والفضيُّون يقاتلون برصاصاتٍ نظيفة. هذا كرم من ناحيتهم.» يضحك ضحكة مُظلمة، ويتوقع منِّي أن أنضم له. لكني أرتجف. الهواء بارِد للغاية هنا بالأسفل. «لكنه بالتأكيد سيعرج لفترة.»

«هل ستأخُذني له أم سأُضطر لمعرفة الطريق بمفردي؟»

ضحكة مُظلمة أخرى ويمدُّ ذراعه. لدهشتي، أُدرك أنني أحتاج الدَّعم لأتحرك. تركَتْ (نايرسي) ووعاء العظام أثرًا.

(ميرسيف). هكذا يدعو (كيلورن) المركب تحت المائي الغريب. كيف يُمكنه الإبحار تحت سطح المحيط؟ هذا بعيد عن فَهمنا، لكني متأكدة أن (كال) سيفهم الأمر. هو التالي على قائمتي. سأجِده بعدما أتأكد أن أخي ما زال يتنفَّس. أتذكر أن (كال) كان بالكاد واعيًا عندما هربنا، مثلي. لكن لا أظن أن (فارلي) ستضعُه في المقر الطبي، ليس مع الحرس الجرحى حولَه. هناك الكثير من الضغينة ولا يريد أحد أن يندلع جحيم في أنبوبة معدنية مُغلقة.

لا تزال صرخة (البانشي) تدقُّ برأسي، أنينٌ ضعيف أحاول أن أتجاهله. وفي كل خطوة، أتعرف على آلامٍ وكدمات جديدة. يلاحظ (كيلورن) كلَّ مرة أجفل فيها وأُبطئ حركتي، ويسمح لي أن أستند على ذراعه. يتجاهل إصاباته، الجروح العميقة المُختبئة أسفل مجموعةٍ أخرى من الضمَّادات الحديثة. كان لدَيه دومًا أيدٍ مُصابة ومكدومة ومجروحة من الصيد، من الخطاف وحبل الصيد، ولكنها جروح مألوفة. كانت تشير أنه في أمان، موظف، وحُر من التجنيد. إذا لم يمُت مُدربه الصياد، كانت ستبقى الندبات الصغيرة هي كل عبئه. في وقتٍ ما كانت هذه الفكرة ستجعلني حزينة. الآن كل ما أشعر به هو الغضب.

الممرُّ الرئيسي في (ميرسيف) طويل وضيق، مُقسَّم بعدةِ أبواب معدنية بمفاصل سميكة وأقفال مضغوطة. لإغلاق أجزاء منها إذا استدعى الوضع

ذلك، ومنع باقي المركبة من الغمر والغرَق. لكن الأبواب لا تجلب لي أي راحة. لا يُمكنني التوقُّف عن التفكير في الموت في قعر المحيط، محبوسة في تابوتٍ معدني. حتى (كيلورن)، فتًى ترعرع فوق المياه، بدا مُنزعجًا. ينعكس الضوء الخافت المُثبت بالسقف بشكلٍ غريب، يقطع الظلَّ على وجهه مما يجعله يبدو كبيرًا في السنِّ ومُنهكًا.

لم يبدُ الحرس الآخرون مُتأثرين، يأتون ويذهبون بهدفٍ واضح. أنزلوا أوشِحتَهم وشالاتهم، كاشِفين عن وجوهٍ بملامح بها عزيمةٌ كئيبة. يحملون خرائط، وصَوانٍ من المعدَّات الطبية، والضمَّادات، والطعام، وحتى بندقية في بعض الأحيان. دومًا مُسرعون ويتحدث بعضهم إلى بعض. لكنهم يتوقفون عند رؤيتهم إيَّايَ، ويستندون مُقابل الجدران ليسمحوا لي بأكثرِ مساحةٍ مُمكنة في الممرِّ الضيق لأعبُر. الأكثر جرأة منهم ينظرون لعينيَّ، ويشاهدونني أعرُج بينما أمرُّ، لكنَّ معظمهم ينظرون لأقدامهم.

بعضٌ منهم يَبدُون خائفين.

منِّي.

أريد أن أشكركم، أن أُعبِّر بطريقةٍ ما عن «كم أنا مدينة لكلِّ رجل وامرأة على متن المركبة الغريبة!» شكرًا لخدمتكم، تكاد أن تخرج من بين شفتيَّ، لكنِّي أُغلق فكَّيَّ لأمنعها. شكرًا لخدمتكم. هذا ما يطبعونه في الإشعارات والخطابات التي يُرسلونها ليخبروك أن أطفالك ربما ماتوا من أجل حربٍ بلا جدوى.

كم من الوالدين رأيتُ ينتحِبون عند رؤيتهم هذه الكلمات! كم آخرِين سيستقبلونها! حيث سترسِل التدابير الأمنية أطفالًا أصغر عُمرًا للجبهة.

لا أحد. أقول لنفسي. سيكون لدى (فارلي) خطة لذلك، مثلما سنجد طريقةً لإيجاد أصحاب الدماء- الجديدة، الآخرين مثلي. سنفعل شيئًا، يجب أن نفعل شيئًا.

يُتمتم الحرس مقابل الجدار لأنفسِهم بينما أمرُّ. حتى الذين لا يستطيعون النظر إليَّ يهمسون لبعضهم، لا يبالون بإخفاء كلماتهم. أظن أنهم يعتقدون أن ما يقولونه مديحًا.

«فتاة البرق.» تتردَّد منهم وتنعكس على الجدار المعدني. تُحاوطني مثل همسات (إيلارا) التعسة، وتتسلَّل لعقلي. فتاة البرق الصغيرة. هكذا اعتادت أن تُناديني، هكذا نادَوني. لا، لا. ليس هذا.

بالرغم من الألم، صَحَّحَ وضع عمودي الفقري، وأقِف بأقصى استقامةٍ أقدِر عليها. لم أعد صغيرة بعد الآن.

تُطاردني الهمسات طوال الطريق للمقرّ الطبي، حيث يقف اثنان للحراسة أمام الباب المُغلق. يُراقبان أيضًا السُّلَّم، شيء معدني ثقيل يصِل للسقف. المَخرج والمدخل الوحيد لهذه السفينة البطيئة على هيئة رصاصة. أحدهما لدَيه شعر أحمر غامِق، مثل (تريستان)، رغم أنه ليس حتى قريبًا من طوله. الآخر جسده كالصخرة، بشرته بُنية، وعيناه حادَّة، وصدره عريض، ويداه ضخمة تُناسِب فضِّيّ (سترونج أرم). يُحنِيان رأسَيهما عند رؤيتي، ولكن لراحتي لا يَمنحانني أكثرَ من نظرة. لكنهم يُوجِّهان انتباههما لـ(كيلورن)، يبتسِمان تجاهه كأصدقاء المدرسة.

«عدتَ سريعًا يا (وارين)؟» يقول صاحب الشعر الأحمر، ويُحرك حاجبَيه في إيحاء. «أنهت (لينا) مناوبتها.»

(لينا)؟ يتوتر (كيلورن) تحت ذراعي، ولكنه لا يقول شيئًا يكشِف انزعاجه. عوضًا عن ذلك، يضحك معهما ويبتسِم في سخرية. لكني أعرفه أكثر من أي شخصٍ بالقدر الكافي لأرى الإجبار خلفَ الابتسامة. أفكر أنه قضى وقته في المُغازلة بينما أنا غائبة عن الوعي و(شايد) مُصاب وينزف.

«الفتى لدَيه ما يكفي من المشاكل بدون ملاحقة المُمرضات الجميلات.» يقول الصخرة. وصوته العميق يتردَّد عبر الممر، ربما يصِل لحُجيرة (لينا). «لا تزال (فارلي) تقوم بالدوريات، إذا كنت تريدها.» يضيف وينغز الباب بأصبعه.

«وأخي؟» أقول بصوتٍ عالٍ وأفكُّ تشابكي بقبضة (كيلورن). تكاد ركبتاي أن تنهارا، ولكني أقف صامدة. «(شايد بارو)؟»

تختفي ابتسامتهما، ويتصلبان في وضع رسمي. وكأني عدت للبلاط الفضي تقريبًا. يمسك الصخرة بالباب ويدير العجلة الضخمة حتى لا يُضطر للنظر

إليَّ. «هو يتعافى جيدًا ... آنسة ... سيدتي النبيلة.»

تتقلَّص معدتي قليلًا عند سماعي اللقب. ظننتُ أنني انتهيتُ من مثل هذه الأشياء.

«من فضلك، ادْعُني بـ(ماير).»

«بالطبع.» يُجيب بدون أي نوعٍ من العزم. رغم أن كِلَينا من الحرس القرمزي، جنود جنبًا إلى جنبٍ في قضيتنا، لسنا مُتشابِهين. هذا الرجل وآخرون كثيرون، لن يدعوني باسمي مهما أردتُم أن يفعلوا.

يفتح الباب بإيماءةٍ صغيرة، ليكشف عن حجرة واسعة لكن بسيطة مليئة بالأفرشة. كانت حجرة نومٍ في وقتٍ ما، ولكن أفرشتها المرصوصة تمتلئ بالمرضى، الممرُّ الوحيد يتكدَّس برجالٍ ونساء في أزياء بيضاء. الكثيرون تلطخت ملابسهم بالدماء القرمزية، مشغولون بإعادة ساقٍ لوضعها الطبيعي أو إعطاء الأدوية ليُلاحظوني أعرُج بينهم.

تحوم يد (كيلورن) حول وسطي، مُستعدٌّ أن يمسك بي إذا احتجتُه مُجددًا، لكنني أستند على الفراش بدلًا منه. إذا كان الجميع سيحدقون بي فمن الأفضل أن أحاول التحرك بمفردي. يجلس (شايد) مستندًا على وسادة واحدة رفيعة، ويدعمه الجدار المائل المعدني أكثر. لا يمكن أن يكون مرتاحًا، لكن عينَيه مغلقتان، وصدره يعلو ويهبط في وتيرة نومٍ سهلة. بالحُكم على ساقِه المعلقة في سقف فراشه بحمَّالة صُنِعت على عجل، وكتفه المُضمَّدة، فهو بالتأكيد تجرَّع مخدرات بضع مرات. رؤيتُه مُحطمًا هكذا مع أنني ظننتُه ميتًا حتى الأمس، صعبة التحمُّل بطريقة صادمة.

«يجب أن ندَعَه ينام.» أهمس ليس لأحدٍ بالأخص، ولا أتوقَّع إجابة.

«نعم، من فضلك.» يقول (شايد) دون أن يفتح عينَيه، لكن شفتَيه تكوِّن ابتسامة مألوفة عابثة. رغم شكله المُصاب المُحبط، يجب أن أضحك.

الخدعة مألوفة. كان يتظاهر بالنوم في وقت المدرسة أو أثناء محادثات والدنا ووالدتنا الهامسة. أضحك من الذكرى. أتذكَّر كم من الأسرار التقطها (شايد) بهذه الطريقة المُحددة. ربما ولدتُ كلصة، لكن (شايد) وُلد كجاسوس. لا عجب أنه انتهى به الأمر في الحرس القرمزي.

«أتصنَّت على الممرضات؟» تضعف ركبتاي وأجلس على جانب فراشه، حريصة ألا أتزاحم معه. «هل علمت كم من الضمادات يحتفظون بها بعيدًا؟»

لكن بدلًا من الضحك على دعابتي، يفتح عينَيه. ويشير لي ولـ(كيلورن) بيده لنقترب. «تعرف المُمرضات أكثر مما تظنين.» يقول ونظرته ترتحِل للجانب البعيد من الحجرة.

ألتفت لأجد (فارلي) تُبقي نفسها مُنهمكةً عند فراش مشغول. المرأة فوقَه فاقدة الوعي، غالبًا مُخدَّرة، وتراقب (فارلي) نبضها بحرص. في هذا الضوء، تظهر ندبتُها بوضوح، تَثني جانبًا من فمها للعبوس قبل أن تقطع لأسفل عُنقها وتحت ياقتها. جزء منها تمزّق مفتوحًا وتم خياطته على عجلة. الآن، الأحمر الوحيد الذي ترتديه هو بقعة الدماء على رداء الممرضات الأبيض والبقع نصف المغسولة التي تصل لمرفقَيها. يقف ممرض آخر بجانب كتفِها، لكن رداءه نظيف ويهمس بأذنها على عجلة. تُومئ من وقتٍ لآخر، رغم أن وجهها يضيق غضبًا.

«ماذا سمعت؟» يسأل (كيلورن)، ويتحرك حتى يحجب جسده (شايد) كليًّا. لأي شخص آخر يبدو أنه يُعدل من ضمّاداته.

«نتوجّه لقاعدةٍ أخرى، هذه المرة قبالة الساحل، خارج حدود (نورتا)».

أحاول أن أتذكر خريطة (جوليان) بشدة، لكن لا أستطيع أن أفكر في أبعد من السواحل. «جزيرة؟»

يومئ (شايد). «تُدعى (تاك). لا يبدو أنها شيء كبير لأن الفضيين ليس لديهم قاعدة هناك. لقد نسوها جميعًا.»

يتجمع الرعب في مَعِدتي. فكرة عزل نفسي على جزيرة بلا طريق للهرب تُخيفني أكثر من (الميرسيف). «لكنهم يعلمون أنها موجودة، هذا كافٍ».

«بدت (فارلي) واثقة بالقاعدة هناك.»

يسخر (كيلورن) بصوت عالٍ. «أتذكر أنها اعتقدت أن (نايرسي) آمنة أيضًا.»

«لم تكن خسارتنا لـ(نايرسي) ذنبها». أقول. هذا ذنبي.

«(مافين) خدع الجميع يا (ماير).» يُجيب (كيلورن) ويَكِز كتفي. «لقد خدعني وأنت و(فارلي). كلنا صدقناه.»

بوجود والدتِه لتُدربه، ولتقرأ عقولنا وتُشكل (مافين) وفقًا لآمالنا، لا عجب أننا خُدِعنا جميعًا. والآن هو الملك. الآن سيخدع ويسيطر على عالَمنا بأكمله. يا له من عالم سيكون مع وحش كملك، ووالدته تمسك بلجامه.

لكني أُبعِد مثل تلك الأفكار. يمكنها الانتظار. «هل قالت (فارلي) أي شيءٍ آخر؟ ماذا عن القائمة؟ ما زالت معها، أليس كذلك؟»

يُراقبها (شايد) من فوق كتفي، حريصًا أن يبقي صوته منخفضًا. «نعم، لكنها مُهتمة أكثر بالآخرين الذين سنُقابلهم في (تاك)، منهم أمي وأبي».

تجتاحني دفعة من الدفء، وموجة مُنعشة من السعادة. تشرق ملامح (شايد) عند رؤية ابتسامتي الصغيرة لكنها صادقة، ويأخذ يدي. «(جيسا) أيضًا، والكُتل التي ندعوها بأشقائنا.»

تنفكُّ عقدة من التوتر داخلي، ولكن سرعان ما تَخلُفها أخرى. أُحكِم قبضتي عليه، وأرفع حاجبي في تساؤل. «آخرين؟ من؟ كيف يكون ذلك»؟

بعد المذبحة أسفل ميدان القيصر وإخلاء (نايرسي) لم أظن أن هناك أي آخرين موجودون. لكن (كيلورن) و(شايد) لا يُشاركانني حيرتي، اختارا أن يتبادلا نظراتٍ خلسة بدلًا من ذلك. ومجددًا أنا في الظلام، ولا يعجبني ذلك نهائيًا. وهذه المرة، أخي وصديقي مَن يحتفظان بالأسرار وليس ملكة شريرة وأميرًا ماكرًا. بطريقةٍ ما يؤلمني هذا أكثر. أتجهَم وأُحدق بهما حتى يدركا أنني أنتظر الإجابات.

يجزُّ (كيلورن) على أسنانه ولديه الحس الجيد أن يبدو آسفًا. يشير لـ(شايد)، ينقل اللوم. «تعرف أكثر مني».

«يفضل الحرس أن يُبقوا الأمور قريبةً من الصدر، ومعهم كل الحق.»

يعتدل (شايد) ويجلس مُستقيمًا أكثر. يتأوّه عند الحركة، ويمسك بكتفِه المجروحة، ولكنه يرفضني عندما أُحاول مساعدته.

«نريد أن نبدو ضئال، مُحطَمين، غير منظمين ...»

لا يُمكنني منع نفسي من إصدار صوت ساخر، وأنظر لضمّاداته. «حسنًا ـ تُبلون بلاءً رائعًا.»

«لا تكوني قاسية يا (ماير).» يقول (شايد) مُستاءً، يبدو كوالدتنا. «أحاول أن أُخبرك أن الأمور ليست بالسوء الذي تبدو عليه. لم تكن (نايرسي) حِصننا الوحيد و(فارلي) ليست قائدتنا الوحيدة. في الواقع، ليست حتى قائدةً حقيقية. هي مجرد كابتن. هناك المزيد مثلها وأكثر فوقها.»

حكمًا على الطريقة التي تأمُر بها جنودها، كنتُ سأظن (فارلي) إمبراطورة. عندما أجد الفرصة لأنظر لها، أجِدها تُعيد ربط ضمّادة، بينما تنهَر المُمرضة التي ضمّدت الجرح في البداية. لكن اقتناع أخي لا يمكن تجاهُله. هو يعرف عن الحرس القرمزي أكثر بكثيرٍ مني، وأميل لتصديق كل ما يقوله عنهم. هناك المزيد لهذه المنظمة ممّا أراه. وهذا مُشجع ومُخيف.

«يعتقد الفضيون أنهم يسبقوننا بخطوتَين، لكنهم لا يعرفون حتى أين نقف.» يقول (شايد)، وصوته مليء بالحماس. «نبدو ضعفاء لأننا نريد ذلك.»

ألتفت سريعًا. «خدعكم (مافين) أيضًا، وحاصركم وذبحكم وجعلكم تهربون من بيتكم. أم ستحاول أن تُخبرني أن كل ذلك جزءٌ من خطة أخرى؟»

«(ماير) ...» يتمتم (كيلورن)، ويضع كتفَه مقابل كتفِي في عرضٍ للراحة. لكني أدفعه بعيدًا. يجب أن يسمع هذا أيضًا.

«لا أهتمُّ كم من الأنفاق السرية والمراكب والقواعد لديكم. لن تنتصروا عليه، ليس هكذا.» تلسع دموع - لم أعلم أنها ما زالت موجودة - عينيّ، تتحرك مع ذكرى (مافين). من الصعب نسيان كيف كان. لا. كيف تظاهر أن يكون. الفتى الطيب المَنسي. ظل اللهيب.

«إذن ماذا تقترحين يا فتاة البرق؟»

يصدمني صوت (فارلي) مثل شرارتي الخاصة، يدفع بكلِّ أعصابي للحافة. للحظة قصيرة حارقة، أُحدق بيدي المُتشابكة مع غطاء (شايد). ربما سترحل

إذا لم ألتفِت. ربما ستتركني لشأني.

لا تكوني حمقاء، يا (ماير بارو).

«نقاتل النار بالنار.» أخبرها بينما أنهض. كان طولها يُرهبني في وقتٍ ما، الآن النظر إليها مألوف وطبيعي.

«هل هذه مُزحةٌ فضية ما؟» تقول ساخرة، وتُشبك ذراعَيها.

«هل أبدو مازحة؟»

لا تردُّ، وهذه إجابة كافية. بصَمتِها أُدرك أن باقي الحجرة صارت صامتة. حتى المصابون يكتمون آلامهم لمشاهدة فتاة البرق تتحدَّى الكابتن.

«تطمحين للتظاهُر بالضعف ثم تُهاجِمين بقوة، أليس كذلك؟ حسنًا، هم يفعلون كل ما يستطيعون، ليَبدُوا أقوياء، ليَبدُو أنهم لا يُقهَرون. لكن في ساحة القتال، أثبتنا أنهم ليس كذلك.» مجددًا، أقوى، حتى يسمعني الجميع. أستدعي الصوت الصارم الذي أحيَتْه السيدة (بلونوس) داخلي. «هم ليسوا مَنِيعين.»

(فارلي) ليست غبيّة وتجد متابعة قِطار أفكاري سهلًا.

«أنتِ أقوى منهم.» تقول كأمرٍ واقع. وتتحرك عيناها لـ(شايد)، يستلقي في توتر على فراشه. «ولستِ الوحيدة كذلك.»

أومئ بحدَّة، مسرورة أنها تعرف مسبقًا ما أريد. «المئات من الأسماء، المئات من الحُمر ذوي القدرات. أقوى، أسرع، أفضل منهم، بدماء حمراء كالفجر.» تنقطِع أنفاسي وكأنها تعلم أنها على حافة المستقبل. «سيحاول (مافين) أن يقتُلهم، لكن إذا وصلنا إليهم أولًا، يمكن أن يصيروا ...»

«أقوى جيش سيراه العالم.» تبرق عينا (فارلي) عند التفكير بهذا. «جيش من الدماء- الجديدة.»

عندما تبتسِم، تُجذَب ندبتُها ضدَّ الغرز، وتُهدِّد بالتمزُّق ثانية. تتَّسع ابتسامتها، لا تهتم بالألم.

لكني أهتم. أظنني سأهتم دائمًا.

الفصل الرابع

(فارلي) ليست بطول (كيلورن)، لكن خطوتها أسرع، أكثر عزمًا وأصعب في المجاراة. أبذل قصارى جهدي، أكاد أجري لألحق بخطوتها عبر ممرٍّ (الميرسيف). سابقًا، كان يقفز الحرس من طريقي، لكنهم الآن يُحيُّونها بينما نمر، يقبضون أيديهم مقابل صدورهم أو يرفعون أصابعهم أمام حواجبهم. يجِب أن أعترف، (فارلي) شخصية مُبهرة، ترتدي ندباتها وجروحها مثل الحُلِي. لا تُبالي بالدماء على ردائها، وتمسح يدها به في شرود. بعضٌ من هذه الدماء تنتمي لـ(شايد). قد حفرت في كتفه لإخراج الرصاصة دون أن ترمش.

«لم نحبسه، إذا كان هذا ما تُفكرين به.» تقول بسهولة، وكأن حبس (كال) ثرثرة عادية.

لستُ حمقاء لأستجيب لهذا الطعم، ليس الآن. هي تُحاول أن تفهمني، تختبِر ردود فعلي، وولائي. لكني لم أعد الفتاة التي توسَّلت للمساعدة. ليس من السهل قراءتي بعد الآن. لقد عشت على سلكٍ حادٍّ كالشفرة، أحاول موازنة كذبة تلوَ الأخرى، وأُخفي نفسي. ليس صعبًا، أن أفعل مِثل ذلك الآن وأدفن أفكاري عميقًا بالداخل.

لذا أضحك في المقابل، وألصق الابتسامة التي فضلتُها في بلاط (إيلارا). «يمكنني أن أخمّن ذلك، فلا شيء تمت إذابته.» أُجيبها، وأشير للجدران المعدنية. أقرأها بينما تُحاول قراءتي. تخفي تعابيرها جيدًا، لكن ما زالت الدهشة تلمع في عينَيها. الدهشة والفضول.

لم أنسَ الطريقة التي عاملت بها (كال) على متن القطار، القيود والحراسة المسلحة والازدراء. وتقبَّلَ الأمر ككلب مضروب. بعد خيانة أخيه وموت والده، لم يعُد لدَيه قدرة على القتال داخله. لم ألُمْه. لكن (فارلي) لا تعرف قلبه، أو قُدرته مثلما أعلم. لا تعلم كم هو خطير فعليًا. أو كم أنا خطيرة،

في هذا الصدد. حتى الآن، رغم كل إصاباتي، أشعر بقُدرتي عميقًا بالداخل، تستدعي الكهرباء النابضة عبر (الميرسيف). يُمكنني السيطرة عليها إذا أردت. يُمكنني إغلاق هذا الشيء بأكمله. يُمكنني أن أُغرِق الجميع. تجعلني الفكرة المُميتة أحمرُ خجلًا من مثل هذا التفكير. ولكنها تمثل لي راحةً في نفس الوقت. أنا أعظم سلاح على متن سفينة مليئة بالمحاربين، ولا يبدو أنهم يعلمون ذلك. نبدو ضعفاء لأننا نريد ذلك. كان (شايد) يتحدَّث عن الحرس عندما قال ذلك، يشرح دوافعهم. الآن أتساءل إذا كان يحاول أن يُوصل رسالة. ككلمات مَخفية في رسالة منذ زمنٍ طويل.

حُجيرة (كال) في آخر (الميرسيف)، بعيدة عن ضجة باقي المركبة. بابه مُخبأ تقريبًا خلف تشابُك من الأنابيب والصناديق الفارغة عليها ختم (أركيون)، (هافين)، (كورفيوم)، خليج (هاربور)، (ديلفي) وحتى (بيليوم) في (بيدمونت) في الجنوب. لا أعرف ماذا كان بهذه الصناديق. لكن أسماء المُدن الفضية تُرسِل وخزةً في عمودي الفقري. مسروقة. تلاحظ (فارلي) تحديقي بالصناديق، ولكنها لا تهتم بالتفسير. بالرغم من اتفاقيتنا المُتزعزعة على ما ندعوهم بالدماء-الجديدة. لم أدخل بعدُ دائرة أسرارها الداخلية. أظن أن (كال) له علاقة بذلك.

يهتز ما يمدُّ هذه السفينة بالقوة (أيًا ما كان) - يبدو أنه مُحرك ضخم - أسفل قدميَّ ويتذبذب حتى عِظامي. أُكشِّر أنفي في نفور. ربما لم تُقيد (فارلي) (كال) ولكنها لم تكن طيبةً أيضًا. بين الضجَّة والاهتزاز، أتساءل إذا كان (كال) قد نام على الإطلاق.

«أعتقد أن هذا هو المكان الوحيد الذي بإمكانك وضعُه به؟» أسألها، وأُحدق بالزاوية المكتظة.

تهز كتفَيها، وتطرُق على بابه. «لم يشتكِ الأمير.»

لا ننتظر كثيرًا، رغم أنني أُفضل الانتظار لأستجمِع شتاتي. لكن تدور العجلة خلال ثوانٍ، تُطقطق بسرعة كبيرة. تفتح المُفصَّلات المعدنية صارخة ويفتح (كال) الباب. لستُ متفاجئة لرؤيته يقف مستقيمًا، متجاهلًا آلامَه الخاصة. بعد عمرٍ تدرَّب فيه على أن يصير محاربًا، هو معتاد على الجروح

والإصابات. لكن الندبات الداخلية هي شيء لا يعلم كيف يُخفيه. يتفادى نظري، ويركز على (فارلي)، التي لا تلاحظ أو لا تهتمُّ بالأمير ذي القلب المُتحطم. فجأة تبدو جراحي أسهل قليلًا في تحمُّلها.

«كابتن (فارلي).» يقول وكأنها أزعجت وقتَ عشائه. يَرسُم الضِّيق لمُداراة ألَمِه.

لا تتقبل (فارلي) هذا وتزيح شعرها القصير وتسحب نفسًا بصوتٍ عالٍ. وحتى تمدُّ يدَها لتُغلق الباب. «ماذا؟ لم تُرِد أي زوَّار؟ كم أنا فظة!»

أنا مسرورة لأنني لم أدع (كيلورن) يأتي معنا، كان سيُسيء المعاملة تجاه (كال)؛ فهو يكرهه منذ تقابَلا في (الستيلتز).

«(فارلي)!» أقول وأجزُّ على أسناني. وتُوقِف يدي الباب القصير. لسروري ونفوري، تجفل من لمستي. تحمرُّ خجلًا بشكلٍ مرعب، مُحرَجة من نفسها وخوفها. رغم مظهرها الخارجي القاسي، هي مثل الجنود الآخرين. خائفة من فتاة البرق. «أظننا بخير من هنا.»

يتشنَّج جزءٌ من وجهها، يخِزُها الضيق من نفسها، بقدْر ضِيقها منِّي. ولكنها تُومئ، مُمتنةً لابتعادها عني. وبعد نظرةٍ أخيرة طاعنة تجاه (كال)، تلتفِت وتختفي في نهاية الممر. يتردَّد صياحها بالأوامر للحظة، غير مفهوم لكنه قوي. نُحدق بها أنا و(كال) بينما تبتعد، ثم ننظُر إلى الجدران والأرض، وأقدامِنا، في خوفٍ أن ننظر إلى بعضنا. في خوف أن نتذكَّر الأيام الماضية القليلة. آخر مرة رأينا بعضنا فيها، عند عتبة باب، كانت دروس الرقص، وقُبلة مسروقة تبِعَتها. قد تكون هذه حياة أخري. لأنها كانت كذلك. رقص مع (مارينا)، الأميرة المفقودة و(مارينا) قد ماتت.

لكنَّ ذكرياتها باقية. عندما أمر بجانبه، تلمس كتفِي ذراعُه الصلبة. أتذكر الشعور به ورائحته ومذاقه. حرارة ودخان الخشب وشروق الشمس، لكن ليس بعدَ الآن. رائحة (كال) كالدماء وبشرته كالثلج وأقول لنفسي إنني لا أريد أن أتذوَّقه مُجددًا أبدًا.

«هل عاملوك معاملة حسنة؟» أتحدَّث أولًا، أختار موضوعًا سهلًا. نظرة واحدة حول حُجيرته الصغيرة لكن النظيفة تجيبني، يُمكنني على الأقل أن

أملأ الصمت.

«نعم.» يقول وما زال يحوم حول الباب. يتساءل إذا كان عليه إغلاقه أم لا.

يستقر بصري على لوحة تحكُّم في الجدار، تبرز من مكانها لتكشف عن تشابُكٍ من الأسلاك والمفاتيح تحتها. لا أقدِر على منع نفسي من الابتسام في لُطف. كان (كال) يعبث بها.

«هل تعتقد أن هذا تصرُّف ذكي؟ سلك واحد خاطئ ...»

هذا يجلب ابتسامةً ضعيفة، ولكن مُريحة منه. «كنت أعبث مع الدوائر الكهربائية نصف حياتي. لا تقلقي، أعلَم ما أفعله.»

يتجاهل كِلانا المعنى المزدوَج، وأدعه يمر. يُقرر إغلاق الباب، رغم أنه لا يغلق القفل. يسند يدَه على الجدار المعدني، أصابعه مفرودة، يبحث عن شيءٍ يتمسَّك به. ما زال سوار الشعلات في مِعصمه يلمع، فضيٌّ ساطع مقابل رمادي قاسٍ باهت. يلاحظ نظرتي ويسحب كمَّه الملطخ عليه. أظنُّ لا أحد فكَّر في إعطائه ملابس أخرى.

«طالما بقِيتُ بعيدًا عن الأنظار، لن يهتمَّ بي أحد.» يقول ويعود ليتلاعَب باللوحة المفتوحة. «هذا لطيف نوعًا ما.» لكن مُزحته خاوية.

«سأحرص على بقاء الوضع هكذا، إذا كان هذا ما تريده.» أضيف سريعًا. في الواقع، ليس لديَّ أي فكرة عما يريد (كال) الآن. بعيدًا عن الانتقام. الشيء الوحيد الذي ما زال مشتركًا بيننا.

يرفع حاجبه تجاهي، تقريبًا في استمتاع. «هل فتاة البرق تتحكَّم بالأمور الآن» لا يُعطيني فرصةً للإجابة على سُخريته، ويغلق المسافة بيننا بخطوة واحدة طويلة. «لدي شعور أنكِ محاصرة مثلي بالضبط.» تَضيق عيناه. «فقط يبدو أنكِ لا تُدركين ذلك.»

تحمرُّ وجنتاي في غضب وخجل. «مُحاصرة؟ لستُ الشخص الذي يختبئ في الخزانة.»

«لا، أنتِ مشغولة بوضعك في استعراض.» يميل للأمام وتعود الحرارة المألوفة بيننا. «ثانية.»

جزء منّي يريد أن يصفعه. «لن يفعل أخي أبدًا ...»

«ظننتُ أن أخي لن يفعل هذا أبدًا، وانظُري إلى أين أوصلَنا هذا!» يقول غاضبًا، ويرمي بذراعَيه على اتِّساعهما. وتلمس أطراف أصابعه الجدران على الجانبين، تحتكُّ بالسجن الذي وجد نفسه فيه. السجن الذي وضعته به. وقد حبسني معه، سواء كان يدري بذلك أو لا.

تندفع حرارة حارقة من جسده، وأُضطر أن أخطو مبتعدةً قليلًا. لا تفوته حركتي ويهدأ، ويترك ذراعَيه وعينَيه تهبط. «آسف.» يقول على مضض، ويزيح خصلة من شعره الأسود من على جبهته.

«لا تعتذر أبدًا لي، لا أستحق ذلك.»

ينظر إليَّ بطرف عينَيه، عيناه مُظلمة وواسعة، ولكنه لا يجادلني. آخُذ نفسًا وأتكئ على الجدار البعيد، المسافة بيننا مفتوحة كفكين. «ماذا تعرف عن مكان يدعى (تاك)؟»

مُمتنًا لتغيير الموضوع، يستجمِع شتاته، ويعود لشخصية الأمير. حتى بدون تاج، يبدو ملكيًا، بوضعيةٍ مثالية ويداه خلف ظهره. «(تاك)؟» يُردِّد ويفكر بعمق. تتكوَّن تجاعيد بين حاجبيه السميكَين الغامقَين. كلما تأخَّر في الإجابة كلما شعرتُ بشعور أفضل. إذا لم يكن يعرف الجزيرة، إذن القليل فقط يعلمون. «هل هذا حيث نحن ذاهبون؟»

«نعم.» أفكر. تجتاحني فكرة باردة وأتذكر دروس (جوليان) في البلاط والحلبة. يمكن لأي أحد أن يخون أي أحد. «وفقًا لكلام (شايد).»

يترك (كال) شكوكي مُعلقة في الهواء، بلطفٍ كافٍ حتى لا يُثيرهم. «أعتقد أنها جزيرة.» يقول أخيراً. «واحدة من عدة جُزر على الساحل. ليست داخل حدود (نورتا). لا شيء بها يستدعي أمرًا بتكوين قاعدة أو مستوطنة، ليس حتى للدفاع. لا يوجد غير المُحيط المفتوح هناك.»

تنزاح جُزرٌ من الثقل من فوق كتفيّ. سنكون في أمانٍ إلى هذا الحين. «جيد، جيد.»

«أخوكِ، هو مثلك.» هذا ليس سؤالًا. «مختلف.»

«هو كذلك.» فماذا يُمكنني أن أقول غير ذلك؟

«وهو بخير؟ أتذكَّر أنه مُصاب.»

حتى بدون جيش ما زال (كال) جنرالًا، يهتم بجنوده والمُصابين. «هو بخير، شكرًا. أصابته بعض الطلقات دفاعًا عنّي، ولكنه يتعافى بشكلٍ جيد.»

بذِكر الطلقات تلتفِت عيون (كال) إليّ، أخيرًا يسمح لنفسه أن ينظر نحوي كليًّا. تبطئ عيناه عند وجهي المخدوش والدماء الجافة حول أذنيّ. «وأنتِ؟»

«مررت بالأسوأ.»

«نعم، قد فعلنا.»

نسقط في الصمت، لا نجرؤ أن نتحدَّث أكثر. لكننا نستمر في التحديق بعضنا ببعض. فجأة يصير وجوده صعبَ التحمُّل، ومع ذلك لا أريد الذهاب. لكن (الميرسيف) كان لدَيها رأي آخر.

تحت أقدامنا، يهتز المُولِّد، ونبضاته المُدوية تتحول لوتيرة متغيرة. «كِدنا نصل.» أهمس، وأشعر بالكهرباء تتدفق أو تنحسِر لأجزاء مختلفة في المركبة. لا يشعر بها (كال) بعد، لا يقدر، ولكنه لا يُشكك في غرائزي. يعرف قُدراتي عن كثب، أفضل من أي فردٍ على متن السفينة. أفضل من عائلتي. حتى الآن على الأقل. أُمي، أبي، (جيسا)، الفتيان، ينتظرونني في الجزيرة. سأراهم قريبًا. هم هنا. هم بأمان. لكن لِكَمْ من الوقت سأظلُّ معهم، لا أعرف ذلك. لن أستطيع البقاء في الجزيرة، لا يُمكنني البقاء إذا أردتُ فِعل شيء من أجل الدماء-الجديدة. سيتوجَّب عليّ العودة لـ(نورتا) وأستغل كلَّ مَن وكلَّ ما ستمنحه لي (فارلي) في محاولة إيجادهم. يبدو الأمر مُستحيلًا مُسبقًا. لا أعرف كيف أفكر بالأمر.

ومع ذلك عقلي مشغول، يُحاول تكوين خطة.

يصدر صوت إنذار من أعلى، ويتزامن مع ضوءٍ أصفر يبدأ بالوميض فوق باب (كال). «مدهش.» أسمعه يهمس، مُشتت للحظةٍ بسبب الآلة الضخمة حولنا. لا أشكُّ أنه يريد الاستكشاف. لكن لا مكان هنا للأمير الفضولي. الفتى الذي دفن نفسَه في الكتب الإرشادية وبنى درَّاجات من البداية، ليس لدَيه مكان في هذا العالم. لقد قتلته، مثلما قتلت (مارينا).

بالرغم من عقل (كال) المائل للميكانيكا وحِسِّي الكهربائي، ليس لدينا فكرة عما هو قادم. عندما تميل (الميرسيف)، ومُقدمتها لأعلى لتخرج من عُمق المحيط، تميل الحجرة بأكملها. مفاجأة ذلك تجعلنا نسقط. ونصطدم بالجدار وببعضنا. ترتطم جراحُنا ببعضها، وتَخرُج تأوُّهات في ألَمٍ من كِلَينا. الشعور به يؤلِم أكثر من أي شيءٍ آخر، طعنة عميقة من الذكريات، بينما أترنح مُبتعدةً سريعًا. في تأوُّه، أُدَلِّك واحدة من كدماتي المتعددة.

«أين (سارة سكونوس) عندما نحتاجها.» أزمجر وأتمنَّى وجود معالِجة الجسد التي يمكنها شفاؤنا معًا. يُمكنها طرد الآلام بلمسةٍ واحدة، وتُعيدنا معًا لوضعٍ ملائم للقتال.

يظهر المزيد من الألم على وجه (كال)، لكن ليس من جروحه. عمل جيد يا (ماير). عمل رائع، ذكر المرأة التي علمت بقتل والدته بيد الملكة. المرأة التي لم يصدقها أحد. «آسفة، لم أقصد ...»

يلوح بيدِه ليَثنيني عن أسفي وينظر لقدمَيه، تستند إحدى يدَيه على الجدار من أجل التوازن. «لا بأس. هي ...» كلماته سميكة، مُتكلفة. «اخترتُ ألا أستمِع إليها. لم أُرِد الاستماع. هذا خطئي.»

قابلت (سارة سكونوس) مرة واحدة، عندما كادت (إيفانجلين) أن تفضحني أمام الجميع في حصة التدريب. استدعاها (جوليان)، (جوليان) الذي أحبَّها وشاهدها بينما أصلحت وجهي الدامي وظهري المليء بالكدمات. كانت عيناها حزينة، ووجنتاها جوفاء، ولسانُها مفقودًا كليًّا. سُلب من أجل الكلمات التي تفوَّهت بها ضد الملكة، من أجل الحقيقة التي لم يُصدقها أحد. قتلت (إيلارا) والدة (كال)، (كوريان) الملكة المُغنية (السينجر). أخت (جوليان) وصديقه (سارة) المقربة. ولم يبدُ أن أحدًا يهتم. كان من الأسهل بكثيرٍ التغاضي عن الأمر.

كان (مافين) موجودًا أيضًا ويكره (سارة) مع كل نفَس. أعرف الآن أن ذلك كان صدعًا في درعه، يكشف من هو في الحقيقة تحت الكلمات التي تدرَّب عليها والابتسامات اللطيفة. مثل (كال)، لم أرَ ما كان أمامي مباشرة. ومثل (جوليان) ربما لم تعُد على قيد الحياة الآن.

فجأة تصير الجدران المعدنية والضجّة والفرقعة في أُذني أكثر مما أتحمّل.
«يجب أن أخرج من هذا الشيء.»

رغم الزاوية الغريبة التي صارت عليها الحجرة والرنين المُلح في رأسي، تعرف قدماي ماذا تفعل. لم تنس وحل (الستيلتز)، والليالي التي قضيتُها في الأزقة أو مسارات العقبات في التدريبات. أفتح الباب بعُنف وأشهق مثل فتاةٍ غارقة. لكن الهواء القديم في (الميرسيف) لم يوفِّر لي أيَّ راحة. أحتاج رائحة الأشجار والمياه وأمطار الربيع وحرارة الصيف أو ثلوج الشتاء. شيء ليُذكرني بالعالم خلف علبة القصدير هذه.

يُعطيني (كال) فرصة التقدم قبل أن يلحق بي، خطواته ثقيلة وبطيئة خلفي. لا يحاول اللحاق بي، ويُعطيني مساحة. لو فقط يفعل (كيلورن) المثل. يقترب من الجانب الآخَر للممر، يستخدم المقابض وعجلات الأقفال ليسهُل التحرك عبر المركبة المائلة. تختفي ابتسامته عند رؤية (كال) ويُبدِّلها عبوسًا في لامبالاة باردة. أظنه يعتقد أن تجاهُل الأمير سوف يُغضبه أكثر من العدائية المباشرة. أو ربما لا يريد (كيلورن) أن يختبر قاذف لهيبٍ بشريًّا في تلك المساحة المُغلقة.

«نصعد للسطح.» يقول ويقترب لجانبي.

أُحكِم قبضتي على قضبانٍ قريبة وأستخدمها لأوازن نفسي. «لا تقُل هذا!»

يبتسِم (كيلورن) ويستند على الجدار أمامي. يضع قدمَيه على كلٍّ من جانبيّ، في تحدي أيِّ شيءٍ كان. أشعر بحرارة (كال) خلفي، ولكن الأمير يبدو أنه يتَّخذ طريقًا آخر أيضًا، ولا يقول أي شيء.

لن أصير جزءًا في أي لعبةٍ يلعبونها، لقد فعلتُ ذلك بما يكفي لعُمر كامل. «كيف هي ... ما اسمها؟ (لينا)؟»

يضرب الاسم (كيلورن) كصفعةٍ على وجهه. وتضعف ابتسامته، طرف فمِه يسقط. «هي بخير، على ما أظن.»

«هذا جيد يا (كيلورن).» أربِّت على كتفِه بطريقةٍ ودودة متعالية. تعمل طريقتي في تحريف الوضع بشكلٍ مثالي. «يجب أن نُكوِّن الصداقات.»

تستوي (الميرسيف) من أسفلنا، لكن لا يسقط أحد منَّا. ليس حتى (كال) الذي ليس لدَيه نفس اتِّزاني أو سيقان (كيلورن) البحرية، التي اكتسبها بجهدٍ من عمله على مركب الصيد. هو مشدود كسلك، ينتظر أن أتقدَّم. يجب أن يجعلني ذلك أضحك. فكرة أن الأمير يتبعني، ولكني أشعر ببرودةٍ وإرهاقٍ بشدة فلا أقدِر إلا على الاستمرار. لذا أفعل ذلك. عبر الممر مع (كال) و(كيلورن) خلفي، وتجاهَ حشدِ الحرس الذين ينتظرون بجانب السُّلَّم الذي هبطنا منه إلى هنا في البداية.

يتقدم المصابون أولًا، مربوطين في نقّالات مؤقتة ويرتفعون لسماء الليل. تشرف عليهم (فارلي) ورداؤها أكثر دموية من ذي قبل. تصير مشهدًا كئيبًا، تشدُّ على الضمَّادات وحُقنة بين أسنانها. يحصل البعض، وهم الأسوأ بيننا، على بعضٍ من الحُقَن بينما يعبُرون؛ أدوية تساعدهم على تحمُّل ألَمِ النقل عبر الأنبوبة الضيقة. (شايد) آخِر المُصابين، يستند بقوة على الحارسَين اللذَين مازحا (كيلورن) بشأن المُمرضة. كنت سأحاول الوصول إليه، ولكن الزحام شديد، ولا أريد أيَّ انتباهٍ إضافي اليوم. ما زال ضعيفًا لينتقِل؛ فيعرج على ساقٍ واحدة ويحمرُّ خجلًا بينما تربطه (فارلي) في النقالة. لا أستطيع سماع ما تقوله (فارلي) له، ولكنها تُهدئه لحدٍّ ما. حتى إنه يلوِّح بيده رفضًا للحُقنة، ويجزُّ على أسنانه في تحمّلٍ للألم الصارخ لعملية الرفع فوق السُّلَّم. بمجرد وصول (شايد) لأعلى في أمان، تمرُّ العلمية بشكلٍ أسرع. واحدًا تلوَ الآخر، يتبع الحرس بعضهم أعلى السُّلم، وببطءٍ يُخلون الممر. الكثير منهم مُمرِّضون، نساء ورجال يُميزهم الأزياء البيضاء الملطخة بالدماء بدرجاتٍ متفاوتة.

لا أضيع الوقت لأشير للآخرين أن يسبقوني، آداب مُزيفة تليق بسيدة نبيلة. سنذهب جميعًا لنفس المكان. لذا عندما يقلُّ الزحام قليلًا، ويصير السُّلم مفتوحًا أمامي، أُسرع للأمام. ويتبعني (كال) ووجوده مُجتمِعًا بوجودي يقسِم صف الحرس كالسِّكين. يخطون للخلف بسرعةٍ والبعض يتعثر ليُفسحوا لنا الطريق. فقط (فارلي) من تقف في ثبات، ويدُها على السُّلم. لدهشتي تومِئ لي ولـ(كال). كلَيْنا.

كان يجب أن يُمثل ذلك التحذير الأول.

الصعود على السُّلم يحرق عضلاتي، ما زالت مرهقة من (نايرسي)، الحلبة، والقبض عليَّ. أسمع صياحًا غريبًا من أعلى، ولكن لا يَثنيني ذلك حتى ولو قليلًا. يجب أن أخرج من (الميرسيف) بأسرع ما يمكن. نظرتي الأخيرة تجاه (الميرسيف) من خلف كتفي غريبة، أرى من زاوية (فارلي) والمقر الطبي. ما زال هناك مُصابون، ساكنون أسفل أغطيتهم. لا، ليسوا مُصابين. أُدرك بينما أرفع نفسي لأعلى. مَوتَى.

من فوق السُّلم، صوت الرياح عالٍ، وتقطر قليل من المياه لأسفل. لا شيء أزعج نفسي من أجله، أظن، حتى أصِلَ للقمَّة والدائرة المفتوحة من الظلام. تهب عاصفة قوية لدرجة أن الأمطار تسقط بمَيل، وتبتعد عن جزءٍ كبير من الأنبوبة والسُّلم. تلسع وجهي المجروح، وتغرقني خلال ثوانٍ. عواصف الخريف. رغم أنَّني لا أتذكر أي عاصفة بهذا القسوة. تهبُّ من خلالي، وتملأ فمي بالمطر وبرذاذٍ لاذع ومالح.

لحُسن الحظ، (الميرسيف) مُثبتة بشدة بمرسًى بالكاد أراه، وتصمد بقوة ضد الأمواج الرمادية المُتقلِّبة أدناها.

«من هذا الطريق.» يصيح صوتٌ مألوف في أذني، يُرشدني من فوق السُّلم وإلى سطح (الميرسيف) الزلق بالمطر ومياه البحر. يمكنني رؤية الجندي الذي يقودني بصعوبة عبر الظلام، لكن هيئته الضخمة وصوته جعلاه يسهُل التعرُّف عليه.

«(بري)!» أغلق يدي على يده، وأشعر بقبضة أخي الأكبر الخشنة. يتحرك كالمرساة بثقل وببطء بينما يُساعدني على الانتقال من فوق (الميرسيف) إلى المرسى. الذي لم يكن بحال أفضل، معدن مُتآكل من الصدى، لكنه يقود إلى اليابسة وهذا كل ما يُهمني. اليابسة والدفء، مُهلة للراحة مُرَحَّبٌ بها من الأعماق الباردة للمُحيط وذكرياتي.

لا يساعد أحد (كال) في الهبوط من (الميرسيف)، ولكنَّه يقوم بعملٍ جيد بمفرده. ومرة أخرى، هو حريص على إبقاء مسافة بيننا، يمشي على بُعد عدة خطوات كبيرة خلفنا. أنا متأكدة من أنه لم ينس لقاءه الأول بـ(بري)

في (الستيلتز)، عندما كان أخي أبعدَ شيءٍ عن الأدب. في الواقع، لم يهتمَّ أيٌّ من عائلة (بارو) بـ(كال)، عدا أمي وربما (جيسا). لكنهم لم يعلموا من كان وقتها. يجب أن يكون هذا لَمَّ شملٍ مُثيراً.

تجعل العاصفة (تاك) صعبة الرؤية، لكن ما زلت قادرة على قول إن الجزيرة صغيرة، مُغطاة بالتلال والأعشاب الطويلة، صاخبة مثل الأمواج. تُضيء صاعقة من البرق فوق المياه سماء الليل للحظة، وتكشف الطريق أمامنا. الآن في العراء، بدون الجدران الضيقة في الـ(ميرسيف) أو القطار السفلي، يُمكنني أن أرى أننا أقلُّ من ثلاثين، بما في ذلك الجرحى. يتجهون إلى مبنَيَيْن خرسانِيَّيْن مسطَّحَين حيث يلتقي المرسى بالأرض. تبرز بعض المباني على التل البسيط فوقنا، تبدو مثل المخابئ أو الثكنات. لكن لا أقدِر على معرفة ما يكمُن وراءها. صاعقة البرق التالية، أقرب هذه المرة، تهتز بشكلٍ مُبهج في أعصابي. يظن (بري) أنني أشعر بالبرودة ويُقربني إليه، ويلف ذراعه الثقيل حول كتفي. يجعل وزنه الحركةَ صعبة، ولكني أتحمّله.

لا تأتي نهاية المرسى بالسرعة الكافية. قريبًا سأكون بالداخل، جافةً وعلى أرض صلبة ومُجتمعة مع عائلة (بارو) بعد مرور وقتٍ طويل. الفكرة كافية لتجعلني أتحمَل صخب الحركة الرطبة. يحمل الممرضون المُصابين على النقالات القديمة، أفرشتها مُغطاة بأقمشة عازلة للمياه. هي بالتأكيد مسروقة مثل أيِّ شيءٍ آخر.

المبنَيان على الأرض حظائر، وأبوابها مفتوحة بما يكفي للكشف عن المزيد من وسائل النقل المستقرة في الداخل. حتى إن هناك عددًا قليلًا من القوارب الراسية بجوار المرسى، تتمايل مع الموج الرمادي بينما تركب العاصفة. كلُّ شيء غير متناسق. وسائل نقلٍ بأحجام مختلفة عفّى عليها الزمن، مراكب جديدة أنيقة، بعضها مَطلي بالفضي والأسود وواحدة خضراء. مسروقة أو مخطوفة أو كِلاهما. حتى إنني تعرّفت على اللون الرمادي الباهت والأزرق، ألوان أسطول (نورتا) البحري، على أحد المراكب. تبدو (تاك) كنسخةٍ أضخم من شاحنة (ويل ويسل) القديمة، مُكدسة

بقطعٍ وأجزاء من التبادُل والسرقة.

تسرِع النقّالات الطبية قبل أن نلحق بها، تُقاتل خلال المطر والطريق الرملي. فقط لا مبالاة (بري) تثنيني عن إسراع خُطواتي. هو ليس قلقًا على (شايد) أو ممّا يقع فوق التل، لذا أحاول ألا أقلق أيضًا.

لا يُشاركني (كال) شعوري ويسرع أخيرًا ليمشي بجانبي. ربما هي العاصفة أو الظلام، أو دماؤه الفضية ما تجعله يبدو شاحبًا وخائفًا. «لا يمكن أن يدوم ذلك.» يُتمتم، بصوتٍ منخفض كافٍ حتى أسمعه وحدي.

«ما هذا أيها الأمير؟» يقول (بري) وصوته زمجرةٌ خافتة. أكِزُه بين أضلُعه، ولكنّي لا أفعل شيئًا غير إصابة مرفقي. «لا يُهم، سنعرف قريبًا بالقدر الكافي.»

نبرته أسوأ من كلماته. باردة، قاسية ليست كطبيعة أخي الضاحك الذي عرفته. لقد غيره الحرس أيضًا. «(بري) عمَ تتحدث؟»

يعرف (كال) مسبقًا ويتوقف عن المشي. تعبث الرياح بشعره وتلصقه بجبهته. تظلم عيناه البرونزية في خوفٍ وتتقلّص مَعِدتي من هيئته. ليس مجددًا، أتوسَّل. قل لي إنني لم أقع في فخٍّ آخر. تُخيم إحدى الحظائر من خلفه، أبوابها مفتوحة على مِصراعَيها الهادِئَين بشكلٍ غريب. يتقدم عددٌ أكثر مما يمكن إحصاؤه للأمام في وحدة، مُنظمين كأي فيلق، أسلحتهم مستعدَّة وعينوهم تلمع في المطر. قد يكون قائدهم (شيفر) بشعره الأشقر المائل للأبيض وهيئته الباردة. ولكنه ذو دماء حمراء مثلي، يُحيط واحدة من عينَيه اللون القرمزي، ينزف أسفل العدسة.

«(بري) ما هذا؟» أصرخ، أقترب من أخي بزمجرةٍ عميقة. لكنه يأخذ يدي في يده وليس بلطف. يُمسك بي بقوة مُستغلًا قوته المُتفوقة ليمنعني من الإفلات. إذا كان أحدٌ آخر، كنت سأصعقه بقوة. لكن هذا أخي. لا يُمكنني أن أفعل ذلك به، لن أفعل.

«(بري) أتركني!»

«لن نؤذيه.» يقول ويُردِّدها مرةً تلوَ الأخرى. «لن نقوم بإيذائه، أعدك.» إذن هذا ليس سجني. لكن لا يُهدئني ذلك على الإطلاق. بل يجعلني

أكثر غضبًا ويأسًا.

عندما أنظر خلفي، أجد أيدي (كال) مُشتعلة، وذراعَيه مُمتدتَين ليواجه الرجل ذا العين الدامية. «حسنًا؟» يزمجر في تحدٍّ، ويبدو كحيوانٍ أكثر من إنسان. حيوان محاصر.

عدد كبير من الأسلحة، حتى لو من أجل (كال). سيطلقون عليه النيران إذا اضطُرُّوا. حتى ربما يكون هذا ما يُريدونه. عذر ليقتلوا الأمير الساقط. جزء منِّي، الجزء الأكبر مني، يعلم أنه سيكون لهم مُبرراتهم لهذا. كان (كال) يُطارد الحرس القرمزي، وقد ضمِن بشكلٍ أساسي موت (تريستان) وانتحار (والش) وتعذيب (فارلي). قتِل الجنود بأوامره، وأنهوا على معظم قوات الثوار التابعة لـ(فارلي). ومن يعلم كم هم مَن أرسلهم لجبهة الحرب للموت، ومبادلة الجنود الحُمر ببضعة أميالٍ متواضعة من (اللايكلاند). هو ليس مدينًا بأيِّ ولاء للقضية، وهو خطر على الحرس القرمزي. ولكنه سلاحٌ مثلي، سلاح يُمكننا استخدامه في الأيام المقبلة. من أجل الدماء-الجديدة وفي مواجهة (مافين)، شُعلة تساعد في إزالة الظلام.

«لا يُمكنه القتال للخروج من هذا الموقف يا (ماير).» هذا (كيلورن) يختار أسوأ اللحظات ليعود. يهمس في أُذني، ويتظاهر كأن قربنا لبعضنا يُمكنه التأثير بي. «سيموت إذا حاول.» منطقُه صعبُ التجاهُل.

«على رُكبتَيك يا (تايبرياس).» يقول الرجل ذو العين الدامية، ويأخذ خطواتٍ جريئة تجاه الأمير المُشتعِل. يتصاعد البخار من نيرانه وكأن العاصفة تحاول إخمادها. «ضع يدَيك خلف رأسك.»

لا يفعل (كال) أيًّا من ذلك، ويجفل عند سماعه اسمَه الحقيقي. يقف في ثبات، قوي، فخور، رغم أنه خسر المعركة. في وقتٍ ما كان سيستسلِم لينقذ حياته. الآن، يعتقد أن حياته بلا قيمة. فقط أنا من أومن بالعكس.

«(كال)، افعل ما يقولونه.»

تحمل الرياح صوتي فيسمعه كل من بالحظيرة. أخشى أن يسمعوا نبضات قلبي أيضًا وهي تضرب كالطبول في صدري.

«(كال).»

ببطءٍ وفي تردُّد كتمثالٍ يتحول لغبار، يسقط (كال) على ركبتَيه وتنطفئ نيرانه. فعل نفس الشيء بالأمس، ركع بجانب جثة والدِه المقطوعة الرأس.

يبتسِم الرجل ذو العين الدامية وتلمع أسنانه المستوية. يقف أعلى (كال) في لذَّة، يستمتع بمشهد الأمير على قدمَيه. يستمتع بالقوة التي يجلبها.

ولكني فتاة البرق، وهو لا يعلم شيئًا عن القوة الحقيقية.

الفصل الخامس

يحاولون إقناعي أن هذا للأفضل، ولكن أعذارهم فقيرة تقع على أذنَين غير مُتعاطفتَين. يستخدِم (بري) و(كيلورن) كل نقطة جدال أخبروهما أن يقولوها.

هو خطير، حتى بالنسبة لكِ. لكني أعلم أكثر من أي أحدٍ أن (كال) لن يؤذيني أبدًا. حتى عندما كان لدَيه سبب لذلك، لم أخشَ شيئًا من ناحيته.

هو واحدٌ منهم، لا يمكننا الوثوق به. حتى بعد ما فعله (مافين) بإرثه وسُمعته، ليس لدى (كال) أي شيءٍ أو أي أحد غيرنا الآن، حتى إذا رفض أن يعترف بهذا.

هو ذو قيمة عالية. جنرال. أمير (نورتا) وأكثر شخص مطلوب في المملكة. هذا يجعلني أتوقف، ويضرب وتَرٌ من الخوف داخلي. إذا قرَّر الرجل ذو العين الدامية أن يستخدِم (كال) كنفوذٍ ضد (مافين)، أن يُقايضه ،أن يضحي به، سيتطلب إيقافه كلَّ ما لديَّ. كل نفوذي وكل قوتي، ولا أعلم إذا كان هذا كافيًا.

لذا لا أفعل أيِ شيءٍ غير الإيماء أمام ما يقولونه، ببطءٍ في البداية أتظاهر بالموافقة. أتظاهر بأنني تحت السيطرة. أتظاهر أنني ضعيفة. كنتُ مُحقة. كان (شايد) يُحذرني سابقًا. مرة أخرى، رأى انقلاب التيار قبل أن يحدُث بوقتٍ طويل. (كال) قوة، نيران على هيئة جسد، شيء يجب أن يَخافوه ويهزموه. وأنا البرق. ماذا سيحاولون أن يفعلوا بي إذا لم ألعَب دوري؟

لم أخطُ داخل زنزانةٍ أخرى، ليس بعد، لكني أشعر بالمفتاح في القفل، يُهدِّد بالدوران. لحُسن الحظ، لديَّ خبرة في مثل هذه الأشياء. يصطحب الرجل ذو العين الدامية وجنوده (كال) داخل الحظيرة، ليسوا بالغباء الكافي ليربطوا أيدِيَه. لكنهم لا يخفضون أسلِحتهم أو حِذرهم، وحريصون على إبقاء مسافةٍ بينهم خوفًا أن يُحرِق أحدهم لجرأته.

يُمكنني فقط المشاهدة، عيناي مُتسعة لكن فمي مغلق، بينما تُغلَق أبواب الحظيرة مجددًا، وتُفرقنا عن بعضنا. لن يقتلوه، ليس ،حتى، يمنحهم سببًا. يُمكنني أن أتمنّى فقط أن يُحسن (كال) التصرُّف.

«رفقًا به.» أهمِس وأميل تجاه دفء (بري). حتى مع أمطار الخريف الباردة، يشعرني وكأنه فُرن. الأعوام العديدة التي قضاها يقاتل على الجبهة الشمالية جعلته منيعًا ضد الرطوبة والبرودة. أسترجِع مقولة أبي القديمة. لا ترحل الحرب أبدًا. الآن أعلم ذلك بطريقةٍ مباشرة، رغم أن حربي مُختلفة عن حربه.

يتظاهر (بري) أنه لا يسمعني، ويُسرع بنا عودةً للمرسى. يتبعنا (كيلورن) على قُرب، يخطو حذاؤه على كعبي مرةً أو اثنتَين. أُقاوم الرغبة في ركله، وأُركز في صعود الدرجات الخشبية التي تقود إلى الثكنات على التلِّ فوقنا. الدرجات مُهترئة، تعرَّضَت لعددٍ من الأقدام يصعب حصره. كم قد مشَوا هذا الطريق؟ أتساءل. كم ما زالوا هنا حتى الآن؟ نصعد لقمَّة التل وتمتد الجزيرة أمامنا، تكشف عن قاعدة عسكرية أكبر مما توقعت. الثكنات على الحافة واحدة من دزينة، على الأقلّ، أراها الآن، مقسمّة لصفَّين متساويَيْن يفصلهما ساحة أسمنتية عريضة. مُستوية ومُعتنًى بها جيدًا، ليس مثل الدرجات أو المرسى.

هناك خطٌّ أبيض مرسوم في منتصف الساحة، مستقيم تمامًا، يقود بعيدًا داخل الليل العاصف. ليس لديَّ فكرة أين ينتهي.

الجزيرة بأكملها ذات أجواء ساكنة، مُجمَّدة مؤقتًا في العاصفة. عندما يأتي الصباح وينكسر المطر وتُرفع الظلمة، أظن أني سأرى القاعدة بكلِّ مجدها، وأخيرًا سأفهم الناس الذين أتعامل معهم. بدأتُ أُطوِّر عادةً سيئة في التقليل من شأن الآخرين، خاصة فيما يتعلق بالحرس القرمزي. ومثل (نايرسي)، فإن (تاك) أكثر بكثيرٍ مما تبدو.

البرد الذي شعرتُ به في (الميرسيف) والمطر لا يزال مستمرًّا، حتى وأنا أدخل بوابة الثكنات التي عليها رقم (٣) مرسوم بالأسود، أشعر بالبرد حتى عِظامي. لكن لا يمكنني أن أترك والديَّ يرَيانِني هكذا،

من أجلهما. أنا مَدينة لهما بهذا القدر. يجب أن يُفكِّرا أنِّي كاملة غير مكسورة، غير متأثرة بسجن (كال) والمِحَن الخاصة بي في القصر والحلبة. ويجب أن يظنَّ الحرس أنني في صفِّهم، ومُطمئنة لكوني سالمة. لكن أليس أنا هذا؟ ألم أقسم بعهد لـ(فارلي) والحرس القرمزي؟ يؤمِنون بما أومن به، بنهاية الملوك الفضيين والعبيد الحُمر. ضحُّوا بجنودٍ من أجلي، بسببي. هم حلفائي، إخوتي، أشقائي وشقيقاتي في السلاح، لكن الرجل ذو العين الدامية يُوقفني. هو ليس (فارلي). ربما تكون قاسية وعنيدة، لكنها تعلم ما مررتُ به. يمكن أن أتفاهم معها. أشك أن التفاهُم يعيش في قلب الرجل ذي العين الدامية.

(كيلورن) هادئ بشكلٍ غريب. صمتُه ليس كطبيعتنا على الإطلاق. اعتَدْنا ملء الصمت بالإهانات، والسخرية أو في حالة (كيلورن) بالهُراء المُطلق. ليست طبيعتنا أن نكون صامتين حول بعضنا، لكن الآن ليس لدَينا ما نقوله. يعلم ما خطَّطوا لفعله بـ(كال) ووافق عليه. والأسوأ، أنه لم يقُل لي حتى. كنتُ سأشعر بالغضب لولا البرد. مشاعري تتآكَل بسبب هذا، وتتحول لشيء خافت مثل الطنين الكهربائي في الهواء.

لا يلاحظ (بري) الغرابة بيننا، وكأنه لم يكن سيَعرف. بجانب كونه أحمقَ بشكلٍ سارٍّ، رحل أخي الأكبر عندما كنتُ فتاة نحيفة ذات ثلاثة عشر عامًا تسرقُ من أجل المرح، دون ضرورة، ولم أكن بهذه القسوة التي أصبحتُ عليها. لا يعرفني (بري) كما أنا الآن؛ فقد فاته تقريبًا خمسة أعوام من حياتي. ومع ذلك، تغيَّرت حياتي خلال الشهرَين الفائتَين أكثر من ذي قبل. شخصان فقط كانا بجانبي خلال ذلك. الأول مسجون، والثاني يرتدي تاجًا من الدماء. أيُّ شخص عاقل سيقول عنهما عدُوَّان لِي. الغريب أن عدوَّيَّ هُما من يعرفانني أفضل من أي أحد، وعائلتي لا تعرفني على الإطلاق.

المكان داخل الثكنات جافٌّ هانئ، وتُصدِر به الأضواء والأسلاك المُتجمِّعة بالسقف، طنينًا. تُحوِّل الجدران الأسمنتية الممرَّ لمتاهة، بلا علامات لتُرشد طريقنا. كل هناك بابٌ مُغلق، صلب رمادي وغير مُميز، لكن البعض يحوي إشاراتٍ على الحياة بالداخل. تُزين أحدَ المقابض أعشاب منسوجة من

الشاطئ، ومُعلَّق في أحد الأبواب عقدٌ مكسور، وهكذا. لا يحتوي هذا المكان فقط على جنودٍ مُخيفين، ولكن لاجئين من (نايرسي) ومَن يعلم مِن أين أيضًا. بعد تطبيق التدابير الأمنية، أمرتُ بها بواسطة شفتيّ، هرب العديد من الحرَس والحُمر سواء من البرّ الرئيسي. كيف يُمكنهم أن يبقَوا وهم مُهددون بالتجنيد والإعدام؟ لكن كيف تمكنوا من الهرب؟ وكيف وصلوا هنا؟

أسئلة أخرى تنضمُّ لقائمتي المُتزايدة باستمرار.

بالرغم من تشتُّتي، أحرص على الانتباه لكل المُنحنيات والمنعطفات التي يأخُذها أخي. هنا، واحد، اثنان، ثلاثة مُنعطفات، يسار الباب المحفور عليه (براري). يتساءل جزء منّي إذا كان يأخذ الطريق الملتفَّ عن قصد، لكن (بري) ليس ذكيًا بما يكفي لفِعل ذلك. أظن أنني يجب أن أكون شاكرة؛ ليس لدى (شايد) مشاكل في لعب دور المُخادع، لكني ليس (بري).

هو قوة غاشمة، صخرة ضخمة مُتقلبة سهل تفادِيها. هو من الحرس أيضًا، تحرر من جيشٍ لينضمَّ لجيشٍ آخر. وبناءً على الطريقة التي أمسكني بها على المرسى، هو مَدين بولائه للحرس وليس أي أحدٍ آخر. سيكون (ترامي) مثلَه، دومًا مُتحمِّس ليتبع، وفي بعض الوقت يُرشد شقيقنا الأكبر. فقط (شايد) لدَيه الحسُّ الجيد ليُبقي عينَيه مفتوحتَين، ويرى ما القدَر الذي ينتظرنا نحن، كالدماء-الجديدة.

الباب أمامنا مفتوح جزئيًا، وكأنه ينتظر. لا يحتاج أن يُخبرني أن هذا باب حُجرة عائلتنا، لأن هناك قطعة قماش بنفسجية مربوطة حول المقبض. مُهترئة عند الأطراف ومُطرَّزة بطريقة غير مُتقنة. تحرق صواعق من البرق عبْرَ القماشة، رمزٌ غير فضيٍّ ولا أحمر، لكنه رمزي. مجموعة من الألوان من منزل (تيتانوس)، قناعي، والبرق الذي يندفع داخلي، دِرعي.

بينما نقترب، يدور شيءٌ خلف الباب، ويتحرك داخلي القليل من الدفء. أعرف صوت كرسيٍّ والدي المُتحرك في أي مكان. لا يطرُق (بري) على الباب. يعلم أن الجميع ما زالوا مُستيقِظين، في انتظاري. مساحة الغرفة أكبر من (الميرسيف)، لكن ما زالت صغيرة ومُكدَّسة. على الأقل هناك مساحة

للحركة، والكثير من الأفرشة لعائلة (بارو)، وحتى مساحة معيشة حول المدخل. نافذة واحدة، محفورة في الجانب العلوي من الجدار، ومُغلقة بإحكامٍ بسبب المطر. تبدو السماء فاتحة اللون أكثر، الفجر قادم.

نعم، هو قادم. أظن ذلك، وأستوعب كمية الأحمر الغامرة. أوشِحة، سجاد، أقمشة، وأعلام، ولافتات. الأحمر على كل سطحٍ ومُعلَّق على كل جدار. كان لا بد أن أعرف أن الأمر سيصل لهذا الحد. كانت (جيسا) تُحيك الفساتين من أجل الفضِّيين في وقتٍ ما، والآن تصنع الأعلام للحرس القرمزي في مشقَّةٍ وتُزين كلَّ ما تجده بالشمس المُمزقة للمقاومة. ليسوا فاتِنين، بالغُرَز غير المستوية والأنماط البسيطة. لا شيء بالمقارنة بالفن الذي استخدمَتْه سابقًا في الحياكة. هذا خطئي أيضًا.

تجلس على طاولة صغيرة معدنية، مُجمدة وإبرة في يدِها نصف المُتعافية التي تبدو كالمخلب. للحظة، تُحدق بي ويفعل الباقي مثلها. أُمي وأبِي و(ترامي) يُحدِّقون بي لا يعرفون الفتاة التي ينظرون إليها. آخِر مرةٍ رَأوني بها، لم أستطِع السيطرة على نفسي. كنتُ محاصرة، ضعيفة، حائرة. الآن أنا مُصابة، أرعى كدماتٍ وخيانات. لكني أعلم من أنا وما يجب أن أفعله. أصحبتُ أكثر، أكثر مما كان بإمكاننا أن نحلم. هذا يُخيفني.

«(ماير).» بالكاد يُمكنني سماع صوت أُمي. يرتجِف اسمي على شفتَيها.

مثلما حدث في (الستيلتز) عندما هدَّدَتْ شراراتي بتدمير المنزل، هي أول من يَحتضِنني. بعدَ عناق لم يستمرَّ لوقتٍ كافٍ، تسحبني لكرسيٍّ فارغ.

«اجلسي يا طفلتي، اجلسي.» تقول وترتجف يدَاها. طفلتي! لم تدْعُني بهذا منذ أعوام. غريب عودة اللقب الآن بعدما صرتُ أي شيءٍ غير طفلة. أشعُر بلمستها فوق ملابسي الجديدة، تتحسّس الكدمات أسفلَها وكأنها ترى عبر القماش. «أنتِ مُصابة.» تهمِس وتهزُّ رأسها. «لا أُصدق أنهم تركوكِ ترحلِين بعد كل هذا.»

أنا مسرورة أنها لا تذكُر (نايرسي) أو الحلبة أو ما قبل. لا أظن أنني بالقوة الكافية لأسترجِعَهم، ليس بهذه السرعة.

يضحك أبي في حزن. «يمكنها فِعل ما تريد، لا يوجد كلمة (يتركونها) في

الأمر.»

يتحرك وألاحظ الرَّماديَّ في شعره أكثر من ذي قبل. هو أنحف أيضًا، يبدو صغيرًا على الكرسي المألوف. «مثل (شايد).»

(شايد) موضوع مُحايد ويسهُل عليَّ التحدُّث عنه. «رأيتموه؟» أسأل وأدَع نفسي أرتاح على الكرسي المعدني. شعورُ الجلوس جيد.

ينهض (ترامي) من فوق فراشِه، ويكاد رأسه يحتكُّ بالسقف. «أنا ذاهب للمشفى الآن. فقط أردتُ أن أطمئنَّ أنكِ ...»

بخير لم تعُد كلمةً في قاموسي.

«ما زلتِ صامدة.»

يُمكنني فقط الإيماء برأسي. إذا فتحتُ فمي، يمكنني أن أبوح لهم بكلِّ شيء. الألم، البرودة، الأمير الذي خانني، الأمير الذي أنقذني، الناس الذين قتلتُهم. وربما هم يعرفون مسبقًا، لا يُمكنني أن أُجبر نفسي على الاعتراف بما فعلته. رؤيتُهم خائِبي الأمل، مشمئزِّين، خائفين منِّي، هذا أكثر مما يُمكنني تَحمُّلُه الليلة.

يذهب (بري) مع (ترامي)، ويُربِّت على ظهري بخشونةٍ قبل أن يلحق بشقيقِنا للباب. يبقى (كيلورن)، ما زال صامتًا، يميل على الجدار وكأنه يريد أن يسقط ويختفي به.

«هل أنتِ جائعة؟» تقول أُمي، وتشغل نفسها بالخزانة الصغيرة. «لقد ادَّخرنا بعض حصص الطعام، لو تريدين.»

رغم أنني لم آكُل منذ وقتٍ لا أعرف كم هوَ، أهزُّ رأسي نفيًا. إرهاقي يجعل من الصعب التفكير في أيِّ شيءٍ غير النَّوم. تلاحظ (جيسا) تصرُّفي، وتُضيق عينَيها المُشرقتَين. تزيح جزءًا من شعرٍ كثيفٍ أحمر بلون دمائنا. «يجب أن تنامي.» تتحدَّث باقتناعٍ جعلني أتساءل من هي الأخت الكبرى.

«دعوها تنام.»

«بالطبع، أنتِ مُحقة.» مُجددًا تسحَبُني أمي، وهذه المرة من فوق الكرسي تجاه فراشٍ به وسادات أكثر من الباقي. تعتني بي، وتُحدث جلبةً بالأغطية، تجعلني أقوم بالحركات. لديَّ فقط القدرة لاتِّباعها، وأدَعُها

تضعني في الفراش كما لم تفعل من قبل. «ها أنتِ يا طفلتي، نامي.»
طفلتي.

أنا في أمانٍ أكثر مما كنتُ منذ أيام، مُحاطة بمَن أحبُّهم أكثر من أي أحد، ومع ذلك لم أرغب في البكاء قطُّ أكثرَ من الآن. من أجلِهم أمنع نفسي. ألتفُّ حول نفسي وأنزف وحدي، بالداخل، حيث لا يراني أحد. لم يمضِ الكثير من الوقت قبل أن أغفو، بالرغم من الأضواء الساطعة فوقنا والهمهمة المُنخفضة. يعلو صوت (كيلورن)، يتحدّث مجددًا وأنا الآن خارج المعادلة.

«راقبوها.» هو آخِر ما أسمع قبل أن أغوص في الظلام.

في وقتٍ ما ليلًا، في حالة بين النوم واليقظة، يُمسك أبي بيدي. ليس لإيقاظي، بل للتمسُّك بي. وللحظةٍ أظنُّه حلمًا، وأعود للزنزانة في وعاء العظام. وأنَّ الهروب والساحة وعمليات الإعدام كل ذلك كوابيس يجِب أن أعيشها ثانيةً قريبًا. لكن يدَه دافئة، خشنة، مألوفة وأُغلق أصابعي على أصابعه. هو حقيقي.

«أعلم معنى قتل شخصٍ ما.» يهمس ونظرُه بعيد، نقطتان من الضوء وسط ظلام الحجرة. صوته مختلف، كما هو نفسه مختلف في هذه اللحظة. انعكاس جندي، واحد قد نجا لوقتٍ طويل في أحشاء الحرب. «أعلم ما يفعله ذلك بك.»

أحاول التحدُّث، أحاول بالتأكيد. لكنِّي أتركه وأغوص في النوم.

يُوقظني المذاق اللاذع للهواء المالح في الصباح التالي. يفتح شخصٌ ما الباب، ويسمح لنسمة الهواء الخريفية الباردة وضوء الشمس المشرق بالدخول. مضت العاصفة وقبل أن أفتح عينيّ، أحاول أن أتظاهر أن هذا فراشي، والهواء قادِم من النهر، والخيار الوحيد الذي يجب أن أُقرره هو الذهاب للمدرسة أم لا. لكن هذا ليس مريحًا. تلك الحياة رغم كونها أسهل، هي ليست حياةً سأعود لها إذا تمكّنت.

لديّ أشياء لأفعلها. يجب أن أرى قائمة (جوليان) لأبدأ التحضير للمُهمة الضخمة. وإذا طلبتُ (كال) من أجلِها، من هم ليرفضوا طلبي؟ من يقدِر

على قول لا في وجه إنقاذ هذا العدد من حبل مشنقة (مافين)؟ شيءٌ ما يُخبرني أن الرجل ذا العين الدامية يُمكنه قول ذلك، لكني أدفع بالفكرة بعيدًا.

تتمدَّد (جيسا) على الفراش بجانبي، وتستخدِم يدَها السليمة لتفكَّ بعض الخيوط من قطعة قماش أسود. لا تهتمُّ بمشاهدتي بينما أتمدَّد وأُفرقع بعض العظام مع حركتي.

«صباح الخير يا طفلتي.» تقول وبالكاد تُخفي ابتسامةً ساخرة.

تحصل على وسادةٍ في وجهها من أجل عنائها. «لا تبدئي.» أزمجِر، مسرورة سرًّا من هذه السخرية. لو فقط يفعل (كيلورن) المثل، ويكون أكثر بقليلٍ كالفتى الصياد الذي أتذكَّره.

«الجميع في قاعة الطعام. ما زال الإفطار مفتوحًا.»

«أين المشفى؟» أسأل وأفكر بـ(شايد) و(فارلي). لهذه اللحظة، هي من أفضل حلفائي هنا.

«يجب أن تأكُلي يا (ماير).» تقول (جيسا) بحدَّة، وتنهض أخيرًا. «حقًّا.» يوقفني القلَق في عينَيها. يبدو أن مظهري أسوأ مما توقَّعت، حتى تُعاملني (جيسا) بهذا اللُّطف.

«إذن أين قاعة الطعام؟»

تنفخ في الهواء بينما تنهض وتقذف بمشروعها على الفراش. «علِمتُ أنني سأعلَق في مجالسة الأطفال.» تُتمتِم، وتبدو كأُمِّنا بشكلٍ كبير. هذه المرة تتفادى الوسادة.

نمضي عبر متاهة الثكنات بشكلٍ أسرع الآن. أتذكَّر الطريق، على الأقل، وأضع علامات عقلية على الأبواب التي نمرُّ بها. بعضها مفتوح، يكشف عن أفرشة فارغة وبعض الحمر الخامِلين. يُطلعني ذلك على قصة الثكنات رقم (٣)، التي يبدو أنها البناء المُخصَّص للعائلات. الناس هنا لا يبدون كجنودٍ من الحرس، وأشكُّ أن مُعظمهم قاتَل من قبل. أرى أدلَّة على وجود أطفال، وحتى بعض الرُّضَّع، الذين هربوا مع عائلاتهم أو تمَّ جلبهم لـ(تاك). ينتشر بغرفةٍ مُعينة الألعاب المُحطمة، وجدرانها مَطلية باللون الأصفر في محاولة

لجعل الخرسانة أكثر إشراقًا. لا يوجد أي كتابات على الباب، لكني أفهم لمن هي تلك الغرفة. اليتامى، أُبعِد عينيّ سريعًا وأنظر في أي اتجاهٍ عدا قفص الأشباح الحية.

تمتدُّ الأنابيب بطول السقف، تحمِل نبضًا بطيئًا لكنه مُستقر من الكهرباء. لا أعرف ما يمدُّ الجزيرة بالطاقة، لكنَّ الطنين العميق مُريح، يُذكرني بماهيتي. على الأقل هذا شيء لا يقدر أن يسلُبه أحدٌ منِّي، ليس هنا، بعيدًا عن القدرة الكاتمة للفضِّي (أرفين) الذي لم يعُد على قيد الحياة. بالأمس اقترب من قتلي، كان يخنق قُدراتي بقُدراته، ويُحوِّلني للفتاة الحمراء التي لا تمتلك شيئًا عدا التراب تحت أظافرها. في الحلبة، لم يكن لديَّ الوقت الكافي لأخاف من هذه الاحتمالية، ولكنها الآن تُطاردني. قدراتي هي أغلى مُمتلكاتي، مع أنها تُفرقني عن الآخرين هنا. لكن من أجل القدرة، من أجل قدرتي، هذا ثمن مُستعدة لدفعِه.

«كيف هو الأمر؟» تقول (جيسا)، وتتبع نظراتي للسقف. تُركز على الأسلاك، تُحاول أن تشعر بما أشعر به، لكنها تفشل.

«الكهرباء؟»

لا أعلم ما أقوله لها. يمكن لـ(جوليان) شرح الأمر بسهولة، وربما يُجادل نفسه خلال ذلك، وكل هذا مع شرحٍ مُفصل لتاريخ القدرات وكيف صارت. لكن (مافين) قال لي بالأمس إن معلّمي القديم لم يهرب قطُّ وتم القبض عليه. وبمعرفة (مافين)، ولا داعي لذكر (إيلارا)، على الأرجح (جوليان) مات، أُعدِمَ من أجل كل ما قدَّمه لي، ولجرائمه التي ارتكبَها منذ وقتٍ طويل. من أجل كونه شقيق الفتاة التي أحبَّها الملك السابق بصِدق.

«قدرة.» أقول أخيرًا، وأفتح الباب للعالَم الخارجي. يضغط جوُّ البحر عليَّ، ويعبث بشعري الرث. «قوة.»

كلمات فِضِّية، ولكنها الحقيقة.

لن تتركني (جيسا) أهرب من الموضوع بتلك السهولة. لكنها تظل صامتة. تفهم أن سؤالي ليس بسؤال أريد الإجابة عليه.

في وضح النهار، تبدو (تاك) أقلَّ وأكثر شؤمًا في نفس الوقت. تشرق

الشمس فوقَنا وترفع درجة حرارة هواء الخريف، وخلف الثكنات، تُفسح الأعشاب البحرية المكان لمجموعةٍ من الأشجار المتفرقة. لا شيء مثل البلوط والصنوبر في الوطن، ولكن هي جيدة بما فيه الكفاية في الوقت الحالي. تقودنا (جيسا) عبر الساحة الأسمنتية، وتتنقِل خلال ضوضاء الحركة. يقوم حرس في أزيائهم الحمراء بتفريغ وسائلِ نقلِ مُكدسة بصناديق كثيرة مثل التي رأيتُها على متن (الميرسيف). أُبطئ قليلًا أمَلًا أن أقدِر على رؤية الحمولة بشكلٍ أفضل، لكن جنودًا آخرين في أزياء غريبة يجعلونني أتوقّف. يرتدون الأزرق، وليس اللون الفاتح لمنزل (أوسانوس)، لكنه لونٌ قاتمٌ وبارد. هو مألوف، ولكني لا يُمكنني أن أتذكر مَوضعه. يبدون مثل (فارلي)، طوالًا وشاحِبين، وشعرُهم أشقر فاتحًا بقَصّة قصيرة جدًّا. أجانب، أُدرك ذلك. يقِفون فوق أكوامٍ من الحمولة وأسلحتهم بأيديهم، يحرسون الصناديق.

لكن، ممَّن يحرسونها؟

«لا تنظري تجاههم.» تهمس (جيسا)، وتُمسك بكمّي وتجذبني للأمام، مُتلهفةً للابتعاد عن الجنود الزُّرق. يُراقبنا واحدٌ منهم بينما نتحرك، ويُركز عينَيه.

«لِمَ لا؟ مَن هم؟»

تهز رأسها وتجذبني ثانية. «ليس هنا.»

بالطبع أريد أن أتوقف، وأُحدق بالجندي حتى يُدرك مَن وما أكون؟ لكن هذه حاجة حمقاء طفولية. يجب أن أُحافظ على قِناعي، يَجِب أن أبدو كالفتاة المسكينة المكسورة من قِبَل العالم. أترك (جيسا) تقود الطريق.

«رجال الكولونيل.» تهمِس بمجرد ابتعادِنا عن مجال سمعهم. «جاءوا معه من الشمال.»

الشمال. «(لايكلاندريون)؟» أُجيبها وأكاد أشهق من المفاجأة. تُومئ في رزانة.

الآن الأزياء الموحَّدة، بلَونِ البحيرة الباردة، تبدو منطقية. هم جنود من جيشٍ آخر، ملِك آخر، لكنهم هنا معنا. (نورتا) في حرب مع (اللايكلاند)

منذُ قرن. يتقاتلون من أجل الأرض والطعام والمجد. ملوك النيران ضد ملوك الشتاء، وبينهم الدماء الحمراء والفضية سواء. لكن الفجر، كما يبدو، قادمٌ من أجلهم جميعًا.

«الكولونيل (لايكلاندري). بعدما حدث في (أركيون)!» يتألَّم وجهها، رغم أنها لا تعلم نصف مُعضلتي هناك. «جاء «ليُرتب الأمور» طبقًا لـ(ترامي).»

هناك شيء خاطئ هنا يَكِزُ عقلي مثلما تجذب (جيسا) كُمِّي. «مَن هو هذا الكولونيل يا (جيسا)؟»

يستغرق الأمر منِّي لحظةً لأدرك أننا وصلنا لقاعة الطعام، مبنًى مسطح تمامًا مثل الثكنات. يتردَّد ضجيج الإفطار خلف الأبواب، لكنَّنا لا نعبُر. على الرغم من أن رائحة الطعام تجعل مَعِدتي تُزمجر، أنتظر إجابة (جيسا).

«الرجل ذو العين الدامية.» تقول أخيرًا، وتُشير لوجهها. «لقد استولى على القيادة.»

القيادة. همس (شايد) بالكلمة عندما كنَّا على متن (الميرسيف)، لكنَّني لم أُفكر كثيرًا في الأمر. هل هذا ما قصَدَه؟ هل هذا هو الكولونيل الذي كان يحاول أن يُحذرني منه؟ بعد مُعاملته الخبيثة لـ(كال) الليلة الماضية، يجب أن أُفكر هكذا. ومعرفة أنَّ مثل هذا الرجل هو المسئول عن هذه الجزيرة، وكل من عليها، ليست بشيءٍ مُريح.

«إذن (فارلي) لم تعُد تعمل.»

تهزُّ كتفَيها. «كابتن (فارلي) فشِلت. لم يُعجبه ذلك.»

إذن سوف يكرهني.

تمدُّ يدَها تجاه الباب، يد صغيرة مفرودة. لقد شُفِيَت الأخرى بشكلٍ أفضل مما توقَّعتُ، فقط أصابعها الرابع والخامس مُلتفَّان بشكلٍ غريب، مُلتويان للداخل. شُفِيَت العظام بشكلٍ خاطئ، عقابُها مِن أجل ثِقتها بأختِها منذُ زمنٍ طويل.

«(جيسا)، إلى أين أخذوا (كال)؟» صوتي مُنخفض لدرجة أنني خشيتُ ألا تسمَعَني. لكن يدَها تتوقَّف.

«تحدثوا عنه بالأمس، عندما كنتِ نائمة. لم يعرف (كيلورن)، لكن

(ترامي)، ذهب لرؤيته. للمشاهدة.»

ينطلق ألَمٌ حادٌ عبر قلبي. «مشاهدة ماذا؟»

«قال إنها مجرد أسئلة. لا شيء سيؤذِيه.»

أتجهَّم داخليًا. يُمكنني أن أفكر بالعديد من الأسئلة التي يمكن أن تؤذي (كال) أكثر من أي جرح. «أين؟» أسألها ثانية، وأضع القليل من الصلابة في صوتي، أتحدَّث كما يجِب أن تتحدَّث أميرة مولودة فضية.

«الثكنات رقم (١).» تهمس. «سمعتُهم يقولون الثكنات رقم (١).»

بينما تفتح باب قاعة الطعام، أنظُر خلفها، لصفٍّ الثكنات المُمتدة تجاه الأشجار. أرقامها مطلية بوضوح، لون أسود على خرسانة باهتة: ٢، ٣، ٤ ...

تسري رجفة مُفاجئة باردة خلال عمودي الفقري.

لا توجد ثكنات برقم (١).

الفصل السادس

معظم الطعام بسيط، عصيدة رمادية ومياه دافئة. فقط السمك جيد، سمك القدِّ طازج من البحر. عضَّتُه مذاقها كالمِلح والمحيط، مثل الهواء. ينبهر (كيلورن) من السمك، يتساءل في صمتٍ عن نوع الشباك التي يستخدمُها الحرس. نحن في هذه الشِّباك أيها الأحمق، أريد أن أصرخ، ولكن قاعة الطعام ليست بمكانٍ لهذه الكلمات. هناك (لايكلاندريون) هنا أيضًا، رزينون في زيِّهم الأزرق القاتم. بينما يأكل الحرس في الأزياء الحمراء مع باقي اللاجئين، لا يجلس (اللايكلاندريون) قط، دومًا في حركة. يُذكرونني بضبّاط الأمن، وأشعر برجفة مألوفة. ليست (تاك) مختلفة عن (أركيون). تتنافس فئات مختلفة على السيطرة، وأنا في المنتصف. و(كيلورن) صديقي، صديقي الأقدم، ربما لا يؤمِن أن هذا خطير أو أسوأ، يمكنه أن يفهم، ولكنه لا يهتم.

أستمرُّ في صمتي، لا يكسره سوى قضماتٍ مستمرة من السمك. يُراقبونني عن كثب، حسب التعليمات. أُمي وأبي و(كيلورن) و(جيسا) يتظاهرون جميعًا بعدَم التحديق ويفشلون. ذهب الفتية، ما زالوا بجانب فراش (شايد). مثلي، ظنُّوه ميتًا، وهم يُعوضون عن الوقت الضائع.

«إذن كيف جئتم هنا؟» تلتصق الكلمات في فمي، ولكنِّي أُجبرها على الخروج. من الأفضل أن أسأل أنا الأسئلة قبل أن يبدءوا بي.

«مركب.» يقول أبي بخشونة والعصيدة في فمِه. ويضحك على مُزحته، مسرورًا بنفسه. أبتسِم قليلًا من أجله.

تَكِزُه أُمي وتُقعقع بلِسانها في غضب. «تعلم ما تقصد يا (دانيال).»

«لست أحمقَ.» يُزمجر ويأكل مِعلقة أخرى. «منذ يومَين عند حوالي منتصف الليل، يظهر (شايد) على الشرفة من العدم، فعليًّا.» يُشير بيدَيه ويفرقع أصابعه. «تعلمين بشأن هذا، أليس كذلك؟»

«أعلم.»

«كاد أن يُسبِّب لنا جميعًا ذبحةً صدرية، بالظهور من لا شيء وكونه، حسنًا، حيًّا.»

«يمكنني أن أتخيَّل ذلك.» أُتمتم، وأتذكَّر ردة فعلي عند رؤية (شايد) مُجددًا. ظننتُ أنَّنا موتى معًا، في مكانٍ بعيدٍ عن هذا الجنون. لكنَّ (شايد) صار مِثلي، شخصًا، شيئًا آخَر من أجل البقاء.

يستمر أبي، يتحرَّك دون توقف، حرفيًّا، يتحرك كرسِيُّه ذهابًا وإيابًا على عجلاتٍ صاخبة، تدور مع إيماءاته الطائشة. «حسنًا، بعدما توقفَتْ أمُّك عن البكاء، بدأ في العمل. يقذف بالأشياء داخل حقيبة، أشياء بلا فائدة. علَم الشرفة، صور، صندوق جواباتك. لم يبدُ منطقيًّا فعلًا، لكن من الصعب سؤال ابنك العائد للحياة عن أي شيء. عندما قال يجِب أن نرحَل، الآن، في هذه اللحظة. أدركتُ أنه لم يكن يمزح، لذا فَعلْنا ذلك.»

«ماذا عن حظر التجوال؟» التدابير الأمنية ما زالت حادة في رأسي، كمسامير في جلدي. كيف يُمكنني أن أنساها، وكنتُ أنا من أجبروها على الإعلان عنها بنفسي؟ «كان من الممكن أن تُقتَلوا.»

«كان معنا (شايد) و... و...» يُعاني أبي في إيجاد الكلمة المناسبة، ويُشير بيدَيه مجددًا.

تلفُّ (جيسا) مُقلتَيها في مللٍ من سلوك والدنا. «يدعوها بالقفز، أتذكُر؟»

«هذه هي.» يُومئ برأسه. «قفز (شايد) بنا عبْر الدوريات وإلى الغابات. من هناك، ذهبنا للنهر وإلى مركب. ما زال مسموحًا للبضائع أن تنتقِل ليلًا، أترَين. لذا انتهى بنا الأمر جالسين في صندوق تفَّاح، لا أعرف لِكَم من الوقت.»

تقشعرُّ أُمي من الذِّكرى. «تفاح فاسد.» وتُضيف. تضحك (جيسا) قليلًا. ويكاد أبي يبتسِم. وللحظةٍ صارت العصيدة الرمادية حساءَ أُمِّي السيئ، والجدران الأسمنتية صارت الخشب غير المصقول، وهذه عائلة (بارو) يتناولون العشاء. هذا بيتُنا وأنا (ماير) فقط.

أترُك الثواني تمر، أستمع وأبتسِم. تُثرثر أُمي حول لا شيء؛ لذا لا أُضطر

للكلام، مما يسمح لي بتناول الطعام في سلام هادئ. حتى إنها تُبعد عنّي النظرات في قاعة الطعام، وتقابل كل عينٍ تتأرجح ناحيتي بنظرةٍ متوحّشة أعرفها عن تجربة.

تلعب (جيسا) دورَها أيضًا، وتُشتّت انتباه (كيلورن) بأخبارٍ عن (الستيلتز). يسمع باهتمام، وتعضُّ هي شفتَها، مسرورةً باهتمامه. أظنُّ أن إعجابها به لم يختفِ بعد. هذا يترك أبي يأكلُ صحنًا ثانيًا من العصيدة بلا حساب، ويُحدِّق بي من فوق الصحن، وألمَح الرجل الذي كان عليه. طويلًا، قويًا، جنديًا فخورًا، شخصًا بالكاد أتذكَّره، بعيدًا جدًا عما هو عليه الآن. لكن مثلي، مثل (شايد)، مثل الحرس، أبي ليس الشيء المُحطَّم الأحمق الذي يبدو عليه. رغم وجود الكرسي، والساق المفقودة، والجهاز الناقر في صدرِه، ما يزال هو الذي رأى معارك أكثر ونجا لفترةٍ أطول من الكثيرين. فقدَ الساقَ والرئة قبل التسريح التامّ بثلاثة أشهُر فقط. بعد ما يقرُب من عشرين عامًا من التجنيد. كم من الناس يُمكنهم الصمود طوال هذه الفترة؟!

نبدو ضعفاء لأننا نريد ذلك. ربما لم تكن هذه كلمات (شايد) على الإطلاق، بل كلمات أبي. رغم أنني فقط الآن وصلتُ لقدراتي الخاصة، كان هو يُخفي قُدرته منذ عاد للبيت. أتذكر ما قاله الليلة السابقة بينما أنا نصف مُختبئة في الأحلام. أعلم معنى قتل شخصٍ ما. لا أشك في ذلك نهائيًا.

غريب أن الطعام هو ما يُذكرني بـ(مافين). ليس المذاق، بل فعل تناول الطعام نفسه. كانت وجبتي الأخيرة بجانبه، في قصر والده. شربنا من كئوسًا من الكريستال وكان مقبض شوكتي من اللؤلؤ. كنا مُحاطين بالخدَم، ولكن ما زلنا بمُفردنا. لم نقدر على التحدُّث عن الليلة القادمة، ولكني ظللتُ أسرق النظرات تجاهه، آمِلةً ألا أفقد أعصابي. لقد أعطاني قوةً في هذه اللحظة.

ظننتُ أنه اختارني واختار ثورتي. ظننتُ أن (مافين) مُنقذي، نعمة. آمنتُ بما يمكن أن يُساعدنا في القيام به. كانت عيناه زرقاوين للغاية، مليئتَين بنوعٍ مختلف من اللهيب. شعلة جائعة، حادة وباردة بشكلٍ

غريب، مَشوبة بالخوف. ظننتُ أننا خائفَين معًا، من أجل قضيتنا من أجل بعضنا البعض. كنتُ مخطئة للغاية.

ببطءٍ، أُبعِد طبق السمك عني، ويخدش الطاولة. كفى. يجذب الصوت عيون (كيلورن) مثل الإنذار، ويلتفت ليُواجهني.

«انتهيتِ؟» يسأل وينظر لإفطاري نصف المأكول.

نهضتُ إجابةً لَهُ ويقفز على قدمَيه معي. مثل كلبٍ يطيع الأوامر. لكن ليس أوامري. «هل يُمكننا الذهاب للمشفى؟»

هل يمكننا. كلمات مختارة بعناية، ستارة من الدخان لتجعله ينسى من أنا وما أنا عليه الآن.

يومئ مبتسمًا. «يتعافى (شايد) بشكل أفضل مع كل ثانية. حسنًا. عائلة (بارو) هل نذهب في رحلة؟» يضيف وينظر لأقرب شيءٍ لدَيه يمثل عائلة.

تتَّسع عيناي. أحتاج أن أتحدث مع (شايد)، أن أعرف موقع (كال) وما خُطَط الكولونيل تجاهه. بقدْر ما اشتقتُ لعائلتي، هم سيقفون في طريقي فقط. لحُسن الحظ، يفهم أبي. وتتحرك يده بسرعة تحت الطاولة، ويوقف أُمي قبل أن تتحدّث، يتواصلان بدون كلمات. تلتفِت وتتبنّى ابتسامة مُعتذرة لا تصل لعينيها.«سنأتي لاحقًا، أظن.» تقول وتقصد أكثر بكثيرٍ من هذه الكلمات القليلة. «حان الوقت لتغيير البطارية أليس كذلك؟»

«سحقًا.» يزمجر أبي بصوتٍ عالٍ، ويرمي بملعقته في طبق الطين.

تلتفت عيون (جيسا) تجاهي، لتقرأ ما أحتاج. الوقت، المساحة، فرصة لأحاول أن أفك تعقيدات هذا الوضع. «لدي المزيد من اللافتات لأُنظمها.» تتنهد. «أنتم تستهلكونها بسرعة كبيرة.»

يتجاهل (كيلورن) المُزحة حسنة النية مع ضحكةٍ وابتسامة مُلتوية، كما فعل آلاف المرات. «كما يناسبكم. من هذا الطريق يا (ماير).»

على الرغم من الطريقة المُتعالية، أتركه يقودني عبر هذه الفوضى. أحرص على القيام بعرض، أتظاهر بالعرَج وأبقي عينيّ موجهه للأسفل. أقاوم الرغبة في التحديق بكل شخص يراقبني، الحرس و(اللايكلاندريون) وحتى اللاجئون. يخدمني الوقت الذي قضيته في بلاط الملك الراحل بنفس القدْر

في القاعدة العسكرية، حيث أُضطر ثانيةً أن أخبئ من أكون.

وقتها تظاهرتُ بكوني فضيّة، لا أجفل، لا أخاف، عمود من القوة والقدرة يُدعى (مارينا). لكن تلك الفتاة كانت ستوضَع بجانب (كال) الآن، محتجزة في الثكنات رقم (١) المفقودة. لذا يجب أن أصير حمراء مُجددًا، فتاة تدعى (ماير بارو)، فتاة لا يجب أن يخافها أحد أو يشك بها، مُعتمدة على فتًى أحمر وليس نفسها.

لم تكن تحذيرات أبي و(شايد) أكثر وضوحًا.

«لا تزال ساقك تُضايقك؟»

أُركز بشدة على التظاهُر بالعرَج، فبالكاد أسمع قلق (كيلورن). «هذا لا شيء.» أُجيبه أخيرًا، وأضغط شفتي لخطٍّ صغير يُعبر عن الألَم القسري. «لقد مررت بالأسوأ.»

«يذكرني هذا بالقفز من فوق شرفة (إيرني ويك).»

كُسِرت ساقي هذا اليوم وأمضيت شهورًا في الجبيرة التي كلفتنا معًا نصف مُدخراتنا. «لم يكن هذا خطئي.»

«أصدق أنكِ اخترتِ أن تقومي بذلك.»

«تحدَّاني أحدهم.»

«من يُمكن أن يقوم بمثل هذا الفعل؟»

يضحك مباشرة، ويدفعنا عبر الأبواب المزدوجة. مِن الواضح أن الردهة على الجانب الآخر إضافة جديدة. يبدو الطلاء رطبًا في بعض الأماكن. وفوقنا، ترتجِف الأضواء. أسلاك سيئة، أُدرك ذلك فورًا؛ فأشعر بالمواقع التي تضعف فيها وتنقسِم. لكن يظلُّ السلك الكهربائي سليمًا، ويتدفق عبر الممر لليسار. ومع استيائي، يأخذنا (كيلورن) لليمين.

«ما هذا؟» أسأله وأشير للاتجاه المعاكس.

لا يكذب. «لا أعلم.»

لا يبدو مشفى (تاك) كئيبًا مثل المقرِّ الطبي على متن (الميرسيف). النوافذ العالية الضيقة مفتوحة على مصراعيها، وتنشر داخل الحجرة الهواء المُنعش وضوء الصباح. تتحرك أزياء بيضاء ذهابًا وإيابًا بين المرضى،

ضمَّاداتهم نظيفة بشكلٍ مريح من الدماء الحمراء.

تملأ الغرفة بعض المحادثات البسيطة، وبعض السعال الجاف، وحتى عطسة. لا صرخة ألَمٍ واحدة أو صوت عظام يفرقع يقاطع الضجة اللطيفة. لا يموت أحد هنا. أو ببساطة ماتوا بالفعل. ليس من الصعب الوصول لـ(شايد)، وهذه المرة، لا يتظاهر بالنوم. ما زالت ساقه مرفوعة عن طريق حمَّالة مُحترفة، وضمَّادات كتفه جديدة. يميل لليمين، ويواجِه الفراش بجانبه بتعبيرات رزينة. لا أعرف مع من يتحدَث. تحيط ستائر الفراش من الجهتَين تُخفي شاغل الفراش عن باقي المشفى. يتحرك فم (شايد) بسرعةٍ بينما نقترب منه، يهمس كلماتٍ لا أقدِر على فهمها.

يتوقَّف فجأة عندما يراني، وأشعر كأنها خيانة.

«لقد فاتك الهمجيَّان للتو.» ينادي، ويُعدل من وضعه حتى يكون هناك مساحة على الفراش. تتحرك مُمرضة لمساعدته، ولكن (شايد) يلوّح لها في رفضٍ بيده المكدومة.

الهمجيَّان، لقبه القديم لإخوتنا. نشأ (شايد) صغير البنية، ومُعظم الوقت كان كيس ملاكمة بالنسبة لـ(بري). كان (ترامي) أكثر لُطفًا، لكنه كان يتبع خطوات (بري) الثقيلة. في النهاية صار (شايد) ذكيًّا وسريعًا بما يكفي ليتفاداهما معًا، وعلَّمني أن أفعل المِثل. لا أشك أنه أرسلَهما معًا بعيدًا عن فراشه، مما يسمح لنا بالحديث في خصوصيةٍ من خلف الستائر.

«جيد، ضغَطا على أعصابي بالفعل.» أُجيب بابتسامةٍ طيبة النية.

لمن بالخارج، نبدو كشقيقَين يُثرثران. لكن (شايد) يعرف أكثر من ذلك، تُظلم عيناه عندما يراني أقترب من حافة فراشه. يلاحظ العرَج الإجباري ويُومئ إيماءةً ضعيفة. أفعل مِثله. فهمت رسالتك يا (شايد)، بوضوح.

قبل أن أُلمح حتى بالسؤال عن (كال)، يُقاطعني صوت آخر. أضغط على أسناني عند سماع صوتها، وأُجبر نفسي على البقاء هادئة.

«كيف تجدين (تاك) يا فتاة البرق؟» تقول (فارلي) من فراشها المُنعزل بجانب (شايد). وتؤَرْجح قدمَيها للجانب لتُواجهني كليًّا ويداها الاثنتان مشدودتان على أغطية الفراش. يظهر الألم على وجهها الجميل المشوَّه

بالندبة.
السؤال سهل المراوغة. «ما زلت أُقرر.»
«والكولونيل؟ كيف تجدينه؟» تستمر وتخفض صوتها. عيناها حذِرة لا تُقرأ. لا يمكنني أن أعرف ماذا تريد أن تسمع. لذا أهزُّ كتفيّ، وأشغل نفسي في ترتيب أغطية (شايد).
يرتسِم شيء مُشابه للابتسامة على شفتَيها. «يقدم انطباعًا أوّلَ قويًا. يحتاج أن يُثبت أنه المُسيطر مع كل نفس، خاصة بجانب أشخاص مثلكما.»
أدور حول فراش (شايد) في لحظةٍ وأضع نفسي بين (فارلي) وأخي. ومن يأسي نسيتُ أن أعرج. «ألهذا أخذ (كال) بعيدًا؟» تخرج كلماتي حادّةً وسريعة. «لا يُمكنه ترك مُحارب مثله طليقًا في المكان، سيجعل مظهره سيئًا؟»
تنظر لأسفل وكأنها تخجل. «لا.» تهمس. يبدو كأنه اعتذار، لكن من أجل ماذا، لا أعلم. «ليس لهذا أخذ الأمير.»
يزدهر الخوف في صدري. «إذن لِمَ؟ ماذا فعل؟»
لا تسنح لها الفرصة لتُجيبني.
يُخيم صمت غريب على المشفى، المُمرضين، وقلبي وكلمات (فارلي). تُخبئ الستائر الأبواب عنّا، لكني أستطيع سماع صوت الأحذية تتقدّم سريعًا. لا يتحدّث أحد، عدا بعض الجنود يقومون بالتحية من أفرِشتهم بينما تقترب الخطوات. يمكنني أن أراهم خلال فتحةٍ بين الستارة والأرض. جِلد أسود، مُلطخ برمالٍ رطبة، يقترب مع كلِّ ثانية. حتى (فارلي) ترتجِف من المشهد، وتحفر أظافرها عبر الفراش. يقترب (كيلورن)، يُخفيني نصفيًا بجسدِه، بينما يقوم (شايد) بكل ما بوسعه ليجلس مُعتدلًا.
رغم أن هذا جناح طبي مليء بالحُمر المُصابين ومن أدَّعي أنهم حلفائي، جزء صغير منّي يستدعي البرق. وتشتعِل الكهرباء في دمي، على مقربةٍ حتى أحتاجها. يدور الكولونيل حول الستارة، وعيناه الحمراء على وضع تحديق ثابت. ولدهشتي، تقع على (فارلي)، وتتركني لهذه اللحظة. مُرافقو الكولونيل (الايكلاندريون) طبقًا لأزيائهم، ويبدون كنُسَخ مُظلمة شاحبة

من أخي (بري). منحوتون من العضلات، طوال كالشجر، ومُطيعون. يقفون على جانبَي الكولونيل في حركات ممارسة، ويتخذون مواقع في نهاية فِراشَي (شايد) و(فارلي). ويقف الكولونيل نفسه بينهما، يحجز (كيلورن) وأنا. يثبت أنه المسيطر.

«تختبئين يا كابتن؟» يقول الكولونيل، ويُشير للستارة حول فراش (فارلي). تتوتر عند سماع اسمها والتلميح. وعندما يُصدر صوتًا يدل على الاستنكار، ترتجِف في وضوح. «أنتِ ذكية بقدرٍ كافٍ لتُدركي أن الجمع لن يحميكِ.»

«حاولتُ القيام بكلِّ ما طلبت، الصعب والمُستحيل.» تندفع مُجيبة. وترتعش يدَاها بين الأغطية، غضبًا وليس خوفًا. «تركتَ معي مئةَ جندي للإطاحة بـ(نورتا)، دولة كاملة. ماذا توقَّعتَ أيها الكولونيل؟»

«توقعتُ منك أن تعودي بأكثر من ستةٍ وعشرين منهم، ليس رمْيُهم في عرين ذئابٍ فضيَّة. توقعتُ الأكثر والأفضل منكِ يا (ديانا)، أكثر وأفضل مما قدّمتِه.»

(ديانا). الاسم ضرْبتُه القاضية. اسمها الحقيقي.

تتحوَّل رجفتُها الغاضبة لخجل، وتتقلّص لقشرةٍ جوفاء. تُحدق في قدمَيها، تركز على الأرض أسفلها. أعرف نظرتها جِديًّا، نظرة روح مُحطمة. إذا تحدَّثت، إذا تحركَت، ستنهار. بالفعل بدأت تتداعى، دمَّروها حتى استوت بالسطح؛ الكولونيل وكلماتُه واسمُها.

«أقنعتها أيها الكولونيل.»

يتمنَّى جزء منِّي أن يرتجف صوتي، ليجعل هذا الرجل يظنُّ أنني أخافُه. لكني واجهتُ أسوأ من جندي بعينٍ حمراء وطباعٍ سيئة. أسوأ بكثير.

في لُطف، أدفع (كيلورن) للجانب وأتقدَّم.

«دافعت عن (مافين) وخُطته. لولاي لكان رجالك ونساؤك أحياء. دماؤهم على يدي ليس يديها.»

لدهشتي، يضحك الكولونيل على اندفاعي. «لا يدور كل شيءٍ حولك يا سيدة (بارو). لا ينهض العالم ويسقط بأمرك.»

لم أقصد هذا. أبدو حمقاء حتى في عقلي.

«هذه الأخطاء مِلكها بمفردها، ليس لأحدٍ آخر.» يستمر ويلتفِت تجاه (فارلي) ثانية. «سأجردك من منصب القيادة يا (ديانا) هل تتحدًين هذا القرار؟»

للحظة قصيرة مُشتعلة، يبدو وكأنها ستفعل. لكنها تخفض رأسها وتتراجع داخليًا. «لا يا سيدي.»

«أفضل قرار قمتِ به منذ أسابيع.» يقول ويلتفِت ليرحَل.

لكنها لم تنته. تنظر لأعلى مُجددًا. «ماذا عن مهمتي؟»

«مهمة؟ أي مهمة؟» يبدو الكولونيل حائرًا أكثر منه غاضبًا وتدور مُقلة عينِه السليمة في مكانها. «لم يتم إطلاعي على أي أوامر جديدة.»

تلتفت (فارلي) تجاهي ثانية وأشعر بقَرابةٍ غريبة منها. حتى مع هزيمتها، لا تزال تقاتل. «لدى السيدة (بارو) اقتراح أنوي أن أسعى فيه. أظنُّ أن القيادة سوف تتفق معها.»

أكاد ابتسِم لـ(فارلي)، يجعلني تصريحها في وجه خَصم كهذا أكثر جرأة.

«أي اقتراح هذا؟» يقول الكولونيل، ويفرد كتفَيه أمامي. من هذا القرب، أرى الدوائر الدامية في عينَيه، تتحرك ببطءٍ كغيومٍ في الرياح.

«تسلَّمت قائمةً بأسماء. حُمر مثلي ومثل أخي، وُلدوا بالطفرة التي تُعطينا ... قُدراتنا الخاصة.» يجب أن أُقنعه، يجب. «يجب أن نجدهم، ونحميهم ونُدربهم. حُمر مثلنا لكن أقوياء كالفضيين، قادرون على مُقاتلتهم في العراء. وربما أقوياء للدرجة الكافية للفوز في الحرب.»

يهتز نفَس مُرتجف في صدري، يرتعش عند التفكير بـ(مافين). «يعلم الملك بوجود هذه القائمة، وبالتأكيد سوف يقتلُهم إذا لم نجِدهم أولًا. لن يدع مثل هذا السلاح القوي حرًا طليقًا.»

يظل الكولونيل في صمتٍ للحظة، وفكُّه يتحرك بينما يفكر. ويتململ عابثًا بالسلسة الرفيعة المخبأة تحت ياقته. ألمح سلسلةً ذهبية بين أصابعه، تكشِف عن هديةٍ ثمينة لا يمكن أن يحملها أي جندي. أتساءل ممَّن سرقها؟

«ومن أعطاكِ هذه الأسماء؟» يسأل أخيرًا، وصوته مُتزن وصعب القراءة. بالنسبة لشخص غشيم، هو جيد بطريقةٍ مفاجئة في إخفاء أفكاره.

«(جوليان جاكوس).» تتجمَّع الدموع في عينيَّ بمجرد ذِكر اسمه، لكني لن أتركها تسقط.

«فضي.» يُكشر الكولونيل.

«متعاطف معنا.» أقول في اندفاعٍ وأتوتر من نبرته. «اعتُقل بسبب إنقاذه لـ(فارلي) و(كيلورن وارين) و(آن والش). ساعد الحرس القرمزي ووقف بجانبنا. وهو على الأرجح ميت بسبب هذا.»

يعتدل الكولونيل على قدمَيه، وما زال مُتجهمًا. «(جوليان) الخاص بكِ على قيد الحياة.»

«حي؟ ما زال؟» أشهق في صدمة. «لكن (مافين) قال إنه سيقتله ...»

«غريب أليس كذلك؟ أن يترك الملك (مافين) خائنًا مثلَه ما زال يتنفَّس.» يستمتع بدهشتي. «كما أرى، لم يكن (جوليان) معنا على الإطلاق. أعطاكِ القائمة لتُمرِّريها لنا، ليُرسل الحرس في مهمةٍ بلا جدوى تنتهي بفخٍّ آخر.»

يمكن لأي أحدٍ أن يخون أي أحد. لكني أرفض تصديق ذلك عن (جوليان). أفهمه بشكلٍ كافٍ لأعرف أين يقع ولاؤه، معي، و(سارة) وأي شخصٍ يُعارض الملكة التي قتلت أخته.

«وحتى إذا كانت القائمة حقيقية، وتقود الأسماء لـ ...» يبحث عن الكلمة المناسبة ولا يهتمُّ أن يكون لطيفًا، «لأشياء أخرى مثلك، إذن ماذا؟ هل نتفادى العملاء الأكثر بشاعةً في المملكة، صيادون أفضل وأسرع منَّا، لإيجادهم؟ وهل نقوم بتهجيرٍ على نطاقٍ واسع لمن نستطيع إيجادهم؟ هل نؤسِّس مدرسة (بارو) للمُسوخ، ونقضي أعوامًا في تدريبهم على القتال؟ وهل نتجاهل كل شيءٍ آخر، كل المعاناة وكل الجنود الأطفال، كل عمليات الإعدام، من أجلهم؟» يهز رأسه ويشدُّ العضلات الرفيعة في عنقه. «ستنتهي هذه الحرب وأجسادنا ستصير باردةً قبل أن نجني ثمرةً واحدة صغيرة من اقتراحك.» ينظر لـ(فارلي) في حدة. «ستقول باقي القيادة نفس الشيء يا (ديانا)، إلا إذا أردتِ لعب دور الحمقاء مُجددًا، أقترح أن تظلِّي صامتةً بشأن هذا.»

كل مقصد وكأنه ضربة من مطرقة، تُحطمني لحجمٍ أصغر. هو مُحق

بشأن بعض الأمور. سيرسل (مافين) الأفضل لدَيه ليُطارد ويقتل مَن بالقائمة. سيُحاول إبقاء الأمر سرًّا، وهذا سيُبطئه لكن ليس كثيرًا. بالتأكيد سيتم تحديد عملِنا من أجلنا. لكن إذا كانت هناك فرصة لوجود جندي واحدٍ فقط آخر مِثلي ومثل (شايد)، ألا يستحق ذلك الثمن؟

أفتح فمي لأخبره بهذا لكنه يرفع يدَه أمامي. «لن أسمع المزيد من هذا يا سيدة (بارو). وقبل أن تقولي أي تعليقٍ ساخر بشأن قُدرتي على إيقافك، تذكَّري قسَمَك. أقسمتِ للحرس القرمزي، ليس لدوافعك الأنانية الخاصة.» يُشير للحجرة المليئة بالجنود المُصابين، كلهم أُصيبوا أثناء القتال من أجلي. «وإذا لم تكُن وجوههم كافيةً لإبقائك في مكانك، إذن فكِّري في صديقك وموضعه في هذا.»

(كال).«لن تجرؤ على إيذائه.»

تُظلم عينُه الدامية، ويدور بها اللَّون القرمزي العميق للغضب.

«لحماية قومي، سأفعل بالتأكيد.» ترتفع أطراف عينَيه، في ابتسامةٍ ساخرة. «مثلما فعلتِ. لا تكوني مُخطئة، يا سيدة (بارو)، لقد آذيتِ أشخاصًا لخدمة أهدافك الخاصة، والأمير أكثرهم.»

للحظةٍ أشعُر بأن عينيَّ تُغيم عليها الدماء. كل ما أراه هو الأحمر، غضب خانق. يسرع الشرار لأطراف أصابعي، ترقُص تحت جلدي، لكني أقبض يديَّ، وأمنعها. عندما يصير نظري أكثر وضوحًا، يرتجف الضوء فوقنا، الدليل الوحيد على غضبي. ويرحل الكولونيل، ويتركني أشتعِل غضبًا وحدي.

«اهدئي يا فتاة البرق.» تُتمتم (فارلي) وصوتها أكثر لُطفًا مما سمعتُ من قبل. «هذا ليس سيئًا كليًا.»

«حقًّا؟» أقول عبر أسنانٍ مُطبقة. لا أريد شيئًا أكثر من الانفجار، أن أترك طبيعتي الحقيقية تخرج ويرى هؤلاء الرجال الضعفاء من التي يتعاملون معها. لكن هذا سيضعني في زنزانةٍ في أحسن الأحوال، وطلقة نارية في أسوئها.

وسأموت مع معرفة أن الكولونيل مُحق. لقد سببتُ الكثير من الدمار

بالفعل، ودومًا للمُقربين منِّي. من أجل ما ظننتُه الصائب، أقول لنفسي. من أجل الأفضل.

بدلًا من الرثاء، تفرد (فارلي) عمودها الفقري وتجلس للخلف، تُشاهدني أحترق حنقًا. الفتاة الخجلة اختفت بسهولةٍ مدهشة. قناع آخر. ترتفع يدُها لعُنقها وتجذب سلسةً ذهبية مثل الكولونيل. ليس لديَّ وقت للتساؤل عن الصِّلة بينهم، لأن هناك شيئًا مُعلقًا بها. مفتاح معدني مُدبَّب. لا أحتاج أن أسأل عن القفل المُلائم له. الثكنات رقم (١). تقذف به تجاهي بلامبالاة، وابتسامة كسولة على وجهها.

«ستجدين أنني بارعة جدًّا في إعطاء الأوامر وسيئة بشكلٍ أخصَّ في اتباعها.»

الفصل السابع

يتذمَّر (كيلورن) طوال الطريق منذ خرجنا من المشفى وإلى الساحة الأسمنتية. حتى إنه يمشي ببطء، ويَضطرُّني أن أبطئ من أجله. أحاول أن أتجاهله، من أجل (كال) ومن أجل القضية، لكن عندما أسمع كلمة حمقاء للمرة الثالثة، يجب أن أقف فجأة.

يصطدم بظهري. «آسف.» يقول ولا يبدو كذلك.

«لا، أنا آسفة.» أقول في اندفاع، وألتفِت لأواجِهه. يخرج منِّي قليل من الغضب الذي شعرت به تجاه الكولونيل وتحمرُّ وجنتاي من الحرارة.

«آسفة أنك لا تستطيع أن تتوقَّف عن كونك وغدًا لمدة دقيقتَين لترى ماذا يحدث هنا فعليًّا.»

أتوقع منه أن يصرخ بي، ليُماثل ضربةً بضربة كطريقتنا المعتادة. بدلًا من ذلك، يأخذ نفسًا ويتراجع خطوة، يعمل بشراسة ليهدأ.

«أتظنينَنِي أحمقَ؟» يقول، «من فضلك يا (ماير)، علِّميني. أريني الضوء. ما الذي تعرفينه ولا أعرفه أنا؟»

تتوسَّل الكلمات لتسقُط منِّي. لكن الساحة مكان مفتوح، مليئة بجنود الكولونيل والحرس واللاجئين، يتزاحَمون ذهابًا وإيابًا. وبينما لا يوجَد هامس (ويسبر) ليقرأ عقلي ولا كاميرات لتراقب جميع تحركاتي، لن أتساهل. يتبع (كيلورن) نظراتي، أُراقب مجموعة من الحرس يركضون على بُعدِ قليلٍ من الياردات منَّا.

«هل تعتقدين أنهم يتجسَّسون عليكِ؟» يقول ساخرًا، ويخفض صوته لهمسٍ استهزائي. «هيا يا (ماير). كُلنا في نفس الجانب هنا.»

«هل نحن؟» أسأل وأترك الكلمات تغوص. «سمعت ما قاله الكولونيل عني. شيء، مسخ.»

يحمرُّ (كيلورن) خجلًا. «لم يقصد هذا.»

«وتعرف أنت الرجل جيدًا؟»
لحُسن الحظ، ليس لدَيه ردٌّ على ذلك.
«ينظر إليَّ وكأنني العدو، وكأنني قنبلةٌ ما على وشك الانفجار.»
«هو ...» يتعثَّر (كيلورن)، غير متأكد من الكلمات حتى وهي تخرج من بين شفتَيه. «هو ليس مخطئًا تمامًا، أليس كذلك؟»
أدور بسرعة على قدميّ حتى يترك حذائي آثار انزلاق سوداء في الأسمنت. هل يمكنني أن أترك كدمات مُشابهة على وجه (كيلورن) الأحمق الأخرق.
«هيا.» يناديني ويقرِّب المسافة بيننا بخطواتٍ سريعة قليلة. لكني أستمر بالمشي، ويستمر بملاحقتي. «(ماير) توقَّفي. لم أقصد هذا.»
«أنت غبي يا (كيلورن وارين).» أقول له من خلف كتِفي. يقترب أمان ظل الثكنات رقم (٣)، ترتفع فوقي. «غبي وأعمى وقاسٍ.»
«وأنتِ لستِ سهلة أيضًا!» يُجيب باندفاع، وأخيرًا يصير الأحمق المُجادل الذي أعرفه. عندما لا أجيب، وأكاد أركض لأبواب الثكنات، تقبض يده على أعلى ذراعي، ويوقفني في مكاني. أحاول الإفلات من قبضته، ولكن (كيلورن) يعلم كل خُدَعي. يجذبني ويسحبني بعيدًا عن الباب، وتجاه الممرِّ المُظلل بين ثكنات (٣) و(٤).
«اتركني.» آمُره في غضب. أسمع القليل من (مارينا) تعود للحياة في صوتي البارد الملكي.
«ها هي.» يزمجر ويُشير لوجهي. «هنا، هي.»
بدفعةٍ قوية، أُبعده عنِّي، وأكسِر قبضته عليَّ.
يتنهَّد في استياء، ويمسح بيدَيه شعرَه الأشقر؛ فيقف للأعلى عند الأطراف. «لقد مررتِ بالكثير، أعلم ذلك. جميعنا نعلَم ذلك. ما اضطُررتِ لفعلِه للبقاء على قيد الحياة معهم، وكل ذلك مع مساعدتك لنا، وإدراكك ما أنتِ عليه، لا أعلم كيف خرجتِ للجانب الآخر. لكنك تغيرتِ.»
كم أنت قوي البصيرة يا (كيلورن).
«فقط لأن (مافين) خانك، لا يعني هذا أن تتوقَّفي عن الثقة بالناس جميعًا.» ينظر لأسفل ويُلاعب يدَيه. «خاصة أنا. أنا لستُ فقط شيئًا

للاختباء خلفَه، أنا صديقك، وسأساعدك كيفما تحتاجِين، بكل مَقدرتي. أرجوكِ، ثِقي بي.»

أتمنى أن أستطيع ذلك. «(كيلورن)، أنضج.» تخرج منّي هذه الكلمات في المُقابل، حادة لدرجة تجعلُه يجفل.

«كان يجب أن تقول لي عما كانوا يُخططون له. لكنك جعلتني شريكة. جعلتني أشاهد بينما يقودونه تحت تهديد السلاح، والآن تقول لي أن أثِق بك؟ بينما أنت مُتعاون بشدة مع هؤلاء الناس الذين ينتظرون عُذرًا واحدًا لسجني؟ لأي درجةٍ تظنُّني حمقاء؟»

يتحرك شيء في عينَيه، الضعف المُختبئ داخل الشخصية الهادئة التي يُحاول أن يحافظ عليها. هذا الفتى الذي بكى أسفل منزلي. الفتى الذي كان عليه، الذي قاوم الاستدعاء للقتال والموت. حاولتُ إنقاذه من ذلك وفي المقابل دفعتُه أقربَ إلى الخطر، والحرس القرمزي والهلاك.

«أفهمك.» يقول أخيرًا. ويأخذ بعض الخطوات للخلف، حتى يتَّسع الممرُّ بيننا. «هذا منطقي.» يُضيف ويهز كتفَيه. «لِمَ تثقِين بي؟ أنا مُجرد الفتى الصيّاد. أنا لا شيء مقارنة بكِ، أليس كذلك؟ مقارنة بـ(شايد). وبه ...»

«(كيلورن وارين).» أوبِّخه وكأنه طفل، مثلما فعلَت والدتُه قبل أن تهجُره. كانت تصيح عندما يخدش ركبتَيه أو يتحدّث في غير موضعه. لا أتذكر أكثر من ذلك عنها، لكني أتذكر صوتها، والنظرات الذابلة الخائبة الأمل التي أبقَتْها لابنها الوحيد.

«تعلَم أن هذا ليس حقيقيًّا.»

تخرج كلماتي في زمجرةٍ قاسية خافتة وعميقة. يفرد كتفَيه، ويداه قبضتان بجانبه. «أثبِتي هذا.»

لهذا، ليس لديَّ أي إجابة. لا أملك أي فكرة ماذا يُريد منّي. «أنا آسفة.» أقول مُختنقة، وهذه المرة أقصدها. «أنا آسفة لكوني ...»

«(ماير) ...» يدٌ دافئة على ذراعي تُوقف تعثُّري. يقف أطول منّي، وقريبًا بدرجةٍ كافية لأشتَمّ رائحتَه. لحُسن الحظ اختفت رائحة الدماء، حلَّ بدلًا منها الملح. كان يسبح.

«ليس عليكِ الاعتذار عمّا فعلوه بكِ.» يهمِس. «لا يجب أن تفعلي هذا أبدًا.»

«لا ... لا أظنُّ أنك غبي.»

«ربما هذا ألطف شيءٍ قُلتِه لي على الإطلاق.» يضحك بعد لحظةٍ طويلة. ويرسم ابتسامة على وجهه، ليُنهي الموضوع. «أظن لديكِ خطة.»

«نعم، هل ستساعد؟»

يهز كتفَيه ويمدُّ ذراعَيه على اتساعهما، ويشير لباقي القاعدة. «لا يُوجَد الكثير هنا للفتى الصيَّاد ليفعله.»

أدفعه مُجددًا، وأحظى بابتسامةٍ صادقة منه. لكنها لا تدوم.

مع المفتاح، أعطتني (فارلي) وصفًا تفصيليًا لموقع الثكنات رقم (١). مثل اليابسة، ما زال يُفضل الحرس القرمزي الأنفاق، وسجن (كال) بالطبع مَوقعه تحت الأرض.

فعليًا هو تحت الماء. السجن الأمثل لحارق مثل (كال). بُني تحت المرسى، يُخبئه المحيط، وتحرسه الأمواج الزرقاء وجنود الكولونيل في الأزياء الزرقاء. هو ليس فقط سجن الجزيرة، بل مخزن الأسلحة، وغرف (اللايكلاندريين) ومقر الكولونيل الخاص. المدخل الرئيسي هو عبر نفقٍ يبدأ من حظائر الشاطئ، لكن (فارلي) أكدت لي وجود طريق آخر. يمكن أن تبتلعي. حذرتني بابتسامةٍ ساخرة. بينما تؤرِّقني احتمالية الغوص في المحيط، حتى بهذا القُرب من الشاطئ، (كيلورن) هادئ بشكلٍ مزعج. في الواقع، هو ربما مُتشوِّق، مسرور لأن أعوامَه الطويلة في النهر ستكون مفيدة.

تُقلِّل حماية المحيط من حذَر الجنود اليقظِين، وحتى (اللايكلاندريون) يسكنون بينما ينتهي النهار. يُركز الجنود أكثر على حمولة البضائع ومخازن الحظائر بدلًا من الدوريات. القليل الذين يحافظون على مواقعهم، يمشون بطول الساحة الأسمنتية وأسلحتهم على أكتافهم، يتحركون ببطء، بمرونة، ويتوقفون من حينٍ لآخر ليتحدّثوا مع بعضهم.

أشاهدهم لفترة طويلة، متظاهرة بالاستماع إلى أُمي أو (جيسا) بينما

تُثرثران حول عملهن. كلتاهما تُرتِّب الأغطية والملابس في أكوامٍ منفصلة، وتُفرغان مجموعة من الصناديق بلا علامات جنبًا إلى جنبٍ مع العديد من اللاجئين الآخرين. من المُفترض أن أساعد، لكن من الواضح أن تركيزي ينصبُّ في مكانٍ آخر. رحل (بري) و(ترامي)، عادا لـ(شايد) في المشفى، بينما يجلس أبي بالقُرب. لا يمكنه تفريغ الصناديق، ولكنه مع ذلك لا يزال يزمجر بالأوامر. لم يقُم بطيِّ الملابس أبدًا في حياته.

ينظر لعينيَّ مرةً أو مرتَين، يلاحظ أصابعي المرتعشة ونظراتي الجريئة. يبدو أنه يعرف دائمًا ما أُخطط له، والوقت الحالي ليس مختلفًا. حتى أنه يلفُّ كرسيه للخلف، مما يسمح لي برؤيةٍ أفضل للساحة. أومأت إليه، شاكرةً في هدوء.

يُذكرني الحرَّاس بالفضِّيين في (الستيلتز)، قبل التدابير الأمنية، قبل اختبارات الملكة. كانوا كسالى، راضِين في قريتي الهادئة، حيث كان التمرّد نادرًا. كم كانوا مُخطئين. هؤلاء الرجال والنساء كانوا عميانًا عن سرقتي، والسوق السوداء، و(ويل ويسل) والزحف البطيء للحرس القرمزي. وهؤلاء الحراس عميان أيضًا، وهذه المرة لصالحي.

لا يُلاحظونني أُراقبهم، أو (كيلورن) عندما يقترب ومعه صينية من حساء السمك. تأكل عائلتي في امتنان، (جيسا) أكثر من الآخرَين. تلفُّ خصلات شعرِها عندما لا ينظر (كيلورن)، وتتركه يتلوَّى فوق كتفِها كياقوتٍ أحمر ساقط.

«صيد طازج؟» تقول، مُشيرة إلى وعاء الحساء.

يُكشر أنفه ويتظاهر بالتجهُّم من قطع السمك الرمادية. «ليس منِّي، يا إلهي. مُدربي القديم، (كالي) لم يكن ليبيع مثل هذا قط، إلَّا للفئران، ربما.»

نضحك معًا، أنا بحُكم العادة، بعدَه بنصف ثانية. ولمرة، لا تتصرَّف (جيسا) كسيدةٍ لائقة أكثر منِّي وتضحك بصوتٍ عالٍ، في سرور. اعتدتُ أن أحسد طريقتَها المثالية المُدرَّبة. الآن أتمنَّى أن أتخلص من أدبي الإجباري بسهولةٍ كما تفعل.

بينما نُجبر الغداء على النزول، يسكب أبي وعاءه عندما يظنُّني لا ألاحظ.

لا عجب أنه صار نحيفًا. قبل أن أقوم ... أو الأسوأ أُمّي تقوم بتوبيخِه يُمرِّر يدَه على الغطاء ويشعر بالقماش.

«هذا صنع في (بيدمونت). قطن حديث، غالِي الثمن.» يُتمتم عندما يُدرك أنني أقف بجانبه. حتى في البلاط الفضّي، قطن (بيدمونت) يُعتبر راقيًا للغاية، بديلٌ شائع للحرير، يُخصص لضبَّاط الأمن ذوي الرُّتَب العالية، أو حراس (السينتنال) وأزياء الجيش. أتذكّر أن (لوكاس) ارتداه. لا يُمكنني أن أتخيّله. بدأ وجهه في الاختفاء. مرَّت بضعة أيام وبدأتُ أنساه بالفعل، رجل أرسلتُه لموته.

«مسروق؟» أتساءل بصوتٍ عالٍ، وأُمرر يدي على الغطاء، ولو لتشتيت الانتباه فقط.

يواصِل أبي تحقيقه ويُمرر يده على جانب الصندوق. ألواحه خشبية مَتينة وواسعة مطلية بالأبيض حديثًا. العلامة المميزة الوحيدة هي المثلث الأخضر الداكن، أصغر من يدي، عليه ختم في الزاوية. لا أعلم ماذا يعني؟

«أو مُنِح.» يقول أبي.

لا يحتاج أن يتحدّث معي لأعرف أننا نتحدّث عن نفس الشيء. إذا كان (اللايكلاندريون) هنا معنا، على هذه الجزيرة، إذن الحرس القرمزي ببساطة لديهم أصدقاء في أماكن أخرى، في أُمَم وممالك أخرى. نبدو ضعفاء لأننا نريد ذلك.

في خفيةٍ لم أُدرك أن أبي قادر عليها، يمسك يدي بسرعة وهدوء. «كوني حذِرة يا فتاتي.»

لكن بينما هو خائف، أشعر بالأمل. لدى الحرس القرمزي جذور أعمق مما ظننت، ومن أي فضّي يُمكنه التخيل. والكولونيل هو واحد فقط من رءوس مُتعددة، مثل (فارلي). بعد كل شيء، هو ليس ملكًا. من هؤلاء اكتفيت. مثل أبي أسكب الحساء في فجوةٍ بالأسمنت. «انتهيت.» أقول ويقفز (كيلورن) ناهضًا. يعلَم الإشارة.

سوف نزور (شايد)، أو على الأقل هذا ما نقوله بصوتٍ عالٍ، من أجل مَن بالقُرب منًا. تعلَم عائلتي أكثر، حتى أُمي. ترمي لي بقبلةٍ بينما أبتعِد،

وأحتفظ بها قريبًا من قلبي. عندما أشد ياقتي، أصير مجرّد لاجئةٍ أخرى، و(كيلورن) لا أحدَ على الإطلاق. لا يهتمُّ بنا الجنود. من السهل التحرك عبر طول الساحة بعيدًا عن المرسى والشاطئ، نتبع الخطَّ الأبيض السميك.

في ضوء منتصف النهار، أرى الخرسانة تمتدُّ نحو تلٍّ منحدِرٍ لطيف، تبدو إلى حدٍّ كبير مثل طريقٍ واسع إلى أي مكان. يستمرّ الخط المَطلي إلى الأمام، لكن يتفرّع لخطٍّ أرفع، وأكثر تآكُلًا بزاويةٍ لليمين. يُربَط الخط المركزي بمبنًى آخر أعلى من كلّ شيءٍ على الجزيرة. يبدو كنسخةٍ أكبر من الحظائر على الشاطئ، طويل وواسع ليكفي ستًّا من مركبات النقل بعضهم فوق بعض. أتساءل على ماذا يحتوي، علمًا بأن الحرَس يقومون بنصيبهم من السرقة. لكن تُغلق الأبواب بسرعة، ويقف بعض (اللايكلاندريين) بكسلٍ في الظل. يتحدَّثون مع بعضهم مع إبقاء أسلحتهم قريبة. سيُضطر فضولي للانتظار، ربما للأبد. ننعطف أنا و(كيلورن) لليمين تجاه الفجوة بين الثكنات (٩) و(٨). نوافذهما العالية مُظلمة ومهجورة، والمباني فارغة. تنتظر الجنود ولاجئين آخرين، أو أسوأ؛ أيتامًا آخرَين. أرتجِف بينما نمرُّ خلال ظلالهما.

ليس من الصعب الوصول للشاطئ؛ فهذه جزيرة بعدَ كل شيء. وبينما القاعدة الرئيسية مُجهزة بعناية، باقي (تاك) فارغة، مُغطاة بكثبانٍ وتلال تُغطيها الأعشاب الطويلة، وعدد قليل من تجمّعات الأشجار القديمة. لا يُوجَد حتى ممرّات بين الأشجار، مع عدم وجود حيواناتٍ بالكِبَر الكافي لصُنعها. نتخفّى بشكلٍ جيد وندور حول النباتات المُتمايلة حتى نصل للشاطئ.

يقف المرسى على بُعد بضع مئات من الياردات، كشفرةٍ واسعة تبرُز بين الأمواج. من هذه المسافة، تبدو دوريات (اللايكلاندريين) كبُقَع زرقاء داكنة تُسرع ذهابًا وإيابًا. يُركز معظمهم على سفن البضائع التي تقترِب من الجانب البعيد من المرسى. يسقط فكِّي عند رؤية مثل هذه السفينة الكبيرة يُسيطر عليها الحُمر بالطبع. لكن (كيلورن) أكثر تركيزًا.

«غطاء مثالي.» يقول، ويبدأ في خلْع حذائه. أحذو حذوَه، وأركل حذائي

الخالي من الأربطة وجواربي البالية. ولكن عندما يسحب قميصَه من فوق رأسه، ويكشف العضلات المألوفة الهزيلة التي شكَّلتها شبكات الصيد، لا أميل للمُتابعة. لا يُعجبني الركض حول مَخبأ سرِّي بلا قميص.

يطوي قميصَه فوق حذائه، عابثًا به قليلًا. «أظن أن هذه ليست مهمة إنقاذ.»

كيف تكون؟ فليس هناك مكان للهرب.

«أحتاج لرؤيته فقط. وأن أخبره عن (جوليان)، وعما يحدث.»

يجفل (كيلورن)، ولكنه مع ذلك يومئ. «ندخل ونخرج. لا يجب أن يكون هذا صعبًا، خاصة عندما لا يتوقَّعون أي شيءٍ من ناحية المحيط.»

يتمدَّد للأمام والخلف، ويهز قدمَيه وأصابعه ليستعدَّ للسباحة. وطوال الوقت، يراجع تعليمات (فارلي) التي همست بها. هناك بركة قمرية (فوهة مفتوحة على سطح مائي) أسفل الثكنات، تقود لمختبر أبحاث. كان يُستخدَم في وقتٍ ما لدراسة الحياة البحرية. وهو الآن يُمثل مقر الكولونيل الخاص، على رغم أنه لا يزوره وقت النهار قط. سيكون مُغلقًا من الداخل، سهل الفتح، والممرَّات سهلة التنقُّل.

في هذا الوقت من اليوم، ستكون الحجرات فارغة، والممرُّ من المرسى مُغلقًا، والقليل من الجنود باقين. واجَهْنا الأسوأ أنا و(كيلورن) في طفولتنا، عندما سرقْنا حقيبةً من البطاريات من أجل أبي من حرّاس المركز الأمني.

«حاولي ألا تنثري المياه.» يُضيف (كيلورن)، قبل أن يدخل في المياه. تظهر قشعريرة على جلده ردَّةَ فِعله لمياه المُحيط الخريفية الباردة، ولكنه بالكاد يشعُر بها. أنا بالطبع أشعر بها، ومع الوقت الذي تصِل به المياه لخصري، تصطكُ أسناني ببعضها. أُلقي نظرة أخيرة على المرسى وأغوص أسفل موجة، وأدعها تُسبِّب لي رجفةً تصِل لعظامي.

يسبح (كيلورن) بلا عناء، وكأنه ضفدع، لا يُسبب أي ضجةٍ على الإطلاق. أحاول تقليد حركاته، وأتبعه عن قُرب بينما نبتعِد أكثر. شيء ما بالمياه يقوِّي حاسَّتي الكهربائية، مما يجعل إحساسي بالأنابيب العابرة من الشاطئ أسهل. يُمكنني تتبُّعها بيدِي إذا أردت، وألاحظ الطريق الكهربائي

من المرسى عبر المياه وإلى الثكنات رقم (١).

في النهاية يستدير (كيلورن) ناحيتَها، ويقودنا لزاويةٍ قُطرية مع الشاطئ، ثم بالموازاة. يتقدَّم ببراعةٍ مع القوارب المسروقة في المَرسى لإخفاء اقترابنا. يلمس ذراعي مرةً أو مرتَين تحت الأمواج، ويتواصل بضغطٍ خفيف. تَوقَّفي، انطلِقي، أبطأ، أسرِع، كلُّ ذلك بينما يظلُّ تركيزه على المرسى أمامنا.

لحُسن الحظ، يتم تفريغ سفينة الشحن، وتجذب انتباه أي جنديٍّ قد يري رءوسنا تتمايَل في الماء. المزيد من الصناديق، كلها بيضاء، مختومة بالمُثلث الأخضر. المزيد من الملابس؟

لا، أُدرك أنه عندما يسقط صندوق، ويتحطَّم مفتوحًا. تنسكِب الأسلحة فوق المرسى. بنادق، مُسدسات، ذخيرة، ربما اثنا عشر في صندوقٍ واحد فقط. تلمع تحت ضوء الشمس، حديثة الصنع. هدية أخرى للحرَس القرمزي، حبكة أخرى ذات جذورٍ أعمقَ لم أعرف بوجودها.

يجعلني إدراك ذلك أسبح بشكلٍ أسرع وأسبق (كيلورن) حتى مع ألَمِ عضلاتي. أهبط تحت المرسى، في أمانٍ أخيرًا من أي عيونٍ بالأعلى، ويتبعني مُحافظًا على وتيرتي خلفي.

«هي أسفلنا مباشرة.» يتردَّد صدًى لهمساته بشكلٍ غريب، منعكسة على المرسى المعدني فوق المياه حولنا. «يمكنني أن أشعُر بها بأصابع قدمي.»

أكاد أضحك من مظهر (كيلورن) وهو يتمدَّد، وحاجباه يضيقان في تركيزٍ بينما يحاول أن يلمس مخبأ ثكنات رقم (١). «هل هناك ما يُضحك؟» يزمجِر.

«أنتَ مُفيد للغاية.» أُجيبه بابتسامةٍ عابثة. يُشعرني وجوده معي هكذا بشعورٍ جيد، مشاركَتُه هدفًا سريًّا مُجددًا. رغم أننا هذه المرة نقتحِم مخبًأ عسكريًّا، ليس بيتَ شخصٍ نصف مُغلق.

«هنا.» يقول أخيرًا قبل أن يختفي رأسُه أسفل المياه. يبرُز ثانية وذراعاه مَفرودان ليُبقي نفسه طافيًا. «الحافة.»

الآن يأتي الجزء الأصعب. الغوص خلال ظلامٍ خانق يُسبب الغرَق.

يقرأ (كيلورن) خَوفي على وجهي بوضوح. «فقط تمسَّكي بقدَمي، هذا كل

ما يجِب أن تفعليه.»
بالكاد يُمكنني أن أومئ. «صحيح.»
البِركة القمرية في أسفل المَخبأ، فقط على بُعد خمسٍ وعشرين قدمًا لأسفل. «هذا لا شيء.» قالت (فارلي). يبدو أنه شيءٌ بالتأكيد.
أُفكر بينما أُحدق بالمياه المُظلمة أسفلي. «(كيلورن)، سيُخيِّب ظن (مافين) للغاية إذا قتلَني المُحيط قبل أن يستطيع هو.»
بالنسبة لأي شخصٍ آخَر، ستكون المُزحة ذات ذوقٍ سيئ. لكن (كيلورن) يضحك ضحكةً مكتومة متواضعة، وتُشرق ابتسامتُه مقابل المياه. «حسنًا، بقدْر ما أودُّ أن أُزعج الملك.» يتنهَّد، «فلنحاول تجنُّب الغرَق، هل نفعل؟»
مع غمزةٍ، يغوص، من طرفٍ إلى طرف، وأُمسِك به. يلسع الملح عينيَّ، لكنه ليس مُظلمًا كما اعتقدت. يعبُر ضوء الشمس منعكسًا عبر المياه، ويكسِر الظلَّ الذي يُلقيه المرسى أعلانا. وينقلنا (كيلورن) بسرعة، يسحبنا لأسفل على طول جانب الثكنات. يتناثر ضوء الشمس المكسور في المياه على ظهره العاري، ويملؤه بالنُّقَط مثل مخلوقٍ بحري. أُركز بشكلٍ أساسي على الركل عند مقدرتي وعدم الاشتباك مع أي شيء. هذه ليستْ خمسًا وعشرين قدمًا، يتذمَّر عقلي عندما يبدأ ألَمٌ بسبب الحِرمان من الأكسجين. أُخرج نفَسًا ببطء، وأدع الفقاقيع ترتفع أمام وجهي وإلى السطح. تجري أنفاس (كيلورن) عابرةً أمامي، الدليل الوحيد على إجهاده. عندما يجد الحافة السُّفلي، أشعر بعضلاته تشتد، وتركل قدمَيه معها، تُعطينا القدرة معًا لنتقدَّم لأسفل المخبأ. أتساءل قليلًا إن كانت البركة القمرية لها باب، وإذا كان مُغلقًا. ستكون هذه مُزحة رائعة.
قبل أن أُدرك ماذا يحدُث، ينفجر (كيلورن) خلال شيءٍ ما وأعلاه، ويَسحبني معه. يصطدم هواءٌ رطب ومُبهج بوجهي وأتجرَّعه بعُمق في شهقات طامعة. يجلس (كيلورن) على طرف البركة وقدماه مُتدلية في المياه، يبتسِم تجاهي.
«لن تَنجي خلال صباحٍ واحدٍ في فكِّ عُقد الشِّباك.» يقول ويهز رأسه. «هذا تقريبًا استحمام مقارنة بما كان يجعلني العجوز (كالي) أفعله.»

«تعرف حقًّا كيف تجرحني بعُمق.» أجيبه في جفاء، وأرفع نفسي لأعلى وإلى حجرة الكولونيل.

الحجرة باردة، وإضاءتها خافتة، ومُرتَّبة لدرجةٍ مُهينة. تم دفع معدات قديمة بنظام مقابل الجدار الأيمن، يتجمَّع فوقها الغبار. بينما يمتدُّ مكتبٌ بطول الجدار الأيسر. تتجمع كومات من الملفات والأوراق في صفوفٍ منظمة فوقه، تسيطر على مساحته. في البداية لا أرى الفراش، لكنه هناك، فراش ضيق ينفتح من أسفل المكتب. من الواضح أن الكولونيل لا ينامُ كثيراً.

طالما كان (كيلورن) عبدًا لفضوله، والآن لا يُوجَد اختلاف. تقطُر منه المياه في طريقه للمكتب، مُستعدٌّ للاستكشاف.

«لا تلمس أي شيء.» أقول في هسيسٍ بينما أعصر أكمامي وساقَي سروالي. «نقطة مياه واحدة على هذه الأوراق وسيعرف أن أحدًا كان هنا.»

يومئ ويسحب يديه للخلف. «يجب أن تري هذا.» يقول، ونبرته حادة.

أخطو إلى جانبه في لحظة، خوفًا من الأسوأ. «ماذا؟»

في حذَر، يُشير بإصبعه إلى الشيء الوحيد الذي يُزين جدران الحجرة. صورة، مشوهة بسبب الزمن والرطوبة، لكن الوجوه لا تزال مرئية. أربعة أشخاص، جميعُهم شُقر، تعبيراتهم صارمة، ولكنها مُرحبة. الكولونيل معهم، بالكاد يُمكن التعرُّف عليه بدون عينِه الدامية، أحد ذراعَيه حول امرأةٍ طويلة ذات بِنية جيدة، ويدُه على كتف فتاةٍ صغيرة. ترتدي كلٌّ من المرأة والفتاة ملابس مُلطخة بالأوساخ، من مظهرهما أظنُّهما مُزارعَتَين، لكن السلاسل الذهبية في أعناقهما تقول شيئًا مُختلفًا. بصمت، أُخرج السلسلة الذهبية من جَيبي، أقارن المعدن الرفيع الذي يكاد أن يكون خيطًا بالسلاسل في الصورة. عدا المفتاح المُختلف المُتدلِّي من طرفها، هم مُتطابقون.

بلُطف، يأخذ (كيلورن) المفتاح من يدي، يتساءل عن معنى هذا. الشخص الثالث يفسر كل شيء. مُراهقة ذات جديلةٍ ذهبية طويلة، تقف بجانب الكولونيل وترتدي ابتسامةَ رِضًا. تبدو صغيرة جدًّا، مُختلفة جدًّا

بدون شعرها القصير والندبات. (فارلي).

«هي ابنته.» يقول (كيلورن) بصوتٍ عالٍ، مصدوم لدرجةٍ لا يُمكنه أن يقول المزيد.

أقاوم الرغبة في لمس الصورة، لأتأكَّد أنها حقيقية. الطريقة التي عاملَها بها في المشفى، لا يمكن أن يكون هذا حقيقي. لكنه دعاها بـ(ديانا). يعرف اسمَها الحقيقي. ولديهم السلاسل، واحدة من الشقيقة، وواحدة من الزوجة.

«هيا.» أهمس، وأجذبُه بعيدًا عن الصورة. «هذا لا يُهم الآن.»

«لِمَ لا تقولين أي شيءٍ؟» أسمع في صوته القليل من الخيانة التي شعرتُ بها لأيام.

«لا أعلم.»

أظلُّ مُمسكة به، وأُحرِّك كِلَينا نحوَ باب الحجرة.

إلى اليسار أسفل الدرج، مباشرة عند الهبوط، اليسار مرة أخرى.

يتأرجح الباب مفتوحًا على مفصّلات زيتية، ويكشف عن ممرٍّ فارغ تمامًا مثل الذي على متن (الميرسيف). واسع ونظيف، بجدران معدنية وأنابيب بالأعلى. تنزف الكهرباء فوقنا، وتُضخُّ عبر شبكة أسلاكٍ مثل العروق. تأتي من الشاطئ، وتُغذي الأضواء والآلات الأخرى. كما قالت (فارلي)، لا يُوجَد أحد هنا. لا يُوجَد أحد لإيقافنا. أظنُّ كابنةِ الكولونيل، تعلَم ذلك مباشرة. نتبع الإرشادات في هدوء القطط، مُنتبِهين لكل خطوة. أتذكّر الزنازين في قصر قاعة الشمس حيث قُمنا أنا و(جوليان) بالتغلُّب على كتيبةٍ من (السينتنال) بالأقنعة السوداء لتحرير (كيلورن) و(فارلي) والهالِكة (والش). يبدو ذلك منذ وقتٍ طويل، مع أن ذلك كان منذُ عدة أيام فقط. أسبوع. أسبوع واحد فقط. أرتجف عند تفكيري أين سوف أكون بعد سبعةِ أيام أخرى.

أخيرًا نصِل لممرٍّ أقصر، نهاية مسدودة به ثلاثة أبواب جهة اليسار، وثلاثة أبواب جهة اليمين، ونفس العدد من النوافذ الزجاجية بينهم. كل الزجاج مُظلم، عدا النوافذ في النهاية. تومض قليلًا، وتُلقي بضوءٍ أبيض قاسٍ عبر

الزجاج. تصطدم قبضةٌ بالزجاج وأجفل مُتوقعة أن تتحطَّم تحت مفاصل يده. لكن النافذة تظلُّ صامدة، تدوِّي بشكلٍ خافت مع كل ضربةٍ من قبضتَيه، يظهر عليها لطخاتٌ من الدماء الفضية فقط.

لا شكَّ أنه يسمعني أقترب ويظنُّني واحدةً منهم. عندما أقف أمام النافذة، يتجمّد في منتصف حركته، وقبضته دامية مشدودة في وضع الهجوم. ينزلق سوارُه صانع الشُّعلات على معصمِه، لا يزال يدور من عزم الحركة. هذا مُريح على الأقل. لا يعرفون ما يكفي ليسلُبوه سلاحه الأعظم. لكن لماذا يظلُّ مسجونًا في الأصل؟ ألم يكن قادرًا على إذابة النافذة وينتهي من الأمر؟

للحظةٍ متوهجة واحدة، تلتقي أعيُننا خلال الزجاج، وأعتقد أنَّ نظراتنا معًا يُمكنها أن تحطمه. تقطر دماء سميكة فضِّية حيث ضرب يدَه، واختلطت مع البُقَع الجافة مسبقًا. كان يفعل ذلك لفترةٍ من الوقت، يضرب نفسه حتى ينزف في محاولة الهروب أو حرْق القليل من غضبه.

«هذا مغلق.» يقول وصوتُه مكتوم خلف الزجاج.

«لا يمكنني القول.» أُجيب وابتسِم في سخرية.

بجانبي يحمِل (كيلورن) المفتاح. يجفل (كال) وكأنه يرى (كيلورن) لأول مرة. يبتسِم مُمتنًّا، لكن (كيلورن) لا يُبادله اللفتة. لا يقابل حتى عينَيه. من مكانٍ ما آخِر الممر، أسمع صياحًا. صوت خطوات. تدوِّي بشكلٍ غريب في المخبأ لكنَّها تقترب مع كل ضربة قلب. آتيةً من أجلنا.

«يعلمون أنَّنا هنا.» يقول (كيلورن) وصوته كالهسيس، وينظر للخلف. سريعًا، يضع المفتاح في القفل ويُديره. لا يتحرك وأقذف بكتفي تجاه الباب، وأصطدم بالمعدن البارد القاسي.

يحاول (كيلورن) إجبار المفتاح ثانية، يُديره. هذه المرة أنا قريبة كفاية لأسمع الآلة تطق. يفتح الباب للداخل مع وصول الجندي الأول للزاوية، لكن تفكيري كلُّه بـ(كال). يبدو أن الأمراء يجعلونني عمياء. تهبط الستارة الخفية في اللحظة التي يدفعني بها (كيلورن) داخل الزنزانة. هذا شعور مألوف لكني لا أعرف من أين. شعرتُ به من قبل، لكن أين؟ ليس لديَّ

الوقت لأتساءل. يندفع (كال) بجانبي وصرخة مكتومة تنفجِر من شفتَيه، وذراعاه الطويلتان مُمتدَّتان. ليس تجاهي أو تجاه النافذة، بل للباب بينما يُغلَق. صوت إغلاق القفل يتردَّد في رأسي مُجددًا ومجددًا ومجددًا.

«ماذا؟» أسأل عبر الهواء الثقيل القديم. لكن الإجابة الوحيدة التي أحتاجها هي وجه (كيلورن) يُحدِّق بي من الجانب الآخر للزجاج. يتأرجح المفتاح من قبضته المُغلقة، ووجهه يتحوَّل لشيءٍ بين التجهُّم والنحيب.

أنا آسف. يُحرك شفتَيه بهذه الكلمات ويظهر أول جندي (لايكلاندري) أمام النافذة. يتبعه آخرون، على جانبَي الكولونيل. ابتسامتُه تُماثل التي ارتدتها ابنتُه في الصورة، وأبدأ في فَهم ما حدث. ولدى الكولونيل الجرأة ليضحك. يرمي (كال) بنفسِه تجاه الباب بلا جدوى، ويدفع بكتفِه مقابل المعدن الصلب. يسبُّ مع ألمِه، يسبُّ (كيلورن) وأنا وهذا المكان ونفسه. بالكاد أسمعه فوق صوت (جوليان) في رأسي. يمكن لأي أحد أن يخون أي أحد.

بدون تفكير، أستدعي برقي. سيُحرِّرني شراري ويُحوِّل ضحكة الكولونيل لصراخ. لكن لا يأتي شيء. لا يُوجَد شيء. فراغ بائس. كما في الزنازين، كما في الحلبة.

«حجر صامت.» يقول (كال) ويستنِد في ثقلٍ مقابل الباب. يُشير بقبضته الدامية للزوايا الخلفية للأرض والسقف. «لديهم حجَر صامت.»

ليجعلوك ضعيفًا. ليجعلوك مثلهم.

هذا دوري الآن للضرب على النافذة بقبضتي، ألكُم تجاه رأس (كيلورن). لكني أصطدم بالزجاج ليس الجسد، وأسمع فقط طقطقة مفاصلي بدلًا من رأسه الحمقاء. رغم الجدار بيننا، يجفل. بالكاد يقدِر على النظر تجاهي. يرتجِف عندما يضع الكولونيل يدًا على كتفِه، ويهمس بأُذنه. يمكن لـ(كيلورن) فقط أن يُشاهدني أصرخ، زئير مُحبط لا يفسَّر، وتنضم دمائي لدماء (كال) على الزجاج. الأحمر يختلط بالفضِّي، يتحوَّلان لشيءٍ أكثر ظلامًا.

الفصل الثامن

تحتكُّ أرجُل الكرسي المعدني بالأرض، هذا الصوت الوحيد في الزنزانة. أترك الكرسي الآخر حيث يرقُد، مقلوبًا ومُحطمًا بعدما قذفتُه تجاه الجدار. قد قام (كال) بفعل الكثير بالزنزانة قبل وصولي، قذف الكرسِيَّين والطاولة التي صارت مَثنية الآن. هناك صدْع في الجدار، أسفل النافذة، حيث ارتطم طرف الطاولة به. لكن قذف الأثاث بلا جدوى لي. بدلًا من إهدار طاقتي، أحافظ عليها وأجلس على الكرسي في منتصف الغرفة. يتحرك (كال) ذهابًا وإيابًا أمام النافذة، يبدو وحشيًّا أكثر منه بشريًّا. كل ذرةٍ به تتوق للنيران.

رحل (كيلورن) منذ وقتٍ طويل، ذهب مع صديقه الجديد الكولونيل. وتم كشفي كما أنا عليه بالضبط، سمكة حمقاء بالأخص، تتحرّك دومًا من خطّاف لآخر، لا تتعلم الدرس قط. لكن مقارنة بقصر قاعة الشمس، و(أركيون) ووعاء العظام، يبدو هذا كعطلة، والكولونيل لا شيء مقارنة بالملِكة أو صفِّ الجلادين.

«يجب أن تجلس.» أقول لـ(كال)، وقد سئمتُ أخيرًا من سلوكِه الحادِّ الانتقامي. «إلا إذا كنتَ تُخطط لإهلاك الأرض في طريقك؟»

يُكشر، مُنزعجًا، لكنه يتوقَّف عن الحركة مع ذلك. بدلًا من جذب كرسي، يستند إلى الجدار كفعل تحدٍّ طفولي. «بدأت أفكر أنكِ تُحبين السجون.» يقول، ويطرُق بمفاصل يدَيه على الجدار في سلبية. «وأنكِ لديكِ أسوأ ذوقٍ في الرجال.»

هذا يؤلِمُني أكثر مما أُحب. نعم، لقد اهتممتُ بـ(مافين)، اهتممتُ أكثر مما أريد أن أعترف، و(كيلورن) هو صديقي المقرَّب. وكلاهما خائنان.

«أنتَ لست جيدًا في اختيار الأصدقاء أيضًا.» أقول مُندفعة، ولكنه ينظر بعيدًا عنِّي بلا ضرر. «وليس لدي ...» تخرج الكلمات بشكلٍ خاطئ ومتكلَّف. «أي ذَوق في الرجال. ليس لهذا أي علاقة بذلك.»

«لا علاقة.» يضحك، بالكاد مُستمتِعًا. «من كان آخِر شخصَين يَحبسانِنا في زنزانة؟» عندما لا أردُّ، خجلة، يضغط أكثر. «اعترفي أنكِ تُعانين في الفصل بين قلبك وعقلك.»

أقف بسرعةٍ لدرجة أن الكرسي يسقط خلفي، ويرتطم بالأرض مُصدرًا صوتًا رنَّانًا. «لا تتظاهر أنك لم تُحب (مافين)، وأنك لم تترك قلبك يتَّخذ القرارات عندما يتعلق الأمر به.»

«هو أخي! بالطبع كنتُ أعمًى تجاهه! بالطبع لم أظنه سيقتُل ... سيقتل والدَنا.» ينكسر صوته عندما يتذكّر، مما يدَعُني ألقي نظرة على الطفل المُحطم المُمزق خلف واجهة المحارب. «ارتكبتُ أخطاءً بسببِه و...» يُضيف سريعًا، «وارتكبتُ أخطاء بسببك.»

وأنا أيضًا. الأسوأ كان عندما وضعتُ يدي بيدِه، وتركتُه يسحبني من غرفة نومي من أجل رقصةٍ ودوَّامة حلزونية. تركتُ الحرس يقتلون أبرياء من أجل (كال)، لمنعِه من الذهاب للحرب. حتى يبقى قريبًا منِّي. كان لأنانيَّتي ثمن مُروع.

«لا يمكننا فعل ذلك بعد الآن. لا يمكننا ارتكاب الأخطاء من أجل بعضنا.» أهمس، أدور حول ما أعنيه حقًّا. ما أحاول أن أقوله لنفسي لعدة أيام الآن. (كال) ليس بطريقٍ يجب أن أختاره أو أريده. (كال) مجرد سلاح، شيء استغلُّه، أو شيء يستغلُّه الآخرون ضدي. يجب أن أستعدَّ للأمرَين.

بعد لحظةٍ طويلة، يُومئ. وأشعر أنه يرى الوضع بنفس الطريقة. تستقر رطوبة المكان وتنضم للبرودة التي ما زالت بعُمقٍ داخل عظامي. عادة كنت سأرتجف، لكني اعتدتُ هذا الشعور. أظن أنني يجب أن أعتاد كوني بمُفردي أيضًا.

ليس في العالَم، بل هنا، في قلبي.

جزء منِّي يريد الضحك على مُعضلتي. ثانية، أنا بجانب (كال) في زنزانة، ننتظر أي قدَر مُخبأ لنا. لكن هذه المرة، يُقصي غضبي خوفي. لن يكون (مافين) من يأتي للشماتة، لكنه الكولونيل، ولهذا أنا شاكرة بشدة. تهكُّمات (مافين) ليست بشيءٍ أريد أن أتعرَّض له مجددًا. حتى التفكير به يؤلِمني.

كان وعاء العظام مظلمًا، وفارغًا، سجنًا أعمقَ من هذا. وقف (مافين) في حدة، بشرته شاحبة، وعيناه لامعة، يداه تمتدُّ ليديَّ. في ذاكرتي المسمومة، تومِض مُتحولة من أصابع ناعمة لمخالب قاسية. كلاهما يُريدانني أن أنزف.

قلت لكِ أن تخبئي قلبك مرة. كان يجب أن تستمعي. كانت هذه آخِر كلماته لي، قبل أن يحكُم علينا بالإعدام. أتمنَّى أنها لم تكُن نصيحة جيدة.

ببطء، أتنهَّد، وأتمنَّى أن أطرد الذكريات مع أنفاسي. لا أنجح في ذلك.

«إذن ماذا نفعل في هذا يا جنرال (كالور)؟» أسأله وأشير للجدران الأربعة التي تُبقينا سُجناء. أقدِر الآن على رؤية الحدود الطفيفة في الزوايا، كُتل الحجارة المُربعة الأكثر سوادًا من الباقي، مُثبتة بجانب ألواح الجدار.

بعد لحظةٍ طويلة، يخرج (كال) من أفكارٍ مؤلِمة بنفس قدْر أفكاري. يسرُّه الإلهاء، يُعدل من وضع الكرسي سريعًا، ويدفعه للزاوية. يقف فوقه، ويكاد يضرب رأسه بالسقف، ثم يُمرر يدَه على الحجر الصامت. هذا الأكثر خطورة بالنسبة لنا أكثر من أي شيءٍ في هذه الجزيرة، يُسبب ضررًا أكثر من أي سلاح.

«بحق ألواني، من أين حصلوا عليها؟» يُتمتم وتبحث أصابعه عن أطرافها. لكن الحجارة مسطحة، لا يبرُز لها أي جزء، مُثبتة بعناية. يتنهَّد، ويقفز على الأرض ويواجه نافذة المراقبة. «فرصتنا الوحيدة هي تحطيم الزجاج. ليس هناك طريقة للتغلُّب على هذه هنا.»

«هي أضعف مع ذلك.» أقول مُشيرة للحجَر الصامت. يُحدِّق بي في المقابل. «في وعاء العظام، شعرت وكأنني أختنق. هذا ليس بأي حال بنفس السوء.»

يهز (كال) كتفَيه. «لا يوجد الكثير منهم هنا. لكنهم كافين.»

«مسروقة؟»

«يجب أن تكون كذلك. ليس هناك الكثير من الحجارة الصامتة وفقط حكومة واحدة يُمكنها استخدامها، لأسبابٍ غنية عن الذكر.»

«هذا حقيقي ... في (نورتا).»

يُميل رأسَه في حيرة. «تظنين أن هذه جاءت من مكان آخر؟»

«هناك بضائع مُهربة تأتي من كل الأنحاء. (بيدمونت) و(اللايكلاند) وأماكن أخرى أيضًا. ثم ألَمْ ترَى الجنود هنا في الأزياء الموحدة؟»

يهز رأسه نفيًا. «لا، منذُ قادَني الوغد ذو العين الدامية إلى هنا بالأمس.»

«يدعونه بالكولونيل، وهو والد (فارلي).»

«أشعر بالأسف تجاهَها، لكن عائلتي بالتأكيد أسوأ.»

أصدر صوتًا ساخرًا، نصفَ مُستمتِعة. «هم (لايكلاندريون) يا (كال). (فارلي) والكولونيل وكل جنوده. مما يعني أنَّ هناك المزيد من حيث أتوا.»

تسيطر الحيرة على وجهه. «هذا ... مُستحيل. رأيت حدود المعارك بنفسي. ليس هناك طريقة عبرها.» ينظر ليَدَيه، ويرسُم ببساطةٍ خريطة في الهواء. ليست منطقية بالنسبة لي، ولكنه يعرفها عن قرب. «البحيرات مُحاصرة من كِلا الشاطئَين، ومنطقة الاختناق مُستبعدة كليًا. نقل البضائع والمؤن شيء، لكن ليس البشر، وليس بهذا العدد. يجب أن يمتلكوا أجنحة ليعبروا.»

أشهق بسرعة إدراكي. الساحة الأسمنتية، الحظائر الضخمة في نهاية كل قاعدة، الطريق الواسع الذي لا يقود لأي مكان. ليس طريقًا. مهبط طائرات.

«أظن أن لديهم.»

مع دهشتي، ترتسم ابتسامة واسعة صادقة على وجه (كال). يلتفت للنافذة، ينظر للممر الفارغ بالخارج. «تفتقر أساليبهم إلى الكثير، لكن سيُسبِّب الحرس القرمزي صداعًا كبيرًا لأخي.»

عندها ابتسم أيضًا. إذا كانت هذه الطريقة التي يتعامل بها الكولونيل مع الذين يدعوهم حلفاءه، سأحب أن أرى ماذا سيفعل بأعدائه. يأتي وقت العشاء وينتهي، يُميزه فقط (لايكلاندري) كبير في السنِّ يحمل صينية طعام. يُشير لنا معًا أن نخطوَ للخلف ونُواجِه الجدار، حتى يقدر على تمرير الصينية عبر فتحةٍ في الباب. لا يتجاوب معه أيٌّ منَّا، نقف في أماكننا بالقُرب من النافذة في عناد. بعد مواجهةٍ طويلة، يمشي مُبتعدًا، ويأكل طعامَنا مُبتسمًا. لا يُزعجني ذلك على الإطلاق. لقد نشأتُ في جوع. يُمكنني

تحمُّل بضع ساعات بدون وجبة. لكن (كال) في المقابل، يشحب وجهه بينما يبتعِد الطعام، عيناه تتبع صحن السمك الرمادي.

«إذا أردتَ أن تأكل، كان يجب أن تُخبرني.» أزمجر، وأجلس ثانية. «أنتَ بلا فائدة لي إذا كنت تتضوَّر جوعًا.»

«هذا ما يُفترَض أن يعتقدوه.» يُجيب وهناك لمعة بسيطة بعينَيه. «أعتقد أنني سأفقد الوعي غدًا بعد الإفطار وسنرى كيف يتحمَّل مُسعفوهم لكمة.»

هذه خطة مهزوزة في أحسن الأحوال، وأُكشِّر أنفي في نفور.

«هل لديكِ فكرة أفضل؟»

«لا.» أقول في عبوس.

«هذا ما ظننتُه.»

«هممف ...»

الحجر الصامت لدَيه تأثير غريب على كلٍّ منَّا. يسلُب أكثر شيءٍ نعتمد عليه، قُدراتنا، يُجبِرنا الحبس على التحوُّل لأشخاصٍ آخرين. بالنسبة لـ(كال) يعني هذا كونه أكثر ذكاءً، أكثر حرصًا. لا يُمكنه الاعتماد على النيران، لذا يلجأ لعقلِه بدلًا من ذلك. لكنه، بالحُكم على خُطتِه بفقدان الوعي، لا يبدو كأحدِّ شفرة في الأسلحة.

التغيير بالنسبة لي ليس واضحًا. بعد كل شيء، قد عشتُ سبعة عشر عامًا في صمت، لم أعرف أن هناك قدراتٍ عالقة بداخلي. الآن أتذكَّر هذه الفتاة مجددًا، الفتاة الأنانية المتحجرة القلب التي يُمكنها فعلَ أيِّ شيءٍ لإنقاذ نفسها. لو عاد (اللايكلاندري) بصينيةٍ أخرى، من الأفضل أن يكون مُستعدًا لِيَدي حولَ عنقه وإذا تمكنَّا من الخروج من هذا السجن، وبَرْقي في عظامه أيضًا.

«(جوليان) على قيد الحياة.» لا أعلم من أين أتت هذه الكلمات، لكنها تتعلَّق في الهواء فجأة، هشَّة مثل رقاقات الثلج.

يرفع (كال) رأسه وتلمع عيناه فجأة. احتمالية نجاة خالِه تُبهجه بنفس قدْر حريته. «من قال لكِ ذلك؟»

«الكولونيل.»
الآن دور (كال) ليقول، «هممف.»
«أظنُّ أنني أُصدِّقه.» هذا يجلِبُ نظرةَ استهجان، لكني أستمر. «يظن الكولونيل أن (جوليان) كان جزءًا من خطة (مافين)، فضّي آخر خانني. لهذا لا يُصدِّق القائمة.»
يومئ (كال) وتبدو عيناه شريدة. «من هم مثلك.»
«تدعوهم (فارلي) ... تدعونا بالدماء-الجديدة.»
«حسنًا،» يتنهَّد، «كل ما سيُمكننا أن ندعوهم به هو موتى إذا لم نخرج من هنا قريبًا. سيُطاردهم (مافين) جميعًا.»
فظ لكن حقيقي. «من أجل الانتقام؟»
لدهشتي، يهز رأسه. «هو ملك جديد، خليفة لوالده المقتول. هذا ليس أكثر وضعٍ مستقر ليبدأ حكمه. المنازل النبيلة، (ساموس) و(إيرال) بالأخص سوف ينقضُّون في أي فرصةٍ لإضعافه. واكتشاف أصحاب الدماء-الجديدة بعدما أنكرَهم على العلن، سيمنحهم هذه الفرصة بالتأكيد.»
رغم أن (كال) نشأ ليكون جنديًّا، وتدرَّب في ثكنات حرب حية، فقد وُلد أيضًا ليصير ملكًا. ربما لا يكون مقنعًا مثل (مافين) ولكنه يفهم إدارة البلاد أفضل من الكثيرين.
«إذن كل شخصٍ سنُنقذه سيؤذيه، ليس فقط في ساحة المعركة لكن أيضًا وهو فوق عرشه.»
يبتسِم ابتسامةً مائلة، ويسند رأسه على الجدار. «تتحدثين بصيغة الجمع لحدٍّ ما.»
«هل يُزعجك ذلك؟» أسأله، لأختبِر المياه. إذا استطعتُ إقناع (كال) بمُلاحقة الدماء-الجديدة معي، قد تكون لدَينا فرصة حقيقية للتفوُّق على (مافين).
ترتعش عضلة في عنقه، الدليل الوحيد على تردُّده. لا تسنح له الفرصة للإجابة قبل أن يقاطعه صوت مسيرة الأحذية المألوف الآن. يزمجر (كال)، منزعجًا من عودة الكولونيل. عندما يبدأ في النهوض، تندفع يدِي لتدفعَه

عائدًا لكرسيه.

«لا تقف له.» أهمس وأسند ظهري للخلف على الكرسي.

يفعل (كال) كما أقول ويستقر في موضعه، ذراعاه مَشبوكتان فوق صدره. الآن بدلًا من الضرب على النافذة وقذف الطاولات مُقابل الجدار، يبدو رزينًا. هادئًا. حجَرًا من اللحم ينتظر أن يُحطِّم أي شخص يقترب منه. لو فقط كان ذلك حقيقيًّا. لولا وجود الحجَر الصامت، كان سيصير لهيبًا مُشتعلًا، يشتعل بحرارةٍ أكثر وأكثر إشراقًا من الشمس. وكنتُ سأصير عاصفةً. وبدلًا من ذلك تم تقليصنا حتى عظامنا لزَوجٍ من المُراهقين المتذمِّرين داخل قفص. أقوم بكل ما بوسعي لأبقى ثابتةً عندما يظهر الكولونيل أمام النافذة. لا أريد أن أمنحَه رضا رؤية غضبي، لكن عندما يظهر (كيلورن) بجانب كتِفه، وملامحه باردة وصارمة، يهتزُّ جسدي. الآن صار دور (كال) ليمنعني، وبضغطةٍ بسيطة من يدِه على ساقي، أبقى جالسة.

يُحدق الكولونيل بي للحظة، وكأنه يحفظ مشهد الأمير وفتاة البرق في السجن. تسيطر عليَّ رغبة في البصق على الزجاج المُلطخ بالدماء لكني لا أفعل. ثم يلتفِت بعيدًا عنا، ويُشير بأصابع طويلة مَثنية. ترتجف مرةً ومرتَين مُشيرة لشخصٍ ليتقدَّم أو ليتمَّ جلبُه.

تقاتل مثل الأسد، وتُجبر حرس الكولونيل على رفعها فوق الأرض. تصطدم قبضتُها بفكِّ أحدٍ منهما، وتُرسِله مترنحًا ويُفلت ذراعَها من قبضته. تدفع بالآخر مقابل جدار المر، وتحطم رقبتَه بين مرفقها ونافذة زنزانةٍ أخرى. ضرباتها وحشية، تقصد بها إلحاق أكبر ضررٍ تقدِر عليه وأستطيع رؤية كدماتٍ بنفسجية تظهر على آسريها. لكن الحارسَين حريصان على عدم إيذائها، يقومان بما وسِعَهُما لإبقائها مُقيدة فقط.

أوامر الكولونيل، على ما أظن. سيمنح ابنته زنزانةً لكن ليس كدمات. لفزعي، لا يقف (كيلورن) بلا حراك. عندما يدفعها الحارسان مقابل الجدار، كلٌّ منهما يُثبِّت كتفًا وساقًا، يشير الكولونيل لفتى السمك. بيدٍ مرتعشة يسحب صندوقًا رماديًّا باهتًا. تلمع بداخله مَحاقن. لا أسمع

صوتها عبر الزجاج، ولكن من السهل قراءة شفتَيها. لا، توقف.

«(كيلورن)، توقف!» تصير النافذة فجأة باردةً وملساء تحت يدي. أضربها في محاولة للفت انتباهه. «(كيلورن)!»

لكنه يفرد كتفَيه، ويُدير ظهره حتى لا أرى وجهه. يقوم الكولونيل بالعكس، يُحدِّق بي بدلًا من المحقن الذي يقتحم عُنق ابنته. يومِض شيء غريب عميقًا داخل عينِه السليمة، ندم، ربما؟ لا، هو ليس رجلًا لدَيه شكوك. سيفعل كل ما يجِب أن يفعله لمن يجب أن يفعله به.

يتراجع (كيلورن) بعد فعلته، والمِحقن الفارغ حادٌّ بين يدَيه. ينتظر ويشاهد (فارلي) تقاوم آسريها. لكن حركتها صارت بطيئةً ويتدلى جفناها بينما يسيطر عليها المُخدر. أخيرًا يتراخى جسدها مقابل الحراس (اللايكلاندريين)، فاقدة الوعي، ويسحبونها للزنزانة المُقابلة لنا. يضعونها على الأرض قبل أن يغلقوا الباب، ويحبسوها مثلي ومثل (كال). عندما يُغلق باب زنزانتها، يُفتح قفل بابي.

«تعيدان تصميم المكان؟» يقول الكولونيل ويشمُّ الهواء بصوتٍ عالٍ، وينظر للطاولة المطوية أثناء دخوله. يتبعه (كيلورن)، ويضع صندوق المحاقن في معطفه في تحذير. من أجلك، إذا تخطيتِ الحدود. يتفادى نظرتي، ويشغل نفسه بالصندوق بينما يُغلق الباب خلفه، ويتركان الحارسَين ليحرُسا الممرَّ على الجانب الآخر. يُحدق (كال) من كرسيه، ملامحه قاتلة. لا أشك أنه يفكر بكل الطرق التي يُمكنه بها قتل الكولونيل، وأيِّها سيؤلِم أكثر. يعرف الكولونيل ذلك أيضًا، ويسحب مُسدسًا قصيرًا لكن مُميت من حافظته. يظلُّ خاملًا بيده، ثعبان مُلتوٍ ينتظر أن يهجم.

«من فضلك، اجلسي يا سيدة (بارو).» يقول ويشير بالمسدس.

إطاعة أمره تبدو كالاستسلام، لكن ليس لديَّ خيار آخر. أجلس، وأدع (كيلورن) والكولونيل يقفان أعلى منَّا. لولا المُسدس والحارسان في الممر يراقبان عن قرب، لأمكَن أن يكون لدَينا فرصة. الكولونيل طويل، ولكنه كبير في السن، وأيدي (كال) ستُلائم حلقَه بشكلٍ لطيف. سأُضطر للتغلُّب على (كيلورن) بنفسي، معتمدةً على معرفتي بجروحه التي لا تزال تتعافى

لهزيمة هذا الخائن. لكن بمجرد تغلُّبنا عليهما، سيظلُّ الباب مُغلقًا، وسيظلُّ الحارسان يُراقبان. لن يجني قتالنا أي شيء.

يبتسم الكولونيل في تهكُّم، وكأنه يقرأ أفكاري. «من الأفضل أن تظلّي فوق كُرسيك.»

«تحتاج لمسدس لتُبقي طفلَين تحت السيطرة؟» أقول له ساخرة، وأُميل ذقني مشيرةً للمسدس في يده. لا تُوجَد روح واحدة على الأرض تجرؤ على أن تدعو (كال) طفلًا، حتى بدون قُدراته. تدريباته العسكرية وحدَها تجعله مُميتًا، ويعرف الكولونيل ذلك جيدًا.

يتجاهل الإهانة ويضع قدمَه أمامي؛ فأشعر بعينِه الدامية تخترق عينيَّ. «أتعلمين، أنتِ محظوظة لكوني رجلًا مُتحضرًا. ليسوا بكثيرين من سيتركونه على قيد الحياة.» يُومئ تجاه (كال) قبل أن يلتفِت تجاهي، «والقليل سيقتلونك أيضًا.»

أنظر تجاه (كيلورن)، أتمنَّى أن يُدرك ما هو الجانب الذي اتَّخذه. يتململ كفتًى صغير. إذا عدنا أطفالًا مُجددًا، وما زلنا بنفس الحجم، كنتُ سألكمُه مباشرةً في معدته.

«لا تبقِني في الجوار للاستمتاع برفقتي.» يقول (كال)، مُقاطعًا دراميات الكولونيل. «إذن ما الذي ستقوم بِمُقايضتي به؟»

ردة فعل الكولونيل وحدَها هي التأكيد الوحيد الذي أحتاجه. يُطبق فكَّيه، ويشتد في غضب. أراد أن يقول الكلمات بنفسه، لكن (كال) صدمه.

«مقايضة.» أهمس، على الرغم من خروجها كهسيس. «لن تقايض واحدًا مِن أفضل الأسلحة لدَيك؟ ما مدى حمقك؟»

«لستُ أحمقَ بالقدْر الكافي لأعتقد أنه سيُقاتل من أجلنا.» يُجيب الكولونيل، «لا، أترك الأمل الأحمق لكِ يا فتاة البرق.»

لا تقعي في الفخ، هذا ما يريده. مع ذلك، يتطلَّب تحديقي للأمام وعدم نظري تجاه (كال) كلَّ ما بوسعي. في الحقيقة لا أعرف أين يقع ولاؤه، أو مَن يقاتل من أجله. أعرف فقط من سيقاتل ضده: (مافين). البعض قد يظنُّ أن هذا يضعُنا في نفس الجانب. لكنِّي أعرف أفضل من ذلك. الحياة

والحرب ليسا بهذه السهولة.

«جيد جدًا، كولونيل (فارلي).» يجفل عندما أقول اسمه. تميل رأسه قليلًا، ويُقاوِم الرغبة في النظر تجاه ابنتِه فاقدة الوعي في زنزانتها. هناك ألَم. ألاحظ، وأحفظه للاستخدام لاحقًا.

لكن الكولونيل يرُدُّ ضربتي بالمِثل. «عرض الملك صفقة.» يقول وكلماته تضغط كسكّينٍ على وشك سحب الدماء. «مقابل الأمير المنفي، وافق الملك (مافين) على إعادة سِن التجنيد السابق. عودة لثمانية عشَر، بدلًا من الخمسة عشر عامًا.» ينظر للأسفل ويخفض صوته. للحظة قصيرة عابرة، ألمح الأب خلف السطح القاسي. يذهب عقلُه للأطفال الذين أُرسلوا للموت. «هذه صفقة جيدة.»

«جيدة للغاية.» أقول سريعًا، ونبرتي قاسية وقوية بما يكفي لإخفاء الخوف خلفَها. «لن يحترم (مافين) صفقةً كهذه أبدًا.»

على يساري، يتنهَّد (كال) ببطء، ويُقرِّب يدَيه من بعضهما لتتلامس أطراف الأصابع من كِلتا اليدَين، ويكشف الجروح المُتعددة والكدمات التي جناها خلال الأيام السابقة القليلة. يُحرك أصابعه بالترتيب، واحدًا تلوَ الآخر. إلهاء عن الحقيقة التي يحاول أن يتفادها.

«لكن ليس لدَيك خيار.» يقول (كال) ويدَاه أخيرًا ساكنة. «رفْضُ الصفقة يحكُم عليهم جميعًا بالهلاك.»

يومئ الكولونيل. «بالتأكيد، كُن ذا قلبٍ يا (تايبرياس). سيُنقذ موتك آلاف الأطفال الأبرياء. هم السبب الوحيد أنك ما زلت تتنفَّس.»

آلاف. بالتأكيد هم يُساوون (كال)، بالتأكيد. لكن في عُمق قلبي، في الجزء المشوَّه البارد منِّي الذي بدأتُ أتعرف عليه جيدًا، شيءٌ ما يرفض. (كال) مقاتل، قائد، قاتل، صائد. وتحتاجينه. بأكثر من طريقة واحدة.

يلمع شيء في عيون (كال). لولا الحجر الصامت، أعلَم أن يدَيه كانت سترتجِف باللهيب. يميل للأمام قليلًا، ويسحب شفتَيه مقابل أسنانه البيضاء المُستوية بطريقةٍ وحشية وعنيفة أتوقع أن أرى أنيابًا.

«أنا ملكك الشرعي، من نسلٍ فضِّي يمتدُّ لقرون.» يجيب في غضب.

«السبب الوحيد أنك تتنفَّس هو أنني لا أحرق الأُكسجين في هذه الغرفة.»
لم أسمع مثل هذا التهديد من (كال) من قبل، غريزي بقذْرٍ يقطع أحشائي. ويشعر به الكولونيل الذي بالعادة رزين وهادئ. يتراجع سريعًا، يكاد يرتطم بـ(كيلورن). مثل (فارلي)، يُحرجه خوفه. وللحظة، تُطابق بشرته لون عينِه الدامية، مما يجعله يبدو كحبة طماطم لديها أطراف. لكن الكولونيل مُكوَّن من أشياء أكثر صرامة، ويُبعِد خوفَه في لحظةٍ واحدة من الهدوء. يمسح على شعره الأبيض-الأشقر ويضغطه ليتساوى بجمجمته، ويضع مُسدسه في حافظته ويتنهّد في رضًا.
«يرحل مركبك اليوم يا صاحب السمو الملكي.» يقول ويفرقع رقبته. «أنصحك أن تقول الوداع للسيدة (بارو). أشكُّ أنك ستراها ثانية.»
تقبض يداي على قاعدة الكرسي، وتحفر في معدنٍ بارد وقاسٍ. إذا كان فقط اسمي (إيفانجلين ساموس)، عندها سألفُ هذا الكرسي حول عنق الكولونيل حتى يتذوّق المعدن ويرى دماءً بكلتا عينيه.
«ماذا عن (ماير)؟»
حتى الآن، وهو بقُرب حكم إعدامه، كيف يكون (كال) بالحماقة الكافية ليقلق بشأني؟
«سنراقبها.» يتدخّل (كيلورن)، ويتحدث لأول مرة منذ دخوله لقفصي. يرتجف صوته كما يجب. لدى الجبان كلُّ شيء يجب أن يخافه، من ضِمنهم أنا. «سنحرسها ولن نؤذيها.»
يظهر النفور على وجه الكولونيل. أظن أنه يريد موتي أيضًا. من يمكن أن ينقض قراره، لا أعلم. ربما قيادة (فارلي) الغامضة، أيًّا كانوا.
«هل هذا ما ستفعله لمن هم مثلي؟» أقول مندفعةً وأشعر بنفسي أنهض من فوق الكرسي. «الدماء-الجديدة؟ هل ستجلب (شايد) هنا تاليًا وتضعه في قفص مثل الحيوان الأليف؟ حتى نتعلم الطاعة؟»
«يعتمد هذا عليه.» يُجيب الكولونيل في توازن، وكل كلمةٍ كأنها ركلة باردة في أحشائي. «كان جنديًّا جيدًا، حتى الآن. مثل صديقك هنا.» يُضيف ويضع يدَه عل كتف (كيلورن). تفوح منه رائحة فخر الأب، شيء كان

يفتقر إليه (كيلورن). بعد وقتٍ طويل كئيبٍ، حتى أبٌ بفظاعة الكولونيل يُشعره بشعورٍ جيد. «بدونه لم يكن لديَّ العُذر أو الفرصة لحبسك.»

يُمكنني فقط التحديق بـ(كيلورن)، في أملٍ أن تؤلِمه نظرتي بقدْر ما آلَمني. «كم يجب أن تكون فخورًا!»

«ليس بعد.» يُجيب فتى السَّمَك.

لولا أعوامنا في (الستيلتز)، والساعات التي قضيناها نسرق ونتسلل كالفئران، لما كنتُ رأيته. (كيلورن) سهل القراءة، بالنسبة لي على الأقل. عندما يُميل جسدَه، ويَحني ظهره ويُحرك خصريه في نفس الوقت، يبدو طبيعيًّا. لكن لا شيء طبيعيٌّ فيما يُحاول فعله. يترهل طرف معطفه، وتبرز نهاية الصندوق الذي يحتوي على المحاقن. يسقط بشكلٍ خطير، مُنزلقًا بين القماش ومَعدِته، أسرع وأسرع.

«أوه ...» يختنق صوته ويقفز مُبتعدًا عن قبضة الكولونيل عندما يتحرَّر الصندوق. ينفجر مفتوحًا في منتصف الهواء، ويلفظ المحاقن بينما يسقط. يصطدمون بالأرض، مُحطَّمين وينسكب السائل خلال أصابع قدمَيه. قد يظن الكثيرون أنهم جميعًا مُحطمون، لكن عينيَّ السريعتَين تُلاحظان مِحقنًا وحيدًا ما زال سليمًا، نصف مُخبًّأ في قبضة (كيلورن).

«اللعنة، يا فتي.» يقول الكولونيل، وينحني دون تفكير. يمدُّ ذراعه ناحية الصندوق في أملٍ أن يُنقذ أي شيء، ولكنه يحصل على المِحقن في رقبتِه لأجل عنائه.

تمنح مفاجأة الأمر (كيلورن) اللحظة التي يحتاجها ليضغط، وليُفرغ محتويات المِحقن في أوردة الكولونيل. مثل (فارلي)، يقاتل، ويضرب وجه (كيلورن). يندفع ويصطدم بالجدار البعيد. قبل أن يتَّخِذ الكولنيل خطوةً أخرى، يندفع (كال) من فوق كرسِيِّه ويدفعه مقابل نافذة المراقبة.

الجنود (اللايكلاندريون) يُشاهدون في عجزٍ من الجانب الآخر للزجاج، أسلحتهم جاهزة لكنها بلا نفع. بعد كل شيء، لا يُمكنهم فتح الباب. لا يُمكنهم المخاطرة بترك الوحوش خارج قفصهم. المُخدِّر وثقل وزن (كال) مجتمعان يُفقدان الكولونيل الوعي كليًّا. ينزلق على النافذة، وتتراخى

ركبتاه أسفلَه ويسقط في كومةٍ مُهانة. وعيناه مُغلقتان يبدو أقلَّ تهديدًا. طبيعي، حتى.

يتأوَّه (كيلورن) من مكانه مقابل الجدار ويُدلك وجنتَه. مُخدر أم لا، لدى الكولونيل لكمة قاسية. بدأت كدمة في الظهور بالفعل. بدون تفكير، أخطو تجاهَه بسرعة. «هذا لا شيء يا (ماير) ...»

لكني لستُ آتيةً لمواساته. فترتطِم قبضتي بوجنتِه الأخرى، وتصطدِم مفاصلي بعظامه. يصرخ ويدفعه عزم اللكمة فيكاد يفقد توازُنه.

متجاهلة ألَمَ يدي، أمسح يديَّ ببعضهما. «الآن وجنتاك مُتطابقتان.» ثم أحتضِنه، وأُغلق يديَّ حول مُنتصفِه.

«كانوا سوف يَسجنونكِ هنا في جميع الأحوال. ففكرتُ أنه يُمكنني القيام بنفعٍ أكثر إذا لم أكن بالزنزانة التي بجانبك.» يتنهَّد. «قلتُ لكِ أن تثقي بي. لِمَ لَمْ تُصدقيني؟»

ليس لديَّ إجابة على هذا.

يتنهد (كال) بصوتٍ عالٍ عند نافذة المراقبة، فيلفتُ انتباهنا للمهمة التي بين أيدينا. «لا يُمكنني أن أعيب شجاعتك، لكن هل خُطتك هذه تتقدَّم أبعد من غناء تهويدةٍ لهذا الحقير؟» يُشير بقدمِه لجسد الكولونيل بينما يطرق النافذة بإصبعه، مُشيرًا للحرَّاس الذين ما زالوا يُراقبوننا.

«فقط لأنني لا أستطيع القراءة فيعني ذلك أنني أحمق.» يقول (كيلورن) وصوته به حدَّة بسيطة. «راقبوا النافذة. في أي ثانيةٍ الآن.»

مضت عشر ثوانٍ للدقة. نُحدق لمدة عشر ثوانٍ قبل أن يظهر شكلٌ مألوف من العدم. (شايد)، يبدو أفضل من الأخ الذي رأيته في المشفى هذا الصباح. يقف على قدمَيه الاثنتَين، بدعامة على ساقه المُصابة ولا شيء أكثر من ضمَّادات حول كتفِه. يُمسك بعكاز كأنه مضرب، ويضرب به الحارسَين قبل أن تُتاح لهما الفرصة لإدراك ما يحدث. يسقطان على الأرض كحقيبةٍ من المطارق، ونظرات حمقاء على وجهيهما.

يُفتَح قفل الزنزانة ويُصدِر صدًى سارًا، ويصير (كال) عند الباب خلال نبضة قلب، يفتحه على مصراعَيه. يخرج لهواء الممرِّ ويتنفَّس بعمق. لا

أستطيع اللحاق به بنفس السرعة وأتنهد بصوت عالٍ عندما يسقط ثِقل الحجر الصامت عني. بابتسامةٍ أستدعي الشرارات لأصابعي، وأشاهدها تُصدر طقطقةً وتتفرع عبر جلدي.

«افتقدتكم.» أهمِس لأصدقائي الأعزاء.

«أنتِ غريبة يا فتاة البرق.»

لدهشتي، تستند (فارلي) مُقابل باب زنزانتها المفتوح، صورة من الهدوء. لا تبدو متأثرة بالمخدِّر على الإطلاق، لو كان له أي تأثير.

«فائدة مُصادقة الممرِّضين.» يقول (كيلورن)، ويصدم كتِفي.

«ابتسامة لطيفة كانت كلَّ ما احتجتُه لإلهاء (لينا)، ووضع شيء غير مؤذٍ في الصندوق.»

«سينكسر قلبها عندما تُدرك أنك رحلت.» تجيب (فارلي) وتلوي شفتَيها لشيءٍ يُشبه العبوس. «فتاة مسكينة.»

يُصدر (كيلورن) صوتًا ساخرًا. وعيناه تلتفت تجاهي. «هذه ليست مشكلتي.»

«والآن؟» يقول (كال)، ويبرُز الجندي بداخله. تشتدُّ أكتافه، صلبةً أسفل ملابسه الرثة، ويدير رقبتَه في كل الأنحاء، ليُراقب كل زاوية في الممر.

يمدُّ (شايد) ذراعَه مُجيبًا ويده تُشير تجاه السقف. «الآن، نقفز.» يقول.

أنا أول من يضع يدي بيدِه، وأتمسَّك بشدة. حتى وإن لم أقدر على الثقة بـ(كيلورن) أو (كال) أو شخص آخر، يمكنني الثقة بالقدرات. بالقوة والقدرة. مع نيران (كال) وعاصفتي وسرعة (شايد)، لا شيء ولا أحد يُمكنه المساس بنا.

بينما نحن معًا، لن أعاني في أي سجنٍ مجددًا.

الفصل التاسع

يمر المخبأ بسرعةٍ في ومضات من الضوء والألوان. أرى فقط مشاهد بينما يتحرر (شايد) قافزًا ونحن معه بين المباني. يداه وذراعاه في كلِّ مكان، ليتشبّث ويُعطينا مساحة كافية للتمسُّك به. يبدو أنه قوي بما يكفي ليأخُذنا كلنا، لأنه لا يترك أحدًا. أرى بابًا، جدارًا، وتَميل الأرض تجاهنا. يُلاحقنا الحراس عند كل زاوية، يصيحون ويطلقون النيران، لكننا لا نبقى في مكانٍ واحد لفترة كافية.

نهبطُ مرة وسط غرفةٍ مزدحمة تزدهر بالكهرباء، ومُحاطة بشاشات الفيديو ومعدّات الراديو. ألمح حتى بعض الكاميرات في أكوامٍ في زاوية قبل أن يُبدي شاغلوها أيَّ ردةِ فعلٍ تجاهنا ونقفز مبتعِدين. ثم أُضيق عيوني من الضوء الساطع على المرسى. هذه المرة، يقترب (اللايكلاندريون) بما يكفي لأرى وجوههم، شاحبون في ضوء المساء. ثم الرمال أسفل قدميَّ. قفزة أُخرى ويصير أسمنتًا. نقفز أبعدَ في العراء، نبدأ في نهاية المهبط قبل أن ننتقل طوال الطريق للحَظيرة.

يجفل (شايد) من الإجهاد، عضلاته مشدودة، تُبرز شرايين رقبته بوضوح. قفزة أخيرة تأخذنا داخل الحظيرة، لنواجِهَ الهواء البارد والهدوء النِّسبي. عندما يتوقف العالَم أخيرًا عن الدوران والجذب، أشعر أنَّني على وشك الانهيار أو التقيؤ. لكن (كيلورن) يُبقيني ثابتة، ويُمسك بي لأرى ما الذي أتينا تلك المسافة من أجلِه.

يسيطر على الحظيرة طائرتان نفّاثتان، أجنحتهما مفرودة واسعة وداكنة. واحدة أصغر من الأخرى، صُنعت من أجل راكبٍ واحد، بجسمٍ فضِّي وأجنحة ذات أطراف برتقالية. (سناب دراجون)، أتذكّر وأُفكر في (تايرسي) والطائرات السريعة المُميتة التي أمطرت نارًا فوقنا. الكبيرة الحالكة السواد، رهيبة بجسم أكبر ولا ألوان مميزة للحديث عنها. لم أرَ أي شيءٍ مثلها من

قبل، وأتساءل قليلًا إذا كان (كال) قد رأى مثلها. على أية حال، سيكون هو من يقودها، إلَّا إذا كانت (فارلي) لدَيها مهارة أخرى داخل جعبة خُدَعها. وبالحُكم على طريقة نظرها للطائرة بعيونٍ متسعة، فأشكُّ في ذلك.

«ماذا تفعلون هنا؟»

يُدوِّي الصوت بشكل غريب في الحظيرة، يرتدُّ على الجدران. الرجل الذي يظهر أسفل جناح (السناب دراجون) لا يبدو كجندي، يرتدي زيًّا كاملًا رماديًّا بَدلًا من زيِّ (اللايكلاندريين). يداه سوداء من الشحوم، ممَّا يُميِّزه كميكانيكي. ينظر بيننا، يستوعِب الكدمات على وجنتَي (كيلورن) وعكاز (شايد).

«سأُضطر لإبلاغ رؤسائكم عنكم.»

«أبلِغ كما شئت.» تصيح (فارلي) وتبدو كليًّا القائد الذي كانت إيَّاه. بالإضافة إلى ندبتها والجرح المشدود بفكِّها، أتعجَّب أن الميكانيكي لم يفقد الوعي في نفس اللحظة. «لدَينا أوامر حازمة من الكولونيل.» تُشير بسرعة لـ(كال) ليتَّجه للطائرة السوداء. « أفتح باب الحظيرة الآن.»

يتلعثم الميكانيكي بينما يقودُنا (كال) لمؤخرة الطائرة. بينما نعبُر تحت الجناح، يمدُّ يدَه لأعلى ويُمررها على المعدن البارد. «(بلاك رن).» يفسر سريعًا. «كبيرة وسريعة.»

«ومسروقة.» أُضيف.

يومئ في رزانةٍ ويصل لنفس الاستنتاج الذي أصل إليه. «من قاعدة (ديلفي) الجوية.»

مهمات تدريبية، هذا ما قالته الملِكة (إيلارا) منذ وقتٍ طويل. تجاهلت شائعة الطائرات المسروقة ولوَّحت بشوكة السلطة، مُهينة الكولونيل (ماكنثوس) الراحلة أمام مجموعة من السيدات النبيلات. ظننتُها تكذب وقتَها، تتستَّر على أفعالٍ أخرى للحرس، لكن بدا ذلك مستحيلًا أيضًا، من يقدر على سرقة طائرة نفاثة؟ فما بالك باثنتَين؟ يبدو أن الحرس القرمزي يقدِر وفعلَ ذلك. تُفتَح مؤخرة (البلاك رن) أسفل الذَّيل كفَمٍ يتثاءب، وتصير ممرًّا منحدرًا لتحميل وتفريغ البضائع. بالاسم، نحن. يذهب

(شايد) أولًا، وجهُه مُبتل وشاحِب من الإجهاد. تركت القفزات المُتعددة أثرها. يتبعه (كيلورن)، ويسحبني معه، و(كال) خلفنا. يُمكنني أن أسمع صدى صوتِ (فارلي) عندما نصعد ونتحرك خلال شبه ظلام.

تصطفُّ المقاعد مقابل الجدران المائلة، وبها أحزمة أمانٍ قوية مُتدلِّية من كل مقعد. كافية لنقل دزينتَين من الرجال على الأقلّ. أتساءل أين طارت هذه الطائرة آخِر مرة، ومَن حملَت. هل عاشوا أم ماتوا؟ وهل سنُشاركهم قدرَهم؟

«(ماير)، أحتاج مساعدتكِ هنا.» يقول (كال)، ويمرُّ بجانبي لمقدمة الطائرة. يجلس بقوةٍ على مقعد الطيار، ويواجِهُ لوحة المفاتيح، والمقابض والمعدَّات غير المفهومة.

كل الأقراص والمقاييس تُشير للصفر، ولا يَصدُر من الطائرة أي صوتٍ عدا صوت نبضات قلوبنا. عبر الزجاج السميك لقمرة القيادة أستطيع أن أرى باب الحظيرة ما زال مُغلقًا و(فارلي) ما زالت تتجادل مع الميكانيكي.

أتنهّد، وأجلس على المقعد بجانبه وأبدأ في ربط الحزام حولي. «ماذا يُمكنني أن أفعل؟» تنقر الأبازيم وتُطقطق بينما أشدُّ على كلٍّ منهم في دوره. إذا كنا سنحلق، لا أريد أن أقفز في أنحاء الطائرة.

«هذا الشيء به بطاريات، لكنها تحتاج لدفعة، ولا أظنُّ أن هذا الميكانيكي سيُعطيها لنا.» يقول ولمعةٌ في عينَيه. «قُومي بما في وسعك.»

«حسنًا.» يتدفَّق العزم داخلي، قويًّا مثل شراري. هذا مثل إشعال مصباح أو كاميرا. أقول لنفسي. هذه فقط أكبر وأكثر تعقيدًا ... وأكثر أهمية. لفترةٍ قصيرة أتساءل إذا كان من الممكن فِعل ذلك، إذا كنتُ كافية لأبدأ تشغيل (البلاك رن) الضخمة. لكن ذِكرى البرق، بنفسجي وأبيض وقوي، يندفع من السماء ليضرِب وعاء العظام، تُخبرني أنني قادرة. إذا كان يُمكنني أن أبدأ عاصفة، فيمكنني بالتأكيد إحياء هذه الطائرة. أمدُّ ذراعي وأضع يديَّ على اللوحة. لا أعلَم بماذا يفترَض أن أشعر، فقط إني لا أشعر بشيء. تتراقص أصابعي على المعدن باحثةً عن أي شيء أتمسَّك به، أي شيء يُمكنني استخدامه. تصعد شراراتي لسطح جلدي، مُستعدةً للاستدعاء. «(كال).»

أهمس عبر أسنانٍ مُطبقة، في تردُّد أن أدع صرخةً تهرب منّي.

يفهمني ويعمل سريعًا، يصِل تحت لوحة التحكُّم لشيء بالأسفل. يتمزّق المعدن في صريرٍ مؤلِم، ذائبًا عند الأطراف بينما يُزيل غطاء اللوح. يكشف عن فوضى من الأسلاك، في حُزَم متشابكة، تذكِّرني بالعروق أسفل الجلد. أحتاج فقط أن أُجبرها على الضخ. بدون تفكير أضع يدي داخل الأسلاك، وأدع الشرارات تنبض خارجًا. يبحثون وحدَهم عن مكانٍ ليذهبوا إليه.

عندما تلمس أصابعي سلكًا سميكًا بالأخص، دائريًّا وأملسَ يُلائم يدي تمامًا، لا يمكنني أن أمنع ابتسامة. أغلق عيوني، لأسمح لنفسي بالتركيز. أضغط بشكلٍ أقوى، وأدع قوّتي تتدفق خلال السلك. تنتقل عبر الطائرة، وتنقسِم وتتفرع في طرقٍ مختلفة، لكني أظلُّ أُجبر شراراتي على التقدّم. عندما يصطدمون بالمحرك والبطاريات الضخمة، تضيق قبضتاي وتُغرِّز أظافري في كفيّ. هيا. يُمكنني أن أشعر بنفسي أنصبُّ داخل البطاريات، وأغمرُها حتى ألمس مخزن الطاقة الخاص بهم. يسقط رأسي، وأميل ناحية اللّوح، وأجعل المعدن البارد يُهدئ بشرتي الساخنة. مع دفعة واحدة أخيرة، يتحطّم السد داخل الطائرة، وينفجر خلال الجدران والأسلاك. لا أرى (البلاك رن) تعود للحياة، ولكني أستطيع الشعور بها حولي.

«عمل جيد.» يقول (كال) ويوفر ثانيةً ليضغط على كتفي. لكن لا تطول لمستُه، طبقًا لاتفاقيتنا. لا للإلهاء، على الأقل حتى الآن. أفتح عيوني لأرى يدَيه ترقص عبر لوحة التحكُّم، تقلِب مفاتيح وتعدل مقابض كما يبدو عشوائيًّا.

عندما أميل للخلف، تُمسِك يدٌ أخرى بكتفي. يترك (كيلورن) يدَه ترتخي لكن لمستَه لطيفة بشكلٍ غريب. هو لا ينظر تجاهي حتى، بل للطائرة، ملامحه بين الذهول والخوف. فمُه مفتوح لآخره وعيونه مُتسعة، يبدو تقريبًا طفوليًّا. أنا نفسي أشعر بالصِّغر، جالسة في بطن الطائرة النفّاثة، على وشك أنا أقوم بما لم أحلُم به أبدًا. فتى السَّمَك وفتاة البرق على وشك أن يُحلِّقا.

«هل تتوقَّع منِّي أن أصدم هذا الشيء بالجدار؟» يهمس (كال) وقد

رحلت ابتسامتُه منذ فترة. ينظر خلف كتفِه، عيونه باحثة، ليس عنّي، بل عن أخي. «(شايد)؟»

أخي يبدو عرضةً للإغماء، ويهزُّ رأسه. «لا يُمكنني أن أقفز بشيءٍ بهذا الكبر وهذا التعقيد. حتى في يوم جيد.» يؤلِمه قول مثل هذا الشيء، رغم أنه ليس لدَيه أي سببٍ للخجل. لكن (شايد) من عائلة (بارو)، ولا نُحب الاعتراف بضعفنا. «يُمكنني أن أجلب (فارلي)، مع ذلك.» يكمل ويداه تتّجِه لحزامه.

يعرفه (كيلورن) بقدر معرفتي به، ويدفعه عائدًا لكرسيه. «أنت بلا نفع ميتًا يا (بارو).» يقول ويُجبر ابتسامة مائلة على وجهه. «سأفتح الباب.»

«لا تزعج نفسك.» أقول وعيوني مُثبتة خارج القمرة. أدفع بقوتي للخارج، وبصوت صرير عالٍ، بدأ باب الحظيرة في الارتفاع، يرتفع فوق الأرض في حركة ملساء ثابتة.

يبدو الميكانيكي حائرًا وهو يشاهد الآلة المتحكِّمة بالباب تعمل بينما تندفع (فارلي) راكضة بعيدًا عن النظر، في سباق مع الباب المرتفع. تتبعها أشعة الشمس، وتقطعها ظلال طويلة في سطور. يقف ظلُّ دزينةٍ من الجنود، ويسدُّون الفتحة. ليس فقط (لايكلاندريين)، بل حرس (فارلي) نفسها، تميزهم الأوشحة والمناديل الحمراء. كل منهم لديه سلاح موجَّه ناحية (البلاك رن)، لكنهم يترددون، لا يرغبون بإطلاق النيران. لراحتي لا أرى (بري) أو (ترامي) بينهم.

يخطو واحد من (اللايكلاندريين) للأمام، كابتن أو لواء بحُكم الخطوط البيضاء على زيِّه. يصيح بشيء، ويدُه ممتدَّة، ترسم شفاهه كلمة توقَّف. لكننا لا نستطيع سماعَه مع هدير المحركات المتزايد.

«أنطلق.» تصرخ (فارلي) وتظهر في مؤخرة الطائرة. تندفع لأقرب كرسي، وتربط الحزام بيدَين مُرتجفتَين.

لا يحتاج (كال) أن تُعاد له الكلمة مرتَين. تعمل يداه بضِعف السرعة، تدير وتضغط وكأنها فطرة ثانية. لكني أسمعُه يهمس في نفَس منخفضٍ مثل الدعاء، يُذكِّر نفسه بما يفعله. تميل الطائرة للأمام وتدور عجلاتها

بينما يرتفع الممرُّ في الخلف لمكانه، ويُغلَق داخل المركبة بصوتِ إفراغ هواء مُرضٍ. لا تراجُع الآن.

«حسنًا، فلنُحرك هذا الشيء.» يقول (كال) ويستقر في مقعد الطيار بلفَّةٍ تقريبًا حماسية. بدون تحذير، يُمسك بمقبضٍ في اللوحة ويدفعه للأمام وتُطيعه الطائرة.

تتدحرج للأمام في مسارٍ تصادُمي مع صفِّ الجنود. أجزُّ على أسناني متوقعةً مشهدًا وحشيًا، لكنهم يركضون بالفعل، يهربون من (البلاك رن) وطيّارها الانتقامي. نخرج من الحظيرة ونكسب سرعةً متزايدة بمرور كل ثانية، لنجد مهبط الطائرات في فوضى. تُسرع مركبات النقل مرورًا بالثكنات وتتقدَّم نحونا، بينما يطلق النيران كتيبةٌ من الجنود بجرأة من فوق سطح الحظيرة. تصطدم الطلقات بمعدن هيكل الطائرة لكنها لا تخترقه. صنعت (البلاك رن) من موادَّ أقوى وتستمر في التقدُّم، تنعطِف لليمين بقوة وتهزُّنا في مقاعدنا.

يحصل (كيلورن) على الوطأة الأكبر، فلم يكن قد ربط حزامَه بطريقةٍ صحيحة. تصطدم رأسه بالجدار المنحني ويلعن، بينما يُمسك وجنتَيه المكدومتَين.

«هل أنت متأكد أنك تقدر على التحليق بهذا الشيء؟» يُزمجر ويوجِّه غضبَه تجاه (كال).

بابتسامةٍ ساخرة، يتقدم (كال) أكثر ويُجبر الطائرة للوصول لسرعتها القصوى. خارج النافذة، أرى مركبات النقل تبتعِد، غير قادرة على مُلاحقتنا. لكن المهبط أمامنا، الطريق الرمادي البسيط، يقترب على نهايته. لم تبدُ التلال الخضراء الملساء والأشجار غير مُكتملة النموِّ بهذا التهديد من قبل.

«(كال).» أهمس، وأتمنَّى أن يسمعني فوق صراخ المُحركات. «(كال).»

خلفي يعبث (كيلورن) بحزامه، لكن أصابعه ترتجِف بشدة لتكون نافعة. «(بارو) هل يُمكنك القيام بقفزة أخيرة؟» يصيح وينظر تجاه أخي.

لا يبدو أن (شايد) يسمعه. تُحدق عيناه للأمام، ووجهه شاحب من الخوف. تقترب التلال وتصير على بُعد ثوانٍ. أتخيل الطائرة وهي تطير

فوقهم بثبات للحظة، قبل أن تنقلب طرفًا فوق الآخر وتنفجر في حطام مُشتعل. على الأقل سينجو (كال) من هذا.

لكن (كال) لن يدَعَنا نموت. ليس اليوم. يميل بقوة فوق مِقبضٍ آخر، تبرز العروق في يدَيه بشدة. ثم تسقط التلال مثل قماشة مسحوبة من فوق طاولة. لم أعد أرى الجزيرة، بل سماء الخريف الزرقاء العميقة. تختفي أنفاسي مع اليابسة، سرقها إحساس الارتفاع في الهواء. يدفعني الضغط للخلف في مقعدي ويقوم بشيءٍ يكاد يكون مؤلِمًا لأذني، وكأنها تفرقع، خلفي، يكتم (كيلورن) صرخة. ويلعن (شايد) هامسًا. لا تبدي (فارلي) أي ردة فعل. تجمَّدت في مكانها، عيناها مفتوحة على اتساعهما.

تعرضت لأشياء عديدة غريبة في الأشهُر القليلة الماضية، لكن لا شيء منها يُقارَن بالطيران. هذا تبايُن صارخ، الشعور بقوة الدفع الهائلة للطائرة بينما ترتفِع، وكل نقرةٍ من المُحركات تدفعنا للسماء، بينما جسدي عاجز بشدة، سلبيٌّ بشدة، مُعتمد بشدة على المركبة حولي. هذ أسوأ من درّاجة (كال) المُسرعة، لكن أيضًا أفضل. أعضُّ على شفتي، لأضمن ألا أُغلق عيوني.

نرتفع ونرتفع، ولا نسمع أي شيءٍ عدا هدير المُحركات وضربات قلوبنا. مرّت بنا خيوط من السحاب، تنقسم فوق قمرة القيادة وكأنها ستائر بيضاء. لا يُمكنني منع نفسي من المَيل للأمام، أكاد أن أضغط أنفي فوق الزجاج لأحظى بنظرةٍ جيدة للخارج. تمرُّ الجزيرة بسرعة بالأسفل، أخضر باهت مُقابل البحر الأزرق-المعدني، تَصير أصغر بمرور الثواني، حتى لم أعد قادرة على تمييز المهبط أو الثكنات.

عندما تستقر الطائرة، وتصِل للارتفاع الذي يُقرره (كال)، يلتفِت على مقعده. وهناك نظرة متعجرفة على وجهه تجعل (مافين) فخورًا.

«إذن؟» يقول ويحدق بـ(كيلورن). «هل يُمكنني التحليق بهذا الشيء؟»

«نعم.» التي قالها بزمجرة هي كل ما حصل عليها، لكن هذا كافٍ بالنسبة لـ(كال).

يعود للوحة التحكم وتستند يداه على آلية تحكم بشكل (U) في المنتصف أمامه. تستجيب الطائرة للمستِه وتميل في لُطف عندما يدير

شكل (U). عندما يرضى، يضغط على عدد قليل من المفاتيح على لوحة التحكم ويستند للخلف، يبدو أنه يدع الطائرة تقود نفسها. وحتى يفك حزام الأمان الخاص به، ويخرج منه ليستريح أكثر على مقعده.

«إذن إلى أين نتجه؟» يسأل الهواء الساكن أمامه. «أم نحن نرتجل[2] فقط حاليًا؟»

أجفل بسبب التلاعُب اللفظي.

يتردَّد صدى ضربة مُدوية عبر الطائرة بينما يضرب (كيلورن) ركبته بكومةٍ من الأوراق. خرائط. «هذه تنتمي للكولونيل.» يفسر (كيلورن)، وتخترق عيناه عينيّ. يحاول أن يجعلني أفهم. «هناك قطعة أرض جوار خليج (هاربور).»

لكن (كال) يهز رأسه وكأنه مُعلِّم منزعج من تلميذِه الأحمق بشكلٍ متزايد. «تقصد قاعدة (باتريوت)؟» يسخر. «تُريد منِّي أن أهبط وسط قاعدة جوية تابعة لـ(نورتا)؟»

(فارلي) هي أول من ينهض من مقعدِه، تكاد تمزِّق حزامها لنصفَين. تفحص الخرائط في حركاتٍ حادة مُتعمدة. «نعم، نحن حمقى للغاية يا سمو الأمير.» تقول في برود. ثم تفرد إحدى الخرائط، قبل أن تدفعها أمام أنفه. «ليس القاعدة. حقل تسعة-خمسة.»

يجزُّ على أسنانه ليمنع ردًّا مندفعًا، يأخذ (كال) الخريطة في حذَر ويفحص مُربع الخطوط والألوان. بعد دقيقة، يضحك فورًا.

«ما هذا؟» أسأله وأسحب الخريطة من يدَيه. عكس الخريطة الضخمة العتيقة التي بفَضْل (جوليان) القديم، هذه الخريطة تعرِض أسماءً وأماكن مألوفة. تُهيمن مدينة خليج (هاربور) على الجنوب، وحدودها ساحل المحيط، وقاعدة (باتريوت) تحتل شِبه جزيرةٍ بارزة داخل المياه. بُني خطٌّ سميك حول المدينة، مُنتظم بشدَّة فلا يمكن أن يكون طبيعيًّا، فيمكن فقط أن يكون امتدادًا آخر من الأشجار الحاجبة. مثلما في (أركيون)، تحمي الغابات الغريبة التي صنعها (الجرين واردين) خليج (هاربور) من

٢- Wing it : تعنى الارتجال أو فِعل الشيء دون تخطيط، ويُلمح أيضًا لأجنحة الطائرة.

التلوث. في هذه الحالة، ربما من قرية (نيو تاون)، المنطقة المُسمّاة بذلك تحتضِن الأشجار الحاجبة مثل الحزام، وتكوِّن جدارًا حول حدود مدينة خليج (هاربور).

قرية فقيرة أخرى. أُدرك ذلك. مثل القرية الرمادية (جراي تاون)، حيث يعيش ويموت الحُمر تحت سماء مليئة بالدخان. مُجبرون على بناء مركبات النقل، والمصابيح والطائرات النفاثة، كلّ شيء وأيّ شيء يُريده الفضيون وهم نفسهم لا يفهمونه.

التقنيون غير مسموح لهم بالخروج من مُدنهم المزعومة، حتى للتجنيد في الجيش. فمهاراتهم قيِّمة للغاية فلا يمكن فقدانها في الحرب، أو بسبب إرادتهم الحرة. تؤلِمني ذكرى (جراي تاون)، لكن إدراك أنها ليست الشيء البغيض الوحيد من نوعِه تَجرَحُني بعُمق أكبر. كم من الناس يعيشون داخل حصار تلك القرية الفقيرة؟ أو هذه؟ كم منهم مثلي، في هذا الأمر؟

أتذوق مرار حِمض مَعِدتي بينما يصعد لحلقي، لكن أبتلِعه بصعوبة، وأُجبر نفسي أن أنظر بعيدًا. أبحث في الأراضي المجاورة، معظمها قرى طواحين، ومن حينٍ لآخر مدينة صغيرة، والغابات السميكة المنتشرة بها الأنقاض المُتهالكة.

لكن حقل تسعة-خمسة لا يبدو أنه موجود على الخريطة. هو سِرِّي على الأرجح، مثل أي شيءٍ مُتعلق بالحرس القرمزي.

يلاحظ (كال) حيرتي ويسمح لنفسه بضحكةٍ أخيرة. «يُريدني صديقك أن أهبط بـ(البلاك رن) فوق أنقاضٍ لَعينة.» يقولُ أخيرًا وينقُر على الخريطة برفق.

يهبط أصبعه فوق خطٍّ من النُّقط، رمز واحد من الطرق الضخمة القديمة منذ زمنٍ طويل. رأيت واحدًا من قبل، عندما فقدنا أنا و(شايد) طريقَنا في الغاباتِ بقُرب (الستيلتز).

تصدَّع بسبب جليدِ ألْفِ شتاءٍ وصار أبيض شاحبًا من التعرُّض للشمس لقرون، يبدو أكثر شبهًا بصخور منجرفة من طريق قديم. نَمَت بعض الأشجار مباشرة خلاله، وشقَّت طريقها عبر الأسفلت. فكرة هبوط الطائرة

النفَّاثة على أحدِها تُثير معدتي.

«هذا مستحيل.» أتلعثم، وأتخيَّل كل الطرق التي يمكن أن نتحطَّم بها ونموت ونحن نحاول الهبوط على الطريق القديم.

أومأ (كال) في موافقة، وسريعًا أخذ الخريطة من يدي. يقوم بفردها على اتِّساعها، وترقص أصابعه على طول المدن والأنهار المُختلفة وهي تبحث. «مع (ماير)، لا نحتاج أن نهبط هنا. يُمكننا أن نأخذ وقتنا، ونُزوِّد البطاريات بالوقود وقتما احتجنا، ونطير بقدْر ما نريد، وللمسافة التي نريدها.» ثم أكمل، مع هزٍّ كتفيه. «أو حتى تتوقف البطاريات عن حَمل الشحنة.»

تضربني صاعقةٌ أخرى من الفزع. «وكم من الوقت قد يتطلَّب ذلك؟»

يجيب بابتسامةٍ ملتوية. «بدأ استخدام طائرات (البلاك رن) منذ عامَين. وفي أسوأ الحالات فهذه الطائرة لدَيها عامان آخران في خلاياها.»

«لا تُخيفني هكذا.» أُزمجر.

عامان، أفكر. يُمكننا الدوران حول العالم في ذلك الوقت. رؤية (بيراري) و(تيراكسيس) و(سايرون)، أراضٍ مجرد أسماء على خريطة. يُمكننا رؤيتها جميعًا.

لكن هذا حُلم. لديَّ مهمة خاصة بي، حماية ذوي الدماء-الجديدة وتصفية حسابٍ ملَكي.

«إذن من أين نبدأ؟» تسأل (فارلي).

«نترك للقائمة القرار. لدَيكِ القائمة أليس كذلك؟» أبذل كل ما في وسعي حتى لا أبدو خائفة. إذا تمَّ ترك كتاب أسماء (جوليان) في (تاك)، فستنتهي هذه الرحلة الصغيرة قبل حتى أن تبدأ. لأني لن أتحرَّك مسافةَ بوصةٍ واحدة بدونها.

يُجيب (كيلورن) بدلًا منها، ويُخرج دفترًا مألوفًا من قميصه. يقذفه تجاهي، وأُمسِك به بخفَّة يد. مَلمَسُه دافئ بين يدي، ما زال مُحتفظًا بحرارته. «سرقتُه من الكولونيل.» يقول، ويحاول أن يبدو عفويًّا. لكن كبرياءه تنزِف، مهما كان صغيرًا.

«حجرته؟» أتساءل، وأتذكَّر المخبأ المُتقشِّف أسفل المحيط.

لكن (كيلورن) يهز رأسه نفيًا. «هو أذكى من ذلك. احتفظ به في مُستودع الأسلحة والمفتاح مُعلَّق في قلادته.»

«وأنت ...؟»

بابتسامة راضية، يزيح ياقته ويكشف سلسلةً ذهبية في رقبته. «قد لا أكون لصًّا بارعًا مثلك، ولكن ...»

تُومئ (فارلي). «كنا نُخطط لسرقتها في نهاية الأمر، ولكن عندما سجنوكِ، اضطُررنا للارتجال وبسرعة».

«أوه.» إذن هذا الثمن الذي دفعته بساعاتي القليلة في الزنزانة. يمكنك الوثوق بي. قال لي (كيلورن) قبل أن يخدعني لدخول الزنزانة. الآن أُدرك أنه فعل ذلك من أجل القائمة، من أجل الدماء-الجديدة ومن أجلي. «عمل جيد.» أهمس.

يتظاهر (كيلورن) بعدَم المُبالاة، ولكن ابتسامته تكشف كم هو مسرور في الحقيقة.

«حسنًا، سآخُذ هذه الآن إذا كنتَ لا تمانع.» تقول (فارلي) وصوتها ألطف مما سمعتُه من قبل. لا تنتظر ردَّ (كيلورن) وتمدُّ يدَها وتُمسك بالسلسلة في حركةٍ سريعة هادئة. يلمع الذهب في يدِها، ولكنه يختفي بسرعة، مُخبَّأ في جيبها. يرتعش فمُها قليلًا، الدليل الوحيد على مدى تأثُّرها بقلادة والدها. لا، ليست ملكه. ليس فعلًا. الصورة في حجرة الكولونيل دليلٌ على ذلك. والدتُها أو أُختها ارتدت هذه السلسلة، ولأي سببٍ كان، لم تعُد ترتديها الآن.

عندما ترفع رأسها مُجددًا، تختفي الرعشة، وسلوكها الفظ يعود. «إذن، يا فتاة البرق، مَن الأقرب لحقل تسعة-خمسة؟» تسأل وتضغط ذقنها مقابل الكتاب.

»لن نهبط في تسعة-خمسة.» يقول (كال) في حزمٍ لكن بطريقةٍ آمِرة. وفي هذا الأمر، يجب أن أتَّفق معه.

هادئ حتى الآن، يئنُّ (شايد) في مقعده. لم يعُد شاحبًا، لكنه أخضر قليلًا. يكاد أن يكون الأمر مُضحكًا، يمكنه تحمُّل الانتقال الآني جيدًا، ولكن لا

يبدو أن الطيران مناسب له. «تسعة-خمسة ليس منطقة أنقاض.» يقول ويُحاول بذل قصارى جهده ألا يتقيأ. «هل نسيتِ (نايرسي) بالفعل؟»

يتنهد (كال) ببطء، ويُدلك ذقنه بيده. هناك بدايةُ لِحية، ظلٌّ قاتم عبر فكِّه ووجنتَيه. «أعدتُم رصفها.»

تومئ (فارلي) ببطءٍ وتبتِسم.

«ولم تستطيعي قول ذلك مباشرة؟» ألعنُها، وأزيل ابتسامة الاعتداد بالنفس من على وجهها. «تعرفين أنه لا يُوجَد نقاط إضافية لكونك درامية يا (ديانا). كل لحظةٍ تضيعينها في الشعور بالتعجرُف، قد تعني موتَ أحدِ أصحاب الدماء-الجديدة.»

»وكل لحظة تضيعينها أنتِ في استجوابي و(كيلورن) و(شايد) عن كلِّ شيء حتى الهواء الذي تتنفَّسِين، يفعل نفسَ الشيء. يا فتاة البرق.»

تقول وتُقرِّب المسافة بيننا. تقف أعلى منِّي، لكني لا أشعر بالصِّغر. مع الثقة الباردة التي صنعتها السيدة (بلونوس) والبلاط الفضِّي، أنظر في عينَيها بدون حتى قدْرٍ ضئيل من الارتجاف. «أعطيني سببًا لأثق بكِ وسأفعل.»

كذبة.

بعد لحظة، تهز رأسها وتتراجَع، وتُعطيني مساحة كافية لأتنفَّس.

«كان حقل تسعة-خمسة أنقاضًا.» قالت مفسرة، «وأي شخصٍ فضولي بالقدْرِ الكافي ليزوره، فسيبدو فقط كطريقٍ مهجور مُمتد. ميل واحد من الأسفلت الذي لم يتحطّم بعد.»

تبدأ في الإشارة لطُرق مهجورة أخرى على الخريطة. «هذا ليس الوحيد.«

شبكة متنوعة تتفرع على الخريطة، مُخبأة دومًا خلف أنقاضٍ قديمة، لكنها قريبة للقرى الصغرى والمدن، حماية، كما تدعوهم لأنَّ الأمن ضئيل، والحُمر في الريف يميلون أكثر أن ينظروا في الاتجاه الآخر. ربما أقل من ذلك الآن، مع تطبيق التدابير الأمنية، لكن بالتأكيد قبل أن يُقرر الملك أن يأخذ المزيد من أطفالهم.

«(البلاك رن) و(السناب دراجون) هما أول طائرتان نسرقُهما، لكن سيأتي

المزيد.» تضيف في فخر هادئ.

«لن أكون متأكدًا من ذلك.» يجيب (كال). أسلوبه ليس عدائيًّا، هو فقط واقعي. «بعد أخذهما من (ديلفي)، سيكون من الصعب أكثر الدخول إلى قاعدة، وبالأولى إلى عن قمرة قيادة.»

مجددًا، تبتسِم (فارلي)، مُقتنعة بالكامل بأسرارها التي حصلت عليها بصعوبة. «في (نورتا)، نعم. لكن مطارات (بيدمونت) تُعاني من نقص في الحراسة بشكل بائس.»

«(بيدمونت)؟» نشهق أنا و(كال) في نفس الوقت في دهشة. الأمة الحليفة في الجنوب بعيدة للغاية، أبعَدُ حتى من أراضي (اللايكلاند). يجب أن تكون بعيدة عن مجال الحرس القرمزي. من السهل تصديق التهريب من تلك المنطقة، لقد رأيتُ الصناديق بعيني، لكن تسلُّلٌ صريح؟ يبدو ... مُستحيلًا.

لا يبدو أن (فارلي) تظنُّ ذلك. «أمراء (بيدمونت) مُقتنعون تمامًا أن الحرس القرمزي مشكلة (نورتا) فقط. لحُسن حظنا، هم مُخطئون. هذا الثعبان لدَيه رءوس عديدة.»

أعضُّ على شفتِي لمنع شهقة، والحفاظ على ما تبقَّى من قناعي. (اللايكلاند)، (نورتا)، والآن (بيدمونت)؟ أنا ممزقة بين العجب والخوف من منظمة كبيرة بما يكفي وصبورة بما يكفي للتسلُّل، ليس لدولةٍ واحدة، ولكن ثلاث دولٍ ملكية يَحكمها ملوك وأمراء فِضيُّون.

هذه ليست المجموعة البسيطة من المؤمنين الحقيقيين الذين تخيّلتهم. هذه آلة، كبيرة ومُعتنًى بها جيدًا، تتحرك لفترةٍ أطول مما كان يعتقِده أي شخصٍ مُمكنًا. ما الذي وقعت فيه؟

لمنع أفكاري من الظهور في عينَي، أُقلِّب في كتاب الأسماء. تُهدئني دراسة (جوليان) للقطع الأثرية، ينتشر خلالها اسم وموقع كلِّ دماءٍ جديدة في (نورتا). إذا تمكَّنت من تجنيدهم وتدريبهم وأن أُظهِر للكولونيل أننا لسنا فضيُّون، ولا يجِب أن يخافونا، فقد تكون لدَينا فرصة لتغيير العالَم. ولن تُتاح لـ(مافين) الفرصة لقتل أي شخصٍ آخَر باسمي. لن أحمِل ثقل المزيد

من شواهد القبور.

يميل (كال) إلى جانبي، لكنَّ عينيه ليستا على الصفحات. بدلًا من ذلك، يُراقب يديَّ وأصابعي وهي تمرُّ على القائمة. ركبتُه تُمشِّط ركبتي، ساخنة حتى من خلال سرواله الخشن. وعلى الرغم من أنه لا يقول شيئًا، إلا أنني أفهم ما يَعنيه. مثلي، يعرف أن هناك دائمًا أكثر مما تراه العين، أكثر مما يُمكننا حتى البدء في فهمه.

كُوني على أُهبة الاستعداد، تقول لمستُه.

أجيبه بنكزة. أعرف.

«(كورانت).» أقول بصوتٍ عالٍ، وأُوقف إصبعي. «ما مدى قرب (كورانت) من أرض تسعة-خمسة؟»

(فارلي) لا تتكلّف عناء البحث عن القرية على الخريطة. لا تحتاج إلى ذلك. «قريب بما فيه الكفاية.»

«ماذا يُوجَد في (كورانت) يا (ماير)؟» يسأل (كيلورن) وهو ينحني على كتفي.

هو حريص على الحفاظ على مسافةٍ بينَه وبين (كال)، ويضعني بينهما مثل الجدار. تبدو الكلمات ثقيلة. يمكن لأفعالي أن تُحرِّر هذا الرجل. أو تقضي عليه. «اسمُه (نيكس مارستن).»



الفصل العاشر

كانت (البلاك رن) طائرة الكولونيل الخاصة، وكانت تُستخدَم للتنقُّل بين (نورتا) و(اللايكلاند) في أسرع وقت ممكن. هي أكثر من مجرد وسيلة نقل بالنسبة لنا. هي كنز نفيس، لا تزال مُحملة بالأسلحة والإمدادات الطبية وحتى الحِصص الغذائية من رحلتها الأخيرة. تقوم (فارلي) و(كيلورن) بتنظيم المخازن في أكوام، ويفصلان الأسلحة عن الضمَّادات، بينما يُغير (شايد) الضمَّادات على كتفِه. يمدُّ ساقه بشكل غريب، غير قادر على الانحناء في الدعامة، لكنه لا يُظهر أي علامات على الألم. على الرغم من حجمه الأصغر، إلا أنه كان دائمًا الأقوى في العائلة، في المرتبة الثانية بعد أبي الذي يتحمَّل ألَمَه في قتالٍ مُستمر.

أشعر فجأة بأنفاسي خشنة، تؤلِم جدران حلقي، وتطعن رئتيَّ. أبي، أمي، (جيسا)، الأولاد. في زوبعة هروبي، نسيتُ أمرهم تمامًا. مثلما حدث من قبل، عندما أصبحت (مارينا) لأول مرة، عندما أخذ الملك (تايبرياس) والملكة (إيلارا) ملابسي الرثة وأعطياني الحرير. استغرق الأمر منِّي ساعات لتذكُّر والديَّ في المنزل، في انتظار ابنة لن تعود. والآن تركتهم ينتظرون مرةً أخرى. قد يكونون في خطرٍ بسبب ما فعلتُه، خاضعِين لغضب الكولونيل. أضع رأسي في يدي، وألعَن. كيف نسيتُهم؟ لقد استعدتُهُم للتو. كيف يُمكنني تركهم هكذا؟

«(ماير)؟» يُتمتم (كال) بنفَسٍ منخفض، مُحاولًا عدم لفت الانتباه إليَّ. لا يحتاج الآخرون إلى رؤيتي أنطوي، وأعاقِب نفسي مع كل نفَسٍ صغير.

أنت أنانية، (ماير بارو). فتاة صغيرة أنانية وغبية.

يصير طنين المُحركات المُنخفض، الذي كان مصدر راحةٍ بطيئًا وثابتًا، ثقلًا قاسيًا. يضربني مثل الموج على شاطئ (تاك)، لا ينتهي ويُحاصر ويُسبِّب الغرق. وللحظةٍ، أريد أن أتركه يستحوذ عليَّ. عندها لن أشعر بشيء سوى البرق. لا ألَم، لا ذاكرة، فقط قوة. تُقلِّل يدٌ خلف رأسي بشكلٍ طفيف من وطأة الأمر، وتدفع الدفء إلى جلدي لمواجهة البرد. يرسُم الإبهام ببطءٍ

دوائر متساوية، ويجد نقطة ضغط لم أكن أعرف بوجودها. هذا يساعد قليلًا.

«عليكِ أن تهدئي.» يستمر (كال)، صوته أقرب بكثيرٍ هذه المرة. ألقيتُ نظرة بطرفِ عينِي وأراه يَميل جواري، تكاد شفتاه تلمِس أُذني. «الطائرات حسَّاسة قليلًا للعواصف البرقية.»

«صحيح.» من الصعب النُّطق بالكلمة. «حسنًا.»

لا تتحرَّك يدُه، وتبقى معي. «دخول من الأنف وخروج من الفم.» يُدربني، وصوته مُنخفض ومُريح وكأنه يتحدَّث لحيوانٍ خائف. أظنُّ أنه ليس خاطئًا كليًا.

أشعر كطفلة، لكني أستمِع لنصيحتِه على أيِّ حال. مع كل نفس، أدع فكرةً أخرى ترحَل، كل واحدة أقسى من سابقتها. نسيتُهم. دخول. قتلتِ أشخاصًا. خروج. تركتِ آخَرين يموتون. دخول. أنتِ بمفردك. خروج.

الأخيرة ليست حقيقية. (كال) دليلٌ على ذلك، و(كيلورن) أيضًا، و(شايد) و(فارلي). لكن لا يُمكنني إبعاد الشعور بأنه مع أنهم يقفون معي، لا يُوجَد أحد بجانبي. حتى مع وجود الجيش خلفي، ما زلت بمفردي.

ربما سيُغير ذوو الدماء-الجديدة هذا. وربما لا. في كلتا الحالتَين، يجب أن أكتشف بنفسي.

ببطء، أجلس مرةً أخرى، وتتبعني يد (كال). يبتعِد عني بعد فترةٍ طويلة، عندما يكون متأكدًا من أنني لستُ بحاجة إليه بعد الآن. أشعر ببرودة رقبتي فجأة دون دفئه، لكن لديَّ الكثير من الكبرياء فلا أُخبره بذلك. لذلك أدير نظري تجاه الخارج، وأُركِّز على الغيوم غير الواضحة المارة، والشمس الغاربة والمُحيط تحتها. أمواج أطرافها بيضاء تميل على سلسلةٍ من الجزُر، كل واحدة متَّصِلة بمساحاتٍ من الرمل أو مُستنقعات أو جسور متهالكة.

تنتشِر بعض قرى الصيد وأبراج الإضاءة في مجموعة الجزر، ويبدو أنها غير مُؤذية، لكن تشتدُّ قبضتي عند رؤيتهم. يُمكن أن تكون هناك أبراج مُراقبة فوق أحدِهم. يمكن أن ترانا.

تحتوي أكبر الجزُر على ميناء مليء بالقوارب، أسطول بحري، بناءً على

حجمها، والخطوط الفضيّة الزرقاء التي تزين هياكلها.

«أفترض أنك تعرف ما تفعله؟» سألتُ (كال)، عيناي لا تزالان على الجزر. مَن يدري كم عدد الفضِّيين هناك، يبحثون عنا؟ والميناء المزدحِم بالسفن، يمكن أن يُخفي أي عددٍ من الأشياء. أو الناس، مثل (مافين).

لكن (كال) لا يبدو مُهتمًّا بأيٍّ من ذلك. مرة أخرى، يحكُّ لحيته النامية، وتُصدِر أصابعه صوتَ حكةٍ مقابل الجلد الخشن. «تلك جزر (باهرن)، ولا شيء يدعو للقلق منها. من ناحية أخرى، حصن (باتريوت) ...» يقول، مشيرًا بشكلٍ مُبهَم إلى الشمال الغربي. يُمكنني فقط رؤية شاطئ البر الرئيسي، ضبابي في الضوء الذهبي. «سأبقى خارج نِطاق المُستشعِرات الخاصة بهم لأطول فترةٍ ممكنة.»

«وعندما لا تستطيع؟» يقف (كيلورن) فجأة فوقنا، مُتَّكِئًا على ظهر مِقعدي. تندفع عيناه ذهابًا وإيابًا، بالتناوب بين (كال) والجزر في الأسفل. «هل تعتقِد أنه يُمكنك التفوُّق عليهم؟»

وجه (كال) هادئ وواثق. «أعلمَ أنني أستطيع.»

اضطررتُ لإخفاء ابتسامتي وراء كمِّي، مع العلم أنها لن تؤدِّي لشيء غير إغضاب (كيلورن). على الرغم من أنني لم أُحلِّق مع (كال) قبل اليوم، إلا أنني رأيتُه وهو يقود الدرَّاجة. وإذا كان نصف بارعٍ في قيادة الطائرات النفاثة كما هو في قيادة آلة الموت ذات العجلتَين، فنحن بين يدَين قادرتَين للغاية.

«لكني لن أُضطر.» يكمل ويُرضيه صمت (كيلورن).

«كل طائرة لديها إشارة نداء، حتى تعرف القواعد، بالضبط، أيَّ طائرة ذاهبة لأي مكان. عندما نقترِب من المجال، سأرسل إشارة قديمة إليهم، وإذا كنا محظوظين، لن يفكر أحدٌ في التحقُّق مرة أخرى.»

«يبدو ذلك كمُجازفة.» يزمجر (كيلورن)، ويبحث عن أي شيءٍ ليُحدث ثقوبًا في خطة (كال)، لكن صَبي السَّمك يجد نفسَه مغلوبًا على نحوٍ يُرثى له.

«هذا ناجح.» تتدخَّل (فارلي) من مكانها على الأرض. «هذه هي الطريقة

التي يمرُّ بها الكولونيل، إذا كان لا يستطيع الطيران بين المُستشعِرات.»

«أعتقد أنه من المُفيد عدم توقُّع أحد أن المُتمردين يعرفون كيفية التحليق.» أُضيف، في محاولة للتخفيف قليلًا من حرج (كيلورن). «إنهم لا يبحثون عن طائراتٍ مسروقة في الهواء.»

لدهشتي، يتوتر (كال) بشدة. ينهض في حركةٍ سريعة صادمة ويترك كرسيه يدور. «استجابة الأدوات بطيئة.» يُتمتم في تفسيرٍ مُتسرع. كذبة، سيئة، طبقًا للعبوس المُظلم على وجهه.

«(كال)؟» أُناديه، ولكنه لا يلتفِت. لا يعترف بي حتى، ويندفع تجاه الجزء الخلفي من الطائرة. يُراقبه الآخرون بعيونٍ ضيقة، لا يزالون حريصين منه بشكلٍ مؤلِم.

لا يسعني سوى التحديق، في حيرة. ماذا الآن؟

أتركه لأفكاره وأذهب لـ(شايد)، لا يزال مُستلقيًا على الأرض. تبدو ساقُه أفضل من المتوقَّع، تسندها دعامة جيدة الصنع، لكنه لا يزال بحاجةٍ إلى العكَّاز المعدني المُنحني بجانبه. بعد كل شيء، تلقَّى رصاصتَين في (نايرسي) وليس لدَينا مُعالجو جِلدٍ ليشفوه بلمسةٍ بسيطة.

«هل أُحضر لك أيَّ شيء؟» أسأل.

«لن أقول لا لِبعض الماء.» يقول على مَضض. «وعشاء.»

يُسعِدني أن أتمكَّن على الأقلّ من فعل شيءٍ من أجله، أجلب حافظة مياهٍ وعلبتَين مختومتَين من المؤَن من مخزون (فارلي). أتوقَّع منها أن تُثير ضجةً حول تقنين الطعام، لكنها بالكاد تنظر إليَّ. تجلس فوق مقعدي في قمرة القيادة، وتحدِّق من النافذة، مفتونة بالعالَم الذي يمرُّ تحتها. يتسكَّع (كيلورن) بجانبها، لكنه لا يلمس كرسي (كال) الفارغ نهائيًّا. لا يُريد أن يوبِّخه الأمير، ويحرص على إبقاء يدَيه بعيدًا عن لوحة التحكُّم. يُذكرني بطفلٍ محاط بالزجاج المُحطم، يريد أن يلمسه لكنه يعرف أنه لا ينبغي أن يفعل ذلك.

كدتُ آخُذ علبة ثالثة، فـ(كال) لم يأكل منذ أن حبسه الكولونيل، لكن

نظرةً واحدة تجاه مؤخرة الطائرة تُوقف يديَّ. يقف (كال) بمُفرده، ويعبث بلوحةٍ مفتوحة، ويُقدم عرضًا في إصلاح شيءٍ غير مُحطم. سريعًا ما أرتدي أحد الأزياء الرسمية المُخزنة على متن الطائرة: بدلة طيران سوداء وفضية. ملابس الحلبة وحُكم الإعدام مُكوَّمة عند قدميَه. يبدو أشبه بنفسه، أمير من النيران، وُلِد مُحاربًا. لولا الجدران المُميزة لـ(لبلاك رن)، كنتُ سأفكر أننا عدنا مرةً أخرى للقصر، ونرقص حول بعضنا مثل العثّ حول شمعة. هناك شارة منقوشة فوق قلبه، شعار أسود وأحمر يُحيط به زوج من الأجنحة الفضية. حتى من هذه المسافة، أتعرَّف على النقاط المُظلمة المُلتوية في صورة اللهب. التاج المُشتعل. كان ذلك حقَّ والده وجدّه وحقّه الطبيعي. بدلًا من ذلك، تم سلْب التاج بأسوأ طريقة، ودفع ثمنه بدمِ والدِه وروح أخيه. وبقدْر ما كرهتُ الملك والعرش وكلَّ ما يُمثله، لا يسعني إلا أن أشعُر بالأسف على (كال). لقد فقد كلَّ شيء، حياة بأكمَلِها، حتى لو كانت تلك الحياة خاطئة.

يشعر (كال) بنظرتي وينظُر لأعلى مِن عملِه المزدحِم، يظلُّ ساكنًا للحظة. ثم تتحرك يدُه إلى الشارة، وتتتبَّع أطراف مَملكته المسروقة. وفي حركةٍ واحدة حادة جعلتني أجفل، يُمزقها من البذلة ويَرميها بعيدًا. يومِض الغضب في عينَيه، يعُمق تحت مظهره الخارجي الهادئ. على الرغم من أنه يُحاول إخفاءه، إلا أن غضبه دومًا يظهر على السطح، ويلمع بين الشقوق في قناعِه البالي. أتركه للعبِه؛ فمعرفة طرق العمل الداخلية للطائرة يُمكنها أن تُهدئه أفضلَ من أي شيءٍ قد أقوله.

يتحرك (شايد) ويوفِّر لي مساحة بجانبه، وأسقط جانِبَه دون أي لياقة. يُخيم الصمت علينا مثل سحابة داكنة ونحن نُمرر حافظة المياه ذهابًا وإيابًا، ونتشارك عشاءً عائليًا غريبًا جدًّا على أرضية (البلاك رن) المسروقة مرتَين.

«قُمنا بالشيء الصائب، أليس كذلك؟» أهمس على أمَل الحصول على نوعٍ من الغفران.

على الرغم من أنه يَكبُرني بسنةٍ واحدة فقط، فقد اعتمدتُ دومًا على

نصيحة (شايد).

لراحتي يومئ. «لقد كانت مسألة وقتٍ فقط قبل أن يُلقوني معك. لا يعرف الكولونيل كيفية التعامُل مع أشخاصٍ مثلنا. نحن نُخيفه.»

«هو ليس الوحيد.» أُجيب في حزن، وأتذكّر العيون التي تَجنَّبتني وهمسات كل شخصٍ قابلته حتى الآن. حتى في قصر قاعة الشمس، حيث كنتُ مُحاطة بقدراتٍ مُستحيلة، كنت مختلفة أيضًا. وفي (تاك)، كنتُ فتاة البرق. يحترمونني، ويتعرّفون عليّ ويخافونني. «على الأقل الآخرون طبيعيون.»

«أمِّي وأبي؟»

أُومئ، وأجفل عند ذكرهما. «(جيسا) أيضًا، والفتيان. هم حُمر حقيقيون لذلك لا يستطيع ... لن يفعل أي شيء لهم.» يبدو هذا وكأنه سؤال.

يأخذ (شايد) قضمة من طعامه مُفكرًا، لوح من الشوفان الجاف الخشِن. ويترك فُتاتًا في كل مكان. «إذا كانوا ساعَدونا، كانت ستُصبح هذه قصة مختلفة. لكنهم لا يعرفون شيئًا عن هروبنا، لذا لن أقلق. رحيلنا بتلك الطريقة ...» ينقطع نفَسُه ونفَسِي أيضًا، «هذا أفضل بالنسبة لهم. كان أبي سيُساعدنا خلاف ذلك، وأُمي أيضًا. على الأقل (بري) و(ترامي) لديهم الولاء الكافي للقضية للهرب من أي شكوك. ولا داعيَ لذِكر أنه لا أحد منهما ذكي بقدْر كافٍ لينجح في شيء كهذا!» يتوقّف في تفكير. «أشكُّ أن (اللايكلاندريين) سيُحبون إلقاء امرأةٍ كبيرة ورجلٍ مُقعَد و(جيسا) الصغيرة في زنزانة.»

«جيد.» أُجيب، وأرتاح قليلًا. مع تحسُّن شعوري، أمسح فُتات طعامِه من فوق قميصِه.

«لا أُحب عندما تدعونهم بالطبيعيين.» يُضيف ويُمسك بِمعصمي.

صوته مُنخفض فجأة. «لا يُوجَد شيء خاطئ بنا. نحن مُختلفون، نعم، لكنَّنا لسنا بشيءٍ خاطئ. وبالتأكيد لسنا أفضل.»

نحن أي شيءٍ غير الطبيعي، أُريد أن أُخبره، لكنَّ كلمات (شايد) الصارمة تقتُل الفكرة. «أنت مُحق يا (شايد).» قلتُ مع إيماءة، على أمَلِ ألا يرى

خلال كذبتي الضعيفة. «أنت دومًا كذلك.»

يضحك ويُنهي عشاءه في قضمةٍ ضخمة. «هل يُمكنني الحصول على ذلك كتابة؟» يضحك، ويفكُّ قبضته. ابتسامته مألوفة جدًّا لدرجة أنني بدأتُ أتألَّم. أتظاهر بابتسامةٍ من أجله، لكن خطوات (كال) الثقيلة تمحوها بسرعة.

يتخطَّانا، ويخطو برشاقةٍ فوق ساق (شايد) الممدودة، وعيناه مُثبَّتتان على قمرة القيادة. «يجب أن نكون داخل المجال قريبًا.» يقول وليس لأحدٍ بالأخص، لكنه يجعلنا نتحرك.

يسرع (كيلورن) مُتعثرًا خارج قمرة القيادة، وكأنه تم إبعاده كطفلٍ صغير. يتجاهله (كال) تمامًا. وتركيزه منصب على الطائرة، ولا شيء آخر. لهذا الوقت على الأقل تتراجَع عدواتهما أمام العقبات القادمة.

»من الأفضل أن ترتدوا حِزام الأمان.» يُضيف (كال) من خلف كتفِه، وينظر تجاهي وهو يغوص في مقعده. يربط أحزمة الأمان الخاصة به بدقةٍ دون تركيز، ويُضيِّق كلًّا منها بشدةٍ وبسرعة وقوة. بجانبه، تفعل (فارلي) نفس الشيء، تأخذ مقعدي في صمتٍ للوقت الحالي. لا أُمانع. كانت مشاهدة إقلاع الطائرة مُرعبة، يُمكنني فقط تخيُّل شكل الهبوط.

(شايد) فخور، ولكنه ليس أحمقَ، ويتركني أساعِده في النهوض. يُمسِك (كيلورن) بجانب (شايد) الآخر ومعًا نعمل سريعًا ليقف. وبمجرد نهوضه، يُحرك (شايد) نفسه بسهولة، ويربط نفسه بالحزام وتحت ذراعه العكاز. أجلس بجانبه، و(كيلورن) بجانبي. هذه المرة يربط صديقي الحزام بشدة، ويتمسَّك بالأربطة في ترقُّب كئيب.

أركز على أحزمتي الخاصة، وأشعر بأمانٍ غريب عندما تضيق حولي. لقد قيدتِ نفسكِ في قطعةٍ مندفعة من المعدن. هذا حقيقي، ولكن على الأقل للدقائق التالية القليلة، يعتمِد الموت والحياة فقط على الطيار. أنا هنا فقط للرحلة.

في قمرة القيادة، يشغل (كال) نفسه بعشرات المفاتيح والمقابض، يُجهز الطائرة لأيِّ شيءٍ يأتي بعد ذلك. يُضيق عينَيه، ويُبعد نظره عن غروب

الشمس ولهيب أشعَّتها. تشعل النار في ظلِّه، وتُضيئه بألسنةٍ حمراء وبرتقالية يمكنها أن تكون لهيبَه الخاص. أتذكّر (نايرسي)، ووعاء العظام، حتى مباريات التدريب، عندما توقف (كال) عن كونه أميرًا وصار جحيمًا. في ذلك الوقت كنتُ مصدومة، وفوجئتُ في كل مرة يكشف فيها عن نفسه الوحشية، ولكن لم يعُد الأمر كذلك. لا يُمكنني أبدًا أن أنسى ما يشتعِل تحت جلده، والغضب الذي يُغذيه، ومدى قوتهما.

يمكن لأي أحدٍ أن يخون أي أحد، و(كال) ليس باستثناء.

لمسة لأُذني تجعلني أقفز على مقعدي، مُصطدمة بالأربطة. ألتفِت لأرى يد (كيلورن) مُعلقة بالهواء ووجهه ملتوٍ في ابتسامة استمتاع.

«ما زلت مُحتفظة بهم.» يقول مشيرًا لرأسي.

نعم، يا (كيلورن) لا زلتُ محتفظة بأُذني، أريد أن أردَّ عليه. ولكني أُدرك عمَّ يتحدَّث. أربعة أحجار، وردية، حمراء، بنفسجية قاتمة، وخضراء، أقراطي. أول ثلاثة من أشقائي، جزءٌ من أزواجٍ اقتسمتُها بيني وبين (جيسا). كانت هدايا حلوةً ومريرة، أعطَوها لنا عندما تم تجنيدهم ورحلوا عن عائلتنا، ربما للأبد. الأخيرة من (كيلورن)، أعطاها لي على حافة الهلاك، قبل هجوم الحرس القرمزي على (أركيون)، وقبل الخيانة التي ما زالت تلاحقنا جميعًا. ظلت الأقراط معي أثناء كل شيء، منذ تجنيد (بري) حتى خيانة (مافين)، وكل حجر ثقيل بالذكريات.

يظل نظر (كيلورن) مُعلقًا على القرط الأخضر، الذي يطابق عينَيه. رؤيته تجعله أكثر لينًا، وتُضعف السلوك القاسي الذي اكتسبه خلال الأشهُر السابقة.

«بالطبع.» أُجيبه. «هذه ستظلُّ معي حتى القبر.»

«فلنُقلل الحديث عن القبور، خصوصًا في هذه اللحظة.» يتمتم (كيلورن)، وينظر للأربطة مُجددًا.

من هذه الزاوية، أحصل على نظرةٍ قريبة لوجهه المكدوم. عين سوداء واحدة من الكولونيل، ووجنة أرجوانية واحدة منِّي. «آسِفة على ذلك.» أقول، وأعتذر عن كلماتي والإصابة.

«أصبتِني بالأسوأ.» يضحك (كيلورن) ويبتسِم. هو ليس مُخطئًا.

يُحطم صوت الصرير، والهسيس القاسي للكهرباء الساكنة للراديو، اللحظةَ السلمية. استدرتُ لأرى (كال) يميل إلى الأمام، ويدٌ واحدة على أداة التوجيه، والأخرى تُمسِك بميكروفون الراديو.

«مركز تحكُّم حصن (باتريوت)، هذه ب. ر. واحد، ثمانية، شرطة، سبعة، اثنان. المصدر (ديلفي) والوجهة حصن (لينكاسر).»

يتردَّد صدى نبرته الهادئة المُستوية عبر الطائرة. لا شيء في صوته يبدو خاطئًا أو حتى مُثيرًا للاهتمام قليلًا. ونأمُل أن تُوافق حصن (باتريوت). يُكرِّر إشارة النداء مرتَين أخرَيَين، ويبدو حتى ضجرًا بحلول الوقت الذي ينتهي فيه. لكن جسدَه كلَّه أعصاب مشدودة ويمضغ شفتَه في قلق، في انتظار الرد. يبدو أن الثواني تمتدُّ إلى ساعاتٍ ونحن نستمع، ولا نسمع سوى صرير الكهرباء الساكنة على الطرف الآخر من الراديو. بجواري، يشد (كيلورن) حزامَه، ويستعدُّ للأسوأ. أفعل الشيء نفسه في هدوء.

عندما يُصدر الراديو صوتًا يُبشر باستجابة، تتمسَّك يداي بحافة مقعدي. قد أثق في قدرات (كال) على الطيران، لكن هذا لا يعني أنني أريد أن أراها تخضع لاختبار التفوّق على سِربٍ هجومي.

«تم الاستلام، ب. ر. واحد، ثمانية، شرطة، سبعة، اثنَين.» أجاب صوتٌ صارم ورسمي أخيرًا. «سيكون النداء التالي في مركز تحكُّم (كانكوردا). هل تلقيت؟»

يتنهَّد (كال) ببطء، غير قادرٍ على منع رسم ابتسامةٍ على وجهه. «تلقيتُ يا مركز تحكُّم (باتريوت).»

لكن قبل أن أستطيع الاسترخاء، يستمر الراديو في الهسيس، مما يجعل (كال) يقبض فكَّيْه. تتحرك يدُه لأداة التوجيه، وتشتدُّ قبضته على كل فرعٍ في تركيزٍ ثابت. هذه الحركة وحدَها كافية لإخافتنا جميعًا، حتى (فارلي).

في الكرسي المُجاور له، تُراقب بعينَين واسعتَين وشفتَين مُتفرِّقة، كما لو أنها تستطيع تذوُّق الكلمات القادمة. يفعل (شايد) الشيء نفسه، ويُحدِّق في الراديو على اللوحة، وعكازه مدسوس بالقُرب منه.

«هناك عواصِف فوق (لينكاسر)، تابع في حذَر.» يقول الصوت بعد لحظةٍ طويلة ومُفجعة للقلب. هو ضجر ومُطيع وغير مُهتم بنا تمامًا. «تلقيت؟»

هذه المرة، يخفض (كال) رأسه، وعيناه نصفُ مُغمضتَين في ارتياح. بالكاد أستطيع منع نفسي من فعل الشيء نفسه. يُكرر في الراديو، «تلقيت.» يموت صوت هسيس الكهرباء الساكنة في نقرةٍ مُرضية، مما يدلّ على نهاية الإرسال.

هذا كل شيء. نحن بعيدون عن الشك.

لا يتحدّث أحد حتى يفعل (كال)، ويُدير كتِفَه ليُظهر ابتسامة ملتوية. «بلا عرق.» يقول قبل أن يمسح بعنايةٍ اللمعان الرقيق على جبهته.

لا يسعني إلا أن أضحك بصوتٍ عالٍ عند رؤية أمير النيران يتعرّق. يبدو أن (كال) لا يمانع. في الواقع، تتّسع ابتسامته قبل أن يعود إلى أدوات التحكّم. حتى (فارلي) تسمح لنفسها بشبح ابتسامة ويهزُّ (كيلورن) رأسه، ويفصل يده عن يدي.

«عمل جيد، سموُّك.» يقول (شايد)، وبينما يستعمل (كيلورن) اللقبَ كلعنة، يبدو بالكامل دالًّا على الاحترام من فم أخي. أعتقِد لهذا يبتسِم الأمير، ويهزُّ رأسه. «اسمي (كال)، هذا فقط.»

يصدر (كيلورن) صوتًا ساخرًا من حلقِه، مُنخفضًا بما يكفي حتى أسمَعَه أنا فقط، وأدفع بمرفقي بين ضلوعِه. «هل سيقتلك أن تكون أكثر أدبًا؟»

يلتفتُ بعيدًا عنّي، ليتفادى كدمةً أخرى. «لا أنوي المُخاطرة.» يهمس ويُضيف بصوت أعلى لـ(كال). «أفهم أننا لن نُرسِل نداءً في (كانكوردا)، سموُّك؟»

هذه المرة أنزل بكعب قدَمِي على قدمِه، وأحصل على صرخةٍ مُرضية. بعد عشرين دقيقة، غربت الشمس وتجاوزنا خليج (هاربور) والأحياء الفقيرة في (نيو تاون)، وحلَّقنا مُنخفِضين في كل ثانية. بالكاد تستطيع (فارلي) البقاء في مقعدها، وترفع رقبتَها لترى بقدْر ما تستطيع. توجَد أشجار فقط تحتنا الآن، تزداد كثافةً لتصير الغابة الضخمة التي تحتلُّ

معظم (نورتا).

يكاد يُشبه المكان بالأسفل قريتنا، كما لو أن (الستيلتز) تنتظر خلف التل التالي. لكن قريتنا في الغرب، على بُعدِ أكثرَ من مئةِ مِيل. الأنهار هنا غير مألوفة، والطرق غريبة، ولا أعرف أيًا من القرى المُتجمِّعة حول الممرَّات المائية. يعيش (نيكس مارستن) ذو الدماء-الجديدة في واحدةٍ منها، ولا يعرف ماهيته أو أي نوعٍ من الخطر هو به. لو كان بَعْدُ على قيد الحياة.

يجب أن أتساءل عن وجود فخ، لكنني لا أفعل، لا أقدر. الشيء الوحيد الذي يدفعني للأمام هو فكرة العثور على دماء-جديدة آخرين. ليس فقط من أجل القضية، لكن من أجلي، لأثبت أنني لستُ الوحيدة بهذه الطفرة، ومعي فقط أخي بجانبي.

ثقتي بـ(مافين) كانت في غير موضعها، لكن ثقتي بـ(جوليان جاكوس) ليست كذلك. أعرفه أكثر من الكثيرين، وكذلك (كال). مثلي يعرف أن قائمة الأسماء حقيقية وإذا كان الآخرون يُخالفونني الرأي، لا يُظهرون ذلك. لأني أعتقد أنهم يريدون تصديقها أيضًا. تمنح القائمة أمل وجود السلاح، والفرصة، وطريقةً للقتال في الحرب. القائمة مَرساةٌ لنا جميعًا، تمنح كلًّا منَّا شيئًا ليتمَّسك به.

عندما تنحني الطائرة في اتجاه الغابة، أُركز على الخريطة في يدي من أجل إلهاء نفسي، لكن ما زلتُ أشعر بمَعِدتي تتقلص.

«سأكون ملعونًا.» يتمتم (كال)، ويحدق خارج النافذة إلى ما أظنه الأنقاض التي تحولت لمهبط طائرات. يُدير مفتاحًا آخر وتهتز الألواح أسفل قدمي تزامنًا مع همهمة مميزة تدوي خلال جسد الطائرة. «استعدوا للهبوط.»

«وماذا يعني ذلك بالضبط؟» أسأله عبر أسنان مُطبقة، وألتفت لأرى خارج النافذة ليست السماء، بل قمم الأشجار.

ترتجف الطائرة بأكملها قبل أن يتمكن (كال) من الإجابة، وتصطدم بشيء صلب. نرتد في مقاعدنا، وتتشبث أصابعنا حول أحزمتنا، بينما يميل بنا عزم الطائرة ذهابًا وإيابًا. يطير عكاز (شايد)، ويصطدم بالجزء الخلفي

من كرسي (فارلي). لا يبدو أنها تُلاحظ، مفاصلها بيضاء بياض العظام فوق ذراعَي مقعدها. لكن عينَيها واسعتان ومفتوحتان ولا ترمشان.

«لقد سقطنا»تتنفَّس، غير مسموعة تقريبًا مع هدير المحركات الذي يُصِمُّ الآذان.

يحلُ الليل في سكونٍ فوق ما يُسمى بالأنقاض، يكسره صوت العصافير البعيدة والنحيب المُنخفض للطائرة النفاثة. تدور محركاتها بشكلٍ أبطأ وأبطأ، وتتوقف بعد رحلتنا شمالًا. يتلاشى الضوء الأزرق الدالُّ على الكَهرباء تحت كل جناح، حتى يصير الضوء الوحيد صادرًا من داخل الطائرة ومن النجوم فوقنا.

ننتظر في صمتٍ، نأمُل أن يكون هبوطنا قد مرَّ دون لفت الانتباه. رائحة الجو مثل الخريف، يعطر الهواء رائحة أوراق الشجر المُحتضرة ورطوبة عواصف الأمطار البعيدة. أتنفّس بعمق في مؤخرة الممر. يكسر الصمت صوتُ شخير (كيلورن) بينما يحظى ببعض لحظاتٍ من النوم الذي يحتاجه بشدة. اختفت (فارلي) مُسبقًا، وبيدِها سلاحها، لتستطلع باقي المهبط المُخبأ. أخذت (شايد) معها، للاحتياط. لأول مرة منذ أسابيع، أشهُر حتى، لا أكون تحت مُراقبة حارس. أنتمي لنفسي مجددًا.

بالطبع لا يدوم ذلك طويلًا.

يسرع (كال) أسفل الممر، وبندقية فوق كتفِه، ومُسدس مُعلق من خصره، وتتدلى علبة من يدِه. بشعره الأسود وبدلته الداكنة، يُمكن أن يكون مصنوعًا من الظلال، وهو شيء أنا متأكد من أنه يُخطط لاستخدامه لصالحه.

«ماذا تفعل؟» أسأله، وأُمسك بذراعه في رشاقة. يُمكنه أن يُفلت من قبضتي خلال ثوان، لكنه لا يفعل ذلك.

«لا تقلقي، لم آخُذ الكثير.» يقول مشيرًا للعلبة. «يمكنني سرقة معظم ما أحتاجه على أي حال.»

«أنت؟ تسرق؟» أقول في سخرية من فكرة أن أميرًا وغشيمًا أيضًا، يفعل أيَّ شيءٍ من هذا القبيل. «في أحسن الأحوال ستفقد أصابعك. في أسوأ

الأحوال، رأسك.»
يهز كتفَيه، مُحاولًا ألا يبدو قلقًا. «وهذا يُهمك؟»
«يهمني.» قلت له بهدوء. أبذل قصارى جهدي لإبعاد الألَم عن صوتي.«نحن بحاجة إليك هنا، أنت تعرف ذلك.»
يرتعش طرف فمِه، ولكن ليس للابتسام. «وهذا يُهمني؟»
أريد أن أضربه ليعود لرُشده، لكن (كال) ليس (كيلورن). كان سيأخذ لكمتي بابتسامةٍ ويستمر في المشي. الأمير يجِب التفاهم معه وإقناعه. التلاعُب به.
«قلت بنفسك، كل ذو دماء جديدة نُنقذه يكون ضربةً ضد (مافين). ما زال هذا صحيحًا، أليس كذلك؟»
لا يوافق، ولكنه لا يُجادل أيضًا. يستمع على الأقل.
«تعلم ما أقدر عليه، وما يقدر عليه (شايد). وربما يكون (نيكس) أكثر قوة، وأفضل منّا معًا. صحيح؟»
المزيد من الصمت.
«أعلم أنك تريد موته.»
رغم الظلام، يلمع ضوء غريب في عيون (كال).
«أريد ذلك أيضًا.» أقول له. «أريد أن أشعر بيدي حول حلقِه. أريد أن أراه ينزف لِما فعله، ولكل شخصٍ قتلَه.»
أشعر بشعورٍ جيد للغاية لقول ذلك بصوتٍ عالٍ، للاعتراف بما يُخيفني أكثر من أي شيء، للشخص الوحيد الذي يفهمه. أريد أن أؤذيَه بأسوأ الطرق المُمكنة. أريد أن أجعل عظامه تغني من البرق، لكي لا يستطيع حتى الصراخ. أريد أن أُدمّر الوحش الذي عليه (مافين) الآن.
لكن عندما أُفكر في قتله، جزء من عقلي يعود للفتى الذي ظننتُه إيَّاه. أستمر في إخبار نفسي أنه لم يكن حقيقيًا. كان (مافين) الذي عرفته واهتممتُ به خيالًا مُصمَّمًا خصيصى لي. قامت (إيلارا) بتحويل ابنها إلى شخصٍ يمكن أن أُحبه، وقامت بعملها بشكلٍ بارع. بطريقةٍ ما، الشخص الذي لم يكن موجودًا قطُّ يُطاردني بشكلٍ أسوأ من بقية أشباحي.

«هو بعيد عن متناول أيدينا.» أقول، من أجل (كال) ولمصلحتي الخاصة. «إذا ذهبنا خلفه الآن، فسوف يدفن كِلَينا. أنتَ تعرف هذا.»

كان في وقتٍ ما جنرالًا ولا يزال مُحاربًا عظيمًا، يفهم (كال) المعارك. وعلى الرغم من غضبه، وعلى الرغم من أن كلَّ جزءٍ منه يتوسَّل إليه للانتقام، إلا أنه يعلم أن هذه ليست معركة يُمكنه الفوز بها، بعد.

«أنا لست جزءًا من ثورتك.» يهمس، يكاد صوته أن يُفقَد وسط الليل. «لست من الحرس القرمزي. أنا لست جزءًا من هذا.»

كنتُ أتوقع منه أن يضرب الأرض بقدمِه في استياء.

«إذن من أنت يا (كال)؟»

يفتح فمه، متوقِّعًا أن تخرج منه إجابة. لكن لا شيء يخرج. أتفهَّم ارتباكه، حتى إذا لم يُعجبني ذلك. نشأ (كال) على أن يكون كل شيءٍ أقاتل ضدَّه. لا يعرف كيف يكون أي شيءٍ خلاف ذلك، حتى الآن، إلى جانب الحُمر، مُطارَد من قومه، وخانه من هو من نفس دمه. بعد لحظة طويلة رهيبة، يستدير، ويعود إلى الطائرة. يُلقي علبته وأسلحته وعزمَه. أتنفَّس بهدوء، في ارتياح من قراره.

سيبقى.

لكن حتى متى، لا أعرف.

الفصل الحادي عشر

طبقًا للخريطة، (كورانت) على بُعد أربعة أميال في اتجاه الشمال الشرقي، تستقر في تقاطع نهر (ريجينت) وطريق الميناء الواسع. لا تبدو أكثر من مركزٍ تجاري، وواحدة من آخر القرى قبل أن يتحول طريق الميناء إلى اليابس، ويلتفُّ حول المُستنقعات التي غمرتها الفيضانات والتي لا يمكن عبورها في رحلةٍ للحدود الشمالية. من بين الطرق الفرعية الأربعة الضخمة في (نورتا)، يُعد طريق الميناء هو الأكثر سفرًا، حيث يربط بين (ديلفي) و(أركيون) وخليج (هاربور). وهذا يجعله الأكثر خطورة، حتى في أقصى الشمال. يمكن أن يمرَّ أي عددٍ من الفضيِّين، سواء كانوا من الجيش أو غير ذلك، وحتى لو لم يكونوا يُطاردوننا فعليًا، فلا يُوجَد فِضي في المملكة لن يتعرَّف على (كال). سيحاول معظمهم اعتقاله، وسيحاول البعض بالتأكيد قتلَه فور رؤيته.

ويَقدرون على ذلك، أقول لنفسي. يجب أن يُخيفني معرفة هذا، لكن بدلًا من ذلك أشعر بالحيوية. (مافين) و(إيلارا) و(إيفانجلين) و(بتوليموس ساموس) على الرغم من كلِّ قُوتهم وقُدراتهم، إلا أنهم جميعًا ضعفاء. يمكن هزيمتهم. نحن بحاجةٍ فقط إلى الأسلحة المناسبة.

تجعل الفكرة تجاهُل آلام الأيام القليلة الماضية سهلًا. لا يُؤلِمني كتفي بشدة، وفي هدوء الغابة، أدرك أن الرنين في رأسي قد قلَّ. بضعة أيامٍ أخرى ولن أتذكَّر صرخة (البانشي) على الإطلاق. حتى مفاصلي، التي أُصيبت بكدماتٍ من ضرب عظام وجنة (كيلورن) اليوم، بالكاد تؤلِمني.

يقفز (شايد) بين الأشجار، تومِض هيئته داخل وخارج الوجود مثل ضوء النجوم عبر الغيوم. يظلُّ قريبًا، ولا يظهر أبدًا بعيدًا عن مجال الرؤية، ويحرص على تسريع انتقاله الآني. يهمس مرةً أو مرتَين، مُشيرًا إلى مُنحنًى في مسار الغزلان أو وادٍ مَخفي، في الغالِب من أجل (كال). بينما نشأنا (كيلورن) و(شايد) وأنا في الغابة، نشأ هو في القصور والثكنات العسكرية.

لم يُجهزه أي منهما لعبور غابةٍ في الليل، كما هو واضح من صوت كسر الأغصان العالي وتعثُّره في بعض الأحيان. لقد اعتاد على إشعال الطريق، وشقِّ طريقه عبر العقبات، والأعداء بالقوة، والقوة، وحدَها.

تلمع أسنان (كيلورن) كل مرةٍ يتعثر فيها الأمير، وتُكوِّن ابتسامةً حادة.

«كن حذرًا هناك.» يقول، ويجذب (كال) بعيدًا عن صخرةٍ مُخبَّأة بين الظلال. يُفلت (كال) من قبضة فتى السَّمك سريعًا، لكن هذا كل ما يفعله، لحُسن الحظ. حتى يصِل إلى الجدول.

تُكوِّن الفروع أقواسًا من فوق الأشجار على كلٍّ من الضفتَين، وتتلامس الأوراق بعضها مع بعض عبر فجوة المياه. يومِض ضوء النجوم، ويضيء الجدول أثناء مروره عبر الغابة للانضمام إلى نهر (ريجينت). هو ضيق، ولكن لا يمكن معرفة مدى عُمقه. على الأقل يبدو التيار لطيفًا.

ربما يكون (كيلورن) أكثر راحةً فوق الماء من الأرض، ويقفز برشاقة إلى المياه الضحلة. يرمي حجرًا واحدًا في منتصف الجدول، ويستمِع إلى صوت اصطدامها بالماء. يقول بعد لحظة، «ستة أقدام، ربما سبعة.» هذا أكثر ارتفاعًا منِّي.

«هل نصنع لك طوفًا؟» يُضيف مُبتسِمًا تجاهي.

سبحتُ لأول مرةٍ في نهر (الكابيتول)، وهو نهر حقيقي يبلُغ عُمقه أكثر من ثلاثة أضعاف هذا وعرضه عشرة أضعافه، عندما كنتُ في الرابعة عشرة من عمري. لذلك هذا ليس أمرًا كبيرًا أن أغوص في الجدول مباشرة، وأغطس برأسي تحت الماء البارد المُظلم. بهذا القُرب من المحيط، هناك مذاق مالح ضعيف.

يتبع (كيلورن) دون سؤال، وتدفعه ضرباته التي يُمارسها منذ فترة طويلة عبر النهر خلال ثوانٍ. أنا مندهشة من أنه لا يتباهى أكثر، أو ينقلِب في دورات أو يحبس أنفاسه لدقائق في كل مرة. عندما أصل إلى الشاطئ المقابل، أُدرك السبب. يجلس (شايد) و(فارلي) على الضفة البعيدة، يُحدقان بالماء أسفلهما.

ترتعش وجوههما، يقاتلان ضحكات أو ابتسامات سُخرية وهما

يُشاهدان الأمير في المياه الضحلة. ينكسر التيار بعناية حول كاحلَي (كال)، لطيفًا مثل لمسة الأم، لكن وجهه شاحِب في ضوء القمر. يُشبك ذراعَيه بسرعة، مُحاولًا إخفاء يدَيه المُرتجفة.

«(كال)؟» أسأل بصوتٍ عالٍ، وأحافظ على نبرتي مُنخفضة. «ما الخطب؟»

يسترخي (كيلورن) مقابل جذع شجرة، ويضحك في الظلام. ينزع معطفه، ويطرق المواد المشبعة بالمياه بكفاءة عملية ويقول، «هيا يا (كالور)، يُمكنك قيادة طائرة، ولكنك لا تستطيع السباحة؟»

أجاب (كال) بغضب، « يُمكنني السباحة.» يُجبر خطوةً أخرى داخل الجدول، الآن وصلت المياه لركبتيه.«أنا فقط لا أُحب ذلك.»

بالطبع لن يُحب ذلك. (كال) حارق، مُتحكم في النيران، ولا شيء يضعفه أكثر من الماء. يجعله عاجزًا، بلا قدرة، وكل شيء تعلَّم كراهيته وخوفَه وقتالَه. أتذكَّره في الحلبة، كيف اقترب من الموت. وقع في فخ لورد (أوسانوس)، مُحاصر بكُرةِ المياه الطافية التي حتى هو لم يقدِر على حرقِها. لا بد أنه شعر وكأنه في تابوت، قبر مائي.

أتساءل عمًّا إذا كان يُفكر في الأمر أيضًا، إذا كانت الذكرى تجعل التيار الهادئ يبدو وكأنه مُحيط مُتقلِّب لا نهاية له. غريزتي الأولى هي السباحة مرةً أخرى، لمساعدته على العبور بيدي، لكن ذلك يُمكنه أن يرسِل (كيلورن) لنوبة ضحكٍ حتى (كال) لن يكون قادرًا على تحمُّلها. والشجار في وسط الغابة هو آخر شيء نحتاجُه.

«دخولًا من الأنف، يا (كال).» عندما ينظر إليَّ، تتلاقى عيوننا عبر الجدول، أُعطيه إيماءة برأسي صغيرة لدعمه. خروجًا من الفم. هذه فقط نصيحتُه أعيدها إليه، لكنها تُهدئه على أي حال.

يخطو خطوةً أخرى إلى الأمام، ثم خطوةً أخرى وأخرى، ويرتفع صدرُه مع كل نفسٍ ثابت. ثم يسبح، يُجدف عبر النهر مثل كلبٍ ضخم. يهتز (كيلورن) بضحكةٍ صامتة، ويدُه فوق فمه. أرمي بعض الحجارة تجاهه. يصمت لفترةٍ كافية حتى يصل (كال) إلى المياه الضحلة مرة أخرى، ويركضُ بحماسٍ خارج الماء. يرتفع القليل من البخار من جلده، مدفوعًا بحرارة

خجِله.

«بارد.» تمتم، وهز رأسَه حتى لا يُضطر إلى النظر إلينا. يلتصق شعره الأسود، بجانبٍ واحد من وجهه المائل إلى الفِضي خجلًا. دون تفكير، أقوم بإزاحته، وأُعيد تسريح شعره لشكلٍ أكثر كرامة. يُحدق بي طوال الوقت، ويبدو متفاجئًا في سرور من الفعل.

هذا دوري لأخجل. قُلنا لا للإلهاء.

«لا تقل لي إنك تخاف من المياه أيضًا؟» يقول (كيلورن) عبر الجدول، صوتُه عالٍ وفظٌ. تضحك (فارلي) ردًا عليه، وتُمسك بِمعصم أخي. بعد جزءٍ من الثانية، يقفان بجانبنا، مُبتسِمَين وجافَّين.

قفَزَا بالطبع.

يُصدر (شايد) صوتًا ساخرًا، ويعصر طرف شعري المُبتل. «حمقى.» يقول في لُطف.

لولا العكاز، كنتُ سأدفعه مباشرةً إلى الجدول.

يكاد شعري أن يصير جافًا بحلول الوقت الذي نصِل فيه إلى التلِّ فوق (كورانت). تنقلب الغيوم، وتُغطي القمر والنجوم، لكن أضواء القرية تكفي للرؤية. من وجهة نظرنا، تبدو (كورانت) مثل (الستيلتز). بُنِيت عند مصبِّ نهر (ريجينت)، واستقرّت عند مُفترَق طرق. الأول، الطريق المرصوف بعناية والمُرتفع قليلًا عن المُستنقعات المالحة، من الواضح أنه طريق الميناء. والآخر يمتدُّ من الشرق إلى الغرب، ويتحوَّل إلى طريقٍ تُرابي مكتظ خارج القرية. يشير برج المراقبة على ضفة النهر نحو السماء، ويُضيء تاجُه منارة ضوئية دوارة. أجفل عندما يمرُّ فوقنا.

«هل تعتقد أنه في الأسفل؟» (كيلورن) يتنهد، ويقصد (نيكس). ينظر إلى عددٍ من المنازل الفقيرة في الأسفل، متجمعة في ظل برج المراقبة.

«(نيكس مارستن). حي. ذكر. وُلد في ٢٠-١٢-٢٧١ في (كورانت)، ساحل (مارش)، ولاية (ريجينت)، (نورتا). محل الإقامة الحالي: نفس محل الميلاد. هذا كل ما قالته القائمة.»

أُكرر من الذاكرة، أرى الكلمات في ذهني. وأترك الجزء الأخير، الذي

يكوي كالوَسم. نوع الدماء: غير مُحدد. طفرة جينية، فصيلة مجهولة. يتبع هذا كل اسم في القائمة، ومنهم اسمي. هذه العلامة التي استخدمها (جوليان) للعثور على هؤلاء الأشخاص في سجلّات الدماء، بمقارنة دمائي بدمائهم. الآن الأمر مَتروك لي أن أستخدِم هذه المعلومة، وأتمنّى ألا يفوت الأوان.

أُضيق عينيَّ وسط الظلام، مُحاولة أن أرى خلال الليل. لحُسن الحظ يبدو (الريجينت) هادئًا، نهر أسود ساكن، والطرق خالية. حتى المُحيط يبدو ساكنًا كالزجاج. ما زال حظر التجول مُفعلًا بالكامل، كما أمرَتِ التدابير البائسة التي لا تزال سارية. «لا تُوجَد سفن بحرية يمكنني رؤيتها. ولا توجد حركة مرور على طريق الميناء.»

أومأ (كال) برأسه في موافقة، ويتضخَّم قلبي. بالتأكيد لن يُسافر صيادو (مافين) دون حاشية من الجنود، مما يجعل من السهل اكتشافهم. هذا يترك احتمالَين: إما أنهم لم يأتوا من أجل (نيكس) بعد، أو أنهم رحلوا منذ فترةٍ طويلة.

«لا يجب أن يكون الأمر صعبًا للغاية، حتى مع حظر التجوُّل.» تتحرك عيون (فارلي) فوق القرية، وتُراقب كل سقفٍ وزاوية شارع. ينتابني شعور أنها فعلت هذا من قبل. «بلدة كسولة، ضُباط كسالى. أراهن بعشرة من العُملات النحاسية أنهم لا يُكلفون أنفسهم عناء تأمين سجلات المدينة حتى.»

«سأقبل رهانك.» أجاب (شايد) ويَكِزُ كتِفَها.

«سنقابلكم هناك.» يقول (كال). ويُشير إلى بُستان من الأشجار على بعد نصف ميل. من الصعب أن نرى في الظلام، مُحاطة بالمستنقعات والعشب الطويل. غطاء مثالي، لكنني أهز رأسي.

«لن نفترق.»

«هل تُفضِّلين أن نتسكع إلى هناك معًا، أنا وأنت في المُقدمة؟ لمَ لا أقوم بتفجير مركز الأمن، ويمكنك صعق أي ضابطٍ يأتي في طريقك؟» يُجيب (كال). يبذل قصارى جهده للحفاظ على هدوئه، لكنه يبدو أكثر وأكثر مثل

مُعلمٍ مستاء. مثل خالِه (جوليان).

«بالطبع لا ...»

«لا يمكن لأيٍّ منَّا أن يخطو داخل القرية يا (ماير). ليس وإلَّا نويتِ أن تقُتلي كلَّ من يرى وجوهنا. كلَّ شخص.»

حدَّقت عيناه في عينيَّ، يريد أن يَجعلني أفهم. كلُّ شخص. ليس فقط الأمن، وليس فقط الجنود، ولا حتى المدنيُّون الفضيُّون. الجميع. أي همسةٍ عنَّا، أي إشاعة، وسيأتي (مافين) راكضًا. مع حراس (السينتنال) والجنود والفيالق والجميع. كل شخصٍ وكل شيءٍ في مَقدرته. دفاعنا الوحيد هو البقاء مُختبئين، والبقاء في المُقدمة. لا يُمكننا أن نفعل ذلك إذا تركنا أثرًا.

«حسنًا.» يبدو صوتي صغيرًا كما أشعر. «لكن يبقى (كيلورن) معنا.»

تُومِض عينا (كيلورن)، وتتلفَّت بيني وبين (كال). «سيكون هذا أسرعَ بكثيرٍ إذا لم تستمرِّي في الاعتناء بي كمربية أطفال يا (ماير).»

مُربية أطفال. أظن أنني كذلك، حتى الآن عندما يقدِر على التفكير والقتال وتوفير ما يحتاج لنفسه. لو فقط لم يكن بهذا الحُمق، رافضًا لحمايتي.

«يعرف (مافين) اسمك.» أقول له. «سنكون أغبياء إذا اعتقدنا أن صورة بطاقتك لم تُرسَل لكلِّ ضابط ومركز أمن في البلاد.»

تلتوي شفاهه في عبوس. «ماذا عن (فارلي)؟»

«أنا (لايكلاندرية) يا فتى.» تُجيب (فارلي) بدلًا عنِّي. على الأقل نحن مُتَّفقان.

«فتى؟» يقول (كيلورن) في تجهُّم. «أنت بالكاد أكبر منِّي.»

«بأربعة أعوام، لأكونَ دقيقًا.» يجيب (شايد) في سلاسة.

تدير (فارلي) عينَيها فقط لهما معًا. «ليس لمَلِك قدرة على المُطالبة بسجلَّاتي، وهو لا يعرف اسمي الحقيقي.»

«سأذهب فقط لأن الجميع يعتقدون أنني ميت.» يتكئ (شايد) على عكَّازه. ويضع يدَه على كتِف (كيلورن) لتهدئته، لكنه يهزُّ كتفَه ويبعدُه.

«حسنًا.» يتذمَّر بصوت منخفض. بدون نظرة إلى الخلف، يبدأ في السير

نحو البستان بسرعة وهدوء كفأر حقل. يُحدق (كال) به أثناء رحيله، ويرتعش طرف فمه في نفور. «هل هناك فرصة أن نفقده؟»

«لا تكن قاسيًا يا (كال).» أجبتُ بحدة، وألحق بـ(كيلورن). أتأكد من ضرب الأمير وأنا أمر، أصطدم به بكتفي السليمة. ليس للإيذاء، ولكن للتواصُل. دعْه وشأنه.

يتبعني على قُرب، ويخفض صوته حتى الهمس. تلمس أصبعه الدافئة ذراعي، في محاولة لتهدئتي. «أنا أمزح فقط.»

لكني أعلم أن ذلك ليس حقيقيًا. هذا ليس حقيقيًا على الإطلاق. والأسوأ من ذلك، أتساءل إذا كان مُحقًّا. (كيلورن) ليس جنديًّا، أو مثقفًا أو عالمًا. يمكنه حياكة شبكة أسرع من أيِّ أحدٍ أعرفه، ولكن ما فائدة ذلك حينما نُريد الإمساك بالبشر، وليس السَّمك؟ لا أعلم شيئًا عن نوع التدريبات التي تلقاها مع الحرس، لكن هذه لفترة أقل من الشهر. نجا في قصر قاعة الشمس بسببي، ونجا من مجزرة ميدان القيصر بسبب الحظ. بلا قُدرة وبلا تدريبات والقليل من الوعي، كيف يُمكنه القيام بأيِّ شيءٍ غير إبطائنا؟

أنقذتُه من التجنيد، لكن ليس من أجل هذا. ليس من أجل حرب أخرى. يتمنّى جزء منّي أن أقدر على إرساله للبيت، إلى (الستيلتز) وإلى نهرنا وإلى الحياة التي نعرفها. سيعيش فقيرًا، مُنهكًا من العمل، غير مرغوب فيه، ولكنه سيعيش. المُستقبل المحصور بين الغابة وضفَّة النهر لم يعُد ممكنًا بالنسبة لي. لكنه مُمكن بالنسبة له. وأريد ذلك من أجله.

هل من الجنون إبقاؤه هنا؟ لكن كيف أدعه يرحل؟

ليس لديَّ إجابة لأيٍّ من السؤالين، وأدفع بعيدًا كل الأفكار المُتعلقة بـ(كيلورن). يمكنها الانتظار. عندما أنظر للخلف، لأقول الوداع لـ(شايد) و(فارلي)، أُدرك أنهما قد رحلا بالفعل. تسري داخلي رجفة من الخوف عندما أتخيَّل كمينًا في (كورانت). يدوِّي صوت إطلاق النيران في رأسي، ما زال قريبًا لذاكرتي. لا. مع قدرة (شايد) وخبرة (فارلي)، لا يُمكن لأحدٍ إيقافهما الليلة. وبدوني، بدون فتاة البرق ليتستَّروا عليها، لن يموت أحد.

يصير (كيلورن) خيالًا خلال العُشب الطويل، يزيح السيقان الخضراء

بيدَين قادرتَين. بالكاد يترك أثرًا، لكن لا يهمُّ هذا. فـ(كال) يُحطم كل شيءٍ أثناء سيرِه خلفي، تسحقُ هيئتُه العريضة كلَّ شيءٍ في طريقه، لا يوجد فائدة في إخفاء وجودنا. وسنكون قد رحلنا منذ مدةٍ طويلة بحلول الصباح، وأتمنَّى أن يلحق بنا (نيكس). إذا كنَّا محظوظين، لن يُلاحظ أحد أن أحدَ الحُمر مفقود، مما يسمح لنا بوقتٍ لنسبق (مافين) بمجرد أن يكتشِف ما نفعله. ما هذا بالضبط؟ يصير الصوت في رأسي غريبًا، خليطًا من (جوليان) و(كال) والقليل من (جيسا). يَثقُبني ويَكِز ما أخشى الاعتراف به. هذه القائمة هي فقط الخطوة الأولى. تتبع الدماء-الجديدة، لكن ماذا سنفعل معهم؟ ماذا سأفعل؟

يجعلني الإحباط أُسرع في المشي، حتى أسبق (كيلورن). بالكاد ألاحظ أنه يُبطِئ ليسمح لي بالمرور، يعلم أنني أحتاج أن أكون في المقدمة وحدي. تزداد الغابة قربًا مع كل ثانية، يُحيطها الظلام، وأتمنَّى أن أكون بمُفردي. لم أحظَ بلحظةِ سكينة منذ استيقظت على متن (الميرسيف). لكن حتى هذه كانت سريعة الزوال، كسر صمتي (كيلورن). كنتُ سعيدة لرؤيته وقتها، ولكن الآن، الآن أتمنَّى أن أحظى بوقتٍ لنفسي. وقت لأفكر، لأُخطط، لأحزن. لأستوعِب ما صارت عليه حياتي.

«نمنحه الاختيار.» أقول بصوتٍ عالٍ، وأعلم أنه لا (كال) أو (كيلورن) سيبتعِد عن مجال السمع. «يأتي معنا أو يبقى هنا.»

يميل (كال) مقابل شجرةٍ قريبة، جسده مُسترخٍ، لكنَّ عينَيه تُحدِّقان في الأفق. لا يهرب شيءٌ من نظرته. «هل سنقول له عواقب اختياره؟»

«إذا أردتَ قتلَه، فعليك تجاوُزي.» أُجيبه. «لن أترك دماء-جديدة للموت، فقط لرفضِه الانضمام إلينا. بجانب ذلك، إذا أراد أن يُخبر أحد ضباط الأمن بوجودي، فعليه أن يُفسر لِمَ. وهذا كأنه حُكم إعدامٍ بالنسبة للسيد (مارستين).»

تلتوي شفتَي الأمير. ويُقاتل الرغبة في الزمجرة. لكنَّ الجدال معي لن يُفيده، ليس الآن. من الواضح أنه ليس معتادًا أن يأخذ أيَّ أوامر منِّي.

«هل نقول له عن (مافين)؟ إنه سيموت إذا بقِي؟ إن الآخرين سيموتون

إذا وجدك (مافين)؟»

أخفض رأسي وأومئ، «نُخبره بكل ما نستطيع، ثم نتركُه يُقرر مَن وما يريد أن يصير عليه. وبالنسبة لـ(مافين) ...» أبحث عن الصواب لقوله، لكن هذه الكلمات تصير أكثر ندرةً مع كل لحظةٍ تمر. «نحاول أن نَسبقه. أظنُّ أن هذا كلُّ ما نقدِر على فعله.»

«لماذا؟» يتدخَّل (كيلورن). «لماذا نمنحه الخيار على الإطلاق؟ قلتِ بنفسكِ، نحن بحاجةٍ إلى كلِّ شخصٍ يُمكننا الحصول عليه. إذا كان هذا الرجل (نيكس) هو نصف ما أنتِ عليه، فلا يُمكننا تحمُّل السماح له بالرحيل.»

الإجابة بسيطة للغاية، وهي تُمزقني حتى العظام.

«لأنه لم يُعطِني أحد خيارًا على الإطلاق.»

أقول لنفسي إنني كنتُ سأظل أسير في هذا الطريق إذا عرفتُ العواقب. أنقذ (كيلورن) من التجنيد، وأكتشف قُدرتي، وأنضمُّ إلى الحرس، وأُمزق الحيوات، والقتال، والقتل. أصير فتاة البرق. لكنني لا أعرف ما إذا كان هذا صحيحًا. بصِدق لا أعرف.

ربما تمرُّ ساعة في صمتٍ ثقيل ومُتوتر. يُناسبني ذلك تمامًا، فيُتيح لي الوقت للتفكير، ويستمتع (كال) بالهدوء. بعد الأيام القليلة الماضية، أصبح جائعًا للراحة مثلي تمامًا. ولا حتى (كيلورن) يجرؤ على المزاح. بدلًا من ذلك، هو مسرور بالجلوس على جذع شجرةٍ مُحطم، يُحيك خيوطًا من العشب الطويل لشبكةٍ ضعيفة بلا فائدة. يبتسِم قليلًا، يستمتع بالعُقَد القديمة المألوفة.

أفكر بـ(نيكس) بالأسفل في القرية، ربما سحباه من فراشه، ربما كمَّماه، المؤكد هو أنه واقع في فخٍّ من صُنعي أنا. هل ستُهدِّد (فارلي) زوجته، وأطفاله لإجباره على المجيء؟ أم سيقوم (شايد) بالإمساك بمِعصمه والقفز بكلِّ بساطة، ويُرسِل كلاهما مندفعين عبر خناق التنقُّل الآني المثُير للغثيان، حتى يجد الغابة.

وُلد في ٢٠-١٢-٢٧١. (نيكس) تقريبًا في التاسعة والأربعين من عمره،

نفس عمر أبي. هل سيكون (نيكس) مثله، مُصابًا، ومُحطمًا؟ أم هو كاملٌ وينتظِرنا أن نُحطمه؟

قبل أن أسقط في دوَّامة من الأسئلة المُظلمة الملعونة، يتحرك العشب الطويل. شخصٌ ما قادم.

الأمر مثل إدارة مفتاح لـ(كال). يندفع من فوق الشجرة وكل عضلة مشدودة ومستعدة لأي شيء يخرج من بين العُشب. توقَّعت نصفيًّا أن أرى نيرانًا على أطراف أصابعه، ولكن بعد سنوات طويلة من التدريب العسكري، يعرف (كال) الأفضل. في الظلام، سيكون لهبُه مثل منارة برج المراقبة، ويقوم بتنبيه كلِّ ضابط لوجودنا. لدهشتي، يبدو (كيلورن) يقظًا مثل الأمير. يُسقط شبكته العشبية، ويسحقها تحت قدمَيه وهو يقف. حتى إنه سحب خنجرًا مَخفيًّا من حذائه، شفرة صغيرة حادة وسميكة استخدمها ذات مرةٍ لتقطيع السَّمك. مظهرها يجعلني أجزُّ على أسناني. لا أعرف متى أصبحت السكين سلاحًا، أو متى بدأ يحملها في حذائه. ربما في الوقت الذي بدأ فيه الناس بإطلاق النار عليه. أنا لستُ بدون أسلحتي الخاصة. الطَّرق المنخفض في دمائي هو كل ما أحتاجه، أكثر حدةً من أي شفرة، أكثر وحشيةً من أي رصاصة. تتفرع الشرارات تحت جلدي كالأوردة، جاهزة إذا احتجتُها. قُدرتي لدَيها دقة يفتقر إليها (كال).

يشقُّ نداء الطيور سكون الليل، ويصيح عبر العُشب. يستجيب (كيلورن) بالمِثل، ويُصفِّر بصوتٍ منخفض. يبدو مثل الطيور المُغردة الذي تُعشش في ركائز المنازل في قريتنا. «(فارلي).» يتمتم هامسًا، مُشيرًا إلى العشب الطويل.

هي أول من يخرج من بين الظلال، لكنها ليست الأخيرة. يتبعها هيئتان: الأول هو أخي الذي يتكئ على عكّازه، والآخر قصير وبدين، لدَيه أطراف عضلية وبطن مُستدير الذي يكسبه الرجال مع تقدُّم العمر. (نيكس).

تغلَق يد (كال) حول أعلى ذراعي، ويضغط ضغطًا خفيفًا. يسحبني برفق، ويُعيدني إلى الظلال العميقة للبستان. أذهب دون تردُّد، أعلم أنه لا يُمكننا أن نكون حذِرين كفاية. أتمنَّى قليلًا الحصول على قماشة قرمزية،

لإخفاء وجهي كما فعلنا في (نايرسي).

«هل واجهتِ أي مشكلة؟» يقول (كيلورن)، ويخطو تجاه (فارلي) و(شايد). يبدو أكبر سنًّا بطريقةٍ ما، يبدو أكثر سيطرة ممَّا اعتدت. يُبقي عينَيه على (نيكس)، يتبع كلَّ حركةٍ تفعلها أصابع الدماء-الجديدة القصيرة المستديرة.

تتجاهل (فارلي) السؤال وكأنه شيء مُزعج. «بسيط. حتى مع وجود هذا الذي يعرج حول المكان.» وتُضيف وتَكِز (شايد) بإبهامها. ثم تلتفِت إلى (نيكس). «لِمَ يُقاتلنا.»

على الرغم من الظلام، أرى لونًا أحمر عميقًا يظهر على وجه (نيكس). «فأنا لستُ أحمقَ، أليس كذلك؟» يتحدث بطريقةٍ فظة مباشرة. رجل لا يجد فائدةً من الأسرار. على الرغم من أن دمَه يُخفي أعظم سِرٍّ على الإطلاق. «أنتم هؤلاء الحرس القرمزي. سيشنقني ضبَّاط الأمن بسبب وجودكم في منزلي. حتى بدون دعوة.»

«من الجيد معرفة ذلك.» يُتمتم (كال) في نفَسٍ منخفض. ويخبو بريق عينَيه قليلًا بينما ينظر نحوي بطريقةٍ معبرة. وجودنا فقط يُمكنه جلب الهلاك لذلك الشخص. «الآن يا سيد (مارستين).»

«(نيكس).» يُزمجر. ويلمع شيءٌ في عينَيه بينما يتبع نظرة (شايد). يجدني بين الظلال ويركز نظرَه، يُحاول أن يرى وجهي. «لكن أظنُّكم تعرفون ذلك مُسبقًا.»

يخطو (كيلورن) بخفَّة، ويلتفت حتى يَحجُبني عن الأنظار. تبدو الحركة بريئة، لكن حاجب (نيكس) يرتفع وهو يُدرك المعنى الأعمق. يصير أكثر خشونةً ويقف في مواجهة (كيلورن). الفتى الأصغر عمرًا أطول منه، لكن (نيكس) لا يُظهر ذرة واحدة من الخوف. يرفع إصبعًا واحدًا مُتوردًا، مشيرًا إلى صدر (كيلورن).

«لقد سحبتَني إلى هنا بعد حظر التجوُّل. هذه تُهمة عقابها الشنق. الآن أخبِرني لماذا، وإلا سأتجوَّل عودةً للمنزل وأحاول ألَّا أموت في الطريق.»

«أنت مُختلف يا (نيكس).» يبدو صوتي مُرتفعًا للغاية، يافعًا للغاية.

كيف أُفسر الأمر؟ كيف أُخبره بما تمنّيت أن يُخبرني به أحدٌ ما؟ بالذي لا أفهمه بحق؟ «تعلم أنّ هناك شيئًا بشأنك لا يمكنك تفسيره. ربما حتى تعتقد أن هناك شيئًا ما ... خاطئًا بك.»

كلماتي الأخيرة تُصيب هدفها مثل السهام. يجفل الرجل الصغير الفظ أثناء هبوطهم؛ تذوب أجزاء من غضبه. إنه يعرف بالضبط ما أتحدّث عنه. «نعم.» يقول.

لا أتحرّك من موضعي في البستان، لكن بدلًا من ذلك أشير لـ(كيلورن) أن يتنحّى جانبًا. يفعل ما طُلب منه، ويترك (نيكس) يمرُّ بجانبه. بينما يقترب، وينضم لي بين الظلال، يتسارع قلبي. ينبض في أذني، كطبل متوتر ومتحمس. هذا الرجل من الدماء-الجديدة، مثلي، مثل (شايد). شخص آخر يفهم الأمر.

(نيكس مارستين) لا يُشبه أبي في شيء، لكن لدَيهما نفس العينَين. ليس في اللّون أو الشكل، لكنهما يتشابهان مع ذلك. يتشاركان النظرة الجوفاء التي تتحدّث عن الفراغ، والخسارة التي لا يقدر الزمن على شفائها. لخوفي، ألَم (نيكس) أعمَق من أبي، رجل بالكاد يستطيع التنفُّس، وناهيك عن المشي. أراه في كتفَيه المنخفضَين، في إهمال شعره الرمادي وملابسه. إذا كنتُ لا زلت لصة، فأرًا، لن أزعج نفسي في سرقة هذا الرجل. لم يتبقَّ له شيء ليُعطيه.

يبادلني النظرات، وعيناه تتحرك فوق وجهي وجسدي. تتسع عندما يدرك من أكون. «فتاة البرق.» لكن عندما يتعرف على (كال) بجانب كتفي، تتحول صدمته لغضب.

بالنسبة لرجلٍ عمره يقرب للخمسين، (نيكس) سريع لدرجة مدهشة. في الظلال، بالكاد أراه يخفض كتفَه ويهجم، ويُمسك بمنتصف (كال). رغم أنه في نصف حجم الأمير، يسقطه كالثور، ويصطدم معه بجذع شجرة صُلب. تتصدع بصوتٍ عالٍ من أثر الصدمة، وتهتز من جذورها لأفرعها. بعد نصف نبضة قلب، أُدرك أنه ربما يجب أن أتدخل. (كال) هو (كال)، لكن لا نعرف من هو (نيكس) أو ما يقدر على فعله.

يقدر (نيكس) على توجيه لكمةٍ واحدة تسبِّب كدمة، يضرب فك (كال) بقوة لدرجة أنني أخشى أن يكون مكسورًا، قبل أن أتمكَّن من وضع ذراعي حول رقبته. «لا تجعلني أفعل هذا يا (نيكس).» أصرخ في أُذنه. «لا تُجبرني.»

«قومِي بأسوأ ما لديكِ.» يجيب (نيكس) باصقًا، ويحاول إبعادي. لكنني أصمد في ثبات، وأضغط على رقبته. يبدو اللحم صخريًّا تحت لمستي. حسنًا جدًّا.

أدفع ما يكفي من القوة من خلالي لصعق (نيكس) إلى الخضوع. يجب أن تجعل الصعقة شَعرَه يقف لأطرافه. تصطدم شراراتي الأرجوانية بجِلده، وأتوقَّع منه أن يتراجع، وربما يرتجف قليلًا، ويعود إلى رُشده. لكنه لا يبدو أنه يشعر ببرقي على الإطلاق. يُزعجه فقط، مثل ذبابة فوق حصان. أصعقه مرةً أخرى، أقوى هذه المرة، ومرة أخرى، لا شيء. في دهشتي، يتمكن من دفعي بعيدًا وأسقط بقوة، ويرتطم ظهري بشجرة.

(كال) يقوم بما هو أفضل، يراوغ ويُسدِّد أكبر عددٍ ممكن من اللكمات. لكنه يتأوَّه في ألَم عند الاتصال بجسده، حتى الضربات التي تمرُّ فوق ذراعِه. وأخيرًا سوار صانع اللهب في مِعصمه يشتعل، وتتشكل كرة نارية بين يدَيه. تتحطم على كتف (نيكس) مثل الماء على الصخر، وتحرق الملابس لكنه يترك اللحم دون أن يُصاب بأذًى.

تتردَّد كلمة (ستونسكين) - الفضيين ذوو الجلد المُتحجِّر- في رأسي، لكن هذا الرجل ليس كذلك. لا يزال جلده ورديًّا وأملسَ، وليس رماديًّا أو حجريًّا. هو ببساطة لا يمكن اختراقه.

«توقف عن هذا!» أزمجر، وأحاول إبقاء صوتي مُنخفضًا. لكن الشجار، أو يجب أن أقول المجزرة، يستمر. يتدفَّق الدم الفضي من فم (كال)، ويُلطخ مَفاصل يد (نيكس) باللون الأسود في الظلال.

يندفع (كيلورن) و(فارلي) أمامي، وخطواتهما السريعة تضرب الأرض في الوقت المناسِب. لا أعرف كم سيكونان مُفيدَين ضد كرة التحطيم البشرية هذه، وأمدُّ يدي لإيقافهما. لكن (شايد) يصل إلى (نيكس) قبلهما، ويقفز

إلى موقعٍ خلفه. يُمسك (نيكس) من رقبته، كما فعلت، ثم يرحلان معًا. يظهران على بُعد عشرة أقدام بعد جزءٍ من الثانية، ويسقط (نيكس) على الأرض، ووجهه أخضر باهت. يُحاول النهوض، لكن (شايد) يضع عكازه على رقبته، ويُثبته.

«تحرك وسأفعل هذا مُجددًا.» يقول وعيناه حيَّة وخطيرة.

يرفع (نيكس) يده المُلطخة بالدماء الفضية في استسلام. والأخرى تُمسك بمعدته التي ما زالت تنقلِب من المفاجأة وإحساس التعرّض للضغط عبر الهواء. أنا أعرفه جيدًا.

«كفى.» يلهث. يظهر على جبهته عرَق لامع، ويكشف الإرهاق الذي يشعُر به. لا يمكن اختراقه، ولكن يمكن إيقافه. يتراجع (كيلورن) إلى جذع الشجرة، ويختطف بقايا شبكته. يبتسِم لنفسه، ويكاد يضحك على مشهد (كال) مضروبًا وينزف. «يُعجبني هذا.» يقول، «يعجبني كثيرًا.»

أعاني حتى أنهض على قدمَي، مُتجاهلة الأوجاع القديمة التي تندفِع عبر عظامي.

«الأمير في صفِّنا يا (نيكس). هو هنا لمساعدتنا، مثلي.»

لا يقوم هذا بشيءٍ لتهدئته. يجلس (نيكس) على كعبَيه، ويكشف أسنانًا صفراء. تبدو أنفاسه خشنة وعميقة. «المساعدة؟» يقول ساخرًا. «هذا الفضيُّ الوغد ساعد بناتي للوصول لقبورهنَّ مُبكرًا.»

يقوم (كال) بكل ما بوسعه ليبدو مُهذبًا، رغم الدماء التي تتساقط من ذقنه. «يا سيد ...»

«(دارا مارستين) و(جيني مارستين).» يجيب (نيكس) في هسيس. تخترقني نظرتُه الحارقة كسكين في الظلام. «فيلق المطرقة. معركة (فالز). كانتا بعُمر التاسعة عشرة.»

فقدَتا حياتهما في الحرب. مأساة إذا لم تكن جريمة، لكن كيف هذا خطأ (كال)؟

بالحكم على نظرة العار التام على وجهه، يُوافق (كال) على كلام (نيكس). عندما يتحدّث، يصير صوته ثقيلًا، مُختنقًا بالمشاعر. «لقد انتصرنا.» يهمس،

غير قادرٍ على النظر بعيون (نيكس). «انتصرنا.»

يشد (نيكس) على قبضته، ولكنه يقاوم الرغبة في الهجوم. «انتصرتَ أنت، هنَّ غرقنَ في المياه، وعبرت جثثهنَّ (ماين فالز). لم يجد حفَّارو المقابر أحذيتهنَّ. ماذا كان بهذه الرسالة؟» يكمل، ويجفل (كال). «نعم، إن فتياتي فقدنَ حياتهنَّ من أجل النصر. من أجل الدفاع عن مَملكتهنَّ. وكان هناك توقيعات لطيفة للغاية في آخِر الرسالة. مِن الملك الراحل، جنرال فيلق المطرقة، والعبقري التكتيكي الذي قرَّر أن يعبُر فيلق بالكامل النهر.»

تلتفِت كل العيون تجاه (كال)، ويحترق تحت نظراتهم. يصير وجهُه شاحبًا، مغمورًا بالدماء والعار. أتذكَّر غرفته في قاعة الشمس، والكتب والمراجع المليئة بالملاحظات والخطط الاستراتيجية. جعلوني أشعر بالغثيان في ذلك الوقت ويَجعلونني أشعر بالغثيان الآن، من (كال) ونفسي. لأنني نسيتُ من هو حقًّا. ليس مجرد أمير، وليس مجرد جندي، ولكن قاتل. في حياةٍ أخرى كان من المُمكن أن أكون أنا من قاد حتى الموت، أو إخوتي، أو (كيلورن).

«أنا آسف.» يهمس (كال). ويُجبر نفسه على النظر لأعلى، ليُلاقي نظرات الأب الغاضب المفجوع. أظنُّه تدرَّب على هذا. «أعلم أن كلماتي لا تعني شيئًا. فتياتك وكل الجنود استحقُّوا الحياة. وأنت أيضًا يا سيدي.»

تُصدر رُكبتا (نيكس) صوتًا أثناء نهوضه، ولكن لا يبدو أنه يلاحظ. «هل هذا تهديد يا فتى؟»

«تحذير.» يُجيب (كال) ويهزُّ رأسه. «أنت مثل (ماير)، ومثل (شايد).» يشير تجاهنا تباعًا. «مُختلفون. ما ندعوهم بالدماء-الجديدة. أحمر وفضي.»

«لا تدعوني بالفِضي أبدًا.» يقول (نيكس) ويجزُّ على أسنانه.

لا يوقف هذا (كال) من الاستمرار، وينهض على قدمَيه. «أخي سيطارد من هم مثلك. يُخطط لقتلكم جميعًا والتظاهر أنكم لم تكونوا أبدًا موجودين. يُخطط لمَحوِكم من التاريخ.»

يقف شيءٌ في حلق (نيكس) ويُغيم الارتباك على عينَيه. ينظر إليَّ، باحثًا

عن الدعم. «هناك ... آخرون؟»

«العديد يا (نيكس).» هذه المرة عندما ألمس جلده، ليس لديّ نية صعقه. «فتيات وفتيان، كبار وصغار. في جميع أنحاء البلاد، ينتظرون العثور عليهم.»

«وعندما نعثر عليهم ... علينا؟ ماذا إذن؟»

أفتح فمِي لأجيبه، لكن لا شيء يخرج. لم أفكر لهذا المدى.

تتقدّم (فارلي) عندما لا أستطيع، وتمدُّ يدَها. تحمِل وشاحًا أحمر، خشنًا ورثًّا، ولكن نظيف. «سيحميهم الحرس القرمزي، ويُخفيهم. ويُدربوهم إذا أرادوا أن يتدربوا.»

أكاد أن أعترض على كلماتها، أتذكر الكولونيل. آخر شيء يبدو أنه يريده هو الدماء-الجديدة، لكن (فارلي) تبدو متأكدة جدًّا ومُقنِعة جدًّا. كما هو الحال دائمًا، أنا متأكدة من أن لديها شيئًا آخر في جعبتها، شيء لا ينبغي أن أشكك فيه. حتى الآن.

ببطء، يأخذ (نيكس) الوشاح منها، ويُقلِّبه بين يدَيه المُلطختَين.

«وإذا رفضت؟» يسأل باستخفاف، لكنّني أسمع الصلابة خلف سؤاله.

«حينها سيُعيدك (شايد) إلى الفراش، ولن تسمع منّا مرة أخرى.» قلتُ له. « لكن سيأتي (مافين). إذا كنتَ لا تريد البقاء معنا، فمِن الأفضل أن تهرب خارج الحضارة للطبيعة.»

تشتد قبضته على القماش القرمزي. «ليس هناك الكثير من الخيارات.»

«لكن لديك خيار.» آمُل أن يعرف أنني أعني ذلك. آمل ذلك من أجلي، من أجل روحي. «يمكنك اختيار البقاء، أو المجيء. أنت تعرف أكثر من أي شخصٍ آخر مقدار ما فُقد، ولكن يمكنك مساعدتنا في استعادة شيء ما أيضًا.»

يظل (نيكس) هادئًا لفترةٍ طويلة بعد ذلك. يسير، والوشاح في يده، يلقي نظرة خاطفة من حين لآخر عبر الفروع على منارة برج المراقبة. تدور ثلاث مرات قبل أن يتحدّث مرة أخرى.

«ماتت فتياتي، ماتت زوجتي، وسئِمتُ من رائحة المُستنقعات الكريهة.»

يقول وهو يتوقف أمامي. «أنا معك.» ثم يُحدق من فوق كتفي، ولست بحاجة إلى الاستدارة لمعرفة أنه ينظر إلى (كال). «فقط أُبقي هذا بعيدًا عني.»

الفصل الثاني عشر

نسير عائدِين عبر الغابة في أمان، لا يُطاردنا شيء سوى نسيم البحر والغيوم. لكنني لا أستطيع التخلّص من الشعور بالرهبة المُلتفّ حول قلبي. على الرغم من أن (نيكس) كاد أن يشق جمجمة (كال)، إلا أن تجنيدَه بدا سهلًا. سهلًا جدًا، وإذا كنتُ قد تعلمتُ أي شيء على مدى السنوات السبع عشرة الماضية، وخلال الشهر الماضي، فهو أنه لا شيء سهلًا. كل شيء له ثمن. إذا لم يكن (نيكس) فخًا، فهو بالتأكيد خطر. يمكن لأي أحدٍ أن يخون أي أحد.

لذلك على الرغم من أنه يُذكّرني بأبي، على الرغم من أنه ليس أكثر من لِحيةٍ رمادية وحُزن، على الرغم من أنه مثلي، إلا أنني أُغلق قلبي أمام الرجل من (كورانت). لقد أنقذته من (مافين)، وأخبرته بما هو عليه، وتركته يختار. الآن يجب أن أستمر، لأفعل الشيءَ نفسه لآخَر وآخَر وآخَر. كل ما يهم هو الاسم التالي.

يضيء ضوء النجوم الغابة بما يكفي لإلقاء نظرة سريعة، وأتصفح الصفحات من قائمة (جوليان) التي صارت الآن مألوفة. هناك عدد قليل في المنطقة، يتجمعون حول مدينة خليج (هاربور). اثنان منهم مُقيمان في مدينة (بروبر)، وواحد في حي (نيو تاون) الفقير. كيف سنصِل إلى أيٍّ منهما، لست متأكدة. من المؤكد أن المدينة ستكون مُحاطة بأسوارٍ مثل (أركيون) و(سمرتون)، وفي حين أن القيود المفروضة على الأحياء الفقيرة التقنية أسوأ من التدابير. ثم أتذكّر. الجدران والقيود لا تعيق (شايد). لحُسن الحظ، يمشي بشكلٍ أفضل بمرور كل ساعة، ولا يبدو أنه سيحتاج إلى العكاز بعد بضعة أيامٍ أخرى. حينها لا يُمكن إيقافنا. حينها يمكن أن نفوز حتى.

الفكرة تُثيرني وتُربكني بنفس القدْر. كيف سيبدو عالم كهذا؟ يُمكنني

فقط أن أتخيل أين سأكون. في المنزل ربما، بالتأكيد مع عائلتي، في مكانٍ ما في الغابة حيث يمكنني سماع هدير النهر. و(كيلورن) في مكانٍ قريب، بالطبع. لكن (كال)؟ لا أعرف أين سيختار أن يكون، في النهاية.

في ظلام الليل، من السهل أن تدَعَ عقلك يتجوَّل. أنا معتادة على الغابات ولستُ بحاجة حقًّا إلى التركيز لمنع التعثر فوق الجذور والأوراق. لذلك أحلم وأنا أمشي، أفكر فيما قد يكون. جيش من الدماء-الجديدة. تقود (فارلي) الحرس القرمزي. انتفاضة حمراء لائقة، من خنادق منطقة الاختناق إلى أزقة (جراي تاون). قال (كال) دائمًا إن الحرب الشاملة لا تستحق التكلفة، وإن فقدان الحياة الحمراء والفضية سيكون أيضًا عظيمًا. أتمنّى أن يكون مُحقًّا. أتمنّى أن يرى (مافين) ما نحن عليه، وما يمكننا فعله، ويُدرك أنه لا يستطيع الفوز. هو ليس أحمَقَ، حتى هو يُدرك متى يكون مهزومًا. على الأقل، آمُل أنه يفعل. لأنه بقدْر معرفتي، لم يُهزَم (مافين) أبدًا. ليس عندما يهم الأمر حقًّا. فاز (كال) بوالدهما، وبجنودهم، لكن (مافين) فاز بالتاج. فاز (مافين) في كل معركة مهمة حقًّا.

ومع مرور الوقت ... كان سيفوز بي أيضًا.

أراه في ظل كل شجرة، شبحًا يقف شامخًا ضد العاصفة المُمطرة في وعاء العظام. تتدفق المياه بين أطراف تاجِه الحديدي، وإلى عينَيه وفمه، إلى ياقته، إلى الهاوية الجليدية التي هي قلبه الضائع. يصير لونُها أحمر، وتتحوَّل من الماء إلى دمائي. يفتح فمَه لتذوُّقه، والأسنان حادة بالداخل، شفرات لامعة من العظام البيضاء. أرمش لأُبعِده عن تفكيري، وأحجب ذكرى الأمير الخائن.

تهمس (فارلي) في الظلام، وتفسر الهدف الحقيقي للحرس القرمزي. (نيكس) رجل ذكي، لكن مثل أي شخصٍ تحت حُكم التاج المشتعِل، تم إطعامه الأكاذيب. إرهاب، فوضى، تعطش للدماء، هذه هي الكلمات التي يستخدمها البث الإذاعي لوصف الحرس. يعرضون أطفالًا موتى في حادثة إطلاق النيران في قصر قاعة الشمس، والحطام الغارق لجسر (أركيون)، كل شيء لإقناع البلاد بشَرِّنا المزعوم. وأثناء كل ذلك، العدو الحقيقي يجلس

فوق العرش ويبتسِم.

«ماذا عنها؟» يهمس (نيكس)، وَيَرميني بنظرة من عينَين عازمتَين. «هل حقًّا قامت بإغواء الأمير لقتل الملك؟»

يُمزقني سؤال (نيكس) مثل الشفرة، يَجرحني لدرجة أنني أتوقَّع رؤية سكين يبرُز من صدري. لكن آلامي يُمكنها الانتظار. أمامي، يتوقف (كال)، كتفاه العريضتان ترتفعان وتسقطان، مما يدلُّ على أنفاسٍ عميقة وثابتة. أضع يدي على ذراعه، في أمل تهدئته كيفما يُهدئني. يحترق جلده تحت أصابعي، ساخنًا جدًّا فلا يمكن لمسه.

«لا، ليس هكذا.» أقول لـ(نيكس)، أدفع كلَّ الصلابة التي أقدِر عليها في صوتي. «ليس هذا ما حدث على الإطلاق.»

«هل انزلق رأس الملك من تلقاء نفسه، إذن؟» يضحك، متوقعًا ضحكًا متزايدًا. لكن حتى (كيلورن) لدَيه حسٌّ جيد بالبقاء هادئًا. لا يبتسم حتى. يفهم ألَمَ وفاة الأب.

«لقد كان (مافين).» يُزمجر (كيلورن)، مما فاجأنا جميعًا. النظرة في عينَيه من نيرانٍ نقية. «(مافين) ووالدته، الملكة. يُمكنها التحكُّم في عقلك و ...» يتردَّد، لا يريد أن يُكمل. كان موت الملك رهيبًا، حتى بالنسبة لرجلٍ كرِهناه.

«و ...» يضغط (نيكس)، ويتَّخذ الفرصة ليتقدم القليل من الخطوات تجاه (كال). أُوقفه بنظرة حادة كالخنجر، ولحُسن الحظ، يتوقَّف على بُعد بضع خطوات. لكن وجهه يرسم ابتسامة ساخرة، في شوق لرؤية الأمير يتألَّم. أعلم أنه لدَيه أسبابه لتعذيب (كال)، لكن لا يعني ذلك أنني سأدَعُه.

«استمرَّ في الحركة.» أُتمتِم بصوتٍ منخفض فقط (كال) من يقدر على سماعه.

بدلًا من ذلك، يلتفت، وعضلاته مشدودة تحت لمستي. أشعر بها وكأنها موجات حارة تتدحرج على بحرٍ صلب. «(إيلارا) أجبرتني على فعل ذلك يا (مارستن).» تلتقي عيناه البرونزية مع عيني (نيكس)، وتتحدَّاه لاتخاذ

خطوة أخرى.

«لقد شقَّت طريقها إلى رأسي، وسيطرت على جسدي. لكنها تركت عقلي يبقى. سمحت لي بالمشاهدة بينما أُمسك ذراعي بسيفه، بينما فصلت رأسه عن كتفَيه. ثم أخبرت العالَم أن هذا ما أردتُه طوال الوقت.» ثم صار أكثر ليونة، كما لو كان يذكر نفسه، «لقد جعلتني أقتُل والدي.»

يتلاشى بعضٌ من ضغينة (نيكس)، وهو ما يكفي للكشف عن الرجل تحته. «رأيت الصور.» يُتمتم، كما لو كان يعتذر. «كانوا في كلِّ مكان، على كل شاشة في المدينة. اعتقدت ... بدا الأمر ...»

تتحرك عينا (كال) إلى الأشجار. لكنه لا ينظر إلى الأوراق. نظرته إلى الماضي، إلى شيء أكثر إيلامًا. «قتلَتْ والدتي الحقيقية أيضًا. وستقتلنا جميعًا إذا سمحنا لها.»

تخرج الكلمات قاسيةً وخشنة، شفرة صدئة لتمزيق اللحم. ومذاقها رائع في فمي. «ليس إذا قتلتها أولًا.»

على الرغم من كل مواهبه، فـ(كال) ليس شخصًا عنيفًا. يُمكنه قتلك بألف طريقةٍ مختلفة، وقيادة جيش، وإشعال النيران في قرية، لكنه لن يستمتع بذلك. لذا فإن كلماته التالية تُفاجئني.

«عندما يحين الوقت.» يقول وهو يُحدق في وجهي. «سنُقلَب عملة معدنية.» لقد أصبح لهيبه المشرق مُظلمًا حقًّا.

عندما نخرج من الغابة، تسري خلالي رجفة قصيرة من الخوف. ماذا إذا اختفت (البلاك رن)؟ ماذا إذا تتبعونا؟ ماذا إذا، ماذا إذا، ماذا إذا. لكن الطائرة موجودة حيث تركناها. تكاد تكون مختفية بين الظلام، تمتزج مع المَهبط الرمادي-الأسود. أقاوم الرغبة في الركض إلى الأمان داخلها، وأجبر نفسي على أن أحافظ على نفس سرعة تقدّم (كال). ليس قريبًا جدًّا، مع ذلك.

لا إلهاءات.

«أبقِي عينيكِ مفتوحتَين.» يهمس (كال)، تحذير بسيط، ولكنه حازم بينما نقترب. لا يحرك نظره من على الطائرة، يبحث عن أي دليلٍ على

وجود فخ.

أفعل الشيء نفسه، وأُحدق بالممر الخلفي الذي لا يزال منخفضًا فوق المهبط، مفتوحًا لهواء الليل. يبدو واضحًا بالنسبة لي، لكن الظلال تتجمّع في بطن (البلاك رن)، ظلام دامس ومن المستحيل الرؤية من هذه المسافة. استغرق تشغيل الطائرة بأكملها قدرًا كبيراً من الطاقة والتركيز، أمّا المصابيح بالداخل فهذه قصة أخرى. حتى من على بُعد عشرة أمتار، من السهل الوصول إلى أسلاكها، وإشعال شحناتها، وإضاءة الجزء الداخلي من الطائرة بتوهُّج مشرق ومُفاجئ. لا شيء يتحرك في الداخل، لكن الآخَرين يتأثرون، مُندهشين من الضوء المتفجر. حتى أنَّ (فارلي) حرَّرت مُسدسها من الحافظة المربوطة في ساقها.

«هذه أنا فقط.» أقول لها مُلوِّحة بيدي. «الطائرة خالية.»

تتسارع وتيرتي. مُتشوقة أن أكون في الداخل، مُحاطة بشحنات الكهرباء المُتزايدة التي تقوى مع كل خطوة. عندما تطأ قدمي الممر، أتسلق إلى المركبة، وأشعر وكأنني أدخل في عناقٍ دافئ. أُمرر يدي على طول الجدار، أتتبّع أطراف لوحٍ معدنية أثناء مروري.

تتدفق المزيد من طاقتي، وتنزف من المصابيح، وتسري على طول المسارات الكهربائية إلى البطاريات الضخمة تحت قدمَيَّ والمثبّتة تحت كل جناح. تُصدِر طنينًا في تناغُم تام، وترسل طاقتها الخاصة، تُشعل ما لم أُشعله. تعود (البلاك رن) إلى الحياة.

يشهق (نيكس) ورائي، في رهبةٍ من الطائرة المعدنية الضخمة. ربما لم يرَ واحدةً بهذا القرب من قبل، ناهيك عن دخول واحدة. أستدير، مُتوقعة أن أجده يُحدق في المقاعد أو قمرة القيادة، لكن عينيه مثبّتتان بقوة عليَّ. يحمرُّ وجهه ويخفض رأسه فيما يُمكن أن يكون انحناءةً مرتجفة. قبل أن أتمكن من إخباره بالضبط كم يُزعجني ذلك، يسرع إلى مقعد، في حيرةٍ بسبب أحزمة الأمان.

«هل أحصل على خوذة؟» يسأل وسط الصمت. «إذا كنا سنتحطَّم في الهواء، فأريد خوذة.»

يضحك (كيلورن) ويجلس بجانب (نيكس) ويربط كلا حزامَي الأمان بأصابع مَرِنة وسريعة. «(نيكس)، أظنك الوحيد هنا الذي لا يحتاج واحدة.»

يضحكان معًا، ويتشاركان ابتسامات مائلة. لولاي ولولا الحرس القرمزي، كان من الممكن أن يصير (كيلورن) تمامًا مثل (نيكس)؛ رجلًا عجوزًا مكسورًا، لم يتبقَ له شيء لإعطائه سوى عظامه. الآن آمُل أن تُتاح له الفرصة ليكبر في السن، ويصبح لديه آلام في الركبتَين ولحية رمادية خاصة به. فقط لو يسمح لي (كيلورن) بحمايته. فقط لو لم يُصِر على رمي نفسه أمام كل رصاصةٍ تأتي في طريقه.

«إذن هي فعلًا فتاة البرق. وهذا الشخص هو ...» يُشير عبر الطائرة تجاه (شايد)، ويبحث عن كلمة ليصِف قُدرته.

«قافز.» يقول (شايد) في إيماءةِ رأس يتَّسم بالاحترام. يربط حزامه بإحكامٍ قدْر استطاعته، بالفعل بدأ يشحب بسبب احتمالية الطيران مُجدداً. لا تبدو (فارلي) متأثرة، وتُحدق من مقعدها في حزم، عيناها على نوافذ قمرة القيادة.

«قافز. حسنًا. وماذا عنك يا فتى؟» يكِزُ (كيلورن) بمرفقه، لا يلاحظ اختفاء ابتسامة الفتى. «ماذا تستطيع أن تفعل؟»

أغوص في مقعد قُمرة القيادة، لا أريد أن أرى أي ألمٍ على وجه (كيلورن). لكنني لستُ سريعة بما يكفي. فألمح احمرار وجنتَيه في حرج، وتصلُّب كتفَيه، وضِيق عينَيه وعبوسه النافذ. والسبب واضح بشكل صادم. تعتصر الغيرة كلَّ جزءٍ منه، وتنتشر أسرع مما تنتشر العدوى. شدة ذلك تفاجئني. لم أفكر مرةً واحدة أن (كيلورن) يريد أن يكون مثلي، مثل الفضيِّين. هو فخور بدمائه، لطالما كان كذلك. حتى إنني أثَرْتُ غضبه، عندما رأى لأول مرة ما أصبحتُ عليه. هل أنتِ واحدة منهم؟ زمجر وكان صوته قاسيًا وغير مألوف. كان غاضبًا جدًا. ولكن لماذا هو غاضب الآن؟

«أصطاد السمك.» يقول ويُجبر ابتسامة خاوية على وجهه. هناك مرارة في صوته، وندعها تتقيح وسط صمتنا.

يتحدث (نيكس) أولًا، ويضرب كتف (كيلورن). «سلطعون.» يقول

ويُرقص أصابعه. «أصطاد سلاطيع البحر طوال حياتي.»

ينحسِر القليل من انزعاج (كيلورن)، وينسحِب خلف ابتسامةٍ معقوفة. يستدير لمشاهدة (كال) يُحرك مفاتيح لوحة التحكم، ليجعل (البلاك رن) جاهزة لرحلةٍ أخرى. أشعر بالطائرة تستجيب، وتتدفق طاقتها نحو المحركات المُثبتة على الجناح. تبدأ في الطنين، وتكتسب الطاقة مع كل ثانية تمر.

«تبدو جيدة.» يقول (كال) ويكسر الصمت غير المُريح أخيرًا. «إلى أين تاليًا؟»

يستغرق الأمر ثانيةً لأُدرك أنه يسألني. «أوه.» أتعثر في الكلام. «تتواجَد أقرب الأسماء في خليج (هاربور). اثنان في مدينة (بروبر)، وواحد في الأحياء الفقيرة.»

أتوقع المزيد من الضجَّة بسبب احتمالية اقتحام مدينةٍ فضية ذات أسوار، لكن يُومئ (كال) برأسه فقط. «لن يكون ذلك سهلًا.» يحذر قائلًا، وتُومض عيناه البرونزية مع الأضواء الوامضة للوحة.

«أنا سعيدة جدًّا لأنك هنا لإخبارنا بما لا نعرفه بالفعل.» أجيب في جفاء. «(فارلي)، هل تعتقدين أنه يُمكننا القيام بهذا؟»

تومئ في موافقة، وهناك شرخ في قِناعها الرزين عادة، يكشف مشاعر خلفَه. حماس. تطرُق أصابعها على ساقِها. ينتابني شعور مُثير للمرض أنها ترى جزءًا من هذا كلُعبةٍ ما. «لديَّ أصدقاء كفاية في الخليج.» تقول، «لن تكون الأسوار مشكلة.»

«إذن للخليج سنتَّجِه.» يقول (كال)، ونبرته الكئيبة ليست مريحة على الإطلاق.

ومثلها أيضًا التقلُّص في مَعِدتي بينما تندفع الطائرة للأمام وتُصدر صوتًا كالصراخ أثناء جريها ميلًا فوق المهبط الخفي. هذه المرة، عندما نَميل في اتجاه السماء، أُغمض عينيَّ بشدة. مع الطرق المريح للمحركات ومعرفة أنه لا يُوجد من يحتاجني الآن، من السهل بشكلٍ مُخيف أن أغفو. أنتقل بين النوم واليقظة عدة مرات، ولا أستسلِم حقًّا للظلام الهادئ الذي

يحتاجه عقلي بشدة. شيءٌ ما في الطائرة يُبقيني مُعلقة، لا أفتح عينيَّ أبدًا، لكن عقلي لا يُغلق تمامًا. أشعر أنني مثل (شايد)، أتظاهر بالنوم، وأجمع الأسرار الهامسة. لكن الآخرين صامتون، وحكمًا على صوت شخير (نيكس) المُتقطِّع، في نومٍ عميق مثل الشموع المُطفأة. فقط (فارلي) تبقى مُستيقظة. أسمعها تفكُّ الحزام وتتحرَّك إلى جانب (كال)، وخطواتها غير مسموعة تقريبًا مع هدير مُحركات الطائرة النفاثة. أغفو وقتَها، وأحصل على بضع دقائق من الراحة السطحية، قبل أن يُوقظني صوتها المنخفض.

«نحن فوق المُحيط.» تهمس، وتبدو مُرتبكة.

يُصدر عنق (كال) صوت فرقعة بينما يستدير، عظام على عظام. لم يسمعها تأتي، مع تركيزه في الطائرة. «حادَّة الإدراك.» يقول بعدما يتعافى.

«لِمَ نحن فوق المُحيط؟ الخليج تجاه الجنوب، ليس الشرق ...»

«لأن لدينا أكثر مما يكفي من الوقود للدوران حول الساحل وهم يحتاجون للنوم.» يُلطخ صوته شيءٌ شبيهٌ بالخوف. يكره (كال) المياه. لا بد أن هذا يقتُله.

تُصدر صوتًا ساخرًا. «يُمكنهم النوم حينما نهبط. المهبط التالي مَخفي مثل الأخير.»

«لن تفعل. ليس مع وجود دماء-جديدة في خطر. ستسير حتى تسقط، ولا يُمكننا السماح لها بذلك.»

صمت طويل. لا بد أنه يُحدق، ويقنعها بعيونه بدلًا من الكلمات. أعرف بشكلٍ مباشر كيف يمكن أن تكون عيناه مُقنعتَين.

«ومتى تنام يا (كال)؟»

ينخفض صوته، ليس في المِقدار، ولكن في الحالة النفسية. «لا أنام، لا نوم بعد الآن.»

أريد أن أفتح عيني. وأُخبره أن يستدير، وأن يتعجَّل بقدْر ما يستطيع. نحن نُضيع وقتنا في المحيط، ونحرق لحظاتٍ ثمينة يمكن أن تعني الحياة أو الموت لدماء (نورتا) الجديدة. لكن غضبي يُخفِّفه الإرهاق، والبرد. حتى بجانب (كال) الذي هو فُرن متحرك، أشعر بزحف الجليد المألوف

في جسدي. لا أعرف من أين يأتي، فقط إنه يصل في لحظات الهدوء، عندما أكون ساكنة، عندما أفكر. عندما أتذكّر كل ما فعلته، وما تم فعلُه بي. يستقر الثلج في المكان الذي يجب أن يكون فيه قلبي، يُهدد بتمزيقي. ألفُّ ذراعي حول صدري، في محاولة لإيقاف الألم. ينجح هذا قليلًا، ويجعل الدفء يعود إليَّ. ولكن حيث يذوب الثلج، يترك مكانه الفراغ. هاوية. ولا أعرف كيف أملؤها مرةً أخرى. لكنني سأتعافى، يجب أن أتعافى.

«أنا آسف.» يُتمتم، بالكاد يكون مسموعًا. لكن لا يزال كافيًا ليَمنعني من الابتعاد. لكن كلماته ليست من أجلي. شيء ما يصطدم بذراعي. (فارلي)، بينما تقترب لتسمَعه.

«لِما فعلتُه بكِ. من قبل. في قاعة الشمس.» يكاد صوته يتقطَّع. يحمِل (كال) ثلجًا خاصًّا به. ذكرى الدماء المُتجمدة، وتعذيب (فارلي) في سجن القصر. رفضت خيانة قومها، وجعلها (كال) تصرخ من أجل ذلك. «لا أتوقَّع منكِ أن تتقبلي أي شكلٍ من الاعتذار، ولا يجب عليكِ ...»

«أقبله.» تقول بطريقةٍ فظة، ولكنها صادقة. «قمتُ بأخطاءٍ هذه الليلة أيضًا. جميعنا أخطأنا.»

حتى مع عينيَّ المُغلقتَين، أعلم أنه ينظر تجاهي. أشعر بنظرته، يُلوِّنها الذنب والعزم. اصطدام العجلات بالأسمنت يُوقظني فجأة وأقفز فوق مقعدي. أفتح عينيَّ، فقط لأُغلقهما مرة أخرى، لتَفادي طعنة أشعة الشمس الساطعة التي تتدفَّق عبر نوافذ قمرة القيادة. الآخرون مُستيقظون، ويتحدثون بهدوء، وأنظر من فوق كتفي لمُواجهتهم.

على الرغم من أننا نندفع عبر المهبط، نبطئ لكن لا نزال نتحرك، يترنح (كيلورن) جانبي. أعتقد أن سيقانه النهرية نافعة في شيء، لأن حركة الطائرة لا يبدو أنها تؤثر عليه على الإطلاق.

«(ماير بارو)، إذا أمسكتُ بكِ تغفين مرةً أخرى، فسأبلغ مركز الأمن عنك.» يُقلد مُعلمتنا القديمة، التي تشاركناها حتى بلغ السابعة من عمره وغادر ليصير مُتدربًا مع صياد سَمك. أنظر إليه وأبتسِم بسبب الذكرى. «إذن سأنام في عمود التشهير يا سيدة (فاندارك).» أجيبه وأرسله إلى نوبة

من الضحك.

بينما أستيقظ كليًا، أُدرك أنني مُغطاة بشيء. قماش ناعم ورث وغامق اللون. معطف (كيلورن). يزيحه عني قبل أن أعترض، ويتركني أشعر بالبرودة دون دفئه.

«شكرًا.» أُتمتم، وأشاهده يرتديه.

يهز كتفَيه فقط. «كنتِ ترتجفين.»

«ستكون رحلة طويلة حتى نصل للخليج.» صوت (كال) عالٍ مع هدير المحركات الصاخبة، ولا زالت تدور من الرحلة. لا يرفع عينَيه عن المهبط أبدًا ويُوجه الطائرة لتقِف. مثل حقل تسعة-خمسة، هذا الخراب المزعوم مُحاط بالغابات ومهجور تمامًا. «عشرة أميال عبر الغابة والضواحي.» يُضيف وهو يُوجِّه رأسه نحو (فارلي)، «ما لم يكن لديكِ شيءٌ آخر في جعبتك!»

تضحك، وتفك حزامها. «أنت تتعلَّم، أليس كذلك؟» تضع خريطة الكولونيل على ركبتَيها.» يُمكننا خفضها إلى ستة إذا اتجهنا للأنفاق القديمة. وتجنَّبنا الضواحي تمامًا.

«قطار سُفلي آخر؟» تملؤني الفكرة بمزيجٍ من الأمل والرهبة.«هل هذا آمِن؟»

«ما هذا القطار السُّفلي؟» يتذمَّر (نيكس)، وصوته بعيد. لن أُضيع وقتي في تفسير الأنبوب المعدني المُهتز الذي تركناه في (نايرسي). تتجاهله (فارلي) أيضًا. «لا يُوجَد واحد يتمركز في الخليج، ليس بعد، لكن النفَق نفسه يمرُّ مباشرة تحت طريق الميناء. هذا إذا لم يكن قد تمَّ إغلاقه!»

تنظر إلى (كال)، لكنه يهز رأسه. «لا يُوجَد وقت كافٍ لذلك. قبل أربعة أيام، اعتقدنا أن الأنفاق منهارة ومهجورة. لم يتم وضعها على خرائط حتى. حتى مع كل (سترونج أرم) الذين تحت تصرُّفه، لا يمكن أن يقدِر (مافين) على سدِّها جميعًا في هذا الوقت.» يتردَّد صوته، مُثقلًا بالتفكير. أعرف ما يتذكره.

مضت أربعة أيام فقط. أربعة أيام منذ أن وجد (كال) و(بتوليموس)

(والش) في أنفاق القطار تحت (أركيون). أربعة أيام منذ أن شاهدناها تقتُل نفسها لحماية أسرار الحرس القرمزي.

لأُشتّت انتباهي عن ذكرى عيني (والش) الزجاجيتَين الميتة، أتمدّد فوق مقعدي، وأثني عضلاتي وأشدها. «فلنتحرك.» أقول ويبدو كأمرٍ أكثر مما أرغب.

لقد حفظت الدفعة التالية من الأسماء. (آدا والاس). ولدت في ٢٩٠/١/٦ في خليج (هاربور)، (بيكون)، ولاية (ريجنت)، (نورتا). محل الإقامة الحالي: نفس محل الميلاد. والآخر، مُقيم أيضًا في خليج (هاربور). (وويلفر جالت). وُلِد في ٣٠٢/١/٣٠، يتشارك يوم مِيلاده مع (كيلورن)، حتى العام نفسه. لكنه ليس (كيلورن). هو من الدماء-الجديدة، طفرة حمراء وفضية أخرى ليحسده (كيلورن).

الغريب أنه لا يُظهر (كيلورن) أي عداوة تجاه (نيكس). في الواقع يبدو ودودًا أكثر من الطبيعي، يحوم حول الرجُل الكبير في العمر كجروٍ تحت قدمَيه. يتحدّثان بصوتٍ خافت، يتشاركان تجربة النشأة في فقرٍ وكحُمر وبلا أملٍ معًا. عندما يذكر (نيكس) الشِّباك والعُقَد، موضوع مُملٍ يعشقه (كيلورن)، أحول تركيزي نحوَ وضع كل شيءٍ آخر في مقرّه. يتمنى جزء منّي أن أنضم لهم، لمناقشة قيمة اللفّة المزدوجة الإحكام بدلًا من أفضل طريقة للتسلُّل. سيجعلني أشعر أنني طبيعية. لأنه مهما قال (شايد) فنحن أبعد شيءٍ عن الطبيعي.

(فارلي) تتحرك بالفعل وتجذب مِعطفًا بنيًا غامقًا فوق كتفَيها. تدسُّ وشاحها الأحمر داخله، لتُخفي اللون، وبدأت في حزم المُؤَن من مخازننا. ليست قليلة الكمية بعد، لكنّني أدوّن ملاحظة ذهنية لسرقة أي شيءٍ أقدِر عليه خلال رحلتنا، إذا سنحت لي الفرصة. البنادق مسألة أخرى؛ لدينا ستٌّ فقط، وسرقة المزيد لن يكون أمرًا سهلًا. ثلاث بنادق وثلاثة مسدسات. لدى (فارلي) بالفعل واحدة من كلٍّ منها، البندقية ذات الماسورة الطويلة فوق كتفِها والمُسدس عند خصرها. نامت وهما مُلتصقان بها، كما لو كانا من أطرافها. لذلك كانت مفاجأة عندما فكّتهما، وأعادت الأسلحة إلى

الخزانة على الحائط.

«هل ستذهبين بدون أسلحة؟» يتدخَّل (كال)، بندقيتُه الخاصة في يدِه.

ردًّا على ذلك، رفعت ساقها، وكشفت عن سكينٍ طويل مدسوس في حذائها. «الخليج مدينة كبيرة. وسنحتاج الصباح للعثور على قوم (ماير)، وربما طوال الليل لإخراجهم. لن أخاطر بحمل سلاح ناري غير مُسجل. سيُعدمني أي ضابط أمن على الفور. سأغتنم فرصي في القرى، حيث تُوجَد إجراءات أمنية أقل، ولكن ليس في الخليج.» ثم تُضيف، مُخبِّئةً السكين مرةً أخرى. «أنا مندهشة أنك لا تعرف قوانينك الخاصة يا (كال).»

يخجل وجهه باللون الفضي، وتتحوّل أطراف أُذنَيه إلى لون العظام الأبيض في إحراج. مهما حاول، لم يكن لدى (كال) فهم جيد للقوانين والسياسة. كان هذا مجال (مافين)، دومًا (مافين).

«وعلى أي حال ...» تُكمِل (فارلي)، وعيناها تفحصُنا بدقة معًا، «أعتبرك أنت وفتاة البرق أسلحة أفضل بكثيرٍ من البنادق.»

أستطيع أن أسمع صوت أسنان (كال) بينما يضغطها فوق بعضها في غضبٍ وإحباط. «أخبرتك، لا يمكننا ...» يبدأ، ولستُ مُضطرة للاستماع إلى كلماته التي يُتمتم بها لمعرفة حُجَجه. نحن أكثر الأشخاص المُطلوبين في المملكة، نحن خطر على الجميع، وسنعرض كلَّ شيء للمخاطرة. وبينما حدسي الأوَّلي هو الاستماع لـ(كال)، فالثاني والأكثر ثباتًا هو ألَّا أثق به. لأن التسلُّل ليس اختصاصه، بل اختصاصي أنا. بينما يجادل مع (فارلي)، أُجهز نفسي بهدوء للأنفاق وخليج (هاربور). أتذكرها من كتب (جوليان)، وأسحب الخريطة بعيدًا عن (فارلي). لا تلاحظ حركتي السلسة، لا تزال مشغولة بمُضايقة (كال). ينضم (شايد)، ويتدخَّل نيابة عنها، ويتركني الثلاثة الثرثارون أجلس بصمتٍ وأخطط.

خريطة الكولونيل لخليج (هاربور) أحدَث من تلك التي أراني إيَّاها (جوليان)، وأكثر تفصيلًا. تمامًا كما تم بناء (أركيون) حول الجسر الضخم الذي دمَّره الحرس القرمزي، فإن خليج (هاربور)، طبيعي، يتركَّز حول مينائه الشهير الشبيهِ بالوعاء. مُعظمها مبنيٌّ بشكلٍ صناعي، مما يُشكل

منحنًى مثاليًا للغاية للمُحيط مقابل الأرض. ساعد كل من الفضيّين (الجرين واردين) و(النيمفيين) في بناء المدينة والميناء، بالتناوب في دفن وإغراق أنقاضِ ما كان موجودًا هنا. ويقسِم دائرة المحيط، التي تبرز مباشرة من الماء، طريق مُستقيم مليء بالبوابات ودوريّات الجيش ونقاط الاختناق. يفصِل ميناء (أكواريان) المدني عن ميناء الحرب الذي يحمل اسمًا مناسبًا، ويؤدي إلى حِصن (باتريوت)، الذي يقع على ساحةٍ مسطحة من الأراضي المُسوَّرة في وسط الميناء. يعتبر الحصن الأكثر قيمةً في البلاد، وهو القاعدة الوحيدة التي تخدم الفروع الثلاثة للجيش. (باتريوت) موطن لجنود فيلق (بيكون)، وكذلك أسراب الأسطول الجوي. مياه ميناء الحرب نفسها عميقة بما يكفي حتى لأكبر السفن، مما يخلُق رصيفًا أساسيًا للأسطول البحري الشمالي. حتى على الخريطة، يبدو الحصن مُخيفًا. آمُل أن يتم العثور على (آدا) و(ووليفر) خارج جدرانه.

تمتد المدينة نفسها حول الميناء، وتزدحم بين الأرصفة. خليج (هاربور) أقدم من (أركيون)، ويضمُّ أنقاض المدينة التي كانت موجودةً هنا في يومٍ من الأيام. تلتفُّ الطرق وتنقسِم بشكلٍ غير متوقع. مقارنة بالشبكة المنظمة للعاصمة، يبدو الخليج وكأنه كومةٌ من الأسلاك المتشابكة. مثالي للمُحتالين مثلنا. بعض الشوارع تغوص تحت الأرض، وتتَّصِل بشبكة الأنفاق التي يبدو أن (فارلي) تعرفها جيدًا. في حين أن استخراج اثنين من الدماء-الجديدة من خليج (هاربور) لن يكون سهلًا، إلا أنه لا يبدو مُستحيلًا. خاصة إذا حدث القليل من انقطاعات التيار الكهربائي في المدينة في الوقت المناسب.

«يمكنك البقاء هنا يا (كال) بكل ترحيب.» أقول وأرفع رأسي من فوق الخريطة. «لكنّي لن أبقى خارج هذه العملية.»

يتوقف في منتصف الجُملة، ويحول وجهه تجاهي. للحظة، أشعر أنني كومة من المواد القابلة للاحتراق على وشك الاشتعال. «إذن أتمنَّى أن تكوني مُستعدة لفعل ما يتوجَّب عليكِ.»

مستعدة لقتل كل من يتعرَّف عليّ. أي شخص يتعرَّف عليّ.

«أنا كذلك.»

أنا بارعة جدًّا في الكذب.

الفصل الثالث عشر

من السهل إقناع (نيكس) بالبقاء. حتى مع قُدرته المنيعة، لا زال صياد سلاطِع قرويًا لم يبتعِد أبدًا عن المُستنقعات المالحة في وطنه. عملية إنقاذ داخل مدينة محاطة بأسوار ليست مكانًا مناسبًا له، وهو يعلم ذلك. لم يكن من السهل إقناع (كيلورن). وافق على البقاء في الطائرة فقط بعدما ذكَّرته أنه يجب أن يُراقب أحدٌ (نيكس).

عندما يضمُّني بقوة، ويقول الوداع لهذا الحين، أتوقع أن أسمعه يهمس بتحذيرٍ أو نصيحةٍ ما. بدلًا من ذلك، يُشجعني، وهذا أكثر راحةً مما يجب. «سوف تنقذيهم.» يهمس. «أعلم أنكِ ستفعلين.»

تنقذيهم. تتردَّد الكلمات في رأسي، وتتبعني أسفل ممرِّ الطائرة وإلى الغابة المُضيئة بأشعة الشمس. سأفعل، أقول لنفسي، وأُكررها حتى أُصدقها بنفسي مثلما يُصدقها (كيلورن). سأفعل، سأفعل، سأفعل.

الغابة هنا أقل كثافةً، مما يُجبرنا على أن نكون على أُهبة الاستعداد. في وضح النهار، لا داعي لأن يقلق (كال) بشأن اللهيب، ويُبقي نيرانه جاهزة، وكل طرفٍ من أصابعه يحترق مثل فتيل الشمعة. (شايد) بعيدٌ عن الأرض كليًّا، يقفز مُتنقلًا من شجرةٍ إلى شجرة. يبحث في الغابة بدقةِ جنديّ، تفحص نظراته الشبيهة بالصقر كلَّ اتجاه قبل أن يرضى. أُبقي حواسِّي يقظة، لأشعر بأي اندفاعٍ في الكهرباء قد يكون من وسيلة نقلٍ أو طائرة تُحلق على ارتفاعٍ منخفض. هناك طنين خافت في الجنوب الشرقي، ناحية خليج (هاربور)، ولكن هذا أمر مُتوقَّع، تمامًا مثل انحسار وتدفُّق حركة المرور على طول طريق الميناء. نحن بعيدون عن مجال السمع للطريق الفرعي، لكنَّ بوصلَتِي الداخلية تُخبرني أننا نقترب مع كل خطوة.

أشعر بهم قبل أن أراهم. شيء صغير، ضغط بسيط على عقلي المُتفتح. بطارية صغيرة تنزف كهرباء، ربما لتُولِّد طاقة لساعةٍ أو راديو.

«ناحية الشرق.» أهمس، وأشير تجاه مصدر الطاقة المُتقدِّم.

تندفع (فارلي) ناحية هذا الاتجاه، ولا تُكلف نفسها عناء الانبطاح. لكنني أفعل بالتأكيد، أسقط على رُكبتَي وسط أوراق الشجر، وأترك الألوان الأولى للخريف تُخفي قميصي الأحمر الداكن وشعري البُني. (كال) بجانبي مباشرة، واللهيب قريب من جلده، يُبقيه تحت السيطرة حتى لا يُشعل النيران في الغابة. أنفاسه مُتزنة، مُدربة، وعيناه تبحث بين الأشجار.

أمدُّ أصبعي وأشير ناحية البطارية. تسري شرارة واحدة خلال يدي وتختفي، تنادي الكهرباء المقتربة.

«(فارلي) انبطحي.» يُزمجر (كال)، ويُغطي على صوته حفيف أوراق الشجر.

بدلًا من أن تُطيعه، تتراجَع مقابل شجرة، وتذوب داخل ظلال جذعِها. تنتشِر نقاط من أشعة الشمس العابرة خلال أوراق الشجر على بشرتها، وسكونها يجعلها تبدو كجزءٍ من الغابة. لكنها ليست هادئة. تتحرك شفتاها ويُدوِّي صوت نداء الطيور عبر أفرع الأشجار. نفس النغمة التي استخدمتها خارج (كورانت)، لتتواصل مع (كيلورن). إشارة. الحرس القرمزي.

«(فارلي).» أُصدر هسيسًا من بين أسناني المُطبقة. «ماذا يحدث؟»

لكنها لا تُعيرُني أي اهتمام وتراقب الأشجار في المقابل. تنتظر، تستمع. بعد مرور لحظة، يصيح أحدهم بنغمة ردًّا عليها، مشابهة لكن ليست مُطابقة لها. عندما يُجيب (شايد) من الشجرة أعلانا، يُضيف نداءه الخاص للأغنية الغريبة، ينزاح قليلًا من خوفي. يمكن أن تقودني (فارلي) تجاه فخ، لكن ليس (شايد). أتمنَّى هذا.

«كابتن، ظننتُ أنكِ عالقة في هذه الجزيرة اللعينة.» يقول صوت خشِن، ويخرج من بين بستانٍ كثيف من أشجار الدردار. اللكنة، ونطقُه الحروف المُتحركة وحرف الراء المفقود، ثقيلة ومُميزة، من خليج (هاربور).

تبتسِم (فارلي) عند سماع الصوت وتدفع بنفسها من على جذع الشجرة في سلاسة. «(كرانس).» تقول، وتُشير للشخص الخارج من بين العشب.

«أين (ميلودي)؟ من المُفترَض أن أقابلها. منذ متى صرت واحدًا من صبيان مَهام (إيجان)؟»

عندما يخرج من وسط أوراق الشجر، أقوم بكل ما بوسعي لتقييمِه، وأستوعب التفاصيل الصغيرة التي علَّمتُ نفسي أن ألاحظها منذ فترة طويلة. يميل، وكأنه يُعوض وجود شيء ثقيل تركَه وراءه. ربما بندقية، أو ربما مضرب. صبيُّ مهماتٍ فعلًا. لدَيه مظهرُ عامل رصيفٍ أو مقاتل، لدَيه أذرُع ضخمة وصدر كالبرميل يَختبئ تحت كومةٍ من القطن البالي وسترة مُبطنة. هي مُرقعة بكثرة، مما يخلق مربعاتٍ متنوعة من القماش المُهمل، وكله أحمر اللون. من الغريب أن سُترته مهترئة للغاية، لكن حذاءه الجلدي يبدو جديدًا وتم تلميعُه حتى صار يُصدر بريقًا. مسروق، على الأرجح، نوعي المُفضَّل من الرجال. يتجاهل (كرانس) (فارلي)، وتظهر رعشة على وجهه القاتم.

«لدَيها عمل عند المرسى. وأُفضِّل المساعد الأيمن، إذا كنتِ لا تُمانعين.» تتحول الرعشة لابتسامة، وينحني بحركة مُبالغة سلسة. «بالطبع الزعيم (إيجان) يُرحِّب بكِ يا كابتن.»

«لم أعُد كابتن بعد الآن.» تُتمتم (فارلي)، وتُكشر بينما تُمسك بساعده في مصافحة ما. «أنا متأكدة أنك سمعتَ بالأمر.»

يهز رأسه ببساطة. «ستجدين القليل هنا ممَّن يوافقون على ذلك. بحارة الميناء يُجيبون لـ(إيجان) وليس الكولونيل الخاص بكِ.»

البحارة؟ قِسم آخر تابع للحرس القرمزي، أظن.

«هل سيظلُّ أصدقاؤك مُختبئين خلف الأشجار؟» يُضيف ويشير إليَّ بنظرة. عيونه الزرقاء صاعقة، تجعلها بشرتُه السمراء أكثر حدَّة. لكنها ليست كافية لتُلهيني عن الأمر الأكثر إلحاحًا. ما زلت أشعر بنبض كهرباء البطارية ولا يرتدي (كرانس) ساعةَ يد.

«ماذا عن أصدقائك؟» أسأله وأنا أنهَض من فوق الأرض العشبية.

يتحرك (كال) معي وأُدرك أنه يتفحَّص (كرانس) ويُقيمه. يفعل الرجل الآخر نفس الشيء، نوع من الجنود لنوعٍ لآخر.

يبتسِم وتلمع أسنانه. «لهذا يُثير الكولونيل كل هذه الضجة.» يضحك ويتخذ خطوة جريئة للأمام.

لا يجفل أيٌ منّا على الرغم من حجمه. فنحن أكثر خطورة منه.

يُطلق صفارةً خافتة ويحوّل نظره عائدًا لي. «الأمير المنفي وفتاة البرق. وأين الأرنب؟ أعلم أنني سمعته.»

الأرنب؟

يظهر (شايد) من خلف (كرانس)، يدٌ على العكاز والأخرى حول عنق (كرانس). لكنه يبتسم ويضحك. «قلت لك ألا تدعوني بهذا.» يُوبخه ويهز كتفَي (كرانس).

«إذا ناسبك الحذاء[3] ...» يُجيب (كرانس) ويُبعد قبضة (شايد) عنه. يقوم بيده بحركة واثبة كأرنب ويضحك بينما يفعلها. لكن ابتسامته تضعف قليلًا عند رؤية العكّاز والضمادات. «هل سقطت من فوق درَج أم شيء مُشابه؟» يحافظ (كرانس) على نبرته خفيفة ـ لكن يحل الظلام على عينيه المشرقتَين.

يلوّح (شايد) بيده ليُبعد قلقه ويُمسك بكتفه العريض. «من الجيد رؤيتك يا (كرانس). وأظن أنه من الواجب أن أعرفك بأختي ...»

«لا تحتاج التعريف.» يقول (كرانس) ويمدُّ يدَه المفتوحة تجاهي. أمسك بها طواعية وأتركه يضغط على ساعدي بيد حجمُها ضعف حجم يدي. «مسرور بلقائك يا (ماير بارو)، لكن يجب أن أقول، تبدِين أفضل في صور منشورات المَطلوبين للعدالة. لم أظن أن هذا كان ممكنًا.»

يتجهّم الآخرون، خائفين مثلي من فكرة وجهي الملصوق على كل بابٍ ونافذة. كان يجب أن نتوقع هذا.

«آسِفة لتخييب ظنك.» أجبرت الكلمات على الخروج، وأترك يدي تسقط من يدِه.

لم يكن الإرهاق والقلق طيبَين معي. أستطيع أن أشعر بالتراب على بشرتي، ناهيك عن التشابك في شعري. «لقد كنتُ مشغولة بعض الشيء

٣- يقصد مقولة: إذا ناسبَك الحذاء فارتدِه.

للنظر في المرآة.»

يتقبل (كرانس) السخرية بعزّة، ويبتسِم ابتسامةً عريضة. «لديكِ حقًّا شرارة.» يُتمتم، ولا تفوتني نظرته لأصابعي. أقاوم الرغبة في أن أُريه بالضبط مقدار الشرارة التي يتعامل معها، وأحفر بأظافري في كفيّ.

ما زال تأثير البطارية موجودًا، كتذكيرٍ مُلح. «إذن هل ستظل تتظاهر بأنك لا تُبقينا محاصرين؟» أقول ضاغطةً، وأشير للأشجار المزدحمة في كل زاوية. «أم أننا سنُواجه مشكلة؟»

«لا مشكلة على الإطلاق.» يقول ويرفع يدَيه في حركة استسلام ساخرة. ثم يصدر صفيرًا ثانية، هذه المرة عاليًا وحماسيًا، مثل صقرٍ يصطاد. على الرغم من أن (كرانس) يقوم بكل ما بوسعه ليُبقي ابتسامته أو ليبدو مُسترخيًا، لا يفوتني الشك في عينَيه. أتوقّع منه أن يُراقب (كال) عن قُرب، لكنها أنا من لا يثِق بها. أو لا يفهم.

يُعلن صوت تحطُّم أوراق الشجر ظهور أصدقاء (كرانس)، يرتدون أيضًا ملابس رثة متنوعة وبضائع مسروقة قيّمة. كأنه زيٌّ موحّد بشكلٍ ما، متنوع للغاية فجعلهم يبدون مُتشابهين. امرأتين ورجل، الذي معه ساعة مُتضررة لكنها تعمل. يبدو أنهم غير مُسلحين. يقومون بتحية عسكرية تجاه (فارلي)، ويبتسمون لـ(شايد)، ولا يعلمون كيف ينظرون لي أو لـ(كال). هذا من الأفضل، أعتقد. لا أحتاج المزيد من الأصدقاء لأخسرهم.

«إذن أيها الأرنب، لِنَرَ إذا كنتَ قادرًا على المواكبة.» يقول (كرانس) ويُبطئ ليتحرك مع (شايد).

ردًّا عليه، يقفز (شايد) لشجرةٍ قريبة، ساقه المُصابة مُتدلية وهناك ابتسامة على وجهه. لكن عندما تتلاقى عيوننا، تتغيَّر ملامحه. ثم يصير خلفي خلال ثانية، يتحرك بسرعة، بالكاد أستطيع رؤيته. لكني أقدر على سماع ما يقوله.

«لا تثقي بأحد.»

الأنفاق رطبة، جدرانها مقوّسة ومُتشابك عليها العفن والجذور العميقة لكن الأرض نظيفة من الصخور والحطام، من أجل القطار السُّفلي، في حالة

إذا أراد أحدهم التسلل داخل خليج (هاربور).

لكن لا يوجَد صوت صرير المعدن على المعدن، ولا كتلة من بطاريات قطار تصرخ تجاهنا. كل ما أشعر به هو المصباح اليدوي في يد (كرانس)، وساعة الرجل الآخر، والنمط الثابت لحركة المرور على طريق الميناء على ارتفاع ثلاثين قدمًا فوق رءوسنا. وسائل النقل الثقيلة هي الأسوأ، أسلاكها وأدواتها تئنُّ في الجزء الخلفي من جمجمتي. أرتجف عندما تمرُّ فوقنا أحدها، وسرعان ما أفقد عددَ ما يندفع تجاه (نايرسي). إذا تم جمعهم معًا، فسأشك أنها قافلة ملكية تحمِل (مافين) نفسه، لكن الآلات تأتي وتذهب بشكلٍ على ما يبدو عشوائي. هذا أمر طبيعي، أقول لنفسي، لأُهدئ أعصابي حتى لا أفصل الكهرباء عن المصباح ونغرق جميعًا في الظلام.

يسير أتباع (كرانس) في المؤخرة، مما يجعلني أشعر بالتوتر، لكني لا أمانع. فشراري على بُعد نبضة قلب واحدة، ومعي (كال) إذا اتَّخذ أحدهم قرارًا سيِّئًا. هو مُثير للرهبة أكثر منِّي، ويده مشتعلة بنيران حمراء راقصة. تُلقي بظلال مرتعشة تتحول وتتغير، وترسم في النفق دوَّامات من الأحمر والأسود. ألوانه، في وقتٍ ما. لكنه فقدَها الآن، مثل كل شيء آخر. كل شيء عدا أنا.

لا فائدة من الهمس هنا. فكل صوت مسموع، لذلك يبقي (كال) فمَه مُغلقًا بإحكام. لكن لا يزال بإمكاني قراءة وجهه. هو منزعج، يقاتل ضد كل غريزة كجنديٍّ وأميرٍ وفضي. ها هو، يتبع عدوه إلى المجهول، ولماذا؟ لتُساعدني؟ لتؤذي (مافين)؟ مهما كانت الأسباب، فإنها في يومٍ من الأيام لن تكون جيدة بما يكفي للاستمرار. في يومٍ من الأيام، سيتوقف عن اتِّباعي وأحتاج إلى إعداد نفسي لذلك. أحتاج إلى أن أُقرر ما سيسمح به قلبي، وما هي الوحدة التي يُمكنني تحمُّلها. لكن ليس بعد. لا يزال دفئه معي، ولا يسعني إلا أن أُبقيه قريبًا.

الأنفاق ليست في خريطتنا – أو في أي خريطة رأيتها – لكن طريق الميناء موجود، وأظن أننا تحتَه مباشرة. يؤدي مباشرة إلى قلب الخليج، عبر بوابة (بايك)، وينحني حول الميناء نفسه قبل أن يتجه شمالًا إلى المستنقعات

المالحة، (كورانت)، وأراضي الحدود المتجمدة البعيدة.

الأكثر أهمية من طريق الميناء هو المركز الأمني، المركز الإداري للمدينة بأكملها، حيث يمكننا العثور على السجلات، والأهم من ذلك، عناوين (آدا) و (ووليفر). الاسم الثالث، الفتاة الصغيرة في الأحياء الفقيرة في (نيو تاون)، قد يكون هناك أيضًا. (كاميرون كول)، أتذكَّر على الرغم من أن باقي المعلومات عنها هربت منِّي في هذه اللحظة. لا أتجرأ أن أُخرج قائمة (جوليان) لأتأكد ثانية، مع وجود كل الوجوه غير المألوفة حولنا. كلما قلَّ عدد من يعرف عن الدماء-الجديدة، كلما كان ذلك أفضل. أسماؤهم كحُكم بالإعدام، ولم أنسَ تحذير (شايد).

إذا حالَفَنا الحظ، فسنحصل على كل ما نحتاجه بحلول الليل، ونعود إلى (البلاك رن) بحلول الإفطار، ومعنا ثلاثٌ أخرى من الدماء-الجديدة. سيتذمّر (كيلورن) غاضبًا منّا لرحيلنا لفترة طويلة، لكن هذا أقل ما يُقلقني. في الواقع، أتطلَّع إلى رؤية وجهه الأحمر وشكواه المزعجة. على الرغم من الحرس وغضبه المُكتشف حديثًا، فإن الصبي الذي نشأت معه لا يزال يلمع بالأسفل، ويبعث بالاطمئنان مثل نار (كال) أو عناق أخي.

يتحدث (شايد) لملء الصمت، ويمزح مع (كرانس) وأتباعه.

«هذا الرجل هو سببُ خروجي على قَيد الحياة من منطقة الاختناق.» يُفسر أخي، ويشير لـ(كرانس) بعكّازه. «لم يستطع الجلّادون الإمساك بي، لكن كاد الجوع أن يقضي عليَّ.»

«لقد سرقتُ قطعة من الكرنب، تركتك تأكلها فقط.» يجيب (كرانس) ويهز رأسه، حمرة وجنتَيه تخون كبرياءه.

لا يتركه (شايد) بسهولة. يرسم على وجهه ابتسامة يمكنها إضاءة النفق، لكن لا يوجد بريق بعينَيه. «مُهرّب ذو قلب من الذهب.»

أشاهدهم يتبادلان الحديث بعيون ضيقة وآذانٍ مفتوحة، أتابع المحادثة مثل اللعبة. كل منهما يُثني على الآخر، ويتذكّران رحلة العودة من منطقة الاختناق، والهروب من الأمن والفيالق على حدٍّ سواء. وعلى الرغم من أنهما ربما كوّنا صداقة في تلك الأسابيع، إلا أنها على ما يبدو لم

تعد موجودة. الآن، هما مجرد رجُلَين يتشاركان الذكريات والابتسامات القسرية، كلُّ واحدٍ منهما يحاول معرفة ما يُريده الآخر بالضبط. أفعل الشيء نفسه، وأتوصَّل إلى استنتاجاتي الخاصة.

(كرانس) لصٌّ مجيد، هذه مهنة أعرفها جيدًا. أفضل شيءٍ في اللصوص هو أنه يمكنك الوثوق بهم للقيام بأسوأ ما لدَيهم. إذا تمَّ عكس أماكننا، وكنتُ بشخصي القديم وأُرافق هاربًا إلى (الستيلتز)، هل سأُسلمه للأمن مقابل بضع عملات؟ أو لبضعة أسابيع من الطعام أو حِصص الكهرباء؟ أتذكَّر الشتاء القاسي بما فيه الكفاية، والأيام الباردة والجائعة التي بدت بلا نهاية. أمراض لها علاجات بسيطة، ولكن لا يُوجَد مال لشراء الدواء. حتى الألَم المرير للرغبة البسيطة لأخْذ شيءٍ جميلٍ أو مفيدٍ ببساطة لأي سبب. لقد قمتُ بأشياء فظيعة في مثل هذه اللحظات، وسرقتُ من أشخاصٍ يائسين مثلي. للنجاة ولنبقى على قيد الحياة. كل هذه تبريرات استخدمتُها في (الستيلتز)، عندما أخذتُ عملات عائلات وأطفال مُتضوِّرين جوعًا.

لا أشك أن (كرانس) سوف يُسلمني للزعيم (إيجان) إذا استطاع، لأن هذا ما كنتُ سأفعله. ويبيعني لـ(مافين) مقابل ثمنٍ باهظ. لكن لحُسن الحظ، (كرانس) ليس معه أفضلية السلاح بشكلٍ يائس؟ يعلم ذلك، لذا يجب أن يُحافظ على ابتسامته. للوقت الحالي.

ينحني النفق لأسفل وتنتهي مسارات القطار السُّفلي فجأة، حيث تصير المساحة ضيقة جدًا بحيث لا يمكن للقطار المرور عبرها. نشعر بالبرودة تزداد كلما تعمَّقنا، ويضغط علينا الهواء. أحاول ألَّا أفكر في وزن الأرض فوقنا. في النهاية، تُصبح الجدران مُتصدعة ومُتداعية، ومن المُحتمَل أن تنهار لولا الدعامات المُضافة حديثًا. تصطفُّ عوارض خشبية عارية في الظلام، كل واحدةٍ تحمل سقف النفق، وتمنعنا من أن نُدفَن أحياء.

«إلى أي سطحٍ سنصعد؟» يسأل (كال) بصوتٍ عالٍ، يوجِّه سؤاله لأي شخصٍ يستطيع الإجابة. وكل كلمة مُسمَّمة بالكراهية. تُثير الأنفاق الأكثر عمقًا توتُّره، مثلي.

«للجانب الغربي لقصر تل (أوشن).» تجيب (فارلي)، وتذكر السكن

الملَكي في خليج (هاربور). لكن (كرانس) يُوقفها بهزةٍ من رأسه.

«النفق مُغلق.» يزمجر. «هناك أعمال بناء جديدة، أوامر الملك. ثلاثة أيام فقط فوق العرش وبالفعل صار مصدرَ إزعاجٍ لي.»

من هذا القُرب، أستطيع سماع صوت أسنان (كال) تضغط على بعضها. دفعة من الغضب، تزيد من بريق نيرانه، ويرمي بموجةٍ من الحرارة عبر النفق يتظاهر الآخرون بتجاهلها. أوامر الملك. حتى وعندما لا يُحاول حتى، يُعطل (مافين) تقدُّمنا.

ينظر (كال) تجاه قدمَيه، في هدوء. «طالما كره (مافين) هذا التل.» تُردِّد كلماته بشكل غريب على الجدران، وتُحيطُنا بذكرياته. «مكان صغير جدًّا بالنسبة له، قديم جدًّا.»

تتحوَّل الظلال على الجدران، وتُشوِّه هيئتنا. أرى (مافين) في كل شكلٍ ملتوٍ، في كل بركة من الظلام. أخبرني ذات مرةٍ أنه ظلُّ اللهب. الآن أخشى أنه أصبح الظل في ذهني، أسوأ من الصياد، أسوأ من الشبح. على الأقل أنا لستُ وحدي من تُطاردني هذه الأفكار. على الأقل (كال) يشعُر به أيضًا.

«سوق الأسماك إذن.» يُعيدني صياح (فارلي) الفظ للمهمة الحالية. «سنُضطر للدوران حوله، وسنحتاج لإلهاء خارج المركز الأمني، إذا استطعنا.»

ألقي نظرةً على الخريطة، وعقلي صاخب. يبدو أن المركز الأمني مُتصل مباشرة بقصر (كال) القديم، أو على الأقل هو جزء من نفس المجمع. وسوق الأسماك، على ما أظن على بُعد مسافة كبيرة. سنُضطر للتدافع للوصول إلى حيث نريد وناهيك عن التسلل للداخل. وبالحكم على عبوس وجه (كال)، هو لا يتطلَّع للأمر.

«سيلتزم (إيجان).» يقول (كرانس) ويُومئ لطلَب (فارلي). «سيُساعدنا بكل ما يقدر عليه. ليس وكأنكِ ستحتاجين الكثير، مع وجود الأرنب بجانبك.»

يجفل (شايد) في لُطف، لا يزال مُنزعجًا من اللقب. «ما مدى معرفتك بحُمر الخليج؟ هل تعتقد أن بعض هذه الأسماء مألوفة؟»

أُضطرُّ لعضِّ شفتي لأُغلقها وأمنع نفسي من الزمجرة تجاه أخي. آخِر شيء أريد القيام به هو إخبار (كرانس) عمَّن نبحث، خاصة لأنه سيتساءل عن السبب. لكن (شايد) ينظر تجاهي، ويرفع حاجبَيه، يدفعني إلى نطق الأسماء بصوتٍ عالٍ. بجانبه، يبذل (كرانس) قصارى جهده للحفاظ على تعبيراته مُحايدة، لكن عينَيه تلمعان. هو مُتحمس جدًّا لسماع ما لديَّ لقوله.

«(آدا والاس).» تخرج الكلمات كهمس، وكأني أخشى أن تسرق جدران النفق السر. «(ووليفر جالت).»

(جالت). يرسِل هذا الاسم شرارة من التمييز على ملامح وجه (كرانس)، وليس لدَيه خيار غير الإيماء. «أعرف (جالت). عائله قديمة، يعيش قبالة شارع (شارسايد). يعملون في التخمير.» يُضيِّق عينَيه، يحاول تذكُّر المزيد. «أفضل جعة في الخليج. أصدقاء من الجيد مُصاحبتهم.»

تتسارع نبضات قلبي في صدري، مسرورة باحتمالية وجود مثل هذا الحظ. لكن يُقلل منه معرفة أن (كرانس) و(إيجان) الغامض يعرفان الآن مَن نبحث عنه.

«لا يُمكنني قَول إنني أعرف (والاس).» يُكمل. «هذا اسم شائع بما فيه الكفاية، لكن لا أحد يتبادر لذهني.»

لكن لاستيائي لا أستطيع أن أقول ما إذا كان يكذب. لذلك يجب أن أدفعه، لإبقائه يتحدَّث. ربما سيكشف (كرانس) عن شيءٍ ما، أو يُعطيني عذرًا لإقناعه بذلك.

«دعوتم أنفسكم ببحَّارة الميناء؟» أسأله وأنا حذِرة في الحفاظ على نبرةٍ محايدة.

تظهر ابتسامته من فوق كتفِه ثم يرفع كمَّه ليكشف عن وشْمٍ على ذراعه. مرساة سوداء وزرقاء، يُحيط بها حبل أحمر ملتوٍ.

«أفضل مُهرِّبي (بيكون).» يقول في فخر. «إذا أردتُه فسنُهرِّبه.»

«وتخدمون الحرس؟»

يجعل هذا السؤال ابتسامته تختفي ويلفُّ كمَّه على ذراعِه مجددًا.

هناك ظل إيماءة، لكن لا شيء أكثر من ذلك للإقناع.

«أفهم من ذلك أن (إيجان) قائد آخر.» أُسرِّع وتيرتي في المشي، حتى كدتُ أخطو على كعب (كرانس). تتوتر أكتافه عندما أقترِب، ولا يفوتني عندما يرتفع الشعر على الجزء الخلفي من رقبته. «وهذا يجعلك ماذا؟ مُلازِمَه؟»

«نحن لا نهتم بالألقاب.» قال مُتهربًا من مُحاولتي لغيظِه. لكنني بدأتُ للتو. ينظر الآخرون، مُرتبكِين من سلوكي. سيتفهم (كيلورن). والأفضل من ذلك، سيُسايرني.

« سامحني يا (كرانس).» تخرج الكلمات لطيفةً بطريقة مُبالغ فيها. أبدو كسيدة نبيلة، ولستُ لصة متسللة، وهذا يزعجه. «أنا ببساطة فضولية بشأن إخواننا وأخواتنا في الخليج. أخبرني، ما الذي أقنعك بالانضمام إلى القضية؟»

صمت مُطبق. عندما أنظر للخلف، أجد أصدقاء (كرانس) ساكِنِين، عيونهم تكاد تكون سوداء في ضوء النفق الضعيف.

«هل كانت (فارلي)؟ هل تمَّ تجنيدك؟» أستمرُّ في الضغط، وأنتظر إشارة الانكسار. لكنه ما زال لا يجيب. وتسري رجفة من الخوف خلالي. ما الذي لا يُخبرنا به؟ «أم أنك بحثتَ عن الحرس بنفسك مثلما فعلت أنا؟ بالطبع لديَّ سبب جيد للغاية. ظننتُ أن (شايد) قد مات، أترى، وأردت الانتقام. انضممتُ لأنني أردتُ قتل من قتلوا أخي.»

لا شيء، لكن (كرانس) يُسرع من وتيرته. لقد لمستُ شيئًا. «من الذي أخذه الفضيُّون منك؟»

أتوقع أن يُوبخني (شايد) بسبب أسئلتي، لكنه يظل صامتًا. انتباهه لا يتحول عن وجه (كرانس)، يحاول أن يعرف ما الذي يُخفيه المهرَّب. لأنه يخفي شيئًا عنا بالتأكيد، وبدأنا نشعر بذلك جميعًا. حتى (فارلي) تتوتر، رغم أنها بدت ودودةً للغاية منذ لحظات. أدركَت شيئًا، رأت شيئًا لم ترَه مِن قبل. تتحرك يدها تجاه معطفها، تقبض على ما لا يمكن أن يكون غير سكينٍ آخر. ولا يدع (كال) حذره يتهاوى منذ البداية. تشتعِل نيرانه، تهديد

واضح يقسِم الظلام. مُجددًا أفكر بالنفق. بدأت أشعر كأنه قبر.

«أين (ميلودي)؟» تهمس (فارلي)، وتضع يدَها بلُطف على (كرانس) لتُوقف تقدُّمه. نتوقف أيضًا، وأظن أنني أسمع صوت نبضات قلوبنا تصطدم بجدران النفق. «لن يُرسلك (إيجان) أبدًا، ليس بمُفردك.»

ببطء أدير جسدي، ألتفت حيث يواجِه ظهري الجدار، لأرى معًا (كرانس) والمُتمردين. يفعل (كال) نفس الشيء، ويُقلد حركاتي. تنبثق شعلة من يده الفارغة، تنتظر في استعدادٍ في كفه. تتراقص شراراتي داخل وخارج جلدي، بروق صغيرة من الأبيض والبنفسجي. يشعرني الإمساك بهم بشعور جيد، كخيوطٍ صغيرة من القوة النقية. فوقنا، ازدادت حركة المرور، وأشك أننا على قُربٍ من بوابات المدينة، إذا لم نكن أسفلها مباشرة. ليس موقعًا جيدًا للقتال. لأن هذا ما هو على وشك الحدوث.

«أين (ميلودي)؟» تُكرِّر (فارلي)، وتُخرج سكينها للهواء. تنعكس عليها نيران (كال) وتلمع في حدَّة، وتعكس الضوء داخل عيون (كرانس). «(كرانس)؟»

تتَّسع عيناه على الرغم من البريق المُسبب للعَمى، مليئتان بالندم. هذا كافٍ ليُرسل رجفةً من الرُّعب لِعمودي الفقري. «تعلمين مَن نكون، ومَن يكون (إيجان). نحن مُجرمون يا (فارلي). نؤمِن بالنقود والنجاة.»

أعرف هذه الحياة جيدًا، لكنني ابتعدتُ عن هذا السبيل. لم أعد فأرًا بعد الآن. أنا فتاة البرق والآن لديّ من القِيَم أكثر مما يُمكنني إحصاءها. الحرية، الانتقام، التحرُّر، كل شيء يُغذي هذه الشرارات داخلي وكل هذه العزيمة التي تجعلني أستمر.

يتحرك مُتمردو (كرانس) ببطء مثلي، ويفكُّون الأسلحة من حافظاتها المَخفية. ثلاثة مسدسات، كل واحد في يدٍ قادرة مرتجفة. أظن أن (كرانس) لديه واحد أيضًا، لكنه لم يكشف عن سلاحه بعدُ. هو مشغول في محاولة التفسير، وجعلنا نفهم بالضبط ما على وشك الحدوث. وأنا أفهم بالتأكيد. الخيانة مألوفة بالنسبة لي، لكنها ما زالت تجعل مَعِدتي تتقلص وجسدي يتجمَّد من الخوف. أقوم بكل ما أقدر عليه لتجاهُله، للتركيز.

«أخذوها.» يُتمتم. «أرسلوا لـ(إيجان) أصبعها الخاص بالتصويب هذا الصباح. هذا نفس الوضع في جميع أنحاء الخليج. كل عصابةٍ قد فقدت شخصًا أو شيئًا ما عزيزًا. البحارة، جماجم البحر، لقد أخذوا حتى ابن (ريكت) الصغير، وهو خارج اللعبة منذ أعوام. والعائد.» يتوقف ويصفر في كآبة. «ليس شيئًا قابلًا للمزاح.»

«من أجل ماذا؟» أهمِس، لا أجرؤ على رفع عينيَّ مِن على البحار الأقرب منِّي. تُحدق بي بنفس القذْر.

صوت (كرانس) كنعيقٍ عميق، وحزين. «من أجلك يا فتاة البرق. ليس فقط ضباط الأمن والجيوش من يبحثون عنك. نحن أيضًا. كل حلقة مُهربين، كل عصابة لصوص من هنا لـ(ديلفي). أنت مطاردة يا سيدة (بارو)، في الشمس وفي الظلال من الفضِّيين ومن قومك. أنا آسف، لكن هذه حقيقة الوضع.»

اعتذاره ليس من أجلي، بل من أجل (فارلي) وأخي. أصدقائه الذين خانهم. أصدقائي، الذين في خطر مُحدق بسببي.

«أي نوع من الفخاخ قد نصبت؟» يزمجر (شايد)، ويقوم بكل ما بوسعه ليبدو مُهددًا على الرغم من العكَّاز تحت ذراعِه. «ما الذي نتَّجِه إليه؟»

«لا شيء سيُعجبك يا أرنب.» في ضوء نيران (كال) الغريب، وشراراتي، ومصباح (كرانس)، أكاد أفقد وميض عينَيه. يندفعون إلى اليسار، ويهبطون على عمود الدعم بجواري. السقف فوقها مُتصدع ومتشقق، مع أجزاء من التراب تبرز عبر شظايا الخرسانة.

«يا ابن العاهرة.» يزمجر (شايد)، وصوته عالٍ للغاية، وأسلوبه مُبالغ فيه. يبدو أنه عُرضة لإلقاء لكمة في أي لحظة، الإلهاء المثالي. ها نحن ذا.

يرفع البحارة الثلاثة أسلحتهم، يُصوبون نحو أخي. نحو أسرع شيءٍ في الوجود. عندما يرفع قبضته، يسحبون الزناد ولا تخترق رصاصاتهم سوى الهواء الطلق. أسقط في انحناءة، صماء بسبب الطلقات النارية القريبة جدًّا من رأسي، لكنني أُبقي كل تركيزي حيث يجب أن يكون، عمود الدعم. يشق هجوم من البرق الخشب مثل الانفجار، يحترق خلاله. يتحطم وينهار،

وأرمي برقًا ثانيًا على السقف المتصدع. يقفز (كال) للجانب، نحو (كرانس) و(فارلي)، ويتفادى ألواح الخرسانة المُتساقطة. لو كان لديَّ الوقت، كنت سأخشى أن أدفن مع البحارة، لكن يد (شايد) المألوفة تغلق حول مِعصمي. أغمضتُ عيني، وحاربت الإحساس بالضغط، قبل أن أصطدم بالأرض على بُعد بضعِ ياردات عبر النفق. الآن نحن متقدمان عن (كرانس) و(فارلي)، يساعدان حاليًا (كال) للنهوض على قدمَيه.

النفق على الجانب الآخر منهم منهار، مليء بالتراب والخرسانة وثلاث جُثث مهشَّمة. يلقي (كرانس) نظرةً أخيرة على البحارة الذين سقطوا، ثم يسحب مُسدسه المَخفي. للحظة قصيرة حارقة، أعتقد أنه قد يُطلق النار عليَّ. لكنه بدلًا من ذلك يرفع نظرته الصاعقة، ويُحدِّق عبر النفق بينما يهتز من حولنا. تتحرك شفتاه، وتُشكل كلمة واحدة.

«اركضوا.»

الفصل الرابع عشر

يسار، يمين، يسار ثانية، صعود.

نتبع أوامر (كرانس) التي يصيح بها عبر الأنفاق، ليُرشد خطواتنا الساحقة. يُبقينا الصوت المدوي العارض بسبب انهيارٍ آخر نتحرك بأقصى سرعة نقدر عليها. لقد أطلقنا سلسلة من الانهيارات المتتالية، انفجار داخلي بداخل الأنفاق. مرة أو اثنتين، ينهار النفق بالقُرب منا لدرجة أنني أسمع صوت تحطُّم عواميد الدعم الشديد. تركض الفئران معنا، وتتلوّي خارجةً من الظلام. أرتجف عندما يندفعون فوق أصابع قدَمي، ذيولها العارية تضرب مثل الحبال الصغيرة. لم يكن لدينا العديد من الفئران في المنزل؛ ففيضانات النهر ستُغرقهم. وموجات الفراء الأسود الدهني تجعل جلدي يقشعر. لكنني أبذل قصارى جهدي لابتلاع اشمئزازي. (كال) ليس معجبًا بهم أيضًا، ويشعل الأرض بقبضة ملتهبة واحدة، مما يدفع القوارض إلى الوراء في كل مرة يقتربون فيها أكثر من اللازم.

يتطاير الغبار كالدوّامات في أعقابنا، ويخنق الهواء، ومصباح (كرانس) اليدوي عديم الفائدة وسط الظلام. يعتمد الآخرون على حاسة اللمس، يمدون أياديهم للتحسُّس على طول جدران النفق، لكنني أُبقي عقلي مثبتًا على العالم أعلانا، على شبكة الأسلاك الكهربائية ووسائل النقل المتحركة. هذا يرسم خريطة في رأسي، تُصحح الخريطة الورقية التي حفظتها تقريبًا. بهذه أشعر بكلِّ شيءٍ مع ازدياد مدى مجال شعوري. الإحساس غامر، لكنني أمضي قدمًا، وأجبر نفسي على استيعاب كل ما أستطيع. تصرخ وسائل النقل فوقنا، وتتحرك نحو الانهيار الأوَّلِي. عدد قليل منهم يدور عبر حارات، ربما ليتجنَّبوا الطُرق الغارقة والحطام المنحني. مصدر إلهاء. جيد.

الأنفاق هي مجال (فارلي) و(كرانس)، مملكة مصنوعة من الغبار. لكن الأمر متروك لـــ(كال) لإخراجنا من الظلام، ولا يفوتنا سخرية الأمر.

عندما نجد طريقًا مسدودًا عند باب خدمة، مغلق باللحام، لا يحتاج (كال) إلى إخباره بما يجب القيام به. يتقدَّم إلى الأمام، ويداه ممدودتان، يشتعل سواره، ثم ينبعث لهيب ساخن أبيض للحياة. يتراقص بين كفَّيه، مما يسمح له بالقبض على مفصلات الباب وتسخينها حتى تذوب لكراتٍ حمراء من الحديد. العقبة التالية، شبكة معدنية متخثرة بالصدأ، هذه أسهل، ويُزيحها في ثوانٍ.

مُجددًا يرتجف النفقُ المُنهار مثل قصف البرق، لكن من مسافةٍ بعيدة. والأكثر إقناعًا هو الفئران التي صارت هادئة الآن، واختفت عائدةً للظلام الذي خرجت منه. تصير ظلالها الصغيرة الغريبة والمقززة مصدرًا للراحة. لقد تجاوزنا الموت معًا.

يشير (كرانس) عبر الشبكة المُحطمة، ويقصد بهذا أن نتبعه. لكن يتردد (كال)، وما زالت يده الحارقة تمسك بالمعدن. عندما يُحرر قبضته، تترك مكانها معدنًا أحمرَ وآثار يدِه.

«منطقة (البالتري)؟» يسأل وينظر عبر النفق. يعرف (كال) خليج (هاربور) أفضل منِّي بكثير. بعد كل شيء، فقد عاش هنا من قبل، يُقيم بقصر تل (أوشن) في كل مرة تأتي العائلة الملكية للمنطقة. لا شكَّ أن (كال) قد قام بنصيبه من التسلُّل عبر الأرصفة والحارات هنا، مثلما كان يفعل عندما تقابلنا أول مرة.

«نعم.» يجيب (كرانس) ويُومئ سريعًا. «أقرب مكانٍ للمركز يُمكننا الوصول إليه. كلفنا (إيجان) أن نأخذكم لسوق الأسماك والبحارة هناك مُستعدون للإمساك بكم، لا داعيَ لذكر فريقٍ من ضباط الأمن. لن يتوقع أن تذهبوا عبر (بالتري) ولن يترك أي أحدٍ للمراقبة.»

الطريقة التي يقولها بها تجعلني أجزُّ على أسناني. «لماذا؟»

«لأن (البالتري) منطقة جماجم البحر.»

جماجم البحر. عصابة أخرى، على الأرجح مميزون بوشْمٍ أكثر تشاؤمًا من مرساة (كرانس). لولا مكائد (مافين)، ربما كانوا سيساعدون أختًا حمراء، لكن بدلًا من ذلك، حوَّلونا لأعداء بنفس خطورة جندي فضي تقريبًا.

«ليس هذا ما قصدته.» أُكمل، وأستخدِم صوت (مارينا) لأخفي خوفي. «لماذا تساعدنا؟»

قبل بضعة أشهر، ربما كانت تُخيفني فكرة ثلاث جثث سحقَتْها الأنقاض. لقد رأيت الآن ما هو أسوأ من ذلك بكثير، وبالكاد أفكر في رفاق (كرانس) وعظامهم الملتوية. (كرانس)، على الرغم من طبيعته الإجرامية، لا يبدو مرتاحًا. تُحدق عيناه مرة أخرى في الظلام، تجاه البحارة الذين ساعد في قتلهم. ربما كانوا أصدقاءه. ولكن هناك أصدقاء يمكن أن أستبدلهم، وحيوات يمكن أن أتخلى عنها، من أجل انتصاراتي الخاصة. لقد فعلتُ ذلك من قبل. ليس من الصعب ترك الناس يموتون عندما يُعطي موتهم الحياة لشيءٍ آخر.

«لستُ من مؤيدي العهود، أو الفجر الأحمر، أو أيٍّ من الهراء الآخر الذي تتحدثون عنه.» يتمتم، يُغلق قبضة يده وتضيق في تتابُع سريع. «الكلمات لا تثير إعجابي. لكنكم تفعلون أكثر بكثيرٍ من الكلام. من وجهة نظري، يمكنني إما أن أخون رئيسي أو دمائي.»

دمائي. أنا.

تلمع أسنانه في الضوء الخافت، وتظهر مع كل كلمة شائكة. «حتى الفئران تريد الخروج من المجارير يا سيدة (بارو).»

ثم يخطو عبر الشبكة وتجاه السطح حيث يمكن أن نُقتل جميعًا وأتبعه.

أفرد كتفيَّ، وأستدير لمواجهة الأصداء في نهاية أمان النفق. لم أذهب إلى خليج (هاربور) من قبل، لكن الخريطة وحاسّتي الكهربائية كافيان. معًا، يرسُمان صورة للطرق والأسلاك. أستطيع أن أشعر بوسائل النقل العسكرية تتحرك نحو الحصن، وأضواء (بالتري). والأكثر، المدينة هي شيء أفهمه. الحشود، الأزقة، كل مُلهيات الحياة اليومية. هذه هي أنواع التمويه الخاصة بي. منطقة (بالتري) هي سوق آخر، مفعم بالحياة مثل الحديقة الكبيرة في (سمرتون) أو ساحة (الستيلتز). لكنه أكثر اتِّساخًا، وأكثر إنهاكًا، خالٍ من السادة الفضِّيين لكنه مُختنقٌ بأجساد الحُمر المتزاحمة وصيحات المفاصلة. المكان الأنسب للاختباء. نخرج من المستوى السفلي، به تشابُك

تحت الأرض من الأكشاك تتقاطع مع بعضها بالخِيَم القماشية الدهنية. ولكن لا يُوجَد دخان أو رائحة كريهة هنا. قد يكون الحُمر فقراء، لكننا لسنا أغبياء.

تُخبرني نظرة واحدة لأعلى، خلال الفتحة الواسعة الشبكية في السقف، أن المستويات العُليا تبيع الأسماك الكريهة الرائحة أو اللحوم المُدخنة، مما يسمح للروائح بالهروب إلى السماء. في الوقت الحالي، نحن مُحاطون ببائعين مُتجولين ومُخترعين ونسَّاجين، كل واحدٍ منهم يحاول فرض بضاعته على الرعاة الذين ليس لديهم حتى عملتان يُمكنهم صرفها. المال يجعل الجميع يائسين. يريد التجّار الحصول عليه، ويريد المشترون الاحتفاظ به، وهذا يُعميهم جميعًا عن رؤية المتسللين المُدرَّبين جيدًا يخرجون من الفجوة في الجدار. أعرف أنه يجب أن أكون خائفة، لكن كوني مُحاطة بقومي يجعلني أشعر بالراحة بطريقةٍ غريبة.

يتقدَّمنا (كرانس)، ويتحول غروره العضلي إلى عرَج لمطابقة (شايد). يسحب غطاء رأس من سترته ويخفي وجهه في الظل. للعَين العادية، يبدو وكأنه رجل عجوز مُنحنٍ، على الرغم من أنه ليس كذلك. هو حتى يدعم (شايد) قليلًا، ذراعه مُثبتة مقابل كتفه لمساعدة أخي على المشي. لا يقلق (شايد) بشأن إخفاء وجهه، ويحافظ على تركيزه على عدم الانزلاق على الأرض غير المُستوية في المستوى السُّفلي للـ(بالتري). تمشي (فارلي) في المؤخرة، وأطمئن لمعرفة أنها تحمي ظهري. على الرغم من كل أسرارها، يُمكنني الوثوق بها، ليس لرؤية فخ، ولكن لإخراج نفسها من واحدٍ بمكر. في عالم الخيانة هذا، ذلك أفضلُ ما يُمكنني تمنِّيه.

لقد مرَّت بضعة أشهر منذ أن سرقتُ آخِر مرة. وعندما أسحب زوجًا من الأوشحة الرمادية الفحمية من كشك، حركاتي سريعة ومثالية، لكنني أشعر بوخزةٍ غير مألوفة من الندم. شخص ما صنع هذه، شخص ما نسج وحاك الصوف إلى هذه القصاصات الخشنة. شخص ما يحتاج إلى هذه. ولكن كذلك أنا. واحدٌ لي، وواحد لـ(كال). يأخذها بسرعة، ويلفُّ الصوف المُهترئ حول رأسه وكتفَيه لإخفاء ملامحه التي يمكن التعرف عليها. أفعل

الشيء نفسه، وفي نفس الوقت.

خطواتنا القليلة الأولى في السوق المزدحم ذي الإضاءة الخافتة تقودنا مباشرة مرورًا بلافتة. عادة ما تكون مليئة بإشعارات البيع، وقصاصات الأخبار، والتذكارات، وقد تم تغطية الضوضاء الحمراء بمجموعات من المطبوعات على هيئة مربعات. يتزاحم عدد قليل من الأطفال حول اللافتة، ويمزقون قطعًا من الورق التي في مُتناول أيديهم. يقذفون القصاصات بعضهم على بعض مثل كرات الثلج. واحدة فقط من الأطفال، فتاة ذات شَعر أسود رثٍّ وأقدامٍ بُنية عارية، تكلف نفسها عناء النظر إلى الورق. تُحدق في وجهَين مألوفَين، كل منهما يُطل من عشرات الملصقات الضخمة. صارخة وكئيبة، والعنوان مكتوب بأحرُف سوداء كبيرة تقول: «مطلوبان للعدالة بأوامر الملك بسبب الإرهاب، الخيانة والقتل.»

أشكُّ أن العديد من الناس الذين يحتشدون في (البالتري) يُمكنهم القراءة، لكن الرسالة واضحة بما فيه الكفاية. صورة (كال) ليست صورته الملكية، التي جعلته يبدو قويًا وملكيًا وأنيقًا. لا، صورته مشوَّشة، ولكنها مميزة، صورة التقطت من واحدةٍ من العديد من الكاميرات التي صورته في اللحظات التي سبقت إعدامه الفاشل في وعاء العظام. وجهه شاحب، تُثقله الخسارة والخيانة، بينما تضيء عيناه بغضبٍ لا رادع له. تبرز عضلات رقبته في توتر. ربما هناك حتى دمٌ جافٌّ على ياقته. تجعله يظهر بكل ذرةٍ به كالقاتل الذي يريده (مافين) أن يبدو عليه. الملصقات السفلية له ممزقة أو مغطاة بكتابات، بخط يدٍ شائك ومخدوش. محفور بعنف شديد فبالكاد يمكن فهمه. قاتل الملك، المنفى. تمزق الألقاب الورق، كما لو أن الكلمات يمكنها أن تجعل الجلد المطبوع ينزف. ومكتوب بين الألقاب. اعثر عليه، اعثر عليه، اعثر عليه.

مثل (كال) صورتي مأخوذة من وعاء العظام. أعرف بالضبط أي لحظة. كانت قبل أن أخطو عبر بوابات الحلبة، عندما توقفت وسمِعتُ صوت طلقة النار التي أصابت رأس (لوكاس). في هذه اللحظة، أدركتُ أنني على وشك الموت، والأسوأ أدركت أنني بلا نفع. الراحل الآن (أرفين) كان

بجانبي، يخنق قدراتي، ويُقلصني لنكِرَة. عيناي المطبوعتان مُتسعتان، خائفتان، وأبدو صغيرة. لم أكن فتاة البرق في هذه الصورة. كنت فتاةً مراهقة مُرتعبة. شخصٌ لا أحد سيقف في ظهره، فدَعْك من حمايته. لا أشك أن (مافين) اختار هذه اللقطة بنفسه، وهو يعلم بالضبط ما هي الصورة التي ستبثُّها. لكن البعض لم يتم خداعهم. البعض رأوا اللحظة القصيرة لقوتي، وبرقي قبل قطع البثِّ الإذاعي للإعدام. البعض يعلم ما أكون، وكتبوا ذلك فوق الملصقات ليراها الجميع.

الملكة الحمراء. فتاة البرق. هي تحيا. انهض، أحمر كالفجر. انهض. انهض. انهض. كل كلمة تبدو كوَسم، حارق، ساخن وعميق. لكن لا يمكننا التلكؤ بجانب الجدار الذي عليه ملصقات المطلوبين للعدالة. أَكِزُ (كال)، وأدفعه بعيدًا عن المشهد الوحشي لنا. يتحرك طوعًا، ويتبع (شايد) و(كرانس) خلال الحشد المُلتوي. أقاوِم الرغبة في الامساك به، وأحاول أخذ بعضٍ من الثقل فوق كتفَيه. لا يُهم كم أريد أن ألمسه، لا يمكنني. يجب أن أُبقي عيوني موجهه للأمام، وبعيدًا عن نيران الأمير الساقط. يجب أن أجمِّد قلبي أمام الشخص الوحيد الذي يُصر على إشعاله.

تلخيص (البالتري) أسهل مما ينبغي. السوق الأحمر ليس له أي تأثير على أي شخص مُهم، لذلك الكاميرات والضباط قليلون في المستويات السُّفلى. لكنني أُبقي حواسي مُنتبهة، وأشعر بخطوط الرؤية الكهربائية القليلة التي تمكَّنت من اختراق الأكشاك وواجهات المحال العشوائية. أتمنَّى أن أتمكن من إيقاف تشغيلها فقط، بدلًا من تجنُّبها بشكلٍ محرج، ولكن حتى هذا أمر خطير للغاية. من المؤكد أن الانقطاع الغامض سيجذب الانتباه. الضبّاط أكثر إثارة للقلق، ويقفون بحدة في الزي الأسود للأمن. بينما نتسلَّق عبر مستويات (البالتري)، حتى سطح المدينة، يزداد عددهم. يبدو أن معظمهم يشعرون بالملَل من ذروة الحياة الحمراء، لكن القليل منهم يحافظون على بصيرتهم. عيونهم تندفع عبر الحشد، وتبحث.

«انحَنِ.» أهمس وأمسك بمعصم (كال) بشدة. تُرسل الحركة شرارة عصبيةً عبر يدي وذراعي، وتُجبرني على الابتعاد سريعًا.

ما زال يفعل ما قلت، وينحني ليُخفي طوله. مع ذلك، ربما لا يكون هذا كافيًا. كل هذا ربما لا يكون كافيًا.

«اقلقي بشأنه هو. إذا هرب، يجب أن نكون مُستعدِّين.» يهمس (كال) وشفتاه قريبة كفاية لتلمس طرف أذني. يُشير بأصبعه من وسط ثنايا وشاحِه ناحية (كرانس). لكن أخي يُبقي البحَّار تحت يدَيه، وتمسك قبضته سترة (كرانس) بقوة. مثلنا لا يثق بالمُهرِّب أبعد مما يُمكنه قذفه.

«(شايد) يسيطر عليه. ركِّز على إبقاء رأسك منخفضًا.»

يخرج النفَس هسيسًا من بين أسنان (كال)، ومع تنهيدة ساخطة أخرى. «فقط راقبيه. إذا كان سيهرب فسيفعل ذلك في غضون ثلاثين ثانية.»

لا أحتاج أن أسأل (كال) كيف يعرف هذا. بالحُكم على حركة الحشد؛ فثلاثون ثانية ستوصلنا لأعلى الدرجات المُلتوية المُتهالكة، وسنستقر في المستوى الرئيسي للـ(بالتري). يُمكنني رؤية قلب السوق الآن، فوقنا بالضبط، يتدفق خلاله ضوء مُنتصف الصباح الذي يكاد يُسبب العَمى بعد وقتنا تحت الأرض. تبدو الأكشاك أكثر ثباتًا وأكثر مهنية وأكثر ربحًا. يملأ مطبخ مفتوح الهواء برائحة اللحم المطهو. بعد عبوات الطعام والسمك المالح، تجعل الرائحة لعابي يسيل. تنحني أقواس خشبية متهالكة فوقنا، وتدعم سقفًا قماشيًا مرقَّعًا وممزقًا. بعض الأقواس متضررة، ومشوهة بسبب مواسم الأمطار والثلوج.

«لن يركض،» تهمس (فارلي) وتتدخل بيننا. «على الأقل ليس لـ(إيجان). سيفقد رأسه لخيانة البحَّارة. إذا كان سيذهب إلى أي مكان، فهو خارج المدينة.»

«إذن دَعِيه.» أهمس إجابةً عليها. أحمَرُ آخر لمُجالسته هو آخِر شيء أحتاجه. «لقد أدي وظيفته بالنسبة لنا، أليس كذلك؟»

«وإذا ركض مباشرة إلى زنزانة السجن والاستجواب، فماذا وقتها؟» صوت (كال) ناعم، لكنه مليء بالتهديد. تذكير بارد بما يجب القيام به لحماية أنفسنا.

«لقد ترك ثلاثةً من جماعته يموتون، من أجل سلامتي.» لا أتذكر حتى

وجوههم. لا أترك نفسي أتذكر. «أشكُّ أن التعذيب سيُزعجه كثيرًا.»
«كل العقول يُمكنها السقوط أمام (إيلارا ميراندس).» يقول (كال) أخيرًا. «نعلم أنا وأنت ذلك أكثر من أي شخص. إذا وصلت إليه، ستجدنا. وستجد الدماء-الجديدة في الخليج.»
إذا.
يريد (كال) قتل رجل بناءً على هذه الكلمة الرهيبة. يأخذ صمتي على أنه مُوافقة، ولعاري، أدرك أنه ليس مُخطئًا تمامًا. على الأقل لن يجعلني أفعل ذلك، على الرغم من أن برقي يُمكنه أن يقتل بسرعة أي لهيب. بدلًا من ذلك، تتحرك يداه داخل وشاحه، إلى السكين الذي أعرف أنه يُبقيه مُخبأً. داخل طيات أكمامي، تبدأ يدي في الارتجاف. وأدعو أن يظل (كرانس) على المسار، وألا تتعثر خطواته أبدًا. وألا يحصل على سكينٍ في ظهره لأنه تجرأ على مساعدتي.
المستوى الرئيسي للـ(بالتري) أكثر إزعاجًا من أعماقها، فيضان من الصوت والضوء. أخفض حواسي قليلًا، وأُغلق ما يُمكنني حتى أحافظ على وضوح بصيرتي. تضعف الأضواء فوقنا، غير منتظمة مع نبضات التيار المتفاوتة. الأسلاك متضررة، ترتعش في بعض الأماكن. وتجعل إحدى عينيَّ ترتعش. الكاميرات أكثر حدَّة أيضًا، مركزة على النقطة الأمنية في السوق. هو أكبر قليلًا من كشك، له ستة جوانب، وخمس نوافذ، باب، وسقف مكوَّن من عدة ألواح مُتشابكة. لكن الصندوق مُمتلئ بالضبَّاط بدلًا من البضائع غير المتناسِقة. العديد من الضباط، أُدرك مع فزعي المتزايد.
«أسرع.» أهمس. «يجب أن نتحرك أسرع.»
تجد قدماي وتيرةً أكثر سُرعة، وأسبق (كال) و(فارلي)، حتى أصير خلف (كرانس). ينظر (شايد) من خلف كتفِه، وحاجبُه معقوف. لكن نظرته تبتعد عني، عنَّا جميعًا، وتركز على شيء وسط الزحام. لا، شخص.
«هناك من يتبعنا.» يُتمتم، وتشتد قبضته على ذراع (كرانس). «جماجم البحر.»
فلتُلعَن غرائزي، أخفض غطاء رأسي لأُلقى نظرة عليهم. ليس من الصعب

أن أُميزهم. حبر أبيض على رءوس محلوقة، وُشُوم على هيئة جماجم من العظام البارزة على فروة رءوسهم. يعبُر ليس أقل من أربعةٍ منهم خلال الزحام، يُلاحقوننا كالجرذان التي تلاحق فأرًا. اثنان من اليسار واثنان من اليمين، يُحاصروننا من كِلا جانبَينا. إذا لم يكن الوضع وخيمًا، كنتُ سأضحك على وشومهم المُتماثلة. يعرفهم الحشد بمجرد رؤيتهم، ويُفسحون لهم الطريق ليعبروا، وليدعوهم يُطاردوننا.

من الواضح أن الحمر الآخرين يخشون هؤلاء المُجرمين، لكني لا أخشاهم. بعض من أفراد عصابة لا يُقارنون بقوة دزينة من ضباط الأمن يتزاحمون في مقرهم. يمكن أن يكون بينهم مُسرعون (سويفت) أو بالِغو القوة (سترونج أرم) أو مُدثِّرون (أوبلفين)، فضيون يقدرون على جعلنا ندفع الثمن بالدماء والألَم. على الأقل هم ليسوا بخطورة فضِّيي البلاط، هامسون (الويسبر) وحريريون (السيلك) وكاتِمو القدرات (السايلنس). الهامسون بقوة الملكة (إيلارا) لا يرتدون أزياء سوداء مُتدنية. بل يتحكمون بالجيوش والممالك، ليس بضعة ياردات في سوق، هم بعيدون جدًا عن هنا. حتى الآن.

لدهشتي، الضربة الأولى لا تأتي من خلفي، بل من أمامنا مباشرة. امرأة عجوز مُنحنية، ليست كما تبدو عليه. تقبض على رقبة (كرانس) بالعصا الخشبية الخشِنة الخاصة بها. تدفعه للأرض وتزيح عباءتها في حركةٍ واحدة، لتكشف عن رأسٍ أصلع ووَشْم جمجمة.

«سوق الأسماك ليس كافيًا بالنسبة لك أيها البحار؟» تزمجر، وتشاهد (كرانس) وهو يسقط على ظهره. يسقط (شايد) معه؛ فهو مُتشابك مع أطراف (كرانس) وعكازه فلا يقدر على البقاء واقفًا.

أتحرّك لأساعده، وأندفع للأمام، لكن ذراعًا تمسك بي من خصري، وتَسحبني للخلف داخل الزحام. آخرون يُشاهدون في حماسٍ لبعض الترفيه. لا يُلاحظنا أحد بينما نذوب داخل جدار الوجوه، ولا حتى الجماجم الأربع الذين كانوا يتبعوننا. لسنا هدفهم، بعد.

«استمري في المشي.» يصرخ (كال) في أذني.

لكني أُبقي قدميَّ ثابتة. لن أتحرك، ليس حتى بواسطته. «ليس بدون (شايد).»

المرأة من جماجم البحر تضرب (كرانس) بينما يحاول النهوض، تصطدم عصاها مُصدرةً صوتَ تحطُّم على عظامه. هي سريعة، وتُحوِّل سلاحها تجاه (شايد)، هو ذكي بما يكفي ليبقى على الأرض، ذراعُه مرفوعة ليشير بالاستسلام. يُمكنه الاختفاء خلال ثانية، قافزًا حيث الأمان، لكنه يعلم أنه لا يُمكنه هذا. ليس والجميع يُشاهدون. ليس مع وجود نقطة الأمن بالقُرب.

«حمقى ولصوص، هؤلاء الجماعة.» تُزمجر امرأة بالقرب. تبدو كأنها الوحيدة التي يزعجها العرض. التجار والرعاة وأطفال الشارع جميعهم يشاهدون في ترقُّب، وضباط الأمن لا يفعلون أي شيء على الإطلاق، يشاهدون في استمتاع مُستتر. أرى حتى بعضهم يتبادلون العملات المعدنية، يُراهنون على القتال القادم.

ضربة أخرى، هذه المرة تصطدم بكتِف (شايد) المُصابة. يجزُّ على أسنانه، محاولًا أن يمنع تأوُّهًا من الألَم، لكنها تدوِّي بصوتٍ عالٍ في أنحاء (البالتري). أكاد أشعُر بها وأجفل بينما يتكوَّم على نفسه.

«لا أعرف وجهك أيها البحار؟» تصيح جمجمة البحر. تضربه مجددًا، بقوة كافية لترسل رسالة. «لكن (إيجان) سيعرفك بالتأكيد. سيدفع لعودتك الآمنة ولو كانت مليئة بالكدمات.»

أُغلق قبضتي بشدة، أتمنَّى خروج برقي، لكني أشعر بالنيران بدلًا من ذلك. جلد ساخن مقابل جلدي، وأصابع تزداد سخونةً في قبضتي. (كال). لن أستطيع أن أستدعي برقي بدون إيذائه. جزء منِّي يريد ذلك، أن أدفعه بعيدًا وأُنقذ أخي بحركةٍ سريعة واحدة. لكن لن يجني هذا أي شيء. في شهقةٍ حادة، أُدرك أننا لم نكن لنطلُب مصدرًا للإلهاء أفضل من ذلك، أو لحظةً أفضل للتسلل. (شايد) ليس مصدر إلهاء. يصرخ صوتٌ داخل رأسي. أعضُّ على شفتي، أكاد أن أجرح الجلد. لا يُمكنني تركه، لا يُمكنني. لن أفقده ثانية. لكن لا يُمكننا البقاء هنا. هذا خطير جدًّا، وهناك الكثير على المحك.

«المركز الأمني.» أهمس، وأحاول أن أمنع صوتي من الارتجاف.

«يجب أن نجد (آدا والاس)، والمركز هو الطريق الوحيد لذلك.» مذاق الكلمات التالية في فمي كالدماء. «يجب أن نذهب.»

يدع (شايد) الضربة التالية تُسقطه على جانبه، مما يُعطيني زاوية أفضل. تتلاقى عيوننا. أتمنى أن يتفهم. تتحرك شفتاي بدون صوت. المركز الأمني، أُحرك فمي ليقول دون صوت أين يُلاقينا عندما يهرب. لأنه سيهرب. هو دماء-جديدة مثلي. هؤلاء الأشخاص ليسوا ندًّا له. يكاد هذا يبدو مُقنعًا.

تتحول ملامحه للحزن في إدراك أنني لن أنقذه. لكنه مع ذلك يومئ. وضغط الأجساد يبتلعه كليًا، ويحجبه عن الرؤية. ألتفت قبل أن تصطدم العصا بالعظام، لكنني أسمع الصوت المُدوِّي القاسي. وأجفل مجددًا، وتحرق الدموع عينيَّ. أريد أن أنظر للخلف، لكن يجب أن أبتعِد، لأفعل ما يجب فعله، وأنسى ما يجب نسيانه.

تهتف الجموع وتتدافع للرؤية، مما يُسهل علينا التسلل للشارع وإلى عُمق مدينة خليج (هاربور).

تُشبه الشوارع المُحيطة بـ(بالتري) السوق نفسه. مزدحمة وصاخبة وتنتشِر فيها الرائحة الكريهة للأسماك والأمزجة السيئة. لا أتوقَّع أقلَّ من ذلك من القطاع الأحمر من المدينة، حيث المنازل ضيقة وتميل فوق الأزقة، وتُشكل ممراتٍ مُظللة نصف مملوءة بالقمامة والمُتسولين. لا يُوجَد ضبَّاط يمكن رؤيتهم، مُنجذبين إما إلى قتال العصابات في (بالتري) أو لانهيار النفق خلفنا بعيدًا. يتقدم (كال) الآن، ونتحرك بوتيرةٍ ثابتة إلى الجنوب، بعيدًا عن البؤرة الحمراء.

«منطقة مألوفة؟» تسأل (فارلي) وتنظر تجاه (كال) في اشتباهٍ عندما يأخذنا لمنعطف حارة. «أم أنك فقط تائهٌ مثلي؟»

لا يُكلف نفسه عناء الإجابة، بل يقوم فقط بتلويحٍ سريع بيده. نسرع مارِّين بالقرب من حانة، ونوافذها مليئة بالفعل بظلال السكارى المُحترفين. تتباطأ عينا (كال) عند الباب، مطلي باللون الأحمر الساطع. أحد أماكنه القديمة، على ما أعتقد، عندما تمكن من التسلل من قصر تل (أوشن) دون

أن يتم اكتشافه لرؤية مَملكته بدون بريق المجتمع الفضي الراقي. قال ذات مرة، هذا ما سيفعله الملك الصالح. ولكن كما اكتشفت، كان تعريفه للملك الصالح معيبًا للغاية. لم يكن المتسولون واللصوص الذين واجههم على مرِّ السنين كافين لإقناع الأمير. لقد رأى الجوع والظلم، لكن ليس بقدْرٍ كافٍ للقيام بتغيير، أو بالقدر الكافي ليستحق قلقه. هذا حتى مضغَه عالَمُه وبصقه، مما جعله يتيمًا، مَنفيًّا وخائنًا.

نتبعه لأنه يجب علينا ذلك. لأننا بحاجة إلى جندي وطيار، أداة غير حادة لمساعدتنا على تحقيق أهدافنا. على الأقل، هذا ما أقوله لنفسي وأنا أتبعه. أحتاج (كال) لأسبابٍ نبيلة لإنقاذ الأرواح، للفوز. ولكن مثل أخي، لديَّ أيضًا عكاز. عكازي ليس معدنيًا. هو من لحم ونار وعيون برونزية. لو كان بإمكاني إبعاده فقط. لو كنتُ فقط قوية بما يكفي لأدع الأمير يرحل ويقوم بما يريده بانتقامِه. أن يموت أو يعيش كما يرى الأمر مناسبًا. لكنني أحتاجه. ولا أستطيع أن أجد القوة لأتركه يرحل.

على الرغم من أننا بعيدون عن سوق الأسماك، إلا أن رائحةً فظيعة تتخلل الشارع. أدفع بوشاحي إلى أنفي، في محاولة لصدِّها. أدرك تدريجيًا أنه ليس سمكًا، ويدرك الآخرون ذلك أيضًا.

تتأرجح عشرات من الجثث من الأشجار العارية، ووجوههم أرجوانية ومُنتفخة، مع حبل مشنقة حول أعناقهم. تم تجريد كل واحدٍ منهم من ملابسه، باستثناء ميدالياته الحمراء المُتطابقة. لا شيء فاخر، مجرد مربعات خشبية منحوتة تتدلَّى من حبلٍ خشن. لم أرَ قلادات كهذه من قبل، وأركز عليها لإبعاد عينيَّ عن الوجوه الميتة العديدة.

لقد كانوا هنا لفترة من الوقت، حُكمًا على الرائحة وسحابة الذباب الطنانة. الموت ليس غريبًا عني، لكن هذه الجثث أسوأ من أي جثثٍ رأيتُها أو صنعتُها.

«التدابير الأمنية؟» أتساءل بصوتٍ عالٍ. هل كسر هؤلاء الرجال والنساء حظر التجول؟ هل تحدثوا بما هو ليس لائقًا؟ هل تم إعدامهم طبقًا للأوامر التي أعطيتها؟ ليست أوامرك، أقول لنفسي غريزيًا. لكن هذا لا

يُقلل من الشعور بالذنب. لا شيء سيُقلل من الشعور بالذنب.

تهز (فارلي) رأسها. «هؤلاء من المُراقبة الحمراء.» تُتمتم. وتبدأ في الخطو للأمام، لكنها تتراجع مفكرةً بشكل أفضل. «المدن الأكبر، المجتمعات الحمراء الأكبر. لديهم حرسهم الخاص وضباطهم. للحفاظ على السلام، للحفاظ على قوانيننا، لأن ضبّاط الأمن لن يفعلوا.»

لا عجب أن جماجم البحر هاجمت (كرانس) و(شايد) في العلن. يعرفون أنه لن يعاقبهم أحد. كانوا يعرفون أن المراقبة الحمراء قد ماتت.

«يجب أن نقطع الحبال.» أقول، على الرغم من أنني أعرف أن هذا غير مُمكن. ليس لدينا الوقت لدفنهم، ولا نريد المتاعب. أبتعِد. المشهد بغيض، مشهد لن أنساه، لكنني لا أبكي. (كال) هناك، ينتظر على بُعد مسافة في احترام، كما لو أنه ليس لدَيه الحق في دخول ساحة الشنق. أوافق في هدوء. قومُه فعلوا هذا. قومُه.

(فارلي) ليست هادئة مثلي. تُحاول إخفاء الدموع التي تتجمّع في عينَيها، وأتظاهر بعدم ملاحظتهم بينما نبتعِد.

«سوف يكون هناك حساب. سوف يُجازَون على هذا.» تقول في هسيس، وكلماتها أكثر إحكامًا من أي حبل مشنقة.

***

كلّما ابتعدنا عن (بالتري)، كلما أصبحت المدينة أكثر نظامًا. تتسع الأزقة وتصير شوارعَ، وتنعطف بسهولة بدلًا من الانعطاف عند زوايا كدبُّوس الشعر. المباني هنا من الحجر أو الخرسانة الملساء، ولا تبدو قابلةً للسقوط مع هبوب أي رياحٍ قوية. يجب أن تنتمي بعض المنازل، التي يتم الاعتناء بها، ولكنها صغيرة، إلى الحُمر الناجِحين في المدينة، إذا حكمنا من خلال الأبواب والمصاريع الحمراء. تتميز بلونِنا، وُسِمت، حتى يعرف الجميع مَن وماذا يعيش بالداخل. يتجول الحُمر في الشارع بنفس الوضوح، معظمهم من الخدَم الذين يرتدون أساور حمراء. يمتلك عدد قليل منهم شاراتٍ مُخططةً مُثبتة على ملابسهم، تحمل كل واحدة منها ألوانًا مألوفة، تشير إلى العائلة التي يخدمونها.

أقرب واحدٍ لدَيه شارة من الأحمر والبُني، منزل (رامبوز). تعود إليَّ دروسي مع السيدة (بلونوس) كالفيضان، غشاوة من الحقائق التي أتذكرها نصفيًّا. (رامبوز)، أحد المنازل النبيلة. حكّام هذه المنطقة، منطقة (بيكون). من (السترونج أرم). كان لديهم فتاة في اختبارات الملكة، شيء ضئيل تُدعى (روهر) يمكنها أن تُمزقني إلى نصفَين. قابلتُ فردًا آخر من عائلة (رامبوز) في وعاء العظام. كان من المُفترض أن يكون أحد جلادينا، وقتلتُه. صعقته حتى صرخت عظامه. لا يزال بإمكاني سماع صراخه. وبعد ساحة الشنق، التفكير بهذا يكاد يَجعلني أبتسم.

يتَّجه خادِمو عائلة (رامبوز) للغرب، ويصعدون مُنحدرًا بسيطًا إلى تلٍّ يُطل على الخليج. يتجهون لقصر سيدهم، بلا شك. هو واحدٌ من المنازل الفخمة المتناثرة فوق المرتفع، كل واحدٍ يتباهى بجدران بيضاء نقية، وأسقُف زرقاء كالسماء، وأبراج طويلة فضية يعلوها نجوم ذات أطراف حادة.

نتبعهم، ونشقُّ طريقنا إلى الأعلى، ونقترب من أكبر هيكلٍ على الإطلاق. يبدو مُتوجًا بمجموعات من النجوم، ومُحاطًا بجدرانٍ صافيةٍ لامعة، زجاج ماسي.

«تل (أوشن).» يقول (كال)، يتبع نظري.

يُهيمن المجمع على قمة المرتفع، قطة بيضاء سمينة مُستلقية بسلام خلف الجدران البلورية. مثل قصر (وايتفاير)، حواف السقف المطليُّ بالذهب كالنيران المعدنية، مُصنعة ببراعة بحيث يبدو أنها ترقص في ضوء الشمس. تُومِض نوافذه مثل المجوهرات، كلُّ واحدةٍ منها لامعة ونظيفة، نتاج ما لا يعلمه أحدٌ مِن جُهد الخدم الحُمر. يُصدر صوت عمليات البناء صدًى وتُدوي من القصر، يقومون بما يعرفه (مافين) فقط في السَّكن الملكي. جزء مِني يريد أن يرى ذلك، ويجب أن أضحك على هذا الجانب الغبي من نفسي. إذا دخلت إلى القصر مرةً أخرى، فسأكون مُقيدة بالسلاسل.

لا يستطيع (كال) النظر تجاه التل لفترةٍ طويلة. هذا من ضِمن الذكريات البعيدة حاليًا، مَكان لا يُمكنه الذهاب إليه بعد الآن، بيت لا يُمكنه العودة إليه. أظنُّ أن لدَينا هذه كعامل مُشترك.

الفصل الخامس عشر

تجلس طيور النورس فوق النجوم التي تُزين كل سقف، وتُراقبنا بينما نمرُّ عبر ظلال منتصف الصباح الباردة. أشعر بأنني مكشوفة تحت نظراتهم، كسمكةٍ على وشك أن يَصطادوها لتناول العشاء. يجعلنا (كال) نتحرك بوتيرة سريعة، وأعلم أنه يشعر بالخطر أيضًا. حتى في الأزقة الخلفية، التي تطلّ عليها فقط أبواب الخدمة ومساكن الخدم، ما زلنا نبدو في غير مكاننا بشكلٍ يائسٍ بأغطية رءوسنا وملابسنا الرثة. هذا الجزء من المدينة مُسالِم، وهادئ، وعريق، وخطير. كلما ابتعدْنا أكثر، كلما شعرتُ بالتوتر. ويتعمق داخلي النبض المنخفض للكهرباء، كطرقٍ ثابتٍ عند كل منزل نمرُّ به. يتقوّس فوقنا حتى، تحمله أسلاك يُخفيها جذور مُتسلقة مُلتوية أو مظلات مُخططة باللون الأزرق. لكنني لا أشعر بوجود كاميرات، ووسائل النقل تبقى بالشوارع الرئيسية. حتى الآن، مررنا دون أن يُلاحظنا أحد، يَحمينا زوج دامٍ من الإلهاء.

يقودنا (كال) بسرعةٍ عبر ما يُسميه قطاع (ستار). بالنظر إلى الألف نجم على أسطح مئةٍ من القباب، فإن اسم الحي مُناسب. ينعطف بنا عبر الأزقة، حريصًا على إبقاء مسافةٍ واسعة بيننا وبين قصر تل (أوشن) حتى نعود إلى طريقٍ رئيسي مزدحِمٍ بالمرور. طريق جانبي من طريق الميناء، إذا كنتُ أتذكر الخريطة بشكلٍ صحيح، يربط تل (أوشن) ومبانيه المُلحقة بالميناء الصاخب وحصن (باتريوت) أدناه، ويمتد إلى الماء. من هذه الزاوية، تمتد المدينة في كل مكان حولنا، لوحة من الأبيض والأزرق.

نختلط مع حشود الحُمر على الأرصفة. هناك، تتزاحم وسائل النقل العسكرية فوق الأرض المرصفة بالحجر الأبيض. تختلف هذه المركبات في الحجم، وتتراوح من عربات لشخصَين إلى صناديق مُدرعة على عجلات، ومعظمها مختوم برمز السيف الخاص بالجيش. تلمع عينا (كال) تحت غطاء رأسه، يُراقب كلًّا منهما يمر. أنا قلِقَةٌ أكثر من النقل المدني. هم أقل

عددًا، لكنهم يبرقون، يتحركون بسرعةٍ خلال الزحام المروري. الأكثر إثارة للإعجاب منها ترفع أعلامًا ملوَّنة، تشير إلى المنزل الذي تنتمي إليه، أو الراكِب الذي تحمِله. لراحتي، لا أرى اللونَين الأحمر والأسود لمنزل (مافين كالور)، أو الأبيض الأزرق منزل (إيلارا ميراندس). على الأقل لن أتوقَّع الأسوأ اليوم.

يُجبرنا الحشد المتزاحِم على المشي على مقربةٍ من بعضنا. (كال) على يميني و(فارلي) على يساري. «كم من المسافة تتبقَّى؟» أهمس وأُخفي وجهي تحت غطاء رأسي. صارت الخريطة ضبابية في رأسي، رغم أفضل جهودي. الكثير من الدوران والمنحنيات يصعب الإبقاء عليها، حتى بالنسبة إليّ.

يومئ (كال) برأسه ردًّا على ذلك، مُشيرًا إلى حشدٍ صاخب من الناس وينتقل إلى الأمام. أبتلع مشهدًا ما هو بلا شك القلب النابض لخليج الميناء. تاج تل المدينة، مُحاط بالحجر الأبيض والجدران الزجاجية الماسية. أستطيع أن أرى بوابات القصر، زرقاء زاهية مُرصعة بالفضة، وتبرز بعض الأبراج المُزينة بالنجوم. هذا مكان جميل، لكنه بارد، قاسٍ، حادٌّ كالشفرة. خطير.

على الخريطة، لم يبدُ هذا كشيءٍ أكثر من ساحةٍ أمام بوابات قصر تل (أوشن)، مُتصلة بالميناء وبوابات حصن (باتريوت) أسفل المُنحدَر البسيط. الواقع أكثر تعقيدًا بكثير. هنا، يبدو أن عالَمي هذه المملكة يختلطان معًا، الأحمر والفضي مُجتمِعان معًا لجزءٍ من لحظة. يعبر عمَّال المرسى والجنود والخدم واللوردات الكبار تحت القبة البلورية التي تتقوَّس فوق الفناء الضخم. تتلوَّي نافورة في المنتصف، وتُحيط بها أزهار بيضاء وزرقاء لم يلمسها الخريف بعد. تتلألأ أشعة الشمس خلال القبة، فينكسِر الضوء راقصًا في عالَمٍ من فوضى الألوان الزاهية.

تقع بواباتُ الحصن مباشرة أسفل الجادة مُقابلنا، مغمورة بالضوء المتحول للقبة. مثل تلك الموجودة في القصر، فهي مصنوعة ببراعة. ارتفاعها أربعون قدمًا، مصنوعة من البرونز المصقول والفضة مجدولان في شكلِ سمكةٍ ملتوية عملاقة. لولا وجود عشرات الجنود وفزَعِي المُطلق، كنت

سأجد البوابات رائعة. تُخفي الجسر وراءها، وحصن (باتريوت) الأبعد ناحية البحر. تضيف الأبواق والصيحات والضحك إلى الحمل الغامر، حتى أُضطر إلى النظر إلى حذائي والتقاط أنفاسي. تسعَد اللصَّة داخلي بفكرة هذا الكمِّ من الفوضى، لكن بقيَّتي خائفة ومتوترة، كسلكٍ عارٍ يحاول احتواء شراراته.

«أنتِ محظوظة أنها ليست ليلة النجم الوحيد.» يهمس (كال)، وعيناه تنظرانِ بعيدًا. «المدينة كلها تنفجِر بالاحتفالات.»

ليس لديَّ القوة أو الحاجة للردِّ عليه. ليلة النجم الوحيد هي عُطلة فضيَّة، تُقام في ذكرى معركة ما بحرية حدثت منذ عقود. هذا لا يعني شيئًا بالنسبة لي، لكن نظرةً واحدة إلى (كال) ونظرته المُشتتة تُخبرني أنه لا يوافق. لقد رأى هذه الليلة في هذه المدينة بالذات، ويتذكَّرها بشغف. الموسيقى والضحك والحرير. ربما ألعاب نارية فوق الماء، ووليمة ملكية لإنهاء الحفلة. ابتسامة والده في موافقة، مزاحٍ مع (مافين). كل شيء قد فقدَه.

الآن دوري لأنظر بعيدًا. هذه الحياة قد انتهت، يا (كال). لا يجب أن تجعلك سعيدًا بعد الآن.

«لا تقلقي.» يُضيف عندما تصفو ملامحه. يهز رأسه محاولًا إخفاء ابتسامة. «لقد وصلنا. هذا المركز الأمني هناك.»

المبنى الذي يُشير إليه يقف عند حافة الميدان المزدحم، تبرُز جدرانه البيضاء مقابل الزحام المُتشابك أسفله. يبدو كقلعة جميلة، بنوافذ زجاجية سميكة، ودرجاتٍ تؤدي إلى شرفة محاطة بعواميد منحوتة لشكلِ ذيلِ سمكة ضخمة. تتقوّس ممرات تحرسُها دوريات فوق جدران الزجاج الماسي لقصر تل (أوشن)، تربطه بباقي المجمع الفاخر. السقف أيضًا أزرق، لا تُزينه نجوم، بل أشواكٌ حادة. من معدن قاسٍ، طولها ستة أقدام، ومشحوذة إلى طرفٍ حاد. من أجل الفضِّين (الماجنيترون) أعتقد، ليستخدِموها في أي نوعٍ من الهجوم. باقي المبني مُماثل، مغَطًّى بأسلحة فضية.

أعشاب مُتسلقة ونباتات ذات أشواك، انتهى بها الأمر على عواميد من أجل الفضيين (الجرين واردين) بينما زوج من البِرَك تحوي مياهًا قاتمة من أجل الفضيين (النيمف). وبالطبع، هناك حراس مسلحون عند كل باب، بين أيديهم بنادق طويلة في وضوح.

الأسوأ من أي حرسٍ هي الرايات. تُرفرف مع نسمة البحر. تنتشِر على الجدران والأبراج والعواميد على هيئة ذيل السمك. لا تحمِل السهمَ الفضيَّ لرمز حراس الأمن، لكن التاج المُشتعل. أسود وأبيض وأحمر، وأطرافه تنحني كلهيبٍ يتلوَّى. ترمز إلى (نورتا)، إلى المملكة، إلى (مافين). إلى كل ما نُحاول تدميرَه. وبينهم لافتات مُذهبة خاصة، (مافين). أو على الأقل صورته. يُحدق بعيدًا، وتاج والده فوق رأسه، وعينا والدته المُتَّسعتان. يبدو كفتًّى صغير لكن قوي، أمير يرتقي إلى مستوى أكبرِ حدث. «يحيا الملك» مكتوبة بوضوح صارخ تحت كل صورةٍ لوجهه الحادِّ الشاحب.

على الرغم من الدفاعات المُبهرة، ونظرة (مافين) المؤرقة، لا أستطيع منع نفسي من الابتسام. فالمركز ينبض بسلاحي الخاص، بالكهرباء. هي أقوى من أيِّ (ماجنيترون) أو (جرين واردين) أو أي سلاح. هي في كلِّ مكان. وهي مِلكي. إذا فقط تمكَّنت من استعمالها بطريقةٍ صحيحة. إذا فقط لم نُضطر للاختباء.

إذا. أكره هذه الكلمة الغبية.

مُعلقة بالهواء، قريبة لدرجة كافية لألمسها. ماذا إذا لم نقدر على الدخول؟ ماذا إذا لم نجد (آدا) أو (وليفر)؟ ماذا إذا لم يعُد (شايد)؟ الفكرة الأخيرة تحرقني بعُمق أكثر من الباقي. حتى وإن كانت عيناي حادَّة، ومُدربة على الشوارع المزدحمة، لا يُمكنني رؤية أخي في أي مكان. من المفترَض أن تكون رؤيته سهلة، يعرج ومعه عكَّاز، لكني لا أجِده في أي مكان. تتفاقم حواسي بسبب فزعي، ويسلُب القليل من السيطرة التي عملتُ بجهدٍ حتى أزرعها. أُضطر لعضِّ شفتي لأمنع نفسي من أن أشهق بصوتٍ عالٍ. أين أخي؟

«إذن الآن ننتظر؟» تقول (فارلي)، وصوتها يرتجِف من خوفها. تتحرك

عيناها للأمام والخلف، باحثةً أيضًا عن أخي. «لا أظنُّ أنكما حتى تقدِران على الدخول بدون (شايد).»

يُصدر (كال) صوتًا ساخرًا. مُنشغلًا بفحص دفاعات المركز فلا ينظر إليها. «يمكننا الدخول بسهولة. يمكن أن يعني ذلك أن يشتعل المكان بأكمله. هذا ليس بالضبط تسللًا خفيًا.»

«لا، على الإطلاق.» أهمس، لأُشتِّت انتباهي. لكن مهما حاولتُ بشدةٍ التركيزَ على قدميَّ أو أيدي (كال) القادرة، لا يُمكنني منع نفسي من القلق على (شايد).

حتى هذه اللحظة، لم أشك بحقٍّ أنه سيُقابلنا. هو مُتنقل، أسرع شيء على قيد الحياة، ولا يجب أن يُسبب له البعض من مُجرمي الرصيف البحري أي تهديد. هذا ما قلته لنفسي في (البالتري)، عندما تركته. عندما تخليتُ عنه. لقد أُصيب بطلقة نارية بدلًا مني منذ بضعة أيام وأنا رميتُه لجماجم البحر مثل الحمَل للذئاب.

في (نايرسي)، قلت لـ(شايد) إنني لم أثِق بكلمتِه. أظن أنه لا يجب عليه الوثوق بكلمتي أيضًا.

أُبقي أصابعي على غطاء رأسي، أُحاول أن أُدلِّك الألَم في عضلات رقبتي. لكن لا يجلب لي هذا أي مهلةٍ من الراحة. لأننا حاليًا نتلكأ أمام فرقة إطلاق نيرانٍ حقيقية، ننتظر كالدجاج الغبي الذي يُحدق بسكين الجزار. وحينما أخاف على (شايد)، أخاف على نفسي أيضًا. لن أفعل.

«المدخل الخلفي.» أقول، هذا ليس سؤالًا. فكل منزل له باب، ولكن أيضًا له نوافذ، أو فجوة في السقف، أو قفل مكسور. هناك دومًا طريقة للدخول.

يقوِّس (كال) حاجبَه، في حيرةٍ لمرة واحدة. لا يجب إرسال جنديٍّ للقيام بعمل لصٍّ أبدًا. «سنكون بحالٍ أفضل مع (شايد).» يُجادل. «لن يعلم أحد بدخوله حتى. دقائق قليلة أخرى ...»

«نضع كل دماء-جديدة في خطرٍ أكبر مع كل ثانية نُضيعها. بجانب ذلك، لن يجد (شايد) صعوبةً في إيجادنا لاحقًا.» أخطو خطواتي الأولى من طريق

الميناء وإلى شارعٍ جانبي. يزفر (كال) ولكنه يتبعني. «كل ما عليه فِعله هو اتِّباع الدُّخان.»

«دخان؟» يسأل في شحوب.

«حريق خاضع للسيطرة.» أُكمل، وتتكوّن خطة سريعًا جدًّا لدرجة أن الكلمات بالكاد تأخُذ وقتًا للمرور عبر شفتيَّ. «شيء محكوم. جدار من النيران كبير بما فيه الكفاية ليردعهم، حتى نحصل على الأسماء التي نُريدها. لا ينبغي أن يُشكل بعض (النيمفيين) الحمقى تهديدًا كبيرًا لك، وإذا فعلوا ...» أضمُّ يديَّ على هيئة كرة، وأدع شرارة صغيرة تدور في راحة يدي. «لهذا أنا هنا. (فارلي)، أفترض أنكِ تعرفين نظام السجلات؟»

لا تتردَّد في الإيماء، ووجهها يلمع بنوعٍ غريب من الفخر.

«أخيرًا.» تهمس. «لا فائدة من جرِّكما أنتما الاثنين إذا لم تكونا مُفيدَين.»

تُظلم عيون (كال) في نظرةٍ مُخيفة تُذكِّرني بوالده الميت. «تعرفين ماذا سيفعل هذا، أليس كذلك؟» يحذر، كأنني طفلة. «سيعرف (مافين) من فعلَ هذا. سيعرف أين نحن. سيعرف ما نفعله.»

ألتفت لأواجه (كال)، غاضبةً أنني يجب أن أفسِّر. غاضبة من أنه لا يثق بي لأتخذ قرارًا. «لقد أخذنا (نيكس) منذ حوالي اثنتي عشرة ساعة. سيُلاحظ أحدهم اختفاء (نيكس)، إذا لم يفعلوا مسبقًا. سيبلغون عن الأمر. ألا تظن أن (مافين) يُراقب كل اسم في قائمة (جوليان)؟» أهز رأسي، لا أعرف لِمَ لَمْ أُدرك ذلك مبكرًا. «سيُدرك ما الذي نقوم بفعله في اللحظة التي سيسمع فيها عن اختفاء (نيكس). لا يهم ما نفعله هنا. بعد اليوم، مهما صار، سيتحول الوضع لمطاردة حقيقية. بحْث في جميع أنحاء المدينة عنَّا، أوامر بقتلِنا عند رؤيتنا. لذا لماذا لا نسبق الأوضاع؟»

لا يُجادلني، لكن هذا لا يعني أنه يوافق. في كلتا الحالتين، لا أهتم. لا يعرف (كال) هذا الجانب من العالَم، المجارير والوحل التي يجِب أن نرمي بأنفسنا داخلها. لكني أعرفه.

«حان الوقت لنتوقَّف عن تخفيف ضرباتنا، يا (كال).» تنضم (فارلي) للمحادثة.

مجددًا، لا يجيب. يبدو كئيبًا، مشمئزًا حتى. «هؤلاء قومي يا (ماير).» يهمس أخيرًا. شخص آخر كان سيصرُخ، لكن (كال) ليس من هذا النوع. تُحرِّق همساته عادة، لكني أشعر فقط بالإصرار. «لن أقتلهم.»

«الفضيُّون.» أكمل بدلًا عنه. «لن تقتل الفضِّيين.»

يهز رأسه ببطء. «لا أقدِر.»

«ومع ذلك كنتُ على استعداد لقتل (كرانس) منذ وقتٍ ليس بطويل.» أضغط ويخرج صوتي كالهسيس. «هو واحد من قومك أيضًا، أو كان سيصير كذلك إذا كنتَ الملك. لكن أعتقد أن دماءه باللون الخاطئ، أليس كذلك؟»

«هذا ...» يُغمغم، «ليس نفس الشيء. إذا هرب وقبضوا عليه، كنا سنصبح في خطر ...»

تلتصق الكلمات بحلقِه، وتبتعِد. لأنه ببساطة لا يوجد هناك كلمات باقية ليقولها. هو منافق، ببساطة ووضوح، لا يُهم كم يدَّعي أنه عادل. دماؤه فضية وقلبه فضي. ولن يضع أي أحدٍ في مرتبةٍ أكثر قيمةً منه.

أرحل، أريد أن أقول. لكن مذاق الكلمات مُر. لا يُمكنني أن أجبرها على الخروج من فمي. بقدر ما هو مُثير للغضب انحيازه وولاؤه، فلا يُمكنني فِعل ما يجب فعله. لا يمكنني أن أدعَه يرحل. هو مُخطئ للغاية ولا أستطيع أن أتركه يرحل.

«إذن لا تقتل.» أقول وأجزُّ على أسناني. «لكن تذكر أنه فعل ذلك. قومي وقومك، يتبعانه الآن، وسيقتلوننا من أجل مَلِكهم الجديد.»

أشرتُ بإصبعٍ واحدة مُصابة بكدمات إلى الشارع، إلى اللافتات التي تحمل وجه (مافين). (مافين)، الذي ضحى بالفضيِّين للحرس القرمزي، لتحويل المُتمردِّين إلى إرهابيِّين وتدمير أعدائه في ضربة واحدة. (مافين)، الذي قتل كلَّ شخص في البلاط يعرفني حقًّا. (لوكاس) والسيدة (بلونوس) وكل خادماتي، كلهم ماتوا لأنني كنتُ مختلفة. (مافين)، الذي ساعد في قتل والدِه، الذي حاول إعدام شقيقه. (مافين)، الذي يجب تدميرُه.

جزء صغير منِّي يخشى أن يرحل (كال). يمكن أن يختفي في المدينة، ليجد أي سلامٍ لا يزال باقيًا في قلبه. لكنه لن يفعل. غضبُه، على الرغم من أنه

مدفون بعُمق، أقوى من منطقه. سيحصل على الانتقام، تمامًا كما سأحصل على انتقامي. حتى لو كلّفنا كل شيءٍ نعتز به.

«من هنا.» يتردَّد صوته. ليس لدَينا المزيد من الوقت للهمس.

بينما نلتفُّ حول الزاوية الخلفية لمركز الأمن، تمتد حواسي، لتُركز على الكاميرات الأمنية المنتشرة على الجدران. بابتسامة، أضغط عليها، وأقطع الكهرباء عن أسلاكها. واحدةً تلو الأخرى، تسقط مع وتيرتي.

الباب الخلفي مصنوع بشكلٍ مُبهر مثل الباب الأمامي، وإن كان أصغر. أمامه مساحة واسعة مثل الشرفة، باب محفور من الفولاذ المُنحني، وأربعة حراس مسلحين فقط. بنادقهم مصقولة لدرجة عالية من اللمعان، لكنها ثقيلة في أيديهم. مُجندون حديثون. ألاحظ الأوشحة الملوَّنة على أذرُعهم، تدل على منازلهم وقدراتهم. واحدٌ منهم ليس لدَيه وشاح على الإطلاق، فضيٌّ من طبقةٍ دُنيا، بلا عائلة كبيرة، وقدرات أضعف من الآخَرين. الباقي هم: صارخ (بانشي) من منزل (مارينوس)، وراجف (شيفر) من (جلايكون)، و(سترونج أرم) من (جريكو). لسروري، لا أرى أيَّ أبيض وأسود من منزل (إيجري). لا عيون تُلقي نظرةً على المستقبل القريب، وتعرف ما نحن على وشك القيام به.

يروننا قادمِين، ولا يُكلفون أنفسهم عناء الاعتدال في وقفتهم. الحُمر لا شيء يدعو للقلق، بالنسبة للضبّاط الفضيِّين. كم هم مُخطئون. فقط عندما نتوقف قبل خطواتٍ من الباب الخلفي يُلاحظوننا. (البانشي)، أكبر بقليلٍ من صبي، بعيون مائلة وعظام وجنتَين عالية، يبصق عند أقدامِنا.

«استمِرُّوا في الحركة أيها الفئران الحمر.» لصوته طرفٌ حادٌّ مؤلم.

بالطبع لا نُطيعه. «أريد أن أتقدم بشكوى.» أقول، وصوتي حادٌّ وواضح، رغم أنني أُبقي وجهي مُنحنِيًا ناحية الأرض. ترتفع الحرارة بجانبي، ومن طرف عيني أرى قبضة (كال) تشتد. ينفجر الضباط في ضحك من قلوبهم، ويتبادلون الابتسامات البشِعة. ويخطو (البانشي) بضع خطوات إلى الأمام، حتى يقف أمامي، وأعلى منِّي.

«لا يستمِع الأمن لمَن مثلك. أخبري المراقبة الحمراء.»

ينفجرون في ضحكٍ مجددًا. ويؤلِم صوت ضحك (البانشي) أذنيَّ الليِّنة. «أظنُّهم ما زالوا يتسكعون[4] ...» ضحكات مقززة أخرى. «في حديقة (ستارك).»

بجواري، تتلوَّى يدُ (فارلي) في سُترتها، لتشعر بالسكين الذي تُبقيه مدسوسًا بالقُرب منها. أُحدق بها، على أمل منعها من طعن شخصٍ ما قبل اللحظة المناسبة. يُفتح باب المركز الفولاذي، مما يسمح لحارسٍ بالخروج إلى ساحة المدخل. يهمس لأحد الضباط الآخرين، وأسمع كلمتَي مُعطَّل وكاميرا. لكن الضابط يهز كتفَيه فقط، وينظر إلى الكاميرات الأمنية العديدة التي تنتشر على الجدار. لا يرى أي شيءٍ خاطئ بها، وكأنه لا يستطيع.

«ارحلوا مِن هنا.» يستمر (البانشي) ويلوِّح بيده وكأننا كلاب يجب طردها. عندما لا نتحرك، تَضيق عيناه إلى شقوقٍ سوداء رقيقة. «أو سأعتقلكم جميعًا بتُهمة التعدي؟»

يتوقَّع منَّا أن نُسرع مبتعِدين؛ فالاعتقال مثله مثل حكم الإعدام هذه الأيام. لكننا نظلُّ واقِفين. إذا لم يكن (البانشي) أحمقَ قاسيًا، كنتُ سأشعر بالأسف تجاهه.

«يُمكنك المحاولة.» أقول، وأمدُّ يدي لغطاء رأسي.

يسقط الوشاح حول كتفَي، ويتطاير كالأجنحة الرمادية قبل أن يتكوَّم بجانب قدميَّ. يُشعرني النظر لأعلى بشعورٍ جيد، وأشاهد علامات التعرّف الباردة تجلب الخوف على وجه (البانشي). أنا لا أمتلك شكلًا استثنائيًا. شعر بُني، عينان بُنية، وبشرة سمراء. مكدومة، ومرهقة، وضئيلة، وجائعة. دماء حمراء وطباع حمراء. لستُ من المفترض أن أُخيف أي شخص، لكن (البانشي) يبدو خائفًا منّي بالتأكيد. يعلم أن القدرة تدقُّ تحت كدماتي. يعلم أنني فتاة البرق.

تتعثر قدمُه على الدرجات، ويسقط للخلف، فمه يُفتَح ويغلَق بينما يستجمع قوته ليصرخ.

٤- Hanging around: بمعنى مُعلق أو مشنوق، وأيضًا بمعنى يتسكّع أو يتجوّل في مكان.

«إنها ... هي.» يتلعثم (الشيفر) خلفه ويُشير بأصبع مرتجِف. يتحول سريعًا لثلج. لا أقدر على منع نفسي من الابتسامة بوضوح، وتكوِّن الشرارات كرةً في يديَّ. صوت الهسيس الصادم يمثل راحةً لا يوجد مثلها.

يزيد (كال) من المشهد الدرامي. يمزق تنكُّره بحركة واحدة سلسة، ويكشف عن الأمير الذي نشئوا على اتِّباعه، ثم طُلِب منهم الخوف منه. يفرقع سواره وتنتشِر النيران على طول وشاحِه، وتُحوِّله إلى علَم مُشتعل وحارق.

«الأمير!» يشهق (السترونج أرم). لدَيه نظرة حالِمة في عينَيه، ويتردَّد في التصرف. بعد كل شيء، حتى قبل بضعة أيام، رأوا (كال) كأسطورة، وليس وحشًا. يتعافى (البانشي) أولًا، ويصل إلى مُسدسه. «اعتقلوهم! اعتقلوهم!» يصرخ، وننبطح كشخصٍ واحد، لنهرُب من ضربته الصوتية، التي تُحطم النوافذ خلفنا.

الصدمة تجعل الضبَّاط بطيئين وأغبياء. لا يجرؤ (السترونج أرم) على الاقتراب، ويتعثر ليُخرج مُسدَّسه من جرابه، ويكافح ضد الأدرينالين المُسرع داخله. واحدٌ منهم، الضابط الذي يقف أمام الباب المفتوح، لدَيه الحسُّ السليم للركض إلى المركز حيث الأمان. يمكن التعامُل مع الأربعة الباقين بسهولة. لا يحصل (البانشي) على فرصة ليصرخ ثانيةً، ويتلقى صاعقة كهربائية بدلًا من ذلك. تحفر الصدمات في رقبته وصدره قبل أن تجد منزلًا في دماغه. لجزء من الثانية، يمكنني أن أشعر بعروقه وأعصابه، تتباعد مثل الأغصان في اللحم. يسقط حيث كان واقفًا، ويسقط في نومٍ عميق ومُظلم.

يتفوق عليَّ نفَس من البرد القارس، وألتفتُ فأعثر على جدار من شظايا الجليد تتحرك في اتجاهي، يدفع بها (الشيفر). تذوب قبل أن تصل إليَّ، يُدمرهم انفجار من نيران (كال). سرعان ما تتحول تجاه (الشيفر) و(السترونج أرم)، وتُحيط بهما، تُحاصرهما حتى أتمكن من إنهاء المهمة. تسقطهما صدمتان أُخريان، وتدفعان بهما إلى الأرض. يحاول الضابط الأخير المجهول الفرار، ويطرُق على الباب الذي لا يزال مفتوحًا. تُمسكه (فارلي) من رقبتِه، لكنه يدفعها قاذفًا بها بعيدًا. هو (تيلكي)، لكنه ضعيف، وتم

تجنيده بسرعة. ينضم إلى الآخرين على الأرض، وعضلاته ترتعش قليلًا من السهام الكهربائية. أعطي (البانشي) صدمةً إضافية، لخبثه. يتخبط جسده على الدرجات مثل سمكة في شباك (كيلورن).

كل ذلك لا يستغرق سوى لحظة. لا يزال الباب مفتوحًا، ويتأرجح ببطء من مفصلات ضخمة. أمسك به قبل أن يقفل المزلاج في مكانه، فأُدخل ذراعي إلى الهواء البارد والدائر في مركز الأمن. في الداخل، أشعر باندفاع الكهرباء في الأضواء، في الكاميرات، في أطراف أصابعي. مع نفسٍ واحدٍ ثابت، أغلقتُهم جميعًا، وغرقت الغرفة في الظلام.

يخطو (كال) بحذَر فوق الأجساد غير الواعية للضباط الذين سقطوا، بينما تبذل (فارلي) قصارى جهدها لركل كلِّ واحدٍ في ضلوعه. «من أجل المراقبة الحمراء.» تزمجر وهي تكسر أنف (البانشي). يوقفها (كال) قبل أن تتمكَّن من إحداث المزيد من الضرر، يتنهَّد ويلفُّ ذراعه حول كتفِها، ويرفعها لتنهض وتصعد الدرجات وعبر الباب الخلفي المفتوح. نظرةٌ أخيرة إلى السماء، أتسلَّل إلى المركز، وأُغلق الفولاذ خلفنا بإحكام.

تُذكِّرني القاعات المُظلمة والكاميرات الميتة بقصر قاعة الشمس، والتسلل إلى زنزانات القصر لإنقاذ (فارلي) و(كيلورن) من الموت المؤكد. لكنني كدتُ أكون أميرة هناك. ارتديتُ الحرير، وكان (جوليان) في ظهري، يُغني في طريقه مارًا بكلِّ حارس، تنحني إرادتهم لغرضنا. كان نظيفًا، ولم تُسفَك أي دماء سوى دمائي. مركز الأمن ليس كذلك. لا يسعني إلا أن آمُل في إبقاء الخسائر في الحد الأدنى.

يعرف (كال) إلى أين يذهب، ويحافظ على الصدارة، لكنه لا يفعل أكثر من مراوغة الضباط الذين يحاولون إيقافنا. بالنسبة لشخصٍ متوحش، فهو رشيق للغاية، ويتجنب الضربات من (السترونج أرم) و(السويفت). لا يزال ينوي عدَم إيذائهم، ويترك هذا العبء لي. يدمر البرق بنفس السهولة التي يدمر بها اللهب، ونترك أثرًا من الأجساد في أعقابنا. أقول لنفسي إنهم فاقدون للوعي فقط، لكن في خِضَمِّ المعركة، لا أستطيع التأكد. لا أستطيع التحكم في اندفاعاتي بالسهولة التي أصنعها بها، ومن المُحتمَل أنني قتلت

واحدًا أو اثنَين. لا يُهمني، ولا تهتم (فارلي)، سكينها الطويلة تغرق في الظلال الداكنة وتخرج منها. يقطر منها الدمُ الفضي المعدني بحلول الوقت الذي نصل فيه إلى وجهتنا، وهو باب غير ملحوظ. لكنني أشعر بشيءٍ رائع في داخلي. آلة واسعة، تنبض بالكهرباء.

«هنا. غرفة السجلَّات.» يقول (كال) ويُبقي عينَيه على الباب، غير قادر على النظر إلى مجزرتنا. ووفاءً لكلمته، يغمر الرواق المُحيط باللهب، مما يخلق جدارًا من الحرارة المُلتوية لحمايتنا أثناء عملنا.

ندفع الباب وندخل. أتوقَّع جبالًا من الأوراق، قوائم مطبوعة مثل التي أعطاها لي (جوليان)، لكن بدلًا من ذلك أجد نفسي أُحدق بجدارٍ من الأضواء الوامضة، وشاشات الفيديو ولوحات التحكم. تنبض في بطءٍ بسبب تدخُّلي في كهرباء الأسلاك. بدون تفكير، أضع يدي على المعدن البارد، أهدئ نفسي وأنفاسي المُرهقة. آلة السجلات تستجيب بالمثل، ويصدُر منها طنين بينما تبدأ في العمل. تُومِض إحدى الشاشات إلى الحياة، وتظهر شاشة مشوَّشة بالأبيض والأسود. يظهر نص عبر الشاشة، ويجعلنا أنا و(فارلي) نشهق. لم نتخيَّل أبدًا، ناهيك عن رؤية، أي شيءٍ من هذا القبيل.

«مذهل.» تتنهَّد (فارلي)، وتمدُّ يدها في تردد. تُمرر أصابعها على طول النص على الشاشة، وتقرأ ببطء. توضح الأحرف الكبيرة التعداد والسجلات، مع كتابة منطقة (بيكون)، ولاية (ريجنت)، (نورتا) بخط أصغر بالأسفل.

«لم يكن لديهم هذا في (كورانت)؟» أسألها، أتعجب كيف وجدت موقع (نيكس) في القرية.

تهز رأسها بلا حماس. «في (كورانت) لا يوجد حتى مكتب بريد، ناهيك عن شيءٍ من هذا القبيل.» بابتسامة، تنقر أحد الأزرار الموجودة تحت الشاشة المُضيئة. ثم آخر، وآخر. تومض الشاشة في كلِّ مرة، وتكتب أسئلة مختلفة. تضحك كطفلة، وتستمر في النقر.

أضع يدي فوق يدِها. «(فارلي).»

«آسفة!» تجيب. «هل يُمكنك مساعدتي قليلًا، سموك؟»

لا يبتعد (كال) عن الباب، ينحني عنقُه يمينًا ويسارًا للتحقُّق من وجود

ضباط. «المفتاح الأزرق. يقول بحث.»

أضغط على الزرِّ قبل أن تفعل (فارلي). تُظلم الشاشة للحظة، ثم تُومض باللون الأزرق. تظهر ثلاثة خيارات، كلٌّ منها داخل مُربع أبيض يومِض. البحث بالاسم، البحث بالموقع، البحث بفصيلة الدم. في عجلة، أضغط على زرِّ علامة التحديد، وأختار المربع الأول.

«اكتُبي الاسم الذي تُريدينَه، ثم اضغطِي على متابعة. ثم اضغطي على زرِّ الطباعة عندما تجدِين ما تبحثِين عنه، سيُعطيكِ نسخة.» يُوجِّهني (كال). لكن صيحة لعنة تجذب نظرَه بعيدًا، حيث يصطدم ضابط بالحاجز الناري بشدة. يدوي صوت الرصاص، وأشفق على الحارس الغبي الذي يحاول محاربة النار بالرصاص. «بسرعة الآن.»

تحومِ أصابعي فوق المفاتيح، تبحث عن كل حرفٍ أثناء كتابتي لـ(آدا والاس) بحركة بطيئة تثير الإحباط. يدوي الجهاز بصوتٍ ثانية، وتُومِض الشاشة ثلاث مرات، قبل أن يظهر جدار من النص. يشمل حتى صورة، تلك المُستخدمة في بطاقة الهوية الخاصة بها. أتأمَّل صورة الدماء-الجديدة، وأرى بشرة (آدا) الذهبية والعيون الناعمة. تبدو حزينة، حتى في الصورة الصغيرة.

يدوِّي صوت إطلاق نارٍ ثانية، ويجعلني أقفز. أحول تركيزي للنص، وأقرأ سريعًا المعلومات الشخصية عن (آدا). أعرف مسبقًا يوم ومكان ميلادها، بجانب التحوُّر الدموي الذي يجعلها من الدماء-الجديدة مثلي. تبحث (فارلي) أيضًا، عيونها تمرُّ على الكلمات دون مبالاة. «هنا.» أشير على ما نحتاجه، وأشعر بسعادةٍ أكثر مما شعرتُ منذ أيام.

العمل: خادمة عند الحاكم (ريم رامبوز).

العنوان: ميدان (بايواتر)، قطاع (كانال)، خليج (هاربور).

«علمت ذلك.» تقول (فارلي)، وتضغط على زرِّ الطباعة. تبصق الآلة ورقة وتطبع فوقها المعلومات من ملف (آدا). الاسم التالي يظهر أسرع من الآلة الطنانة.

(وويليفر جالت). العمل: تاجر، موظف في مصنع تخمير (جالت).

العنوان: حديقة (باتل) وشارع (شارسايد)، قطاع (ثري ستون)، خليج (هاربور).

إذن لم يكن (كرانس) كاذبًا في هذا الأمر، على الأقل. سأُضطر لمصافحة يده إذا رأيته ثانية.

«هل أوشكتما على الانتهاء.» يصيح (كال) من عند الباب، وأسمع الإجهاد في صوته. الأمر مجرد وقتٍ حتى يأتي (النيمفيون) راكضين، وجدارُه الناري سيسقط.

«تقريبًا.» أهمس، وأضغط على المفاتيح مجددًا. «هذه الآلة ليست من أجل خليج (هاربور) فقط، أليس كذلك؟» لا يُجيبني (كال)، مشغول للغاية في الحفاظ على درعه، لكني أعلم أنني محقة. بابتسامة، أسحب القائمة من معطفي، وإبهامي على الصفحة الأولى. «(فارلي)، ابدئي بهذه الشاشة.»

تقفز للانتباه مثل الأرنب، وتنقر بفرحٍ حتى تنبض شاشة اللوحة التالية بالحياة. نُمرر القائمة بين بعضنا البعض، ونكتب اسمًا تلوَ الآخر، ونجمع نسخةً مطبوعة تلوَ الأخرى. كل اسمٍ من منطقة (بيكون)، كل العشرة. الفتاة من الأحياء الفقيرة في (نيو تاون)، جدة تبلُغ من العمر سبعين عامًا في (كانكوردا)، صَبِيَّان توءم في جزر (باهرن)، وما إلى ذلك. تتراكم الأوراق على الأرض، كل واحدة تُخبرني أكثر مما يمكن لقائمة (جوليان) أن تُخبرني به. يجب أن أشعر بالإثارة والنشوة من مثل هذا التقدّم، لكن شيئًا ما يخنق سعادتي. الكثير من الأسماء. الكثير لأُنقذهم. ونحن نتحرك ببطءٍ شديد. من المُستحيل أن نجِدهم جميعًا في الوقت المناسب، ليس بهذه الطريقة. ولا حتى مع الطائرة أو السجلّات أو كل أنفاق (فارلي) تحت الأرض. سنفقد البعض. لا يمكن تجنُّب ذلك.

تتفكك الفكرة تمامًا مثل الجدار خلفي. ينفجر للداخل في سحابةٍ من الغبار، يظهر ظلٌّ مُتعرج لرجلٍ بلحمٍ رمادي صخري، صلب كالمدقّ المعدني. (ستونسكن)، هو كل ما تمكّنت من التفكير فيه قبل أن يهجم، ويُمسك بـ(فارلي) حول الخصر. لا تزال يدُها تُمسك بدُرج المطبوعات، وتمزق الورق

الثمين من الآلة. يتطاير خلفها مثل راية الاستسلام البيضاء.

«استسلموا للاعتقال!» يزأر (الستونسكن)، ويُثبتها مُقابل النافذة البعيدة. يصطدم رأسها بالزجاج، وتُحطمه. تدور عيناها.

ثم يصير جدار النار في الغرفة معنا، يُحيط بـ(كال) وهو يدخل مثل الثور المجنون. أخطف الأوراق من يد (فارلي)، وأدسُّها مع القائمة بعيدًا خشيةَ أن تحترق. يعمل (كال) بسرعة، وينسى قسَمَه بعدَم الإيذاء، ويدفع (الستونسكن) بعيدًا عنها، مُستخدمًا لهيبَه لإجباره على التراجُع تجاه فجوةٍ في الجدار. ترتفع النيران، وتمنعه من العودة. للوقت الحالي.

«هل انتهيتِ الآن؟» يُزمجر (كال)، وعيناه مثل الفحم المُشتعِل.

أومأت وأدير نظري إلى آلة السجلّات. تُصدر طنينًا حزينًا، كما لو أنه يعرف ما أنا على وشك القيام به. بقبضة مُحكمة، أزيد الحِمْل على دوائرها، وأرسل موجةً مُدمرة تهتزُّ خلال الآلة. تنفجر كل شاشةٍ وخطٍّ وامِض في رذاذ من الشرارات، مما يمحو بالضبط ما جئنا من أجله.«انتهيت.»

تتعثر (فارلي) مُبتعدة عن النافذة، ويدُها على رأسها، وشفتها تنزف، لكنها لا تزال واقفة دون كلل. «أعتقد أن هذا هو الجزء الذي نركض فيه.» نظرة واحدة من النافذة، المنفذ الطبيعي للهروب، تُخبرني أننا على ارتفاعٍ عالٍ جدًّا فلا نستطيع القفز. والأصوات الصادرة من الردهة بالخارج، الصيحات والأقدام المُتقدمة، لا تقلُّ هلاكًا. «نركض إلى أين؟»

يتجهم (كال) فقط، ويمد يدَه نحو الأرضية الخشبية اللامعة.«إلى الأسفل.»

تنفجر كرةٌ نارية عند أقدامنا. تحفر في الخشب، وتحرق التصاميم المُعقدة والقاعدة الصلبة مثل الكلب الذي يمضغ اللحم. تتشقّق الأرضية في لحظة، وتنهار تحتنا، ونسقط داخل الغرفة أسفلنا، ثم التالية أسفل تلك. تنهار ركبتَي أسفلي، لكن (كال) لا يدَعُني أتعثَّر، تُمسك يده بياقتي. ثم يسحبني، ولم يُخفف قبضته قط، ويسحبنا نحو نافذةٍ أخرى. لستُ بحاجة إلى أن يُخبرني بما يجب القيام به بعد ذلك.

يتحطَّم برقي ولهيبه عبر اللوح السميك من الزجاج، ونتبعهما، قافزين

إلى ما أظنُّه مجرد هواء. بدلًا من ذلك، نهبط بقوةٍ ونتدحرج فوق أحد الممرّات الحجرية. تتبعنا (فارلي)، واندفاعها يجعلها تهبط فوق حارسٍ مُندهش. قبل أن يُبدِي أيَّ ردة فعل، تقذفه من فوق الجسر. يُخبرنا صوتُ ارتطامٍ مُقزِّز أن هبوطَه لم يكن لطيفًا.

«استمرًا في الحركةَ!» يُزمجر (كال)، ويرفع نفسه ناهضًا على قدمَيه.

تضرب أقدامُنا الأرض بصوتٍ كالرعد. ونقتحم الجسر المُقوس، ونعبر من المركز الأمني إلى القصر الملكي في تل (أوشن). أصغر من قصر (وايتفاير)، ولكنه بنفس القدْر من الرعب. كما هو مألوف لـ(كال). في نهاية الممر، يفتح بابًا، وأسمع صيحات المزيد من الحراس، المزيد من الضباط. فرقة مسلحة حقيقية. ولكن بدلًا من محاولة القتال، يندفع (كال) تجاه الباب، ويداه تشتعِلان. ويُغلقه باللِّحام.

تلقَى (فارلي) نظرةً خاطفة بين الباب المسدود والممر خلفنا. يبدو وكأنه فخ، أسوأ من فخ. «(كال)؟» تبدأ في القول في خوف، لكنه يتجاهلها. ويمدُّ يدَه تجاهي، وتبدو عيناه كما لم أرَها من قبل. لهيب نقي، نار نقية.

«سوف أقذفك.» يقول، لا يُبالي بتلطيف الكلمات.

خلفي، شيءٌ ما يهزُّ الباب المُغلق باللِّحام. ليس لديَّ وقتٌ للمجادلة أو حتى السؤال. يدور عقلي، مُسمَّمًا بالفزع، لكني أُمسك بمِعصمه وهو يُمسك بي. «انفجري عندما تهبطين.» يثِق فيَّ لأفهم ما يَعنيه.

بزمجرة، يشهق وأصير في الهواء، أسقط تجاه نافذةٍ أخرى. تلمع، وأتمنَّى ألا تكون من الزجاج الماسي. جزءٌ من الثانية قبل معرفتي ذلك، تقوم شراراتي بما يُطلب منها. تفجر النافذة في صرخةٍ من الزجاج اللامع بينما أسقط خلالَها، وأهبط فوق سجَّادٍ ذهبي فاخر.

أكوام من الكتب، والرائحة المألوفة للجلد القديم والورَق، مكتبة القصر القديمة. تتأرجح (فارلي) عبر النافذة تاليًا. تصويب (كال) دقيق وتهبط فوقي.

«انهضي يا (ماير)!» تقول غاضبة، وتكاد تنزع ذِراعي من مكانه لتجعلَني أقف على قدميّ. يعمل عقلها أسرع من عقلي وتبحث عن النافذة أولًا،

ذراعاها مُمتدَّتان. أقلدها في حالة من التشوش، ويدور رأسي.

فوقنا، على الجسر، يفيض الحرس من كِلا الاتجاهَين. في المنتصف، ينفجر جحيم. للحظةٍ يبدو الوضع ساكنًا، ثم أُدرك. إنه يتقدَّم تجاهنا، يقفز، يندفع، ويسقط.

تخبو نيران (كال) قبل أن يصطدم بالجدار أسفل النافذة بلحظةٍ وتفوته الحافة.

«(كال)!» أصرخ، أكاد أن أقفز خلفَه.

يده تلمس يدي. للحظة يتوقَّف فيها القلب، أعتقد أنَّني على وشك مشاهدته يموت. بدلًا من ذلك، يتدلَّى، مِعصمه الآخر بين قبضة (فارلي). تزأر، وعضلاتها تتوتَّر تحت أكمامها، وتُحافظ بطريقةٍ ما على الأمير ذي المائتي باوند من السقوط. «أمسكيه!» تصرخ، ومفاصلها بيضاء.

أُرسل صاعقة نحو السماء، إلى الجسر. إلى الحرَّاس والأسلحة المُصوَّبة جميعها تجاه جسد (كال) المكشوف كهدفٍ سهل. يتراجعون، وتتصدع قطع من الحجارة. برق آخر، وسينهار. أريده أن ينهار.

«(ماير)!» تصرخ (فارلي).

يجب أن أصل إليه، يجب أن أسحَبَه. تجد يدُه يدي، وكادت تكسر مِعصمي من الجهد. لكننا نرفعه بأسرع ما يمكن، ونجرُّه فوق الحافة، وإلى الوراء وإلى صمتٍ هادئ وغرفة مليئة بالكتب غير الضارة.

حتى (كال) يبدو مصدومًا من المِحنة. يستلقي لثانية، عيناه واسِعتان، أنفاسُه ثقيلة. «شكرًا.» يقول أخيرًا، بصعوبة.

«لاحقًا!» تزمجر (فارلي). مثل ما فعلت معي، ترفعه لينهض. «أخرجنا من هنا.»

«حسنًا.»

لكن بدلًا من الاتجاه لمدخل المكتبة المُزخرف، يركض عبر الغرفة، تجاه جدارٍ من أرفُف الكتب. يبحث للحظةٍ عن شيءٍ ما. يُحاول أن يتذكَّر. ثم في زمجرة، يدفع جزءًا من الأرفُف بكتفِه حتى ينزلق للجانب، ويكشف عن ممرٍّ مائل ضيق.

«للداخل!» يصرخ، ويدفعني عبر الممر.

تطير قدماي فوق الدرجات المُهترئة بسبب مئة عامٍ من مرور الأقدام. نتحرك في دوّامة لطيفة، مُتجِّهين نحو الأسفل عبر الضوء الخافت المُختنق بالغبار. الجدران سميكة، أحجار قديمة، وإذا كان أي شخصٍ يتبعنا، فبالتأكيد لا أستطيع سماعهم. أحاول تحديد موقعنا، لكن بوصلتي الداخلية تدور بسرعة كبيرة. لا أعرف هذا المكان، لا أعرف إلى أين نحن ذاهبون. لا يسعني إلا أن أتبعه.

يبدو أن الممر مسدود بجدار حجري، ولكن قبل أن أتمكن من محاولة صعق طريقنا للعبور، يدفعني (كال) إلى الخلف. «اهدئي.» يقول وهو يضع إحدى يدَيه على حجرٍ أكثر تآكُلًا قليلًا من الآخرين. ببطء، يضع أذُنه على الحائط، ويستمع.

لا أسمع سوى الدم الذي يطرُق في أذني وأنفاسنا المُتعبة. يسمع (كال) أكثر أو بالأحرى أقل. تتغير ملامح وجهه، وتتحول لتعبيرٍ قاتم لا أستطيع فهمه. ليس خوفًا، على الرغم من أن لديه كل الحق في أن يخاف. لو كان أي شيء، هو هادئ بشكل غريب. يرمش عدة مرات، يجاهد لسماع أي شيء خلف الجدار. أتساءل كم مرة فعل هذا، كم مرة تسلل من هذا القصر بالأخص. في ذلك الوقت، كان الحراس هناك لحمايته، لخدمته. الآن يريدون قتله.

«اتبَعاني عن قُرب.» يهمس أخيرًا. «مرتان لليمين، ثم يسارًا لبوابة الساحة.»

تجزٌّ (فارلي) على أسنانها. «بوابة الساحة؟» تقول في غضب. «هل تريد أن تجعل الأمر سهلًا لهم؟»

«الساحة هي الطريق الوحيد للخروج.» يُجيبها. «أنفاق تل (أوشن) مغلقة.»

تتجهَّم، وتشدُّ على قبضتها. يدُها فارغة بشكلٍ مفاجئ. فقدت سكينها منذ فترة. «هل هناك فرصة وجود مخزنِ أسلحةٍ بين هنا وهناك؟»

«أتمنَّى.» يقول (كال) في هسيس. ثم ينظر تجاهي، وتجاه يديَّ. «يجب

أن نكفي.»

يُمكنني فقط أن أومئ. لقد واجهنا الأسوأ، أقول لنفسي.

«مُستعدَّان؟» يهمس.

يتوتر فكي. «مُستعدة.»

يتحرك الجدار حول محور مركزي، يدور في سلاسة. ندفع خلاله معًا، ونحاول أن نمنع خطواتنا من إصدار صدًى في الممر خلفَنا. مثل المكتبة، هذا المكان فارغ ومفروش جيدًا، تنتشر به زخرفه خصبة صفراء اللون. كل ذلك يسيطر عليه حالة من الإهمال والهجر، حتى المنسوجات الذهبية الباهتة. يتباطأ (كال) تقريبًا، يُحدق في اللون، لكنه يحثُّنا على المُضي قدمًا.

مرَّتان لليمين. من خلال ممرٍّ آخر وخزانة غريبة بها مخرجان. تشع الحرارة من (كال) في موجات، يستعد للعاصفة النارية التي يجب أن يتحول لها. أشعر بنفس الشعور، يقف الشعر على ذراعيَّ من الكهرباء. تكاد تفرقع في الهواء. يتردد صدى الأصوات على الجانب الآخر من الباب المقترب. أصوات وخطوات.

«اليسار القريب.» يتمتم (كال). ويبدأ في محاولة الوصول ليدي، لكنه يُفكر بشكلٍ أفضل. لا يُمكننا المخاطرة بلمس بعضنا، ليس الآن عندما تكون لمستنا مُميتة. «اركضا.»

يذهب (كال) أولا، والعالم بعده ينبض بمقذوفاتٍ نارية. تنتشر عبر القاعة الضخمة، فوق الرخام والسجاد الثمين، وتزحف فوق الجدران المُذهّبة. يلعق لسان اللهب لوحةً تُطل على القاعة. صورة عملاقة، مصنوعة حديثًا. الملك الجديد (مافين). يبتسِم ابتسامةً عريضة مثل تمثال الغارغويل حتى تسيطر عليه النار، وتحرق القماش. الحرارة مُبالَغ فيها، وتبدأ شفتاه المرسومتَان بعناية في الذوبان، وتتحوَّل إلى زمجرةٍ تُناسِب روحه الوحشية. الشيء الوحيد الذي لم يلمسه اللهب هو رايتان ذهبيَّتان، من حريرٍ مُغبر، متدليتان من الجدار المقابل. إلى مَن ينتميان؟ لا أعرف.

يفرُّ الحرَّاس الذين ينتظروننا، ويصرخون، لَحْمُهم يدخن. يُحاولون ألا يحترقوا أحياء. يخترق (كال) النار، وتترك خطواته طريقًا آمنًا لنا لنتبعه،

وتبقى (فارلي) قريبة، محصورة بيننا. تغطي فمها، وتحاول ألا تتنفس الدخان.

الضباط الذين بقوا، من (النيمف) أو من (الستونسكن)، مَنيعون من اللهب، لكنهم ليسوا بهذه المناعة أمامي. هذه المرة، يتسارع البرق، وينتشِر مني في شبكة مشرقة من الكهرباء الحية. أركز بالقدْر الكافي للحفاظ على (كال) و(فارلي) من العاصفة. البقية ليسوا محظوظين للغاية.

وُلِدتُ عدَّاءة، لكن أنفاسي تؤلِمني في رئتي. كل شهيق أصعب وأكثر إيلامًا. أقول لنفسي إنه الدخان. ولكن عندما أقفز عبر المدخل الكبير بقصر تل (أوشين)، لا يختفي الألم. يتحول فقط. نحن محاصرون.

صفوف بعد صفوف من الضباط في الأزياء السوداء، والجنود في الأزياء الرمادية، يخنقون ساحة البوابة. كلهم مُسلحون، كلهم ينتظرون.

«استسلمي للاعتقال، يا (ماير بارو)!» يصرخ أحد الضباط. تلتفُّ جذوع مُزهرة حول إحدى ذراعَيه، بينما تحمِل الأخرى مُسدسًا. «استسلم للاعتقال، يا (تايبرياس كالور)!» يتلعثم في اسم (كال)، لا يزال مُترددًا لمُخاطبة الأمير بشكلٍ غير رسمي. في أي موقفٍ آخر، كنت سأضحك.

بيننا، تضع (فارلي) قدمَيها. لم يعُد لديها سلاح، ولا درع، وما زالت ترفض الركوع. قوتها مذهلة.

«ماذا الآن؟» أهمس، مع العِلم أنه لا تُوجَد إجابة.

تندفع عينا (كال) ذهابًا وإيابًا، بحثًا عن حلٍّ لن يجده أبدًا. أخيرًا هبطت عيناه عليَّ. فارغتان للغاية. وحيدتان للغاية. ثم تغلَق يدٌ لطيفة حول معصمي. يُظلم العالم، وأعتصر خلاله، مُختنقة، محبوسة، محاصرة للحظة واحدة طويلة.

(شايد).

أكره إحساس الانتقال الفوري، لكن في هذه اللحظة، أستمتع به. (شايد) بخير. ونحن على قيد الحياة. فجأة، أسقط على ركبتَي، أُحدق في الحجارة المرصوفة بالحصى في زقاقٍ رطبٍ بعيد عن مركز الأمن، وقصر تل (أوشن)، ومجال القتل للضباط. يتقيَّأ شخص ما في مكانٍ قريب، (فارلي)، حكمًا على

الصوت. أعتقد أن الانتقال الآنِي وارتداد رأسك مُقابل نافذة مزيج سيئ.

«(كال)؟» أسأل الهواء البارد مسبقًا في ضوء بعد الظهيرة. تبدأ رجفةُ خوف صغيرة، الموجة الأولى من البرودة، لكنه يُجيبني من على بُعد بضعة أقدام.

«أنا هنا.» يقول ويمدُّ ذراعه ليلمس كتفي.

لكن بدلًا من أن أميل تجاه يدِه، وأدع دفئه اللطيف الآن يسيطر عليّ، أبتعد. في زمجرة أنهض على قدميّ، فقط لأرى (شايد) يقف أمامي. تعبيراته قاتمة في غضب، لكني أُعد نفسي للتوبيخ. ما كان يجب أن أتركه. كان هذا خطأً. «أنا ...» أبدأ في الاعتذار، لكنّني لا أُنهيه. يَسحقني في عناق، ويلف ذراعَيه حول كتفي. أتشبّث به بنفس القوة. يرتجف قليلًا، لا يزال خائفًا على أخته الصغيرة. «أنا بخير.» أقول له بصوتٍ خافت، فقط هو من يُمكنه سماع الكذبة.

«لا وقت لذلك.» تقول (فارلي)، وتُجبر نفسها على الوقوف على قدمَيها. تنظر حولها، لا تزال غير متوازنة، لكنها تُحدد موقعنا. «حديقة (باتل) من هذا الطريق، على بُعد بضعة شوارع شرقًا.»

(ووليفر). «صحيح.» أومأتُ برأسي، مددتُ يدي لأُبقيها ثابتة. لا يمكننا أن ننسى مهمتنا هنا، حتى بعد تلك الكارثة المميتة.

لكنني أُبقي عينيّ على (شايد)، في أمل أن يعرف ما يكمن في قلبي. يهز رأسه فقط، رافضًا الاعتذار. ليس لأنه لن يقبله، ولكن لأنه طيبٌ للغاية فلا يريده.

«قودي الطريق.» يقول وهو يلتفِتُ إلى (فارلي). تلين عيناه قليلًا، يلاحظ عزمها العنيد في الاستمرار، على الرغم من إصاباتها وغثيانها.

(كال) أيضًا بطيء في المشي، غير مُعتاد على التنقل عن بُعد. يتعافى بأسرع ما يمكنه، ويتبعنا عبر أزقة قطاع المدينة المعروف باسم (ثري ستون). تتشبث به رائحة الدخان، وكذلك الغضب العميق. تُوفِّي فضيُّون آخرون في المركز الأمني، رجال ونساء يتبعون الأوامر فقط. التي كانت أوامره في وقتٍ ما. لا يمكن أن يكون هذا سهلَ التحمّل، لكن يجب عليه

هذا. إذا أراد أن يبقى معنا، معي. يجب أن يختار جانبًا.

آمُل أن يختار جانبنا. آمُل ألَّا أرى تلك النظرة الفارغة في عينَيه مرة أخرى.

هذا قطاع أحمر، آمَنُ نِسبيًا في الوقت الحالي، وتُبقينا (فارلي) في أزقة ملتوية، تسحبنا حتى عبر متجرٍ فارغ أو اثنَين لنتجنَّب الكشف. يصرخ ضباط الأمن وينطلقون على الطرق الرئيسية، في محاولةٍ لإعادة التجمُّع، في محاولة لفهم ما حدث في المركز. لا يبحثون عنا هنا، ليس بعدُ. ما زالوا لا يدركون ماذا يكون (شايد)، ومدى السرعة والبعد يُمكن أن ينقلنا بهما.

نتجمّع مقابل جدار، في انتظار مرور ضابط. هو مشتت، مثل كل الآخرين، و(فارلي) تبقينا في الظل.

«أنا آسفة.» تمتمت لـ(شايد)، أعلم أنني يجب أن أقول الكلمات. مرة أخرى، يهز رأسه. ويضربني حتى بلطف بعكازه. «يكفي ذلك. لقد فعلتَ ما كان عليك فِعله. وانظري، أنا بخير. لم يحدُث أي ضرر.»

لم يحدُث أي ضرر. ليس لجسده، ولكن ماذا عن عقله؟ قلبه؟ لقد خُنته، أخي. مثل شخصٍ آخر أعرفه. كدتُ أبصق في غضب، في أمَلٍ أن أطرد فكرةً أن لديَّ أي شيءٍ مشترك مع (مافين).

«أين (كرانس)؟» أقول، بحاجة إلى التركيز على شيء آخر.

«لقد أبعدته عن جماجم البحر. ثم ذهب في طريقه الخاص. هرب مثل رجل يشتعل.» تضيق عيون (شايد)، يتذكر. «دفن ثلاثة بحارة في الأنفاق. لم يعد لدَيه مكان هنا.»

أعرف هذا الشعور.

«ماذا عنكِ؟» يُحرك (شايد) رأسه، ويُشير قليلًا تجاه تل (أوشن). «بعد كل ذلك؟»

بعدما أوشكت على الموت. مجددًا.

«قلت إنني بخير.»

يضغط (شايد) شفتَيه، في عدم رضا. «صحيح.»

نقف في صمتٍ مُطبق، في انتظار أن تتحرك (فارلي) مرة أخرى. تتكئ

بشدة على جدار الزقاق، لكنها تتقدَّم عندما يمرّ حشد من تلاميذ المدارس الصاخبين. نتحرك مرةً أخرى، ونستخدمهم كغطاء لعبور الطريق الكبير قبل دخول متاهةٍ أخرى من الشوارع الخلفية. أخيرًا، ننحني تحت قوس منخفِض، أو بالأحرى، ينحني الآخرون. ببساطة أمشي أسفله. بالكاد أعبر للجانب الآخر عندما يتوقف (شايد) عن التحرك، يمد يده الحرة لتمنعني من المضي قدمًا.

«أنا آسف يا (ماير).» يقول، واعتذاره يكاد يُسقطني مجددًا.

«أنت آسِف؟» أسأله، وأكاد أضحك على سخافته. «آسف على ماذا؟»

لا يجيبني، يشعر بالعار. تسري رجفة ليس لها علاقة بدرجة الحرارة عَبري بينما يتراجع، ويسمح لي بالرؤية عبر القوس. هناك ميدان بعدَه، من الواضح أنه لاستخدام الحمر. حديقة (باتل). بسيطة لكن مُعتنًى بها جيدًا، بها خضرة نضِرة وتماثيل حجرية لمحاربين في جميع أنحائه. الأكبر فيهم في المنتصف، مُعلق على ظهره بندقية، ويده قائمة ممتدة نحو الهواء.

تشير يد التمثال تجاه الشرق.

يتدلّى حبل من يد التمثال.

يتأرجح جسدٌ من الحبل.

الجثة ليست عارية لكنها لا ترتدي أي ميداليات تابعة للمراقبة الحمراء. صغير وقصير، ما زالت بشرته ليِّنة. كان إعدامُه منذ وقتٍ قصير. ربما منذ ساعة أو ما يقرب. لكن الساحة خالية من المُعزّين والحراس. لا أحد هنا لرؤيته يتأرجح. على الرغم من أن شعره رملي اللون يسقط فوق عينَيه، مما يحجب بعض وجهه، إلا أنني أعرف بالضبط من هو هذا الصبي. رأيته في السجلات، يبتسِم في صورة بطاقة الهوية. الآن لن يبتسِم مرةً أخرى. كنت أعرف أن هذا سيحدث. كنت أعرف ذلك، لكن هذا لا يجعل الألم أو الفشل أسهل. إنه (ووليفر جالت)، دماء-جديدة، تحول إلى جثةٍ هامدة. أبكي على الصبي الذي لم أعرفه أبدًا، على الصبي الذي لم أكن سريعةً بما يكفي لإنقاذه.

الفصل السادس عشر

أحاول ألا أتذكر وجوه الموتى. يصير ركضي من أجل النجاة إلهاءً فعَّالًا، لكن حتى التهديد المستمر بالهلاك لا يمكنه حجب كل شيء. بعض الخسارات صعب نسيانها. (والش)، (تريستان) والآن (ووليفر) يحتلون مكانًا في عقلي، ويلتصِقون كشبكة عنكبوت رمادية. كان وجودي بمثابة حُكم إعدام لهم.

وهناك بالطبع الذين قتلتُهم مباشرة، باختياري، بيديَّ أنا. لكني لا أحزن عليهم. لا يمكنني التفكير فيما فعلت، ليس الآن. ليس ونحن ما زلنا في خطرٍ مُحدق.

(كال) أول من يدير ظهره عن جسد (ووليفر) المتأرجح. لدَيه استعراضه الخاص من وجوه الموتى، ولا يريد أن يُضيف شبحًا آخر للمسيرة. «يجب أن نستمرَّ في الحركة.»

«لا ...» تميل (فارلي) مقابل الجدار. وتضغط يدها على فمها، تبتلع في تقزُّز، تحاول ألّا تتقيّأ مُجددًا.

«اهدئي.» يقول (شايد) ويضع يده على كتفها ليدعمها. تحاول أن تبعد يده، ولكنه يُبقيها ثابتة، ويشاهدها تبصق فوق زهور الحديقة. «كنا بحاجة لرؤية هذا.» يضيف، ويلقي بنظرة حارقة مبرَّرة تجاه (كال) وأنا. «هذا ما يحدث عندما نفشل.»

غضبه له ما يُبرره. بعد كل شيء، أشعلنا معركة بالأسلحة النارية في قلب خليج (هاربور)، وأهدرنا الساعة الأخيرة في حياة (ووليفر)، لكنني مُتعَبة للغاية فلا أسمح له بتوبيخي.

«هذا ليس المكان المناسب للدروس.» أجبته. هذا قبر، وحتى التحدث هنا يبدو خاطئًا. «يجب أن ننزِله.»

قبل أن أتمكن من اتخاذ خطوة نحو جثة (وليفر)، يُشبِّك (كال) ذراعه بذراعي، ويوجهني في الاتجاه المعاكس. «لا أحد يلمس الجثة.» يزمجر.

يبدو مثل والده لدرجة أنه يصدمني.

«الجثة لها اسم.» أقول في غضبٍ عندما أستجمع قواي. «ليس فقط لأن دمَه ليس لون دمِك يعني أننا يُمكن أن نتركه هكذا!»

«سأحضره.»، تتذمر (فارلي)، وهي ترفع ركبتَيها.

يتحرك (شايد) معها. «سأساعد.»

«توقف! كان لدى (ووليفر جالت) عائلة، أليس كذلك؟» يقول (كال) في ضغط. «أين هم؟» يُلقي بيده الحرة في الحديقة، مشيرًا إلى الأشجار الفارغة والنوافذ المغلقة التي تنظر إلينا.

على الرغم من الأصداء البعيدة القادمة من مدينة تتجه لهبوط الليل، الميدان ساكن وهادئ.

«بالتأكيد والدته لن تتركه هنا وحده؟ ألا يوجد أي مُعزِّين؟ لا ضباط ليبصقوا على جسده؟ ولا حتى غراب لينقر اللحم من عظامه؟ لِمَ؟»

أعرف الإجابة.

فخ.

تشتد قبضتي حول ذراع (كال)، حتى تحفر أظافري في لحمِه الساخن الذي يُهدد بالانفجار في لهب. يظهر فزع يُطابق فزعي على ملامح وجه (كال) بينما لا ينظر إليّ، بل إلى الزقاق المُظلل. من طرف عيني، ألمح تاجًا؛ التاج الذي يُصر فتًى أحمق على ارتدائه في كل مكان يذهب إليه.

ثم يصدر صوت نقر، مثل حشرة معدنية تضرب أطرافها معًا على استعدادٍ لالتهام وجبةٍ شهية.

«(شايد).» أهمس وأمدُّ يدي الأخرى تجاه أخي المُتنقل. سينقذنا. سيأخذنا بعيدًا عن كل هذا. لا يتردَّد ويندفع.

لكنه لا يتَّجِه ناحيتي.

أُشاهد في فزع بينما يُمسك به من كِلا ذراعَيه زوج من المُسرعين (السويفت)، ويدفعونه تجاه الأرض. ترتطم رأسه فوق الحجر، وتدور عيناه. بالكاد أسمع صوت صراخ (فارلي) بينما يقفز به المُسرعان بعيدًا، ويصير جسده ضبابيًّا. يصبحون عند القوس الرئيسي قبل أن أقذف ببرق في

اتجاههم، يُجبرهم على الدوران للخلف. يعض الألم أعلى وأسفل ذراعي، ويومض كسكاكين بيضاء من الحرارة. لكن لا يُوجد شيء هناك سوى شراراتي الخاصة، قوتي الخاصة. لا ينبغي أن تؤلِم على الإطلاق.

يستمر النقر، ويتردَّد صداه في جمجمتي بشكلٍ أسرع مع كل ثانية. أُحاول تجاهُله، وأحاول القتال، لكن تظهر بُقَع أمام عيني. تتلاشى داخل وخارج نظري مع كل نقرة. ما هذا الصوت؟ مهما كان، فهو يُمزقني إربًا. خلال الغشاوة، أرى حريقَين ينفجران من حولي. واحد مُشرق ومحترق، والآخر مُظلم، ثعبان من الدخان واللهب. في مكانٍ ما، يزأر (كال) من الألَم. اركضي، أعتقد أنه يقول ذلك. وأحاول بالتأكيد.

ينتهي بي الأمر بالزحف على الحصى، غير قادرةٍ على رؤيةٍ أكثر من بضع بوصات أمامي. وحتى ذلك صعب. ما هذا، ما هذا، ما الذي يحدث لي؟

شخص ما يُمسك بذراعي، تؤلِمني قبضته. أدور دون أن أرى، وأصل إلى المكان الذي يجب أن تكون فيه رقبته. مخالب أصابعي تخدش دروعًا، مُغطَّاة بسلاسة ومنحوتة بشكل بارع.

«أمسكت بها.» يقول صوت أعرفه. (بتوليموس ساموس). بالكاد أستطيع أن أرى وجهه. عيون سوداء وشعر فضي وبشرة بلون القمر.

مع صيحة، أستجمِع القوة التي أقدر عليها، وأهجم عليه بالبرق. أصرخ بصوتٍ عالٍ مثله، مُمسكًا بذراعي بينما تملأ النار أحشائي. لا، هذه ليست نيرانًا. أعرفُ شعور الحرق. هذا شيء آخر. تضربني ركلة في معِدتي وأتركها تُدحرجني، مرارًا وتكرارًا، حتى يصير وجهي تجاه الأسفل في تراب الحديقة، وجهي مخدوش وينزف.

الرائحة الباردة تُمثل راحةً مؤقتة، تُهدئني بما يكفي لأرى مرةً أخرى. ولكن عندما أفتح عيني، لا أريد أكثر من أن أُصاب بالعمى. ينحني (مافين) أمامي، ورأسه يميل إلى جانب واحد، جرو فضولي مع لعبة. خلفه، تحتدِم المعركة. معركة غير متكافئة للغاية. مع عجز (شايد)، وأنا في التراب، يتبقَّى (كال) و(فارلي) فقط. لديها مُسدس الآن، لكنه قليل الفائدة مع (بتوليموس) الذي يتفادى الرصاص في كل مرة. على الأقل يُذيب (كال)

كل ما يقترب منه، ويحرق السكاكين والجذور بأسرع ما يمكن. مع ذلك، لا يمكن أن يدوم هذا. هم مُحاصران، كدت أصرخ. هربنا من حبل مشنقةٍ واحد فقط لنجد آخر.

«انظري إليّ، من فضلك.»

يتحرك (مافين)، ويُعيق رؤيتي للمشهد وراءه. لكنني لن أمنحه رضا نظراتي. لن أنظر إليه، من أجلي. بدلًا من ذلك، أركز على صوت النقر، الصوت الذي لا يبدو أن أحدًا آخر يسمعه. يؤلمني مع كل ثانيةٍ تمر.

يمسك بفكي ويُديره، مما يُجبرني على مواجهته. «عنيدة للغاية.» يقول منزعجًا. «واحدة من أكثر صفاتك إثارةً للاهتمام. إلى جانب هذا.» يُضيف، وهو يرسم بأصبعه بالدم الأحمر على خدي.

نقرة.

تضيق قبضته، ويرسل آلامًا كألعابٍ نارية في عظام فكي. صوت النقر يجعل كل شيءٍ يؤلمُ أكثر، وبشكلٍ أعمق. في تردد، أنظر تجاه عينَين زرقاوَين حادتَين، ووجهٍ شاحب. في فزع، هو بالضبط كما أتذكَّره. فتى هادئ، مُتواضع، مطارد. هذا ليس (مافين) من ذكرياتي الكابوسية، الشبح من الدماء والظلال. هو حقيقيٌّ مجددًا. أتعرف على الإصرار في عينَيه. رأيته فوق سطح مركِب والده، بينما أبحَرْنا عبر نهر (أركيون)، تاركين العالَم في أثرنا. قبَّل شفتيّ ووعدني أنه لن يؤذيني أحد.

«قلت إنني سأجدك.»

نقرة.

تتحرك يدُه من فكي إلى حلقي، ويضغط بما يكفي لإبقائي صامتة، ولكن ليس بما يكفي لمنعي من التنفُّس. تحرقني لمستُه. ألهث، غير قادر على استدعاء ما يكفي من الهواء للصراخ.

(مافين)، أنت تؤلمني. (مافين)، توقف.

هو ليس والدته. لا يستطيع قراءة أفكاري. رؤيتي تتشوَّش مرة أخرى، تُظلم. تسبَح نقاط من السواد أمام عيني، تتوسَّع وتتقلص مع كل نقرة فظيعة.

«وقلت إنني سأنقذك.»

أتوقع أن تشتدَّ قبضته. بدلًا من ذلك، تبقى ثابتة. ويده الحرة تصل لعظمة الترقوة، كفٌّ حارقٍ على جلدي. هو يُحرقني، يضع علامة. أحاول أن أصرخ مُجددًا، وبالكاد أُخرج تأوُّهًا.

«أنا رجل يلتزم بكلمته.» يميل رأسُه ثانية. «عندما أريد.»

نقرة. نقرة. نقرة.

يُحاول أن يواكِب قلبي الإيقاع، ينبض بسرعة لن أنجو منها، يُهدد بالانفجار.

«توقف ...» أتمكن من القول مُختنقةً، وتصل يدي للهواء الطلق، أتمنَّى وجود أخي. لكن (مافين) هو من يأخذ يدي بين يدَيه، وهذا يحرق أيضًا. كل جزءٍ منِّي يحترق.

«هذا يكفي.» أظن أنني أسمعه يقول، لكن ليس لي. «قلتُ كفى!»

يبدو أن عيناه تنزفان، آخِر البُقَع المضيئة في عالَمي المُظلم. أزرق شاحب، يتسلل عبر رؤيتي، يرسم خطوطًا خشنةً من الثلج المؤلِم. يُحيطان بي، ويحتجزاني. لا أشعر بشيءٍ سوى الحرق.

هذا آخر شيء أتذكَّره قبل أن يفصل ذهني ومِيض أبيض من الضوء والصوت. ويصير عالمي بأكمله ألمًا.

هو الكثير من كل شيء، وبغرابة لا شيء على الإطلاق. لا رصاص، ولا سكاكين، ولا قبضات، ولا نار ولا جذور خضراء خانقة. هذا ليس سلاحًا واجهتُه من قبل، لأنه سلاحي. البرق والكهرباء والشرار والتحميل الزائد يتجاوز حدودي. استدعيتُ عاصفةً من قبل في وعاء العظام، وأرهقتني. لكن هذا، مهما كان ما يفعله (مافين)، يقتُلني. يُمزقني، عصبٌ تلوَ عصب، يشق العظام ويمزق العضلات. يتم مَحوِي من داخل جلدي.

فجأة أُدرك. هل هذا ما يشعرون به؟ الذين قتلتُهم؟ هل هذا هو شعور الموت بواسطة البرق؟

السيطرة. هذا ما قاله لي (جوليان). سيطِري عليه. لكن هذا كثير للغاية. أنا كسدٍّ يُحاول صدَّ مُحيط بأكمله. حتى إذا استطعتُ وقْف هذا، لا

يمكنني أن أجدَ طريقة للعبور خلال ألَمي المتفجر. لا يمكنني الوصول للخارج. لا يمكنني التحرك. أنا مُحاصرة داخل نفسي، أصرخ من خلف أسناني. سأموت قريبًا. على الأقل سينتهي هذا. لكن لا يحدث ذلك. يتمدَّد الألم في هجوم مستمر على كل حواسي. ينبض لكن لا ينحسر قط، يتغير لكن لا يتوقف. تتراقص بُقَع بيضاء، أكثر إشراقًا من الشمس، أمام نظري، حتى يعصرهم انفجار من الأحمر. أحاول أن أرمش لأبعده، لأتحكم في شيء في نفسي، لكن لا يبدو أن شيئًا يحدُث. لم أكن لأعرف إذا حدث.

يجب أن يكون جلدي قد اختفى الآن، محروقًا بواسطة موجات البرق المندفع. ربما سأحصل على رحمة النزيف حتى الموت. سيكون ذلك أسرع من هذه الهاوية البيضاء.

اقتُلني، تتكرر الكلمات مرارًا وتكرارًا. إنه الشيء الوحيد الذي يمكنني قوله، الشيء الوحيد الذي أريده الآن. اختفت كل أفكار الدماء-الجديدة و(مافين) وأخي و(كال) و(كيلورن) تمامًا. حتى الوجوه التي تطاردني، وجوه الموتى، اختفت. مُضحك، الآن بما أنني أموت، قرَّرَت أشباحي المغادرة.

أتمنَّى أن يعودوا.

أتمنَّى لو لم يَجِب عليَّ أن أموت وحدي.



الفصل السابع عشر

«اقتُلني.»

تحرق الكلمات فمي، وتقطع ما يبدو أنه حلْق، أحترق للنهاية من الصراخ. أتوقَّع أن أتذوَّق دماءً، لا، لا أتوقع أي شيء على الإطلاق. أتوقع أن أموت.

لكن حواسِّي تعود، أُدرك أنه لم أتجرد من كل لحمي وعظامي. لا أنزف حتى. أنا كاملة، رغم أنني لا أشعر هكذا بالتأكيد. مع دفعةٍ من الإرادة، أجبر عينيَّ أن تفتح. لكن بدلًا من (مافين) أو جلادِيه، أرى عيونًا خضراء مألوفة.

«(ماير).»

لا يُعطيني (كيلورن) فرصةً لألتقط أنفاسي. تلتفُّ ذراعاه حول كتفيّ، ويضمُّني لصدره، عودة للظلام. لا يُمكنني أن أمنع نفسي من الارتجاف عند اللمس، أتذكر شعور النيران والبرق في عظامي.

«كل شيء بخير.» يهمس. هناك شيء مُريح في الطريقة التي يتحدَّث بها، صوته عميق ومرتعش. ويرفض أن يتركني، حتى عندما أتقلَّص بلا إرادة مُبتعدة. يعلم ما يريده قلبي، حتى عندما لا تتحمَّله أعصابي المُهترئة.

« انتهى كل شيء، أنتِ بخير. لقد عدتِ.»

للحظة، لا أتحرك، وألوي أصابعي بين طيات قميصه القديم. أركز عليه، حتى لا أشعر بنفسي أرتجف. «عدت؟» أهمس. «عدت إلى أين؟»

«دعها تتنفَّس يا (كيلورن).»

يدٌ أخرى، دافئة للغاية فلا يمكن أن تكون أي يدٍ غير يد (كال)، تُمسك بذراعي. يُمسكني بقوة، في ضغطٍ حريص ومضبوط، كافٍ حتى أركز ناحيتَه. يساعد بقيَّتي في السباحة خروجًا من الكابوس، وأعود كاملة للعالَم الحقيقي. أميل للخلف ببطء، بعيدًا عن (كيلورن)، حتى أستطيع أن أرى بالضبط ما الذي أستيقِظ عليه.

نحن تحت الأرض، حكمًا على الرائحة الترابية الرطبة، لكن هذا ليس واحدًا من أنفاق (فارلي). نحن بعيدون عن خليج (هاربور)، إذا كانت حاسَّتي الكهربائية تدلُّ على أي شيء. لا يمكنني الشعور بنبضةٍ واحدة حتى، مما يعني أننا بعيدون بما يكفي عن المدينة. هذا منزل آمِن محفور في الأرض، تُخفيه الغابة والتصميم. صنع بواسطة الحُمر، بلا شك، ربما يستخدِمه الحرس القرمزي، كل شيء يبدو مائلًا للوردي. الجدران والأرضية من التراب المضغوط، والسقف المائل من المرج، يدعمه عواميد معدنية صدِئة. لا يوجد زينة، في الواقع، بالكاد يوجَد أي شيءٍ هنا على الإطلاق. بعض حقائب النوم، منهم تخصُّني، علب الطعام، ومصباح مغلق، وعدد قليل من صناديق الإمدادات من الطائرة النفاثة هذا كل ما يُمكنني رؤيته. كان منزلي في (الستيلتز) قصرًا مقارنة بهذا، لكنني لا أشتكي. أتنهَّد في ارتياح، سعيدة لكوني بعيدة عن الخطر وبعيدة عن آلامي المُسببة للعَمى. يتركني (كيلورن) و(كال) أنظر في أنحاء الغرفة الفارغة، مما يسمح لي بالوصول إلى استنتاجي الخاص. يبدو أنهما مُنهَكَان من القلق، تحولًا إلى رجلَين مسنَّين في غضون بضع ساعات. لا يسعني إلا أن أُحدق بالدوائر المُظلمة حول عيونهم وعبوسهما العميق، وأتساءل ما الذي جرحهما بهذه الطريقة.

ثم أتذكر. الضوء المائل الصادر من النافذة الضيقة أحمر وبرتقالي والهواء بارد. الليل قادم. انتهى اليوم وخسِرنا. (ووليفر جالت) مات، دماء-جديدة ذبحها (مافين). (آدا) أيضًا على حدِّ علمي. خذلتُهما.

«أين الطائرة؟» أسأله، وأحاول أن أنهض. لكنهما معًا يُحاولان إيقافي، لأبقى ملفوفةً بقوة داخل حقيبة نومي. هما لطيفان بطريقةٍ مفاجئة، وكأن لمسةً واحدة يمكنها أن تُحطمني لأشلاء.

يعرفني (كيلورن) بشكل أفضل، وهو أول من يلاحظ انزعاجي. يجلس للخلف على كعبَيه، مما يُتيح لي بعض المساحة. ينظر إلى (كال) قبل أن يهز رأسه على مضض، مما يسمح للأمير بالشرح.

«لم نتمكن من الطيران طويلًا معك في ... الحالة التي كنتِ فيها.» يقول،

تتجنَّب عيناه وجهي. «حلَّقنا على بضع عشرات من الأميال قبل أن تزيدي حمل الكهرباء على الطائرة مثل المصباح الذي يكاد ينفجر. اقتربتِ من قلْيِ الشيء بأكمله. اضطُرِرنا إلى تأجيل رحلاتنا، وانطلقنا سيرًا على الأقدام، اختبأنا في الغابة حتى تتحسَّن حالتك.»

«آسفة.» هو كل ما يُمكنني التفكير في قوله، لكنه يلوِّح بيده.

«لقد فتحتِ عينيكِ يا (ماير)، هذا كل ما يُهمني.» يقول (كال).

تُهدد موجة من الإرهاق بالإطاحة بي، وأفكر في السماح لها بذلك. ولكن تتحرك لمسة (كال) من ذراعي، وتجد رقبتي. قفزتُ من اللمسة، واستدرتُ للتحديق فيه بعيونٍ واسعة متسائلة. لكنه يركز على جلدي، على شيءٍ ما هناك. تتبع أصابعه خطوطًا غريبة، خشنة، متفرعة على رقبتي، تصل إلى عمودي الفقري. لستُ الوحيدة التي تلاحظ هذا!

«ما هذا؟» يقول (كيلورن) كالزئير. تجعل نظرته الملكة (إيلارا) فخورة.

تنضمُّ يدي ليد (كال) وأشعر بالشيء الغريب. خطوط خشنة، كبيرة وتتقلص عند مؤخرة رقبتي. «لا أعلم ما هذا.»

«تبدو كـ ...» يتردد (كال)، ويُمرر أصبعه عند حافة مُعينة سميكة. تجعلني أرتعش داخليًا. «ندبات يا (ماير). ندبات سبَّبتْها صاعقة برق.»

أُبعد نفسي عن لمسته بأسرع ما يُمكنني وأُجبر نفسي على النهوض على قدميَّ. لدهشتي، أتعثر بسرعةٍ بسبب سيقاني الضعيفة. ويُمسك بي (كيلورن). «تريَّثي.» يوبخني ولا يترك معصمي.

«ماذا حدث في خليج (هاربور)؟ ماذا فعل ... ماذا فعل (مافين) لي؟ كان هو، أليس كذلك؟» صورة التاج الأسود تحترق في عقلي بعُمق كالوَسم. والندبات الجديدة هي ذلك. وسم، علاماته عليَّ. «قتَل (ووليفر) ونصَب لنا فخًا. ولماذا تبدو وردِيًا هكذا؟»

كالعادة، يضحك (كيلورن) على غضبي. لكنَّ الصوت خاوٍ، قسري، من أجل خاطري أكثر من أن يكون له. «عيناكِ.» يقول، ويمسح بأصبعه على وجنتي اليسرى. «انفجر داخلها وريد.»

هو مُحق، أدرك ذلك بينما أغلق عينًا ثم الأخرى. العالم مختلف بشكلٍ

جذري خلال اليسرى، يُلطخه الأحمر والوردي بوساطة سحابات دائرية مما لا يمكن أن يكون غير دماء. ألَمَ تعذيب، (مافين) فعل ذلك أيضًا.

لا ينهض (كال) مع الباقين، لكنه يستنِد على يدَيه. أشكُّ أنه يعلم أن ركبتيَّ ما زالتا ترتعشان، وأنني سأسقط قريبًا. لدَيه طريقة لمعرفة أشياءٍ كهذه، وهذا يجعلني أشتاط غضبًا.

«نعم، تسلَّل (مافين) لخليج (هاربور).» يُجيبني في جدِّية عمل. «لم يُسبب ضجة، لذا لم نكن لنعرف، وأتَّجِه لأول دماء-جديدة تمكَّن من إيجاده.»

أُصدِر صوت هسيس بينما أتذكَّر. كان (ووليفر) في الثامنة عشرة من عمره، ذنبه الوحيد هو أنه وُلد مختلفًا. ذنبُه هو كونه مثلي. ما الذي كان من المُمكن أن يصير عليه؟ أتساءل، وأرثِي الجندي الذي فقدناه. ماذا كانت قُدرته؟

«كل ما فعله (مافين) هو الانتظار.» يكمل (كال) وترتجف عضلة في وجنته. «كان من الممكن أن يمسكوا بنا جميعًا لولا وجود (شايد). أخرجنا من هناك، حتى مع ارتجاج رأسه. تطلَّب الأمر الكثير من القفزات والكثير من الاقتراب من الخطر، لكننا نجَونا.»

أتنهَّد ببطء، في ارتياح. «هل (فارلي) بخير؟ و(شايد)؟» أسأله. يخفض (كال) رأسه، ويومئ. «وأنا على قيد الحياة.»

تشتد قبضة (كيلورن). «كيف، لا أعرف.»

أرفع يدي لعظْمة الترقوة ويَخِزُني جلدي في ألَم. بينما بقية كابوسي، والفظائع الأخرى التي لحقت بجسدي، اختفت. ما زال وسم (مافين) حقيقيًّا.

«كان مؤلِمًا ما فعل هذا بكِ؟» يسأل (كال)، ويجعل (كيلورن) يُكشر.

«كلمتها الأولى منذ أربعة أيام كانت: اقتُلني، في حالة أنك نسيت.» يقول غاضبًا، لكن لم يجفل (كال). «بالطبع مهما كان ما فعلَتْه هذه الآلة كان مُؤلمًا.»

صوت النقر. «آلة؟ أقول مباشرة، وأنظر بين الشابَّين. «انتظرا، أربعة

أيام؟ كنتِ غائبة عن الوعي لكل هذا الوقت؟»
أربعة أيام في نوم. أربعة أيامٍ من لا شيء. يطرد الفزع كل آثار الألَم المتبقية، يندفع عبر أوردتي مثل المياه المثلجة. كم ماتوا بينما كنتُ محاصَرة داخل رأسي؟ كم منهم يتدلَّون من أعلى شجرة أو تمثال الآن؟
«أرجوك، قُل لي إنكما لم تضيِّعا الوقت في مجالستي كل هذا الوقت. أرجوك، قل لي إنكم فعلتم شيئًا ما.»
يضحك (كيلورن). «كنتُ أعتبر إبقاءك على قيد الحياة شيئًا كبيرًا.»
«أقصد ...»
«أعرف ما تقصد.» يقول مندفعًا، أخيرًا يضع القليل من المسافة بيننا.
بالقليل من الكرامة التي ما زلت أمتلكها، أجلس عائدةً على حقيبة النوم وأقاتل الرغبة في الزمجرة.
«لا يا (ماير). لم نكن فقط نجلس حولك.» يتلفِت (كيلورن) تجاه الجدار، ويستند على التراب المضغوط حتى يقدِر على رؤية ما خارج النافذة. «نقوم بفعل القليل لحدٍّ ما.»
«استمرُّوا في المطاردة.» هذا ليس سؤالًا، لكن (كيلورن) يومئ على أيه حال. «حتى (نيكس)؟»
«الثور الصغير كان مُفيدًا.» يقول (كال)، ويلمس ظلَّ كدمةٍ على ذقنه. يعلم قوة (نيكس) بطريقة مباشرة. «وهو جيد لحدٍّ ما في الإقناع. (آدا) أيضًا.»
«(آدا)؟» أقول، في دهشةٍ من ذكر من كان يُمكن أن تصير جثةً أخرى من الدماء-الجديدة. «(آدا والاس)؟»
يومئ (كال). «بعدما هرب (كرانس) من جماجم البحر، أخرجها من خليج (هاربور). أخرجها مباشرة من قصر الحاكم قبل هجوم رجال (مافين) على المكان. كانا ينتظرانِنا عند الطائرة عندما وصلنا.»
بقدْر سعادتي بمعرفتي بنجاتها، لا يُمكنني منْع نفسي من الشعور بوخزة غضب. «إذن رمَيتُماها مباشرة للذئاب مُجددًا. هي و(نيكس) معًا.»
أغلق قبضتيَّ على حقيبة النوم الدافئة الناعمة، أحاول أن أجد بعضًا من

الراحة. «(نيكس) صياد، و(آدا) خادمة منازل. كيف يُمكنكما وضعهما في مثل هذا الخطر البشع؟»

يخفض (كال) عينَيه، في خجلٍ من توبيخي. لكن (كيلورن) يضحك تجاه النافذة، ويُدير وجهه للضوء الخافت لغروب الشمس. يُغرقه باللون الأحمر القاتم، وكأنه مُغطًى بالدماء. هذه فقط عيني المُصابة تقوم بخداعي، لكن ما زال المَشهد يُثير الرجفة. ضحِكُه، عادتُه في صرف مخاوفي، يُخيفني هذا أكثر شيء.

حتى الآن، الفتى الصياد لا يأخذ شيئًا بجدية. سيضحك طوال طريقِهِ إلى قبره.

«هل هناك ما يُضحكك؟»

«هل تتذكَّرين هذه البطة الصغيرة التي أحضرَتْها (جيسا) للبيت؟» يُجيب، ويفاجئنا جميعًا. «كانت في التاسعة تقريبًا، أخذَتْها من أمِّها. وحاولت إطعامَها حساء ...» يوقف نفسَه محاولًا منع ضحكة أخرى. «تتذكَّرين، أليس كذلك، يا (ماير)؟» رغم ابتسامته، عيناه قاسية ومُلحَّة، تحاول أن تجعلني أفهم.

«(كيلورن).» أتنهَّد. «ليس لدَينا الوقت لهذا.»

لكنه يستمر في هدوء، وثبات. «لم يمضِ وقت طويل حتى جاءت الأم. بضع ساعات ربما، حتى جاءت تدُور حول قاعدة المنزل، وصغارها الآخرون خلفَها في صف. صنعت جلبةً حقيقية، كل هذه البطبطة والصياح. حاول (بري) و(ترامي) أن يُبعداها، أليس كذلك؟»

أتذكَّر هذا كما يتذكَّره (كيلورن)، شاهدتُهما من فوق الشرفة بينما يقذف شقيقاي الحجارة تجاه الطائر الأم. وقفَتْ في ثبات، تنادي على طفلها المفقود. وأجابتها البطة الصغيرة وهي تتلوَّي بين ذراعَي (جيسا).

«في النهاية، جعلتِ (جيسا) تُعيد البطة الصغيرة. أنت لستِ بطة يا (جيسا). قلتِ لها. لا تنتمِيان لشيءٍ واحد. ثم أعدتِ البطةَ لأمِّها. وشاهدتِهم بينما يبتعِدون جميعًا. البط في صفٍّ واحدٍ عائدِين للنهر.»

«أنتظر سماع ما تقصده من كل هذا.»

«هناك مقصد.» يتمتم (كال)، صوته يتردَّد عميقًا في صدره. يكاد يبدو

متفاجئًا.

تتحرك عيون (كيلورن) تجاه الأمير، لتمنحه إيماءةً شاكرة صغيرة. «(نيكس) و(آدا) ليسا صغار بطٍّ وأنتِ لستِ والدتهما بالتأكيد. يُمكنهما الاعتناء بنفسهما.» ثم يبتسِم ابتسامةً مُلتوية، عائدًا لمزاحه القديم. «أنتِ، من جانبٍ آخر، تبدين بحالٍ سيئة.»

«ألا أعلَم ذلك.» أحاول أنْ أبتسِم من أجلِه، قليلًا فقط، لكن شيئًا ما في الابتسام يسحب وجهي للخلف وبدوره يلوي عُنقي والندبات الجديدة. تؤلِمني عندما أتحدَّث، وتؤلِمني بطريقةٍ بشعة تحت أي جهد. شيءٌ آخر سلبه (مافين) منِّي. كم من السعادة يجلب هذا له، فكرة أنني لا أقدر على الابتسام بدون هذا الألم الحارق. «(فارلي) و(شايد) معهما، على الأقل؟»

يُومئ الفتيان معًا، وأكاد أضحك من المشهد. هما في العادة نقيضان. (كيلورن) نحيل و(كال) قوي البنية. شعر (كيلورن) ذهبي وعيناه خضراوان، بينما شعر (كال) غامق اللون ونظرته كالنيران الحية. لكن هنا، في الضوء الخافت، بعد الغشاء الدموي الذي يؤثر على رؤيتي، بدأ يَظهرُ لي أنهما متشابهان.

«(كرانس) أيضًا.» يضيف (كال).

أرمش في حيرة. «(كرانس)؟ هو هنا؟ هو ... معنا؟»

«ليس وكأنه لديه مكان آخر ليذهب إليه.» يقول (كال).

«وتثِقان ... به؟»

يستند (كيلورن) مقابل الجدار، ويحشر يدَيه في جيوبه. «أنقذ (آدا)، وساعد في استعادة الآخرين خلال الأيام السابقة الماضية. لِمَ لا نثِق به؟ لأنه لص؟»

مثلي، مثلما كنت. «فهمت قصدَك.» ومع ذلك، لا يمكنني نسيان الثمن الباهظ للثقة في غير محلِّها. «لكن لا يُمكننا أن نتأكد، أليس كذلك؟»

«لا يمكنك أن تتأكدي من أي شخص.» يتنهَّد (كيلورن) في انزعاج. يحكُّ حذاءه في التراب، يريد أن يقول المزيد، ويعلم أنه من الأفضل ألَّا يفعل.

«هو بالخارج مع (فارلي) الآن. ليس مُستكشفًا سيئًا.» يُضيف (كال) في دعم (كيلورن). أكاد أن أدخل في صدمة.

«هل تتفِقان أنتما الاثنان على شيء؟ ما هذا العالَم الذي استيقظت فيه؟»

ترتسم ابتسامة حقيقية على وجه (كال) و(كيلورن) أيضًا.

«هو ليس بالسوء الذي تُظهرينه به.» يقول (كيلورن) ويُومئ تجاه الأمير.

يضحك (كال). بصوتٍ ناعم، مُلطخ بكل ما جاء قبله. «نفس الشيء.»

أنكُز كتف (كال) فقط لأتأكّد أنه حقيقي. «أظنني لا أحلم.»

«شكرًا لألواني، لا تحلُمين.» يتمتم (كال)، وتختفي ابتسامتُه مجددًا. يمرِّر يده على فكّه، ويحكُّ لحيته الصغيرة. لم يحلق منذ كنَّا في (أركيون)، منذ الليلة التي شاهد فيها موت والده. «(آدا) أكثر نفعًا من المُجرمين، إذا كان بإمكانك التصديق.»

«يُمكنني.» تومِض دوَّامة من القدرات داخل عقلي، كل واحدةٍ أقوى من سابقتها. «ماذا تفعل؟»

«شيئًا لم أرَه من قبل.» يعترف. ويُطقطق سواره، قاذفًا ببعض الشرارات التي تتحوَّل سريعًا لكرةٍ من اللهب. تظل بيدِه للحظةٍ ولا تحرق كمَّه، قبل أن يقذفها في كسلٍ تجاه الحفرة الصغيرة التي حفرها وسط الأرض. تجلب النيران الضوء والدفء بدلًا من الشمس الغاربة. «هي ذكية، بطريقة مُدهشة. تتذكَّر كلَّ كلمة في كل كتابٍ في مكتبة الحاكم.»

وبهذه السهولة، رؤيتي لمُحارب آخر تخبو.

«نافعة.» أقول في استياء. «سأطلب منها أن تقصَّ لي قِصة لاحقًا.»

«قلت لك لن تفهم الأمر.» يقول (كيلورن).

لكن (كال) يستمر بإلحاح. «لدَيها ذاكرة مثالية. ذكاء مثالي. تتذكَّر كل لحظةٍ في كل يوم، كل وجه رأته، كل كلمة سمعتها. تفهم كل مجلة طبية، وكل كتاب تاريخ، وكل خريطة قرأتها. نفس الشيء بالنسبة للدروس العملية أيضًا.»

بقدر ما أُفضِّل مُتحكِّمًا في العواصف (ستورم ويلدر)، أستطيع أن أفهم قيمة شخصٍ مثل هذا. لو كان (جوليان) هنا فقط. كان سيقضي الليل والنهار في دراسة (آدا)، في محاولة لفهم مثل هذه القُدرة الغريبة. «دروس

عملية؟ تقصد مثل التدريبات؟»

شيء مثل الكبرياء يظهر على وجه (كال). «أنا لستُ مدرِّبًا، لكنني أفعل ما بوسعي لتعليمها. هي بالفعل جيدة في إصابة الأهداف. وأنهت دليلَ طيران (البلاك رن) هذا الصباح.»

تهرب شهقة من بين شفتَي. «يمكنها قيادة الطائرة؟»

يهز (كال) كتفَيه، تلتوي شفتاه في ابتسامة. «لقد حلَّقَت بالآخرين إلى (كانكوردا)، ومن المفترض أن تعود قريبًا. ولكن حتى ذلك الحين، يجب أن ترتاحي.»

«ارتحتُ لمدة أربعة أيام. فلترتَحْ أنت.» أُجيب في اندفاع، ومددتُ يدي لأهز كتفه. لا يتزحزح من دفعي الضعيف بوضوحٍ بالنسبة له. « كلاكما تُشبهان الموتى السائرين.»

«كان على شخصٍ ما التأكد من استمرارك في التنفُّس.» نبرة (كيلورن) خفيفة، شخص آخر قد يعتقد أنه يمزح، لكنني أعرف أفضل. «مهما كان ما فعله (مافين) لك لا يمكن أن يحدث مرة أُخرى.»

لا تزال ذكرى الألم الوامض الساخن قريبة جدًّا بالنسبة لي. لا يسعني إلا أن أجفل بمجرد التفكير بالمرور بها مرة أخرى. «أوافق.»

تجعلنا نتنبَّه جميعًا، فكرة ماهية قوة (مافين) جديدة. حتى (كيلورن)، الذي يرتعش أو يتحرك دائمًا، يظلُّ ساكنًا. يُحدق من النافذة، على جدار الليل القادم. «(كال)، هل لديك أي أفكار في حالة مقابلتنا هذا الشيء مرةً أخرى»؟

«إذا كنتُ سأحصل على محاضرة، سأحتاج بعض المياه.» أقول، مُدركة فجأة أن حلقي جاف. يكاد يقفز أثناء نهوضِه من مكانه بجانب الجدار، مُتحمسًا للمساعدة. ويتركني بمفردي مع (كال)، والحرارة المقتربة.

«أظنُّه كان جهاز قياس صوتيًّا. مُعدلًا بالطبع.» يقول (كال). تتحرك عيناه عائدة لعنقي، لندبات البرق الواصلة لعمودي الفقري. في أُلفةٍ صادمة، يتتبَّعهم مرة أخرى، كما لو كانوا يحملون بعض الأدلة. الجزء الذكيّ منِّي يريد إبعاده، لمنع أمير النار من فحص وسمي، لكن الإرهاق والحاجة يمنعان أي أفكارٍ أخرى. لمسته مُهدئة جسديًّا وعاطفيًّا. إنه دليل على أن

شخصًا آخر معي. أنني لستُ وحدي في هذه الهاوية بعد الآن.

«لقد عملنا مع أجهزة الصوت في البُحيرات قبل بضع سنوات. ترسل موجات راديو، وتلحق الدمار بسفن (اللايكلاندريين). جعلت من المُستحيل لهم التواصُل مع بعضهم، لكنها فعلت نفس الشيء لنا. اضطُرَّ الجميع للإبحار عميانًا.» تتحرك أصابعه لأسفل، تتبع فرعًا خشنًا من أنسجة الندبات عبر عظم كتفي. «أعتقد أن هذا الجهاز يُشوِّش الموجات الكهربائية، أو الاستاتيكية لدرجة كبيرة كافية لتعجيزك، لجعلك عمياء وتَحوُّل برقك ضدك.»

«بنَوها سريعًا للغاية. فقط أيام قليلة مضت منذ وعاء العظام.» أهمس ردًا عليه. أي شيء أعلى من الهمس يُهدد بتدمير هذا السلام الهش.

تثبت يد (كال)، وراحة يدِه منبسطة على جلدي العاري. «تحول (مافين) ضدك منذ وقتٍ طويل قبل وعاء العظام.»

أعلم ذلك الآن. أعلم ذلك مع كل نفَسٍ نازف. شيء ما يتحرَّر داخلي، يتحطم، أُحني ظهري حتى أستطيع دفن وجهي بين يديَّ. مهما كان الجدار الذي أضعه لإبعاد الذكريات، فهو ينهار في اطِّراد ويتحوَّل إلى غبار. لكن لا يُمكنني السماحِ له بدفني. لا يُمكنني السماح للأخطاء التي ارتكبتها بدفني. عندما يلتفُّ دفء (كال) حولي، ذراعاه حول كتفي، ورأسه مَحني فوق رقبتي، أميل ناحيتَه. أتركه يَحميني، على الرغم من أننا أقسمنا أننا لن نفعل هذا مرةً أخرى في زنازين (تاك). لسنا أكثر من عناصر إلهاء لبعضنا البعض، وهذا الإلهاء يتسبَّب في قتلك. لكن يديَّ تُغلقان فوق يدَيه، وتتشابك أصابعنا، حتى تندمج عظامنا معًا. تموت النار، اللهب يخبو إلى جمر. لكن لا يزال (كال) هنا. لن يتركني أبدًا.

«ماذا قال لكِ؟» يهمس.

أتراجَع قليلًا، حتى يرى. بيدٍ مرتجفة، أسحب ياقة قميصي، أُريه ما فعله (مافين). تتَّسع عيناه عندما يقع نظرُه على الوسم. حرف (M) خشن محروق في جلدي. لفترةٍ طويلة، يُحدق، وأخشى أن غضبه سوف يُشعل بي النيران مجددًا.

«قال إنه رجل يلتزم بكلمته.» أقول له. الكلمات كافية لتجذب نظره

بعيدًا عن ندبتي الجديدة. «إنه سيجدني دومًا، وينقذني.» أخرج ضحكة خاوية. الشخص الوحيد الذي يجب أن ينقذني (مافين) منه هو نفسه.

بيدَين لطيفتَين، يسحب (كال) قميصي إلى مكانه، ويُخفي علامة أخيه. «كنا نعرف ذلك بالفعل. على الأقل الآن نعرف حقًّا لماذا.»

«همم؟»

«(مافين) يكذب بسهولة كما يتنفَّس، ووالدته تُسيطر على لجامه، ولكن ليس قلبه.» تتَّسع عينا (كال)، وتُناشدني أن أفهم.

«يطارد دماء-جديدة ليس لحماية عرشه، ولكن لإيذائك. ليجدك، ليجعلك تعودِين إليه.» تشتدُّ قبضته فوق ساقه. «يُريدك (مافين) أكثر من أي شيءٍ آخر على هذه الأرض.»

إذا كان هذا (المافين) هنا الآن، كنتُ سأمزق عيونه الفظيعة المطاردة من مكانها. «حسنًا، لا يُمكنه الحصول عليَّ.» أُدرك عواقب هذا، كما يُدركها (كال).

«حتى لو سيوقف هذا القتل؟ ليس حتى من أجل الدماء-الجديدة؟»

تؤلِم الدموع عينيَّ. «لن أعود. لن أعود من أجل أي شخص.»

أتوقع حُكمَه، لكنه بدلًا من ذلك يبتسِم ويخفض رأسه. خجل من ردةِ فعله، كما أنا خجلة من ردة فعلي.

«اعتقدتُ أننا سنفقدك.» يختار كلماته عن عمد، وبعناية. لذا أنحني للأمام، وأضع يدي على قبضته. هذا كل الأمان الذي يحتاجه ليستمر. «اعتقدتُ أنني سأفقدك. مرات عديدة للغاية.»

«لكنني ما زلتُ هنا.» أقول.

يأخذ رقبتي بين يدَيه وكأنه لا يُصدقني. أتذكَّر بشكلٍ خافت قبضة (مافين)، وأقاوم الرغبة في أن أرتعش. لا أريد أن يبتعد (كال).

كنتُ أركض لفترةٍ طويلة. حتى قبل أن يبدأ كل هذا. حتى في (الستيلتز)، كنت أركض. أتجنب عائلتي ومصيري وأي شيءٍ لا أريد أن أشعر به. وما زلتُ في سباق الآن. مع هؤلاء الذين سيقتلونني، وهؤلاء الذين سيُحبونني

أريد بشدة أن أتوقف. أريد أن أقف ساكنةً دون أن أقتل نفسي أو أي شخصٍ آخر. لكن هذا غير ممكن. يجب أن أستمر، يجب أن أؤذي نفسي

لإنقاذ نفسي، وأؤذي الآخرين لإنقاذ الآخرين. آذيتُ (كيلورن)، آذيت (كال)، آذيت (شايد) و(فارلي) و(نيكس) وكل من كانوا حمقى بما يكفي ليتبعوني. أجعلهم يركضون أيضًا.

«إذن نقاتلهم.» تقترب شفتا (كال)، ساخنة مع كل كلمة. تشتدُّ قبضته، وكأن في أي لحظة سيأتي شخص ويأخذني منه.

«هذا ما شرعنا في القيام به، لذلك نحن نفعل ذلك. نبني جيشًا. ونقتله. هو ووالدته معًا.»

قتل ملكٍ لن يُغير شيئًا. آخر سيحلُّ محلّه. لكنها بداية. إذا لم نتمكن من التفوّق على (مافين)، يجب أن نوقفه فورًا. من أجل الدماء-الجديدة، ومن أجل (كال)، ومن أجلي. أنا سلاح مصنوع من اللحم، سيف مُغطًى بالجلد. لقد وُلِدتُ لقتل ملك، لإنهاء عهد الرُّعب قبل أن يبدأ حقًّا. النار والبرق رفعت (مافين) لمكانته، والنار والبرق سيُسقطانه.

«لن أدَعَه يؤذيك مرة أخرى.»

تجعلني أنفاسه أرتجِف. إحساس غريب، عندما تكون مُحاطًا بهذا الدفء المشتعل. «أصدقك.» قلت له، كاذبة.

لأنني ضعيفة، ألتفُّ بين ذراعَيه. لأنني ضعيفة، أضغط بشفتيّ على شفتَيه، أبحث عن شيء يجعلني أتوقف عن الركض، ويجعلني أنسى. كِلانا ضعيف، كما يبدو.

عندما تمرُّ يداه على جلدي، أشعر بنوع مختلف من الألم. أسوأ من آلة (مافين)، أعمق من أعصابي. يؤلِم مثل فجوة، مثل وزن خاوٍ. أنا سيف، ولدتُ من البرق، ومن هذه النار ومن (مافين). أحدهم خانني مُسبقًا، والآخر قد يُغادر في أي لحظة. لكنني لا أخشى كَسْر القلب. لا أخاف من الألَم.

أتشبَّث بـ(كال)، (كيلورن)، (شايد)، بإنقاذ كل الدماء-الجديدة بقدر استطاعتي، لأنني أخشى الاستيقاظ في الفراغ، في مكانٍ رحل منه أصدقائي وعائلتي وأنا لستُ سوى صاعقة واحدة من البرق في سواد عاصفة وحيدة إذا كنت سيفًا، فأنا سيف زجاجي، وأشعر بأنني بدأتُ أتحطَّم.

الفصل الثامن عشر

الأمر بشأن الحرارة هو مهما كنتَ تشعر بالبرودة، مهما كنتَ في حاجة للدفء، فدومًا في النهاية تصير زائدةً عن الحاجة. أتذكر الشتاءات العديدة التي قضيناها نترك فيها النافذة مفتوحة جزئيًا لندعَ البرودة القارسة تُقاوم النيران المشتعلة في غرفة المعيشة بالأسفل. ساعَدني شيءٌ ما في نسمة الهواء الباردة على النوم. والآن نسمات الخريف الحادة تُساعد في تهدئتي، ونسيان (كال) وحدَه في المنزل الآمِن. لم يكن عليَّ فعل ذلك، أفكر، وأضغط بيدي على بشرتي المحمومة. هو ليس فقط مصدر إلهاء، هو كسْرة قلبٍ تنتظر الحدوث. ولاؤه مُتردد في أفضل حال. يومًا ما سيرحل، أو سيموت، أو سيخونني مثلما فعل الكثيرون. يومًا ما سيؤذيني.

فوقنا، غابت الشمس تمامًا، ورسمت السماء بخطوط مُظلمة من الأحمر والبرتقالي. ربما؛ فلا أستطيع أن أثق بالألوان التي أراها. لا أستطيع أن أثق في الكثير من الأشياء بعد الآن. تم بناء المنزل الآمن فوق قمة تل، في وسط ساحةٍ كبيرة مُحاطة بالغابات. يُطل على وادٍ مُتعرج مليء بالأشجار والبحيرات وضبابٍ دائم دائري. لقد نشأتُ في الغابة، لكن هذا المكان غريب بالنسبة لي مثل (أركيون) أو قاعة الشمس. لا يوجد شيء من صنع الإنسان في مجال رؤية العين، لا يوجد صدًى لقرية قطع الأشجار أو بلدة زراعية. على الرغم من أنني أفترض أن هناك مَهبطًا مَخفيًا في مكانٍ قريب، إذا كان لا يزال من الممكن استخدام الطائرة.

يجب أن نكون في عُمق المناطق النائية بـ(نورتا)، شمال وداخل اليابسة من خليج (هاربور). لا أعرف ولاية (ريجنت) جيدًا، لكن هذه تبدو مثل منطقة الغابات العظمى، التي تسيطر عليها البرِّية والجبال الخضراء المُتدحرجة والحدود القطبية المُتجمدة مع البُحيرات. هي ذات كثافة سكانية منخفضة، ويحكمها في هدوءٍ راجفون (شيفر) من منزل (جلايكون)، ومكان رائع للاختباء.

«هل انتهيتِ منه؟»

(كيلورن) ليس أكثر من مجرد ظل، يتكئ على جذع شجرة البلوط ذات الأغصان المنتشرة تجاه السماء. هناك إبريق ماء مَنسي عند قدمَيه. لستُ بحاجة إلى رؤية وجهه لأعرف أنه مُنزعج. أستطيع سماع ذلك بشكلٍ جيد.

«لا تكن قاسيًا.» لقد اعتدتُ أن أعطيه الأوامر، لكن هذا يبدو وكأنه طلب. كما توقعت، يتجاهلني، ويستمر في الثرثرة. «أعتقد أن كل الشائعات بها ذرة من الحقيقة. حتى تلك التي يبصقها هذا المتذمِّر الصغير (مافين). أغرت (ماير بارو) الأمير وجعلته يقتل الملك. من الصادم معرفة أنه نِصف مُحق.» يخطو بضع خطوات واسعة للأمام، ويُذكرني كثيرًا بـ(سيلك) من منزل (إيرال) يتسلل لضربةٍ أخيرة. «لأن الأمير مسحور بالتأكيد.»

«إذا استمررتِ بالحديث هكذا، سأحولك إلى بطارية.»

«يجب أن تحصلي على تهديدات جديدة.» يقول ويبتسِم في حدَّة. اعتاد توبيخي خلال السنين، وأشك أنني قادرة على إخافته بأي شيء، حتى برقي. «هو رجل قوي، بكل أشكال الكلمة. لا تفهميني بطريقةٍ خاطئة، أنا مسرور أنكِ تُمسكين بلجامه.»

لا يُمكنني إلا أن أُصدر صوتًا ساخرًا عاليًا، ضاحكة في وجهه.

«مسرور؟ أنت تغار، بكل وضوح وبساطة. لستَ معتادًا المشاركة. ولا تُحب أن تكون بلا فائدة.»

بلا فائدة. هذه الكلمة مؤلِمة. أعرف من الرجفة في عنقِه. لكن لا يمنعه هذا من الوقوف أمامي، طولُه يحجُب النجومِ التي تومِض للحياة فوقنا.

«السؤال هو، هل أنتِ مسحورة أيضًا؟ هل يستغلك بنفس الطريقة التي تستغلِّينه بها؟»

«لا يَستغلني أي أحدٍ بعد الآن.» كذبة، وكِلانا نعرف هذا. «ولا تعلم عمَّ تتحدَّث.»

«أنتِ مُحقة.» يقول في هدوء.

تكاد المفاجأة أن تُسقطني أرضًا. خلال العشرة أعوامٍ من صداقتنا، لم أسمع هذه الكلمات من (كيلورن وارين). هو عنيد مثل جذع الشجرة،

واثق بنفسه أكثر مما يُفيد مصلحته، وغْد متحذلق معظم الوقت، لكن الآن، فوق هذا التل، صار شخصًا لم يكن كذلك قط. يبدو ضئيلًا وضعيفًا، بصيص من حياتي السابقة يومِض في طريق الزوال في اطّراد. أضمُّ يديّ لأمنع نفسي من أن أمُدّهما وألمسه، لأثبت أن (كيلورن) ما زال موجودًا.

«لا أعلم ما حدث لكِ حينما كنتِ (مارينا). لم أكن هناك لمُساعدتك خلال ذلك. لن أقول لكِ إنني أفهم، أو إنني آسِف من أجلك. ليس هذا ما تحتاجين.»

لكن هذا بالضبط ما أريده، حتى أستطيع أن أغضب منه. حتى لا أُضطر لسماع ما يُوشك على قوله. للأسف يعرفني (كيلورن) أفضل من ذلك.

«أفضل ما يمكنني فعله هو قول الحقيقة، أو على الأقل، ما أظنه الحقيقة.» رغم أن صوته ثابت، ترتفع أكتافه وتهبط مع أنفاسٍ عميقة لاهثة. هو خائف. «يرجع لكِ أن تُصدقيني أو لا.»

ترتعش شفتاي، وتظهر ابتسامةٌ أليمة. اعتدت الدفع والجذب، وأن يتلاعب الأقرب إليّ بأفكاري وأفعالي. حتى (كيلورن) مُذنب بهذا. والآن يمنحني الحرية التي أردتُها لوقتٍ طويل. اختيار، مهما كان صغيرًا. يثِق بأن لدي الحسّ المنطقي للاختيار، حتى إذا لم يكن لدي.

«أنا مستمعة.»

يبدأ في قول شيء آخَر ثم يوقِف نفسه. تتوقّف الكلمات، وترفض الخروج. ولثانية، تبدو عيناه مبتلة بشكلٍ غريب.

«ماذا يا (كيلورن)؟» أتنهّد.

«ماذا؟» يُردِّد ويهزُّ رأسه. بعد لحظةٍ طويلة، يندفع شيء داخله. «أعلم أنكِ لا تشعُرين بنفس شعوري. بشأننا.»

تسيطر عليّ رغبة في تحطيم رأسي مُقابل صخرة. بشأننا. يُشعرني الحديث عن ذلك بالغباء، هدر أحمق للوقت والطاقة. لكن الأكثر من ذلك، هذه ليست مُحادثة أردتُ الخوض فيها أبدًا.

«ولا بأس في هذا.» يستمر قبل أن أوقِفه. «لم تَريني كما أراك دومًا، ليس حتى عندما كنا بالقرية، قبل أن يحدُث كل هذا. ظننتُ أنه من الممكن في

يومٍ ما، لكن ...» يهز كتفيه. «ليس بداخلك أن تُحبيني.»

عندما كنت (ماير بارو) من (الستيلتز)، فكرت بنفس الطريقة. تساءلتُ عما يمكن أن يحدُث إذا نجوت من التجنيد، ورأيت ما الذي يحمِله المستقبل. زواج ودِّي من فتى السمك صاحب العينَين الخضراوين، أطفال نُحبهما، ومنزل فقير في (الستيلتز). بدا ذلك كحلمٍ وقتَها، شيء مُستحيل. وما زال هكذا، وسوف يكون دومًا. لا أُحب (كيلورن)، ليس بالشكل الذي يريده. لن أفعل أبدًا.

«(كيلورن).» أتمتِم، وأخطو تجاهه. لكنه يبتعِد خطوتَين للخلف. «(كيلورن) أنت صديقي المُفضل، أنت كالعائلة.»

تنزف ابتسامتُه حزنًا. «وسأظلُّ كذلك حتى يوم موتي.»

لا أستحقك، يا (كيلورن وارين). «أنا آسِفة.» أقول مُختنقة، لا أعرف ماذا يمكنني أن أقول غير ذلك. لا أعلم حتى لِمَ أعتذر.

«هذا شيء لا يُمكنك التحكُّم به يا (ماير).» يُجيبني، وما زال يقف بعيدًا. «لا يُمكننا اختيار من نُحبه. أتمنَّى أكثر من أي شيءٍ أن نقدِر على ذلك.»

أشعر كأنني مُحطمة. لا تزال بشرتي ساخنة من حضن (كال). أتذكر شعوري به منذ لحظات فقط. ولكن في أعمق جزءٍ منِّي، ورغمًا عن كل ذرةٍ من كياني، أُفكر فيما وراء المساحة الخالية التي نحن بها، في عيونٍ بلون الثلج، ووعد فارغ، وقُبلة على متن قارب.

«يمكنك أن تُحبيه كما تشائين، لن أوقِفك. لكن من أجلي، من أجل والدَيك، وبقيَّتنا، لا تترُكيه يتحكَّم بكِ.»

مرة أخرى، أُفكر في (مافين). لكن (مافين) بعيدٌ جدًّا، ظلٌّ على أطراف العالَم الحادة. ربما يحاول قتلي، لكنه لا يستطيع التحكُّم بي، ليس بعد الآن. يمكن أن يقصد (كيلورن) فقط الأخ الملكي الآخر، الابن الساقط من منزل (كالور). (كال). درعي ضد الندوب والكوابيس. لكنه مُحارب، وليس سياسيًّا أو مجرمًا. ليس لدَيه القُدرة على التلاعُب بأي شخص، وأنا أقلُّهم. هذا ليس في طبيعته.

«هو فضي يا (ماير). لا تعلَمين ما الذي يقدر عليه، أو ما الذي يريده

حقًّا.»

أشك أن (كال) يعلم أيضًا. الأمير المَنفي هائم أكثر منِّي بدون أي ولاءٍ أو حلفاء عدا فتاة البرق المزاجية.

«هو ليس ما تظنُّه.» أقول. «مهما كان لون دمائه.»

تظهر على وجهه ابتسامة ساخرة حادَّة ورفيعة. «لا تعتقِدين هذا فعلًا.»

«لا أعتقد.» أقول في حزن. «أعلم. وهذا يجعل كل شيءٍ أصعب.»

في وقتٍ ما، اعتقدتُ أن الدماء هي العالَم بأسره، الفرق بين الظلام والنور، انقسام لا رجعة فيه ولا يمكن عبوره. جعل الفضيين أقوياء وبارِدين وقاسين ووحشيِّين مقارنة بإخوتي الحمر. لم يكونوا مثلنا في أي شيء، غير قادرين على الشعور بالألم أو الندم أو الإحسان. لكن أشخاصًا مثل (كال) و(جوليان) وحتى (لوكاس) أظهروا لي كم كنتُ مُخطئًا. هم بشَر بنفس القدر، ويملؤهم الخوف والأمل بنفس القدر. ليسوا بدون خطايا، لكننا لسنا بدونها أيضًا. ولست بدونها أنا.

لو كانوا فقط الوحوش التي يعتقِدها (كيلورن). لو كانت الأمور بهذه البساطة. بهدوء، في أعمق جزءٍ من قلبي، أحسد غضب (كيلورن) الضيق. أتمنَّى أن أتمكن من مشاركته في جهله. لكنني رأيتُ وعانيتُ كثيرًا فلا يُمكنني ذلك.

«سوف نقتل (مافين) ووالدته.» أُضيف في تأكيدٍ بارد. سأقتل الشبح، سأقتل الظل. «إذا ماتا، ستصير الدماء-الجديدة في أمان.»

«و(كال) سيصير حرًّا ليستعيد عرشه. ويجعل كلَّ شيءٍ كما كان.»

«لن يحدث ذلك. لن يتركه أحد يعود لعرشه، أحمر أو فضي. ومما أقدر على استنتاجه، لا يريده.»

«حقًّا؟» أكره فورًا الابتسامة الساخرة التي تتكوَّن على شفتَي (كيلورن). «من صاحب هذه الفكرة؟ قتل (مافين)؟» عندما لا أجيب، تكبُر الابتسامة. «هذا ما ظننت.»

«شكرًا على صراحتك يا (كيلورن).»

شُكري يجعله يتراجع، يفاجِئه كما فاجأني. لقد تغيَّرنا خلال الأشهر القليلة

الماضية، لم نعُد الفتاة والفتي من (الستيلتز) المُستعدَين أن يتشاجرا لأي موضوعٍ وكل موضوع. كانا طفلَين، ورحلا للأبد.

«سأضع ما قلته في عين الاعتبار، بالطبع.» لم تكن دروسي أكثر قربًا من هذا، تُساعدني على صرف (كيلورن) بدون إيذائه. كما ينبغي على أميرةٍ أن تفعل مع الخدم.

لكن ليس من السهل أن يتنحَّى (كيلورن) جانبًا. يُضيق عينَيه حتى تصير فتحات خضراء رفيعة، يُرى مباشرة عبر قناع اللباقة الخاص بي. يبدو مُشمئزًا لدرجة أنني أتوقَّع أن يبصق. «في يوم ما قريب سوف تضيعين.» يتنهَّد. «ولن أكون هناك لأقود طريقك للعودة.»

أُدير ظهري لصديقي القديم. كلماته تؤلِمني، ولا أريد أن أسمعها، بغضِّ النظر عن مقدار منطقيته. حذاؤه يُصدر صوتًا فوق التراب الصلب بينما يرحل، ويتركني أقف وأُحدِّق في الغابة. على بُعد مسافة، تُصدر الطائرة النفاثة طنينًا، عائدة إلينا. أخشى أن أكون بمفردي أكثر من أي شيءٍ آخر. فلماذا أفعل هذا؟ لماذا أدفع الأشخاص الذين أُحبهم بعيدًا؟ ما خطبي؟

لا أعرف.

ولا أعرف كيف أجعله يتوقف.

***

جمع جيش هو الجزء السهل. تقودنا السجلات من خليج (هاربور) إلى دماء-جديدة في البلدات والقرى في جميع أنحاء منطقة (بيكون)، من (كانكوردا) إلى (توروس) إلى الموانئ نصف المغمورة في جزر (باهرن). بسبب قائمة (جوليان)، توسَّعنا، حتى أصبح كل جزءٍ من (نورتا) في متناول أيدينا. حتى (ديلفي)، المدينة الواقعة في أقصى جنوب المملكة، صارت على بُعد بضع ساعات بالطائرة. كل مركز سكاني، مهما كان صغيرًا، لديه حامية جديدة من الضباط الفضيين تهدف إلى القبض علينا وتسليمنا إلى الملك. لكنهم لا يستطيعون حراسة كل هدفٍ في جميع الأوقات، و(مافين) ليس قويًّا بما يكفي في حُكمه لاختطاف المئات بين عشية وضحاها. نضرب عشوائيًّا، دون نمط، وعادة ما نُفقدهم توازُنَهم. في بعض الأحيان نكون

محظوظين، ولا يعرفون حتى أننا كنا هناك على الإطلاق. يُثبت (شايد) فائدته مرارًا وتكرارًا، كما تفعل (آدا) و(نيكس). تساعدنا قدراتها في العثور على طريقنا حول أسوار المدينة، يساعدنا هو في العبور خلالها.

لكن يقع الأمر على عاتقي دائمًا؛ فدومًا أنا الشخص الذي يواجه كل دماء-جديدة، لشرح ماذا يكون وما هو نوع الخطر الذي يُشكلونه على الملك. ثم نمنحهم خيارًا، ويختارون دائمًا الحياة. يختاروننا دائمًا. نوفر عبورًا آمِنًا لعائلاتهم، ونُرشد من تبقى لأحد الملاذات المتعددة والقواعد التي يديرها الحرس القرمزي. إلى القيادة، كما تقول (فارلي)، وكلماتها أكثر إبهامًا من ذي قبل. نُرسِل البعض حتى لجزيرة (تاك)، لطلب حماية الكولونيل. ربما يكرَه الدماء-الجديدة. لكن (فارلي) تؤكد لي أنه لن يتخلى عن الحُمر الحقيقيين.

الدماء-الجديدة الذين نجِدُهم، خائفون، وبعضهم غاضبون، لكنَّ القليل منهم متفاجئون، عادة الأطفال. بالنسبة للجزء الأكبر، لا يعرفون ماهيتهم. لكن البعض يعرف، وهم مُطاردون بالفعل بسبب تحوُّر دمائنا.

في ضواحي مدينة (هافين)، نلتقي (لوثر كارفر). صبي صغير في الثامنة من عمره ذو شعر أسود ناعم، ضئيل بالنسبة لعمره، ابن نجَّار. نجده في ورشة والده، مُعفًى من المدرسة لتعلم المهنة. لا يتطلَّب الأمر سوى القليل من الإقناع لجعل السيد (كارفر) يسمح لنا بالدخول، على الرغم من أنه ينظر إلى (كال) وحتى (نيكس) بشك. ويرفض الصبيُّ النظر في عينَي، وأصابعه الصغيرة ترتعِش في توتر. يرتجف عندما أتحدَّث إليه، ويصرُّ على مناداتي بفتاة البرق.

«اسمُك في القائمة لأنك مُميز، لأنك مختلف.» أُخبره. «هل تعلم عمَّ أتحدث؟»

يهز الفتي رأسه بعُنف، وتتحرك خصلات شعره الطويلة من جانب لآخر. لكن من يُدعَى والده عن جدارة يقف كحارسٍ في ظهره. بمهابةٍ وتريُّث، يُومئ برأسه.

«لا بأس يا (لوثر)، هذا ليس شيئًا يجب أن تخجل منه.» أمدُّ يدي عبر

الطاولة مرورًا بالتصاميم الدقيقة التي هي بالتأكيد من صُنع يدَي (كارفر). لكن (لوثر) يضمُّ أصابعه بعيدًا عن لمستي ويسحب يدَه ويضعها على ساقَيه، ويتلوّى حتى لا أصل إليه.

«هذا ليس شخصيًا.» يقول (كارفر)، ويضع يدًا مطمئنة على كتف ابنه. «(لوثر) ليس ... لا يريد أن يؤذيك. تأتي وترحل، يصير أسوأ، أترَين. لكنك ستُساعدينه، أليس كذلك؟» يبدو الألم على الرجل المسكين، ويتقطَّع صوته. يتعاطف قلبي معه، وأتساءل كيف سيكون أبي في هذا الوضع. في مواجهة أشخاصٍ يفهمون ابنه ويقدرون على مساعدته، لكنهم يجب أن يأخذوه بعيدًا عنه. «أتعلَمِين لِمَ هو هكذا؟»

إنه سؤال طرحتُه على نفسي عدة مرات، وهو سؤال يطرحه عليَّ كل دماء-جديدة تقريبًا. ولكن ليس لديَّ بعدُ أي إجابة. «أنا آسِفة لكنني لا أعلم يا سيدي. نحن نعلم فقط أن قُدراتنا تأتي من تحور، شيء في دمائنا لا يمكن تفسيره.»

أفكر في (جوليان) وكتُبِه وأبحاثه. لم يتسنَّ له أبدًا دراسة الانقسام، اللحظة القديمة التي انفصل فيها الدم الفضي عن اللون الأحمر، فقط إنه حدث ونتج عنه العالَم الآن. أفترض أن انقسامًا جديدًا قد بدأ، في الدماء مثل دمائي. كان يَدرُسني قبل القبض عليه، في محاولة لمعرفة الإجابة على هذا السؤال بالضبط. لكنه لم يحصل على الفرصة.

يتحرك (كال) إلى جانبي، وعندما يدور حول الطاولة، أتوقع أن أرى القناع المُخيف الذي يُبقيه قريبًا. بدلًا من ذلك، يبتسِم بلُطف، ابتسامة واسعة تصل إلى عينَيه تقريبًا. ثم ينحني راكعًا حتى يتمكن من النظر إلى (لوثر) في عينَيه. الصبي مذهول من المشهد، يطغى عليه، ليس فقط حضور أمير، ولكن اهتمامه الكامل.

«سموك.» يقول بصوتٍ رفيع مُختنق، يحاول حتى أن يُحيِّيه. في ظهره، أبوه ليس بهذه اللباقة، ويرفع حاجبه. الأمراء الفضيون ليسوا ضيوفه المُفضَّلين.

ومع ذلك، تزداد ابتسامة (كال) وتظل عيناه على الفتى. «من فضلك،

ادعُوني بـ(كال).» يقول ويمدُّ يدَه. مجددًا، يسحب (لوثر) يدَه بعيدًا، لكن (كال) لا يبدو أنه يمانع. في الواقع، أراهن أنه توقَّع هذا.

تحمرُّ وجنتا (لوثر) خجَلًا في لونٍ أحمر داكنٍ مُحبّب. «آسِف.»

«لا عليك.» يُجيب (كال). «في الواقع، اعتدتُ أن أفعل نفس الشيء عندما كنتُ صغيرًا. أصغر منك بقليل، لكن وقتها، كان لديَّ العديد والعديد من المُدرسين. احتجتُهم أيضًا.» يضيف ويغمز. رغم خوفه، يبتسِم الفتى قليلًا. «لكن لديك أبوك، أليس كذلك؟»

يبتلع الفتى ريقَه، ويتحرك حلقُه الصغير. ثم يُومئ.

«أحاول ...» يقول (كارفر)، ومجددًا يُمسك بكتف ابنه.

«نتفهم ذلك يا سيدي.» أقول له. «أكثر من أي شخص.»

يَكِز (لوثر) (كال) بحذائه، يغلب فضوله كلَّ شيء.

«ما الذي يمكن أن يُخيفك؟»

أمام أعيننا، تشتعل يد (كال) الممدودة في وهَج من لهيبٍ ساخن. لكنه جميل بشكل غريب، حريق بطيء من النيران الراقصة المُتخاذلة. أصفر وأحمر، يتحركان في كسل. لولا السخونة، كان سيبدو كنوعٍ من الفن بدلًا من سلاح.

«لم أعرف كيف أتحكَّم بها.» يقول (كال)، ويتركها تتراقَص بين أصابعه. «كنتُ أخاف أن أحرق الأشخاص. أبي، أصدقائي و ...» يكاد صوته يلتصق. «أخي الصغير. لكني تعلمتُ أن أصنعها وقتما أريد، وأن أمنعها من إيذاء الناس الذين أردتُ أن يبقَوا في أمان. وتقدر أنت أيضًا على ذلك يا (لوثر).»

بينما يُحدق الفتى، في ذهول، لم يكن أبوه واثقًا. لكنه ليس أول والد أواجِهه، ومُستعدة لسؤاله التالي.

«من تدعونهم بالدماء-الجديدة؟ يُمكنهم فعل ذلك أيضًا؟ يُمكنهم التحكُّم في ماهيتهم؟»

تشتعل يدي بشبكة من الشرارات، كل واحدة كبرقٍ متلوٍ بنفسجي من الضوء التام. تختفي داخل جلدي، بلا أثر. «نعم، يُمكننا يا سيد (كارفر).»

بسرعة مفاجئة، يأخذ الرجل وعاءً من فوق رف، ويضعه أمام ابنه.

نبات، ربما سرخس، ينبت وسط الأوساخ في الداخل. سيكون أي شخصٍ آخر مكانه حائرًا، لكن (لوثر) يعرف بالضبط ما يريده والده.

«هيا يا فتى.» يدفع ابنه وصوتُه لطيف ورقيق. «أرِهِمْ ما يحتاج الإصلاح.»

قبل أن أغضب من نهاية العبارة، يمد (لوثر) يدًا واحدة مُرتجفة. يخدش إصبعُه حافة ورقة السرخس، بحذَر، ولكن بثقة. لا شيء يحدث.

«لا بأس يا (لوثر).» يقول السيد (كارفر). «يُمكنك أن تدعهم يرَون.»

يُحاول الصبي مرةً أخرى، جبينُه يتجعد بتركيز. هذه المرة، يأخذ السرخس من ساقها، ويمسكها بقبضته الصغيرة. وببطء، تتجعّد السرخس تحت لمسته، وتتحول إلى اللون الأسود، وتنطوي فوق نفسها. تحتضر. بينما نشاهد في ذهول، يأخذ السيد (كارفر) شيئًا آخَر من الرفِّ الخلفي ويضعه على ساق ابنه. قفازات جلدية.

«اعتنِ به جيدًا.» يقول. ويجزُّ على أسنانه، وتُغلَق بإحكام مقابل العاصفة داخل قلبه. «عدني بذلك.»

مثل كل الرجال الحقيقيين، لا يجفل عندما أُصافحه.

«أعِدُك يا سيد (كارفر).»

فقط عندما نعود إلى المنزل الآمن، الذي بدأنا نُسميه الشق الشق، أسمح لنفسي بلحظةٍ وحدي. للتفكير، لأقول لنفسي إن الكذبة تم صُنعها بشكلٍ جيد. لا أستطيع بحق أن أعِدَ هذا الصبي، أو الآخرين مثله، أنهم سينجُون مما هو قادم. لكنني آمُل بالتأكيد أن ينجو، وسأفعل كل ما بوسعي لتحقيق ذلك.

حتى لو كانت قدرة هذا الصبي المُرعبة هي الموت نفسه.

عائلات الدماء-الجديدة ليست الوحيدة التي تهرب. جعلت التدابير الحياة أسوأ من أي وقتٍ مضى؛ فدفعت العديد من الحُمر إلى الغابات والحدود، بحثًا عن مكانٍ لن يتمَّ العمل فيه حتى الموت أو شنقهم بسبب تجاوز الحدود. يصل البعض إلى قُرب بضعة أميال من مُعسكرنا، مُتجِّهين شمالًا نحو حدودٍ يُغطيها بالفعل ثلوج الخريف. يريد (كيلورن) و(فارلي) مساعدتهم، إعطاءهم الطعام أو الدواء، لكن أنا و(كال) نرفض التماساتهم. لا يمكن لأحد أن يعرف عنا، والحمر السائرون في طريقهم

لا يختلفون، على الرغم من مصيرهم. سيتقدمون تجاه الشمال، حتى يصلوا للحدود (اللايكلاندرية). سيلتقي بعضهم بفيالق حماية الحدود. وآخرون محظوظون كفاية للتسلل عبرها، ويرضخون أمام البرودة والجوع في القطب بدلًا من رصاصة في الخنادق.

تختلط أيامي ببعضها. التجنيد، التدريب وأُعِيد. كل ما يتغير هو الطقس، بينما يقترب الشتاء. الآن عندما استيقظ، قبل الفجر بكثير، أجد الأرض مُغطاةً بثلوج سميكة. يُضطر (كال) لتسخين الطائرة بنفسه، لتحرير العجلات والتروس المُغطاة بالثلج. معظم الأيام يأتي معنا، يحلق بالطائرة تجاه الدماء-الجديدة الذي اخترناه. لكن معظم الوقت يبقى، ويختار التدريس بدلًا عن التحليق. تحل (آدا) محله في تلك الأيام، وهي بنفس براعته في الطيران، فتعلمت بسرعة البرق وبدقة. ومعرفتها بـ(نورتا)، كل جزء من نظام الصرف حتى طرق الإمدادات، مُدهشة. لا أستطيع البدء في فهم كيف يمكن لدماغها أن يحمِل هذا الكم، ولا يزال لدَيه مساحة لأكثر من ذلك بكثير. هي أعجوبة بالنسبة لي، تمامًا مثل كل دماء-جديدة نجِدها.

تقريبًا الجميع مُختلفون، بقدراتٍ غريبة تتجاوز ما يقدِر أن يفعله أيُّ فضيٍّ معروف، أو ما يمكن أن أتخيَّله حتى. يواصل (لوثر) محاولاته الحذرة للسيطرة على قُدرته، ويجعل كل شيءٍ، من الزهور إلى الشجيرات، يذبُل. يعتقد (كال) أنه يمكنه استخدام قوته لشفاء نفسه، لكننا لم نكتشف ذلك بعد.

دماء-جديدة أخرى، امرأة عجوز جعلت الجميع يناديها بـ(ناني)، قادرة على تغيير مظهرها الجسدي. أفزعتنا جميعًا عندما قررت التبختُر عبر المُخيم متنكرة كالملكة (إيلارا). على الرغم من عمرها، آمُل أن أستخدمها في التجنيد في وقتٍ قريب بما فيه الكفاية. تثبت نفسها بأفضل ما تستطيع في تدريبات (كال)، وتعلمت إطلاق النار من مُسدس واستخدام سكين مع البقية.

بالطبع، كل هذا يجعل المُخيم صاخبًا للغاية، وسيلفت الانتباه بالتأكيد، حتى في أعماق منطقة الغابات العُظمى. إن لم يكن لامرأةٍ تدعى (فاره)،

أول مُجندة بعد (آدا) و(نيكس)، والتي يمكنها التلاعب بالصوت نفسه. تمتصُ الانفجارات الصادرة من إطلاق النار، تخنق كل دفعة من الرصاص بحيث لا يتردَّد حتى صدًى في جميع أنحاء الوادي.

مع تنمية الدماء-الجديدة لقدراتهم، وتعلُّم السيطرة عليها كما فعلت، بدأت آمُل. يتفوق (كال) في التدريس، خاصة مع الأطفال. ليس لديهم نفس التحيّزات مثل المُجندين الأكبر سنًّا، ويعتادون تتبُّعه في جميع أنحاء المخيم حتى عندما تنتهي تدريباتهم. وهذا بدوره يُرضي الدماء-الجديدة الأكبر عمرًا بحضور الأمير المَنفي. من الصعب أن تكره (كال) عندما يكون لديه أطفال يتجولون حول كاحلَيه، ويتوسَّلون للحصول على درسٍ آخر. حتى (نيكس) توقف عن التحديق فيه باستياء، على الرغم من أنه لا يزال يرفض فعل أي شيءٍ أكثر من الزمجرة تجاه (كال).

أنا لست موهوبةً مثل الأمير المنفي، وصرتُ أتخوف من حصص الصباح وما بعد الظهر. أريد أن أعزو عدم ارتياحي على الإرهاق. أقضي نصف أيامي في التجنيد، والسفر إلى الاسم التالي في قائمتنا، ولكن ليس لهذا الأمر على الإطلاق. أنا ببساطة مُدرِّبة سيئة.

أعمل عن كثب مع امرأةٍ تدعى (كيثا)، قدراتُها جسدية أكثر ومتشابهة مع قدراتي. لا يمكنها توليد الكهرباء أو أي عنصر آخَر، لكنها تستطيع التدمير. مثل الفضيين (الأوبلفين)، يمكنها تفجير جسم ما، وتفتيتُه في سحابة اهتزازية من الدخان والنار. ولكن في حين أن (الأوبلفين) التقليدي تقتصر قُدرته على الأشياء التي يمكن أن يلمسها بالفعل، فإن (كيثا) ليس لدَيها مثل هذا القيد.

تنتظر في صبر، وتنظر إلى الصخرة في يدي. أبذل قصارى جهدي حتى لا أنكمش من نظرتها المتفجرة، مع العلم جيدًا ما يُمكن أن تفعله. في الأسبوع القصير منذ أن وجدناها، تخرجت من تدمير كتل الورق، وأوراق الشجر، وحتى الفروع، إلى الحَجر الصلب. كما هو الحال مع الدماء-الجديدة الآخرين، كل ما يَحتاجونه هو فرصة للكشف عن ذواتهم الحقيقية. تستجيب القدرات بالمثل، مثل الحيوانات التي تخرج أخيرًا من أقفاصها.

بينما يمنحها الآخرون مساحةً واسعة للتدريب، ويتركونا في النهاية البعيدة لـلـشق، لا يمكنني فعل شيء من هذا القبيل. «السيطرة.» أقول

وتومئ برأسها. أتمنَّى لو كان لدي المزيد لأقدمه لها، لكن توجيهاتي سيئة للغاية. أنا نفسي لديَّ شهر واحد فقط من التدريب على القدرات بجعبتي، والكثير منه من (جوليان)، الذي لم يكن حتى مُدربًا مناسبًا في البداية. علاوة على ذلك، هذا أمر شخصي للغاية بالنسبة لي، وأجد صعوبة في شرح ما أنوي فعله بالضبط لـ(كيثا).

«السيطرة.» تُكرر.

تُضيِّق عينيها، مما يجعل تركيزها أكثر عمقًا. من الغريب أن عينَيها البُنيتَين كلَون الوحل غير مُميزتَين على الرغم من القوة التي تمتلكانها. مثلي، تأتي (كيثا) من قرية نهرية، ويمكن أن تكون أختي الأكبر سنًّا أو عمتي. جلدها الأسمر وشعرها الرمادي الأطراف، يُذكرنا بقوةٍ بأصولنا المُتواضعة والظالمة. وفقًا لسجلاتها، كانت مُعلمة في مدرسة.

عندما أرفع الصخرة نحو السماء، وأرميها لأعلى قدْر استطاعتي، أتذكر المدرب (أرفين) والتدريبات. لقد جعلنا نضرب الأهداف بقدراتنا، لشحذ تركيزنا وقدرتنا على التصويب. وفي وعاء العظام، أصبحت هدفه. كاد أن يقتلني، ومع ذلك ها أنا ذا، أنسخ أساليبه. يبدو الأمر خاطئًا، ولكنه فعَّال

تنسحِق الصخرة إلى غبار، كما لو أن قنبلة صغيرة انفجرت داخلها. تصفق (كيثا) لنفسها، وأجبر نفسي على فِعل الشيء نفسه. أتساءل عما إذا كانت ستشعر بشكلٍ مختلف عندما يتم اختبار قدراتها ضد اللَّحم بدلًا من الحَجر. أعتقد أنه يُمكنني جعل (كيلورن) يصطاد لنا أرنبًا حتى نتمكن من معرفة ذلك. لكنه يصير أكثر بعدًا مع كل يومٍ يمر. لقد أخذ على عاتقه إطعام المخيم، ويقضي معظم وقته في صيد الحيوانات أو الأسماك. إذا لم أكن منشغلةً جدًّا بواجباتي الخاصة؛ التجنيد والتدريب، كنتُ سأحاول إخراجه من ذلك. لكن بالكاد لديَّ وقت للنوم، ناهيك عن إقناع (كيلورن) بالعودة إلى المجموعة.

بحلول أول تساقُط للثلوج، صار هناك عشرون من الدماء-الجديدة يعيشون في المخيم، من الخادمات المُسنات إلى الأولاد الصغار المرتعشين. لحسن الحظ، المنزل الآمن أكبر مما كنت أعتقد في البداية، ويمتد إلى التل للخلف في متاهةٍ من الغرف والأنفاق. بعضها يحتوي على نوافذ ذات أعمدة، لكن معظمها مُظلم، وينتهي بنا الأمر إلى سرِقة المصابيح بجانب

الدماء-الجديدة من كل مكانٍ نزوره. بحلول الوقت سقوط الثلج الأول، ينام في الشقِّ كلُّ ستةٍ وعشرين منَّا بشكل مريح، ومع وجود مساحةٍ للمزيد. الطعام وفير، وذلك بفضل (كيلورن) و(فاره)، ويتحول إلى صياد صامت ومُميت. تأتي الإمدادات مع كل موجة من المُجندين، بدءًا من الملابس الشتوية إلى أعواد الثقاب وحتى القليل من الملح. تستخدِم (فارلي) و(كرانس) علاقاتهما الإجرامية للحصول على ما نحتاجه، لكن في بعض الأحيان نلجأ إلى طريق السرقة القديم الجيد. في غضون شهر، نصير آلةً جيدةَ التزييت وجيدةَ الاختباء.

لم يَجدنا (مافين)، ونُراقبه قدر استطاعتنا. تجعل اللافتات والصحف الأمر سهلًا. يزور الملك (ديلفي)، الملك (مافين) والسيدة النبيلة (إيفانجلين) يستعرضان الجنود في قاعدة (لينكاسر)، جولة التتويج تستمر خلال ولاية الملك. تحدد العناوين الرئيسية موقعه، ونعرف ما يعنيه كل منها. دماء-جديدة ميتة في (ديلفي)، في (لينكاسر)، في كل مكان يزوره. ما يُسمَّى بجولة التتويج هي مجرد غطاء آخَر من السرِّية، يُخفي موكبًا من عمليات الإعدام.

على الرغم من كل قدراتنا وحيلنا، إلا أننا لسنا سريعين بما يكفي لإنقاذ الجميع. مقابل كل دماء-جديدة نكتشفه ونُعيده إلى معسكرنا، هناك اثنان آخران مُعلقان من المشنقة، «مفقودان» أو ينزفان في مجارير الصرف. تظهر على بعض الجثث علامات الوفاة الواضحة بواسطة (الماجنيترون)، تم طعنها أو خنقها بقضبانٍ حديدية. لا شك في أنه (بتوليموس)، على الرغم من أن (إيفانجلين) قد تكون هناك أيضًا، تنعم بتوهُّج الملك. ستكون ملكةً قريبًا بما فيه الكفاية، وستبذل قصارى جهدها بالتأكيد لإبقاء (مافين) قريبًا. ذات مرة، كان سيُغضبني هذا، لكن الآن لا أشعر بشيء سوى الشفقة على الفتاة (الماجنيترونية). (مافين) ليس (كال)، وسوف يقتلها إذا كان ذلك يُناسِبه. تمامًا مثل الدماء-الجديدة، موتى للحفاظ على أكاذيبه على قيد الحياة، لإبقائنا هاربين. موتى، لأن (مافين) أخطأ في حساباته. يعتقد أن عددًا كافيًا من الجثث سيجعلني أعود.

لكنني لن أفعل.

الفصل التاسع عشر

بعد مرور ثلاثة أيام مع عدم إيجاد شيءٍ عدا دماء-جديدة موتى، ثلاثة أيام من الفشل، نسافر إلى (تيمبلن). قرية هادئة في الطريق إلى (ديلفي)، مُعظمها سكنية، تتكوَّن من عِزَب فضية ومنازل حمراء متزاحمة مُصطفَّة بطول النهر. سادة وخدم. (تيمبلن) خادعة، ليس بها غابات واسعة أو أنفاق أو شوارع مزدحمة للاختباء. عادة نستخدِم (شايد) للتسلل خلال الجدران، لكنه ليس معنا اليوم. الْتَوَتْ ساقُه بالأمس، مما زاد من حدَّة إصابة العضلات التي ما زالت تُشفى، وجعلته يبقى.

(كال) ليس هنا أيضًا، بعد أن اختار التدريس، تاركًا لـ(آدا) مهمة قيادة (البلاك رن). لا تزال على متنِها، مرتاحة في مقعد الطيار، تقرأ كما تفعل دائمًا. أُحاول ألا أكون متوترة، وأن أقود كما كان يفعل (كال)، لكنني أشعُر بأنني عارية بشكلٍ غريب بدونه وبدون أخي. لم أكن أبدًا بدونهما في مهمةِ تجنيد، وهذا اختبار لي. لأُظهر للآخرين أنني لستُ فقط سلاحًا يجب إطلاقه، ولكن شخص على استعداد للقتال معهم.

لحُسن الحظ، لدينا ميزة جديدة مذهلة. دماء-جديدة يُدعى (هاريك)، أنقذناه من حَفر المحاجر في (أورينبراتس) منذ أسبوعَين. سيكون هذا أول تجنيدٍ له، ونأمُل أن يكون هادئًا. الرجل جبان ويرتعش، مع عضلاتٍ رفيعة وقويةٍ كعامل الحجَّارة. نتأكَّد أنا و(فارلي) من محاصرته في العربة، نُراقبه بهدوءٍ في حال قرَّر الهروب. الآخرون معنا، (نيكس) على الجانب الآخر منِّي و(كرانس) يقود العربة، هما أكثر انشغالًا بالطريق أمامنا.

تتحرك عربتنا مع العديد من العربات الأخرى، تجَّار أو عمال مُتجهين إلى وسط المدينة للعمل. تشدّ يد (كرانس) على لجام حصان العربة المسروقة، كهل، مُنقط ومُحبب بعينٍ عمياء وحافر سيئ. لكنه يحثُّه على المضي قدمًا، ومواكبة الباقين، يُحاول الاندماج. تظهر حدود المدينة أمامنا، يُميزها بوابة مفتوحة تُحيط بجوانبها أعمدة حجرية مزخرفة. تم تعليق علَم بينها،

لافتة مألوفة لمنزل مألوف. خطوط حمراء وبرتقالية، تكاد تمتزج معًا في ضوء الصباح الباكر. منزل (ليرولان)، (أوبلفين)، حكّام منطقة (ديلفي).

أرمش في اتجاهه، وأتذكر ثلاثة أجساد لفضّيين (أوبلفين)، قُتلوا من منزل (ليرولان) في حادثة إطلاق نيران قاعة الشمس. الأب (بيلكيوس) قتلَته (فارلي) والحرس القرمزي. وولداه التوءم، بالكاد أكبر من رُضّع، تحوّلا لأشلاء من الانفجار التابع. لُصِقت وجوههم الميتة في جميع أنحاء المملكة، وفي كل بث، علَم آخر من الدعاية الفضية، يحتشدون من أجلِه. يقتل الحرس القرمزي الأطفال. يجِب تدمير الحرس القرمزي.

أنظر لـ(فارلي)، أتساءل إذا كانت تعلم معنى العلم، لكنها تُركز على الضباط أمامنا. كما يفعل (هاريك). يُضيق عينَيه في تركيز، ويغلق يدَيه المرتعشتَين. في هدوء، ألمس ذراعه، أشجعه. «يمكنك فعل هذا.» أتمتم.

يُظهر ابتسامةً صغيرة، وأعتدل في تأكيد. أومن بقُدرته، كان يتمرّن وقتما استطاع، لكن يجب أن يؤمن بنفسه. يتوتر (نيكس)، وتبرُز عضلاته أسفل قميصه. (فارلي) أقل وضوحًا، لكن أعلم أنها تتوق للسكّين في حذائها. لن أُظهر نفس الخوف، من أجل (هاريك).

يحرس ضباط الأمن البوابة، ويُراقبون كل شخصٍ يمر من خلالها. يفتشون وجوههم وبضائعهم ولا يبالون بالتحقُّق من هوياتهم. هؤلاء الفضيون لا يهتمون بما هو مكتوب على قطعة من الورق. أوامرهم هي أن يجدوني أنا وجماعتي، وليس مزارعًا ابتعد كثيرًا عن قريته. قريبًا، ستكون عربتنا التالية، لا شيء، سوى العرَق على شفةِ (هاريك) العُليا، يُشير إلى أنه يفعل أي شيءٍ على الإطلاق. يوقف (كرانس) الحصان والعربة، ويتوقّف بأمر ضابط أمن. يُبقي عينَيه لأسفل، في احترام، في كَسْرة، بينما يُحدق الضابط فيه. كما هو متوقع، لا شيء يزعجه. (كرانس) ليس دماء-جديدة، ولا شريكًا معروفًا لنا. (مافين) لن يُطارده. يستدير الضابط ليدور حول العربة، وينظر بالداخل. لا أحدَ منّا يجرؤ على التحرك، أو حتى التنفُّس. (هاريك) ليس ماهرًا لدرجة أنه يُمكنه إخفاء الصوت، مثلما أخفى الرؤية.

مرة واحدة، قابلَتْ عينا الضابط عينيّ، وأتساءل عما إذا كان (هاريك)

قد فشل. ولكن بعد لحظة توقّف فيها القلب، يمضي قدمًا راضيًا. لا يُمكنه رؤيتنا. (هاريك) نوع استثنائي من الدماء-الجديدة. يُمكنه خلق الأوهام، والسراب، وجعل الناس يرَون ما هو غير موجود. وقد خبَّأنا جميعًا على مرأًى من الجميع، مما جعلنا غير مَرئيين في عربتنا الفارغة.

«هل تنقل الهواء أيها الأحمر؟» يقول الضابط بابتسامة بغيضة.

«أجمع شحناتٍ أُدخِلُها من أجل (ديلفي).» يجيب (كرانس) ويقول بالضبط ما أخبرَتْه (آدا) أن يقول. أمضت البارحة في دراسة طرق التجارة. ساعة من القراءة وصارت خبيرةً بصادرات وواردات (نورتا).

«صوف مَنسوج يا سيدي.»

لكن الضابط بالفعل بدأ بالابتعاد، غير مُهتم. «تقدَّم.» يقول، ويلوِّح بيدٍ في قفاز.

تتحرك العربة إلى الأمام وتقبض يد (هاريك) على يدي، وتضغط بإحكام. أضغط عليها في المقابل، طالبة منه التمسُّك، ومواصلة القتال، والحفاظ على وهمِه حتى ندخل (تيمبلن) ونخرج من البوابة.

«دقيقة واحدة أخرى.» أهمس. «نكاد نصل.»

نحيد عن الطريق الرئيسي قبل دخول السوق، ونتحرك خلال الشوارع الجانبية نصف الفارغة المزدحمة بالمتاجر والبيوت الحمراء المُتواضعة. يبحث الآخرون، يعرفون ما نبحث عنه، بينما أُبقي انتباهي على (هاريك).

«نكاد نصل.» أقول ثانية، وأتمنَّى أن أكون مُحقة. خلال دقيقة أو اثنتَين، ستخور قواه، وسيتلاشى وهمنا، ويكشفنا جميعًا للشارع. الناس هنا حُمر، لكن بالتأكيد سيُبلغون عن عربة مُمتلئة بالهاربين الأكثر طلبًا في البلد.

«اليسار.» يقول (نيكس) بصوتٍ خشِن، ويلتزم (كرانس). يُقلل سرعة العربة نحو منزلٍ ذي ألواح وستائر قرمزية. على الرغم من سطوع الشمس، تحترق شمعة أمام النافذة. أحمر مثل الفجر.

هناك زقاق بجوار المنزل، يحدُّه منزل الحرس القرمزي ومنزلان فارغان ومهجوران. أين هم شاغلوهم؟ لا أعرف، ربما فرُّوا من التدابير أو أُعدموا للمحاولة. هذا غطاء كافٍ بالنسبة لي. «الآن يا (هاريك).» أقول له.

يستجيب بتنهيدةٍ هائلة. تلاشت حماية وهمه. «أحسنت.»

لا نُضيّع أي وقتٍ في الهبوط من العربة والتسلل إلى منزل الحرس، باستخدام الجزء البارز من السقف للاختباء قدْر الإمكان. تتقدَّمنا (فارلي)، وتطرق الباب الجانبي ثلاث مرات. ينفتح بسرعة، ولا يظهر سوى الظلام. تدخل (فارلي) دون تردُّد، ونتبعها.

تتكيّف عيناي بسرعة مع المنزل المظلم، ويذهلني التشابُه مع منزلي في (الستيلتز). بسيط، مزدحم، غرفتان فقط، الأرض من الألواح المُتشابكة والنوافذ مُتسخة. المصابيح العلوية مظلمة، إما مكسورة أو مفقودة، تُباع للحصول على الطعام.

«كابتن.» يقول صوت. تظهر امرأة كبيرة، شعرُها رمادي معدني، بجانب النافذة وتطفئ الشمعة. وجهُها مجعَّد من تقدُّم العمر، ويداها بها ندبات. وحول مِعصمها، وشْم مألوف. وربطة حمراء وحيدة، مثل التي حملَها (ويل ويستل).

مثلما في خليج (هاربور) تُكشر (فارلي) وتصافح يد المرأة. «لست ...»

لكن المرأة تصرِفُها. «طبقًا للكولونيل، لكن ليس طبقًا للقيادة. لدَيهم أفكار أخرى فيما يتعلق بكِ.» القيادة. تلاحظ اهتمامي وتُحني رأسها في تحية. «سيدة (بارو). أنا (إيلي ويستل).»

أرفع حاجبي. «(ويستِل)؟» أقول. «هل أنتِ من عائلة ...» تُقاطعني (إيلي) قبل أن أكمل. «على الأرجح لا. (ويستل) لقب في أغلب الأوقات. معناه أنني مُهرِّبة. صافرات في الرياح، جميعنا.»

بالتأكيد، كانت عربة (ويل ويستل) القديمة دومًا مُمتلئة بالبضائع المُهربة والمسروقة، العديد منها أشياء أحضرتُها بنفسي. «أنا من الحرس القرمزي أيضًا.» تضيف.

أعلم ذلك، على الأقل. كانت (فارلي) على اتصالٍ مع جماعتها على مدار الأسابيع القليلة الماضية، هؤلاء الذين ليسوا تحت أوامر القيادة أو الكولونيل، هم من يساعدوننا ويبقون تحركاتنا سرية.

«جيد جدًّا.» أقول لها. «نحن هنا من أجل عائلة (مارشر).» اثنان

منهم، على وجه الدقة. (تانسي) و(ماترك مارشر)، توءم بالحكم على يوم ميلادهما. «يجب أن نُخرجهما من القرية، في خلال ساعة إذا أمكن.»

تستمع (إيلي) بتمعّن، بكل جدِّية. تتحرك وألمح المُسدس المُعلق بخصرها. تنظر تجاه (فارلي)، وعندما تُومئ برأسها، تفعل (إيلي) نفس الشيء. «هذا يُمكنني فعله.»

«إمدادات أيضًا.» تُضيف (فارلي). «سنأخذ طعامًا إذا كان لديكِ، لكن ملابس للشتاء ستكون أفضل.»

تومئ ثانيةً. «سنحاول بالتأكيد.» تقول (إيلي). «سأُجهز كل ما نستطيع إعطاءه لكِ في أسرع وقتٍ ممكن. يُمكن أن نحتاج لأيدٍ مُساعِدة، مع ذلك.»

«سأُساعد.» يعرض (كرانس). سيُساعد جسده بالتأكيد في إسراع العملية.

لا أستطيع أن أُصدق استعداد (إيلي) ولا تُصدقه (فارلي). نتبادل نظرات ذات مغزًى عندما تبدأ (إيلي) في العمل، وتفتح الخزائن وألواح الأرضية على التوالي، وتكشف عن مقصورات مَخفيَّة في جميع أنحاء المنزل.

«شكرًا لتعاونك.» تقول (فارلي) من خلف كتفِها، في ارتيابٍ هادئ. مثلي، أشاهد كل حركةٍ تقوم بها (إيلي). هي عجوز، لكنها رشيقة، وأتساءل عمّا إذا كنا بمُفردنا حقًّا في هذا المنزل.

«كما قلت، أتلقى أوامري من القيادة. وأرسلوا الأمر لأُساعد الكابتن (فارلي) وفتاة البرق، بغض النظر عن التكلفة.» تقول، دون أن تُكلف نفسها عناء النظر إلينا.

يرتفع حاجِبي، مصدومة ومندهشة في سرور. «سيتوجَّب عليكِ أن تُخبريني بهذا الشأن.» أهمس لـ(فارلي). مُجددًا، أنا مذهولة؛ كم يبدو الحرس القرمزي مُنظَّمِين وذوي أساسٍ عميق.

«لاحقًا.» تُجيبني. «عائلة (مارشر)؟»

بينما تُعطي (إيلي) توجيهاتها، أنتقل للوقوف مع (هاريك) و(نيكس). على الرغم من أن هذه أول مهمة تجنيد لـ(هاريك)، إلا أن (نيكس) يعتقد أن هذا وضع مألوف، وهو مُحِق في ذلك. لا أقدر على معرفة عدد المرات

التي رافقني فيها إلى أرضٍ مُعادية، ولهذا أنا مُمتنة للغاية.

«مستعدُّون يا فتيان؟» أسأل وأنا أثني أصابعي.

يبذل (نيكس) قصارى جهده ليبدو قاسيًا وغير مُبالٍ، ومن قُدامى المحاربين في مهماتنا، لكنني لا يفوتني وَمِيض الخوف في عيون (هاريك).

«لن يكون هذا صعبًا مثل الدخول. عدد أقل من الناس للإخفاء، والضباط لا يُكلفون أنفسهم عناء البحث هذه المرة. تقدِر على هذا.»

«شكرًا، يا (ماير).» يستقيم، وينفخ صدره، مبتسمًا من أجلي.

أبتسم ردًّا عليه، على الرغم من أن صوته يرتجِف عندما يقول اسمي. مُعظمهم لا يعرفون ماذا يُنادونني. (ماير)، سيدة (بارو)، فتاة البرق، حتى إن البعض يقول سيدتي النبيلة. اللقب يؤلِمني، ولكن ليس بقدْر الأخير. بغضِّ النظر عما أفعله، وبغضِّ النظر عن مدى محاولتي أن أكون واحدة منهم، فهم يرَونني كشيءٍ مُنفصل. إما قائدًا أو مصابةً بالجُذام، ولكن دائمًا غريبة. دائمًا معزولة.

في الزقاق، يبدأ (كرانس) في تحميل العربة، ولا يكلف نفسه عناء مشاهدتنا نختفي من الوجود برشاقة ظِلِّ (شادو) فضي. ولكن على عكسهم، لا يستطيع (هاريك) ثَنْيَ الضوء فقط، مما يخلق سطوعًا وظلامًا، بل يُمكنه استحضار أي شيء يرغب فيه. شجرة، حصان، شخص آخر تمامًا. الآن بعد أن أصبحنا في الشارع، يُخفينا كحُمرٍ غامِضين بوجوهٍ قذرة وأغطية رأس. نحن غير مُميزين، حتى بالنسبة لبعضنا البعض. أخبرَني أن هذا أسهل من جعلِنا نختفي، وبديل أفضل في الحشد. فيتساءل الناس لِمَ يصطدمون بالهواء الطلق.

تقود (فارلي)، مُتبعة توجيهات (إيلي). علينا أن نعبر ميدان السوق، متجاوزين أعين العديد من ضباط الأمن، لكن لا أحد يُوقفنا. يتطاير شَعري مع الريح الطفيفة، ويكوّن ستارة من اللون الأبيض والأشقر فوق عينيّ. كدتُ أضحك. شعر أشقر ... عليّ. منزل عائلة (مارشر) صغير، الطابق الثاني مبني على عجلٍ ويبدو عرضةً للانهيار فوقنا. لكنه يحتوي على حديقة خلفية جميلة، مليئة بتشابُكٍ من الأعشاب الشيطانية والأشجار

العارية. في الصيف، يجب أن تبدو رائعة. نمر خلال كل ذلك، نبذل قصارى جهدنا للحفاظ على الأوراق الميتة من التدمير.

«نحن غير مرئيين الآن.» يتمتم (هاريك). وعندما أنظر في اتجاهه، أُدرك أنه اختفى. أبتسم، على الرغم من أنه لا يمكن لأحدٍ رؤيتي.

شخص ما يصل إلى الباب الخلفي قبلي ويطرُق الباب. لا إجابة، ولا حتى حفيف في الداخل. يمكن أن يكونوا في الخارج هذا اليوم، يعملون.

بجواري، تلعن (فارلي) تحت أنفاسها. «هل ننتظر؟» تتنهّد. لا أستطيع أن أراها، لكنني أرى الأنفاس تُكوّنُ ضبابًا على المكان الذي يجب أن يكون فيه وجهها.

«(هاريك) ليس آلة.» أقول نيابةً عنه. «ننتظر في الداخل.»

أتوجّه إلى الباب، وأصدم كتِفها، وأجلس على ركبتي أمام القفل. قفل بسيط، يمكنني فتحه أثناء نومي، ولا يستغرق الأمر وقتًا. في غضون ثوانٍ، ترحب بي نقرة مألوفة ومرضية.

يتأرجح الباب للخلف على مفصلات صارخة وأتجمد، في انتظار ما قد يكون في الداخل. مثل منزل (إيلي)، المكان مُظلم، وعلى ما يبدو مهجور. ومع ذلك، أنتظر لحظة أخرى، وأستمع بقوة. لا شيء يتحرك في الداخل، ولا أشعر بأي هزاتٍ كهربائية. إما أن تكون عائلة (مارشر) قد نفدت حصصهم، أو أنهم لا يحصلون على الكهرباء على الإطلاق. راضية، أنظر من فوق كتفي، لكن لا شيء يحدُث. لا يُمكنهم رؤيتك أيتها الحمقاء.

«ادخلوا.» أهمس، وأشعر بـ(فارلي) في ظهري.

بمجرد إغلاق الباب بأمانٍ مرة أخرى، نعود إلى مجال الرؤية. أبتسم لـ(هاريك)، مُمتنةً مرة أخرى لقدرته وقوته، لكن الرائحة توقفني متجمّدة. الهواء عفِن هنا، بلا إزعاج، وحامضي قليلًا. بحركة سريعة من يدي، أمسح نِصف بوصة من الغبار من على طاولة المطبخ.

«ربما هربوا. الكثير من الناس هربوا.» يقول (نيكس) بسرعة.

شيء ما يجذب انتباهي، همسة صغيرة. ليس صوتًا، بل شرارة. بالكاد موجودة، ناعمة جدًا لدرجة أنني كدت أُفوِّتها. قادمة من سلةٍ بجانب

المدفأة، مُغطاة بقطعة قماش حمراء قذرة. أتحرك نحوها، تجذبني الإشارة الصغيرة.

«لا أُحب هذا. نحن بحاجة إلى إعادة تنظيم صفوفنا عند (إيلي). (هاريك)، استجمِع قواك واستعد لوهم آخر.» تأمرنا (فارلي) بهدوءٍ قدْر الإمكان.

تخدش ركبتي أحجار المدفأة وأنا أركع فوق السلة. الرائحة أقوى هنا. وكذلك الشرارة. لا ينبغي أن أفعل هذا. أعلم أنني لن أُحب ما أجده. أعرف ذلك، لكنني لا أستطيع منع نفسي من سحب القماشة. النسيج لزج بينما أجذبه، كاشفًا عما يكمُن تحته. بعد ثانية ساكنة، أدرك ما هو الذي أنظر إليه.

أسقط إلى الوراء، أتدافع، ألهث، أكاد أصرخ. تسقط الدموع أسرع مما كنتُ أعتقد. (فارلي) هي أول من يقف بجانبي، ذراعاها تُحيط بي، تمسك بي بثبات. «ما الأمر؟ (ماير)، ماذا ...»

توقفت لفترة قصيرة، مُختنقة بالكلمات. ترى ما أراه. وكذلك الآخرون. يكاد (نيكس) يتقيأ وأنا مُندهشة من أن (هاريك) لا يفقد الوعي. في السلة رضيع، لا يزيد عمره عن بضعة أيام. ميت، وليس من هجرٍ أو إهمال. الخرقة مصبوغة بالدماء. رسالة واضحة بشكلٍ مُثير للاشمئزاز. ماتت عائلة (مارشر) أيضًا.

قبضة صغيرة، كالمخلب من تصلُّب الموت، تحمل جهازًا صغيرًا.

إنذار.

«(هاريك).» أقول بصوتٍ كالهسيس. «قم بإخفائنا.» يسقط فمُه مفتوحًا، في حيرة، وأُمسك بساقه في يأس. «قم بإخفائنا.»

يختفي أمام عينيَّ، وفي الوقت المناسب. يظهر ضباط الأمن خلف النوافذ، ويندفعون عبر الأبواب، رافِعين أسلحتهم، ويصرخون. «أنتِ مُحاصرة يا فتاة البرق! استسلمي للاعتقال!»

يصيحون واحدًا تلوَ الآخر، كما لو أن تكرار أنفسهم يُحدِث أي فرق. بهدوء، أُدخل نفسي تحت طاولة المطبخ. آمِلَة فقط أن يكون لدى الآخرين

الحسُّ لفعل الشيء نفسه. يتجمَّع ما لا يقل عن اثني عشر ضابطًا في الداخل، يتحركون ذهابًا وإيابًا. ينفصل أربعة منهم، مُتجهين إلى الطابق العلوي، ويتوقف زوج من الأحذية عند الرضيع. ترتعش يد الضابط وأعلَم أنه لا بد أنه يُحدق في الجثة الصغيرة. بعد لحظةٍ طويلة، يتقيَأ في المدفأة.

«اهدأ يا (مايروس).» يقول أحدهم، ويسحَبُه بعيدًا. «الشيء المسكين.» يُضيف ويتحرك مارًّا بالرضيع. «هل هناك شيء بالأعلى؟»

«لا شيء!» يُجيب آخر، وهو عائد لأسفل. «يبدو أن الإنذار معطوب.»

«أنت متأكد؟» سيسلَخُنا الحاكم أحياء إذا كنَّا مُخطئين.»

«هل ترى أي أحدٍ هنا، يا سيدي؟»

أكاد أشهق عندما يهبط الضابط على ركبتَيه أمامي مباشرة. تمسح عيناه أسفل الطاولة ذهابًا وإيابًا، يبحث. أشعر بضغطٍ طفيف على ساقي، أحد الآخرين. لا أجرؤ على الردِّ بضغطةٍ أخرى، وأحبس أنفاسي.

«لا، لا أفعل.» يقول الضابط أخيرًا، ويقف مُجددًا. «إنذار خاطئ. عودوا لمراكزكم.»

يُغادرون بالسرعة التي دخلوا بها، لكنني لا أجرؤ على التنفُّس حتى تختفي خطواتهم. ثم أشهق وأرتجف، بينما يُسقط (هاريك) الوهم، ونعود جميعًا لمجال الرؤية.

«عمل جيد.» تزفر (فارلي)، وتربِّت على كتِف (هاريك). مثلي، بالكاد يُمكنه التحدث، ويحتاج للمساعدة في النهوض على قدمَيه.

«كان بإمكاني القضاء عليهم.» يزمجر (نيكس)، ويتدحرج من أسفل الدرج. يعبر إلى الباب بخطوات قصيرة، ويضع يدَه بالفعل على المقبض. «مع ذلك، لا أُفضل أن أكون هنا إذا عادوا.»

«(ماير)؟» لمسة (فارلي) على ذراعي لطيفة، خاصة بالنسبة لها.

أدرك أنني أقف فوق الطفل، أُحدق. لم يكن هناك أطفال في قائمة (جوليان)، لا يوجد أطفال دون سن الثالثة. لم يكن من الدماء-الجديدة، على الأقل وفقًا لسجلاتنا أو أي سجلاتٍ قد يَمتلكها (مافين). قُتلت الطفلة ببساطة لأنها كانت هنا. من أجل لا شيء.

في إصرار، أخلع سُترتي. لن أترُكها هكذا، مع دمِها، فقط ما يُغطيها.
«(ماير)، لا تفعلي هذا. سيعلمون أننا كنَّا هنا ...»
«دعِيهم يعلمون.»
أسحبه فوقها، وأقاوم، بكل ما لديَّ الرغبة في الاستلقاء بجانبها وعدم النهوض مرةً أخرى. تلمس أصابعي قبضتها الصغيرة الباردة. هناك شيء تحتَها. ملاحظة. بهدوء وبسرعة، أضعها في جيبي قبل أن يتمكن أي شخصٍ آخر من رؤيتها. عندما نعود أخيرًا إلى (آدا) والطائرة، أجرؤ على قراءتها. بتاريخ الأمس. الأمس، كنا قريبين جدًّا.
٢٢ أكتوبر
ظرف قاس، أعلم. لكن ضروري، يجب أن تعرفي ما تفعلينه، ما الذي تُجبرينني على فعله لهؤلاء الناس. كل جسدٍ هو رسالة لكِ ولأخي. استسلِما لي، وسيتوقف كل هذا. استسلِما، وسيعيشون. أنا رجل يلتزم بكلمته.
حتى نلتقي مرةً أخرى.
(مافين).
نعود إلى الشق عند حلول الظلام. لا أستطيع أن آكل، لا أستطيع الكلام، لا أستطيع النوم. يناقش الآخرون ما حدث في (تيمبلين)، لكن لا أحد يجرؤ على سؤالي. يُحاول أخي لكنني أمشي مبتعدةً في أعماق جحور مَخبأنا. أنكمش في غرفة نومي التي كالفجوة الضيقة، وأقنع نفسي أنني بحاجة إلى أن أكون وحدي في الوقت الحالي. في الليالي الأخرى، أكره هذه الغرفة الانفرادية، وأن أكون مُنفصلة عن الآخرين. الآن أكرهها أكثر، لكنني لا أستطيع أن أُجبر نفسي على الانضمام إليهم. بدلًا من ذلك، أنتظر حتى ينام الجميع قبل أن أسمح لنفسي بالتجول. آخُذ غطاءً، لكنه لا يفعل شيئًا للبرد، داخليًّا وخارجيًّا.
أقول لنفسي إنَّ برد الخريف هو الذي يُرسلني إلى غرفته، وليس الشعور الفارغ في معدتي. ليست الهاوية المتجمِّدة التي تنمو مع كل فشل. ليست الملاحظة في جيبي التي تحرقني تاركةً حفرة خلالي.
ترقص النار على الأرض، محصورة في فجوةٍ دقيقة محاطة بالحجارة.

حتى في الظلال الغريبة، أستطيع أن أقول إنه مستيقظ. تبدو عيناه حية باللهب، لكن ليس في غضب. لم يكن حائرًا حتى. بيدٍ واحدة، يسحب أغطية حقيبة فراشه، ويفسح لي مكانًا.

«الجو بارد هنا.» أقول.

أظنُّه يعلم ما أقصده حقًّا.

«أخبرتني (فارلي).» يتمتم عندما أستقر في مكاني.

يضع ذراعًا على خصري، لطيفة ودافئة، لا يقصد شيئًا سوى الراحة. ويضغط الأخرى على ظهري، وكفُّه مفرودة على ندباتي. يقول أنا هنا.

أريد أن أُخبره عن عرض (مافين). ولكن ما الفائدة من ذلك؟ كان سيرفض مِثلي، وعليه أن يعاني من عار هذا الرفض معي. سيُسبب له الألم فقط، هذا هدف (مافين) الحقيقي. وفي هذا، لن أسمح لـ(مافين) بالفوز. لقد هزَمَني بالفعل. لن ينتصِر على (كال).

بطريقةٍ ما، أنام. ولا أحلم.

الفصل العشرون

منذ هذا اليوم فصاعدًا، تصير غرفة نومِه غرفة نومِنا. اتِّفاق غير شفهي، يمنح كلَينا شيئًا لنتمسك به. نحن مرهقان فلا نقدر على شيءٍ سوى النوم، رغم أنني أظنُّ أن (كيلورن) يشك في غير ذلك. يتوقف عن الكلام معي، ويتجاهل (كال) كليًّا. يتمنّى جزء مني أن أنضمَّ للآخرين في غُرَف النوم الأكبر، حيث يهمس الأطفال في الليل وتقول لهم (ناني) أن يصمتوا جميعًا. يساعدهم هذا في الارتباط. لكني كنتُ سأخيفهم فقط، لذا أبقى مع (كال)، الشخص الوحيد الذي لا يخافني حقًّا.

هو لا يُبقيني مُستيقظة عن قصد، لكنني أشعر به يتحرك كل ليلة. كوابيسه أسوأ من كوابيسي، وأعرف بالضبط ما يحلُم به. باللحظة التي فصل فيها رأس والده عن كتفَيه. أتظاهر بالنوم مع ذلك، أعلم أنه لا يريد أن أراه في مثل هذه الحالة. لكنّني أشعر بدموعه على خدي. في بعض الأحيان أعتقد أنهم يَحرقونني، لكنني لا أستيقظ بأي ندوبٍ جديدة. على الأقل ليس من النوع الذي يمكن رؤيته.

على الرغم من أننا نقضي كلَّ ليلة معًا، إلا أنني و(كال) لا نتحدَّث كثيرًا. ليس هناك الكثير مما يمكن قوله خارج نطاق واجباتنا. لا أُخبره عن الملاحظة الأولى، أو الملاحظات التالية. على الرغم من أن (مافين) بعيد جدًّا، إلا أنه لا يزال يتمكن من الجلوس بيننا. أستطيع أن أراه في عيني (كال)، ضفدع يجلس القرفصاء داخل رأس أخيه، يُحاول تسميمه من الداخل إلى الخارج. يفعل الشيء نفسه معي، في الملاحظات وفي ذكرياتي. لا أعرف لماذا، لكنني لا أستطيع تدمير أيٍّ منهم، ولا أُخبر أحدًا بوجودهم.

يجب أن أحرقهم، لكنّني لا أفعل ذلك.

أجد رسالةً أخرى في (كورفيوم)، أثناء تجنيد آخر. علِمنا أن (مافين) كان في طريقه إلى المنطقة، يزور آخر مدينة رئيسيةٍ قبل أراضي الرماد في منطقة الاختناق. اعتقَدْنا أننا يمكن أن نسبقه إلى هناك. بدلًا من ذلك،

وجدنا أن الملك قد رحل مُسبقًا.

٣١ أكتوبر

توقعتُ أن أراكِ في تتويجي. بدا الأمر وكأنه نوع من الأشياء التي يُحب الحرس القرمزي الخاص بكِ محاولة تدميرها، على الرغم من أنها كانت صغيرة جدًا. لا يزال من المُفترَض أن نكون في حداد أبي، وحفلة كبيرة ستكون شيئًا به عدم احترام. خاصة أن (كال) لا يزال حرًا، يركض معك ومع رعاعك. لا تزال قلّة ثمينة تدين بالولاء له، وفقًا لأمي، لكن لا تقلقي. يتمُّ التعامُل معهم. لن تأتي أزمة خِلافة فضيّة وتأخذ أخي من بين لجامك. إذا استطعتِ، تمنَّيْ له عيد ميلاد سعيدًا من أجلي. وأكِّدي له أنه سيكون الأخير.

لكن يوم ميلادك قادم، أليس كذلك؟ لا أشكُّ في أننا سنقضيه معًا.

حتى نلتقي مرة أخرى.

(مافين)

صوته ينطق بكلِّ كلمة، يستخدم الحبر كالسكاكين. للحظة، تضطرب مَعِدتي، وتُهدِّد بسكب عشائي على جميع أنحاء الأرض الترابية. يمرُّ الغثيان لفترةٍ كافية حتى أتمكن من الخروج من حقيبة النوم، ومن حضن (كال)، وإلى صندوق المؤن في الزاوية. كما هو الحال في المنزل، أُبقي متعلقاتي مَخفية، واثنتَين أُخرَيَين من ملاحظات (مافين) مُتجعِّدة في القاع. كل واحدة تحمل نفس النهاية. حتى نلتقي مرة أخرى.

أشعر بشيءٍ يُشبه الأيدي حول حلقي، يُهدد بالضغط لسلب الحياة منّي. كل كلمة تُشدد القبضة، كما لو أن الحبر وحدَه يمكن أن يخنقني. للحظة، أخشى أنني قد لا أتنفَّس مرة أخرى. ليس لأن (مافين) لا يزال يصرّ على تعذيبي. لا، السبب أسوأ بكثير. لأنني أفتقده. أفتقد الصبيَّ الذي اعتقدتُ أنه هو.

يحترق الوسْم الذي أعطاني إياه مع الذكرى. أتساءل عما إذا كان يُمكنه الشعور بذلك أيضًا.

يتحرك (كال) في حقيبة النوم خلفي، ليس بسبب كابوس، ولكن لأن

الوقت قد حان للاستيقاظ. بسرعة، أدفع بالملاحظات بعيدًا، وأغادر الغرفة قبل أن يتمكن من فتح عينَيه. لا أريد أن أرى شفقتَه، ليس بعد. سيكون هذا أكثر مما يمكن لتحمُّله.

«عيد ميلاد سعيد، يا (كال).» همستُ في ردهة النفق الفارغة.

***

لقد نسيتُ أن أجلب معطفًا، وبرد نوفمبر يَخِز جلدي وأنا أخرج من المنزل الآمن. المكان مُظلم قبل الفجر، بالكاد أستطيع رؤية أطراف الغابة. تجلس (آدا) أمام الفحم المُنخفض لنار مُخيم، تجلس على جذعٍ في كومة مُرتجفة من أغطية الصوف والأوشحة.

دومًا تأخذ نوبة المُراقبة الأخيرة، تُفضل الاستيقاظ في وقتٍ أبكر من بقيتنا. يسمح لها دماغها المتسارع بقراءة الكتب التي أحضرتُها لها ومُراقبة الغابة في نفس الوقت. في معظم أوقات الصباح، تكون قد اكتسبت مهارةً جديدة بحلول الوقت الذي نستيقظ فيه. في الأسبوع الماضي فقط، تعلمت لغة (تيراكس)، لغة أُمَّة غريبة في الجنوب الشرقي، بالإضافة إلى مهارات الجراحة الأساسية. لكنها اليوم لا تحمل أي كتابٍ مسروق، وليست وحدَها.

تقف (كيثا) أمام النار، وذراعاها مُتشابكان. تتحرك شفتاها بسرعة، لكنني لا أستطيع سماع ما تقوله. ويقف (كيلورن) بالقرب من (آدا)، وقدماه تقريبًا بالكامل في الفحم. بينما أقترب أكثر، أستطيع أن أرى حاجبه مرفوعًا في تركيزٍ شديد. وبعصًا في يده، يتتبع خطوطًا في التراب. حروف بدائية، مرسومة على عجل، تُشكِّل كلماتٍ بسيطة مثل قارب وسلاح وبيت. الكلمة الأخيرة أطول من البقية. (كيلورن). يكاد المشهد يجلب دموعًا جديدة إلى عيني. لكنها دموع سعيدة، شيءٌ غير مألوف بالنسبة لي. يبدو أن الثُّقب الفارغ بداخلي يتقلَّص، ولو قليلًا.

«صعبة، لكنك تفهم الأمر.» تقول (كيثا) وهي ترفع زاويةَ فمِها في نصف ابتسامة. مُعلِّمة حقًّا.

يُلاحظني (كيلورن) قبل أن أتمكَّن من الاقتراب أكثر، ويُحطم الغصن الذي يكتب به في صوتٍ مدوٍّ. بدون حتى إيماءة، ينهض من فوق الجذع

ويرفع عدة الصيد الخاصة به فوق كتفِه. تلمع سكينُه عند خصرِه، باردةً وحادةً مثل قِطَع الثلج التي تملأ الأشجار كالأنياب في الغابة.

«(كيلورن)؟» تسأل (كيثا)، ثم تسقط عيناها عليَّ، ويُجيب وجودي عن سؤالها. «أوه.»

«حان وقت الصيد على أي حال.» تُجيب (آدا)، وتمدُّ يدَها تجاه (كيلورن) بينما يختفي. على الرغم من اللّون الدافئ لبشرتها، تحوَّلت أطراف أصابعها للأزرق من البرودة. لكن يتفادى (كيلورن) يدَها وتمسِك فقط بالهواء البارد.

لا أفعل شيئًا لإيقافه. بالأحرى، أتراجَع على كعبيّ، لأعطيه المساحة التي يرغب فيها بيأس. يرفع غطاء رأس مِعطفه الجديد، ويُخفي وجهه بينما يمشي تجاه حدود الأشجار. جلدٌ بُنيٌّ جيدٌ وبطانة من الصوف، مِثالي لإبقائه دافئًا ومَخفيًا. سرقته منذ أسبوع في (هايفن). لم أعتقد أن (كيلورن) سيقبَل مثل هذه الهدية منّي، لكن حتى هو يعرف قيمة الدفء.

صحبتي خلال ظهر اليوم لا تُضايقه هو فقط. تنظر (كيثا) نحوي بطرف عينيها لفترة طويلة، وتحمرُّ خجلًا تقريبًا. «لقد طلب أن يتعلم.» تقول وتكاد تعتذِر. ثم تمرُّ أمامي، وتعود إلى الدفء والراحة النسبية للشق.

تراقِبها (آدا) وهي تذهب، وعيناها الذهبيتان مُشرقتان لكن حزينتان. تُربِّت على الجذع المجاور لها، وتشير لي بالجلوس. عندما أفعل ذلك، تقذف أحد أغطيتِها على ساقي وتلفُّها حولي. «ها أنتِ ذا يا سيدتي.» كانت خادمة في خليج (هاربور)، وعلى الرغم من حُريتها المُكتشفة حديثًا، فإن العادات القديمة لم تزُل بعد. لا تزال تُناديني «سيدتي» على الرغم من أنني طلبتُ منها التوقُّف عدة مرات. «أعتقد أنهما بحاجةٍ إلى نوعٍ من الإلهاء.»

«هذا إلهاء جيد. لم يصِل أيُّ معلم آخر لهذا الحد مع (كيلورن). سأحرص على شكرها لاحقًا.» إذا لم تهرب مُجددًا. «كلنا بحاجة لقليلٍ من الإلهاء يا (آدا).»

تتنهَّد في اتفاق. شفتاها ممتلئة وقاتمة، تتحوَّل إلى ابتسامةٍ مريرة وعليمة. لا تفوتني نظرة عينيها تجاه الشق، حيث ينام نصف قلبي. ثم إلى

الغابة، حيث يتجوَّل باقيه. «لدَيه (كرانس) معه، وستنضم (فاره) إليهما قريبًا. لا تُوجَد دِببة أيضًا.» تُضيف، وهي تُحدق تجاه الأفق المظلم. في النهار، إذا توقف الضباب، يُمكننا رؤية الجبال البعيدة. «لقد هدءوا لهذا الموسم بحلول هذا الوقت، للنوم خلال الشتاء.»

دببة. في موطننا في (الستيلتز) بالكاد هناك غزلان، ناهيك عن الوحوش الأسطورية من أقصى البلاد. كانت ساحات الخشب وفِرَق قطع الأشجار وحركة المرور النهرية كافية لطرد أي حيوانٍ أكبر من الراكون، لكن منطقة الغابات العُظمى تعجُّ بالحياة البرية. تسكن الأيائل ذات القرون الضخمة، والثعالب الفضولية، وفي بعض الأحيان عواء ذئب، التلال والوديان. لم أرَ بعدُ أحد الدببة المُتثاقلة، لكن رصد (كيلورن) والصيادون الآخرون واحدًا منذ أسابيع. فقط قدرات (فاره) الكاتمة وحس (كيلورن) الجيد للبقاء في اتجاه الرياح أبقاهم آمِنين من فكَّيه.

«متى تعلمت كل هذا عن الدببة؟» أسأل، ولو فقط لملء الهواء بالحديث الفارغ. تعرِف (آدا) ما أفعل بالضبط، لكنها تُسايرني على أي حال.

«الحاكم (رامبوز) يُحب الصيد.» تُجيب وتهزُّ كتفَيها. «لدَيه عزبة خارج المدينة، وملأها أبناؤه بوحوشٍ غريبة من أجلِه لقتلِها. دِببة، بالأخص. مخلوقات جميلة، ذات فراء أسود وعيون ثاقبة. كانوا مُسالمِين بالقدْر الكافي، إذا تركوهم لحالهم، أو حضر لاحتياجاتهم أحد مُراقبي الصيد. (روهر) الصغيرة، ابنه الحاكم، أرادت دبًّا صغيرًا خاصًّا بها، لكن قُتلت الدببة قبل أن يتمكنوا من التكاثر.»

أتذكر (روهر رامبوز). فضيَّة (سترونج أرم) بدت كفأرٍ لكنها حطمت حجرًا إلى فتاتٍ بيدَيها العاريتَين. تنافست في اختبارات المملكة منذ فترةٍ طويلة، عندما كنتُ مجرد خادمة مثل (آدا).

«لا أظنُّ أن ما فعله الحاكم يُمكن أن يطلَق عليه صيد.» تُكمل (آدا). يُسمم الحزن صوتَها. «وضعهم في حفرة، حيث يُمكنه مقاتلة الحيوانات وكسر أعناقهم. فعل أبناؤه نفس الشيء من أجل تدريباتهم.»

يبدو أن الذِّببة وحوش شرِسة مَهيبة لكن أسلوب (آدا) يوحي بالعكس. عيونها اللامعة يُمكنها أن تعني فقط أنها رأت الحفرة بنفسها، وتتذكَّر كل ثانيةٍ بها.

«هذا فظيع.»

«قتلتِ أحد أبنائه، أتعلَمِين ذلك. كان اسمه (رايكر). كان من الجلادين المُختارين لتنفيذ الإعدام.»

لم أرغب أبدًا في معرفة اسمِه. لم أسأل أبدًا عن الذين قتلتِهم في وعاء العظام، ولم يُخبرني أحد أبدًا. (رايكر رامبوز)، الذي صُعِق بالكهرباء على رمال الساحة، أنكمِش حتى صار لا أكثر من لحمٍ أسود.

«اعذُريني يا سيدتي. لم أقصد أن أُضايقك.»

عاد قناعها الهادئ، ومعه، الأخلاق المثالية لامرأةٍ نشأت كخادمة. مع قُدرتها، لا يسعني إلا أن أتخيل كم كان الأمر فظيعًا، أن ترى دون أن تتحدَّث، لا تقدر أبدًا على إثبات قيمتها أو الكشف عن نفسها الحقيقية. ولكن الأسوأ من ذلك هو التفكير في أنها، على النقيض منِّي، لا يمكن أن تختبئ وراء درع العقل القاصر. تعرف وتشعُر بالكثير لدرجة أن هذا يُهدد بإسقاطها. مثلي، يجب أن تستمر في الركض.

«أنا فقط يُضايقني عندما تدعوني هكذا. سيدتي أقصد.»

«هذه عادة، للأسف.» تتحرك وتمدُّ يدَها تجاه شيءٍ أسفل غطائها. أسمع الصوت المُميز للورق المطوي، وأتوقَّع أن أرى نشرةً إخبارية أخرى بها تفاصيل جولة تتويج (مافين). بدلًا من ذلك، تكشف (آدا) عن وثيقةٍ ذات مظهرٍ رسمي للغاية، وإن كانت مُجعَّدة ذات أطراف محترقة. تحمل شعار السيف الأحمر لجيش (نورتا). «أخذ (شايد) هذه من ذلك الضابط في (كورفيوم).»

«هذا الذي قمت بحرقِه.» ألمس الورق المُحترق، وأشعر بالمادة السوداء الخشِنة التي تُهدد بالتفتُّت. غريب، نجاة هذه بينما لم يَنجُ حامِلُها. «استعدادات».أتمتِم، وأفكُّ رموز الأمر.«لفيالق الإغاثة.»

تومئ برأسها. «عشرة فيالق، لتبديل التسعة الذين يحمُون خنادق

منطقة الاختناق.»

فيلق العاصفة، فيلق المطرقة، فيلق السيف، فيلق الدرع. أسماؤهم وأرقامُهم مكتوبة بوضوح. خمسة آلاف جندي أحمر في كلِّ منهم، مع خمسمئة ضابطٍ فضّي. سيتجمّعون في (كورفيوم) قبل السفر معًا لمنطقة الاختناق، لإغاثة الجنود على الحدود. شيءٌ رهيب، لكنه ليس شيئًا يُهمني.

«من الجيد أننا قد تفقّدنا (كورفيوم) مسبقًا.» هو كل ما أقدِر على قوله. «على الأقل تجنَّبنا بضعة آلاف ضابط فضي عابرين بها.»

لكن (آدا) تضغط يدَها بلطف على ذراعي، أصابعها الطويلة القادرة باردة حتى عبر كمي. «عشرة لتبديل تسعة. لماذا؟»

«للضغط؟» مُجددًا، لا أفهم لماذا هذه مشكلة. «ربما يُحاول (مافين) أن يُقدم عرضًا، ويُظهر كم هو مُحارب، ليجعل الجميع ينسَون (كال) ...»

«غير مُحتمَل. هجوم الخنادق يتطلّب ما لا يقلُّ عن خمسة عشر فيلقًا، خمسة للحراسة، وعشرة للزحف.» تتحرك عيناها ذهابًا وإيابًا، كما لو كانت ترى المعركة داخل عقلها. لا يسعني إلا أن أرفع حاجبي. على حدِّ علمي، ليس لدَينا أي مُرشدِين للأساليب التكتيكية. «الأمير على دراية جيدة بالحرب.» تشرح. «هو مُعلم جيد.»

«هل أريتِ (كال) هذا؟»

ترَدُّدها هو الجواب الوحيد الذي أحتاجه.

«أعتقد أنه أمر بالقتْل.» تُتمتم، وهي تخفض عينَيها. «تسعة فيالق لتأخذ مواقعها، والعاشر للموت.»

لكن هذا جنون، حتى بالنسبة لـ(مافين). «هذا غير منطقي. لماذا يُضيِّع أيُّ شخصٍ خمسة آلاف جندي جيد؟»

«اسمهم الرسمي هو فيلق الخنجر.» تُشير إلى الكلمة المقابلة على الورقة. مثل الآخرين، يحتوي على خمسة آلاف من الحُمر، ويتّجهون مباشرة إلى الخنادق. «لكن الحاكم (رامبوز) دعاهم بشيءٍ آخر. الفيلق الصغير.»

«الصغير؟» دماغي تفهم الأمر. فجأة عُدت إلى جزيرة (تاك)، في الجناح

الطبي، مع الكولونيل الذي يتنفَّس بالقُرب من رقبتي. كان يُخطط لمقايضة (كال)، لاستخدامه لإنقاذ خمسة آلاف طفلٍ يزحفون الآن إلى قبرٍ مُبكر.
«المُجندون الجدد. الأطفال.»

«من خمسة عشر إلى سبعة عشر عامًا. الخنجر هو أول فيالق الأطفال التي اعتبرَها الملك جاهزة للقتال.» لا تُكلف نفسها عناء إخفاء سُخريتها. «بالكاد شهران من التدريب، إن كان ذلك صحيحًا.»

أتذكَّر كيف كنتُ في الخامسة عشرة. على الرغم من أنني كنتُ لا أزال لصَّة، إلا أنني كنت ضئيلةً وسخيفة، أكثر اهتمامًا بإزعاج أُختي من مُستقبلي. اعتقدتُ أنه لا تزال لديَّ فرصة للهروب من التجنيد الإجباري. لم تكن البنادق والخنادق المُتفجرة بالرماد قد بدأت تطارد أحلامي بعد.

«سيتم ذبحهم.» تستقر (آدا) في غطائها مُجددًا، ووجهها كئيب. «أعتقد أن هذه هي الفكرة.»

أعلَم ما تريد، ما الذي سيريده العديد إذا علموا بشأن أوامر (مافين) بشأن جيش الأطفال. الأطفال الذين على وشك أن يُرسَلوا إلى منطقة الاختناق هم عاقبة التدابير الأمنية، طريقة لمعاقبة المملكة من أجل تمرُّد الحرس القرمزي. أشعر وكأنني حكمتُ عليهم بالإعدام بنفسي، ولا أشك أن العديد سيوافقون. قريبًا سيكون هناك مُحيط من الدماء على يديَّ، وليس لديَّ طريقة لوقفه. دماء بريئة، مثل دماء الطفل في (تيمبلين).

«لا يمكننا القيام بأي شيءٍ من أجلهم.» أنظر لأسفل لا أريد أن أرى خيبة الأمل في عيون (آدا). «لا يمكننا مُقاتلة فيلق كامل.»

«(ماير) ...»

«هل يُمكنك التفكير بطريقةٍ لمساعدتهم؟» أُقاطعها، صوتي قاسٍ من الغضب. يتغلَّب عليها حتى تصمت في استسلام. «إذن كيف يُمكنني أنا؟»

«طبعًا، أنتِ مُحقَّة يا سيدتي.»

اللقب اللائق يؤلِم، كما تقصد. «سأتركك لنوبة مُراقبتك.» أُتمتم، وأنهض من فوق الجذع، لا يزال أمر الزحف بيدي. ببطء، أطوي الورقة وأدسُّها في عُمق جيبي.

كل جسدٍ هو رسالة لك.

استسلِمِ لي، وسوف يتوقَّف ذلك.

«سنُسافِر إلى (بيتاروس) في غضون ساعات قليلة.» تعرف (آدا) مُسبقًا خُطَط التجنيد الخاصة بنا لهذا اليوم، لكن إخبارها مرة أخرى يُعطيني شيئًا لأفعله. «(كال) سيقود، لذا أُعطي (شايد) قائمةً بأي إمداداتٍ قد نحتاجها.»

« كوني حذِرة.» تُجيب. «الملك في (ديلفي) مرة أخرى، على بُعد ساعة واحدة فقط بالطائرة.»

تخدش الفكرة ندباتي. ساعة واحدة تفصِلني عن تلاعُب (مافين) المُعذِّب. من آلته الرهيبة التي قلبت قُدرتي ضدِّي.

«(ديلفي)؟ مرة أخرى؟»

يتحرك (كال) تجاهنا من فتحة الشق، وشعره في فوضى من النوم. لكن لم تبدُ عيناه مُستيقظة هكذا من قبل.» لماذا مرة أخرى؟»

رأيت نشرة في (كورفيوم) تُفيد بأنه كان يزور الحاكم (ليرولان).» تقول (آدا) مُرتبكة بسبب تركيز (كال) المفاجئ. «ليُقدم تعازيه شخصيًا.»

«لأجل (بيليكوس) وأبنائه.» قابلت (بيليكوس) مرةً واحدة فقط، قبل دقائق من وفاته، لكنه كان لطيفًا. لم يكن يستحقُّ النهاية التي ساعدت في جلبها. ولا حتى أقاربه.

لكن (كال) يُضيِّق عينَيه مقابل الشمس المشرقة. يرى شيئًا لا نراه، شيئًا حتى قوائم وحقائق (آدا) لا يُمكنها فهمه. «(مافين) لن يُضيع الوقت على مثل هذا الشيء، حتى للحفاظ على المظاهر. لا تُهمُّه عائلة (ليرولان) في شيء، وقد قتل بالفعل الدماء-الجديدة في (ديلفي). لن يعود بدون سببٍ جيد.»

«وهذا هو؟» أسأل.

يفتح فمَه، كما لو أنه يتوقَّع أن تسقط منه الإجابة الصحيحة. لا يحدث شيء، وأخيرًا يهز رأسه. «لست متأكدًا.»

لأن هذه ليست مناورة عسكرية. هذا شيءٌ آخَر، شيء لا يفهمه (كال).

لدَيه موهبة في الحرب، وليس المكائد. هذا مجال (مافين) ووالدته، وهما مُتفوِّقان علينا بشكلٍ ميئوسٍ منه في هذا الملعب. أفضل ما يُمكننا القيام به هو تَحديهما بشروطنا الخاصة، بالقوة وليس بالعقول. لكنَّا نحتاج لقوةٍ أكثر. وبسرعة.

«(بيتاروس).» أقول بصوتٍ عالٍ، ويبدو نهائيًا. «وأخبر (ناني) أنها قادمة.»

تطلب المرأة العجوز أن تُساعد منذ أن جاءت إلى هنا، ويعتقد (كال) أنها مستعدة لذلك. من ناحية أخرى، لم ينضم إلينا (هاريك) في تجنيد آخر. ليس منذ (تيمبلين). لا ألومُه.

لست بحاجة إلى (كال) للإشارة إلى أين تبدأ منطقة الصدع (الريفت). بينما نمر من ولاية الملك، وندخل إلى ولاية الأمير، فإن الانقسام واضح بشكلٍ مُثير للصدمة من ارتفاعنا العالي. تحلق الطائرة فوق سلسلةٍ من الوديان المُتصدعة، يحدُّ كلًا منها خطٌّ من الجبال. تكاد تبدو من صنع الإنسان، وتُشكل جروحًا طويلة مثل خدوش الأظافر عبر الأرض. لكن هذه كبيرة جدًّا، حتى بالنسبة إلى الفضِّيين. صُنِعت هذه الأرض من قِبَل شيءٍ أكثر قوةً وتدميرًا، منذ آلاف السنين.

ينزف الخريف فوق الأرض، ويصبغ الغابة أدناه بظلالٍ متفاوتة من ألوان النار. نحن أبعد بكثيرٍ جنوبًا من الشق، لكنني أرى جيوبًا من الثلج على القِمم، مُختبئة من الشمس المشرقة. مثل منطقة الغابات العظمى، منطقة الصدع بريَّة أخرى، على الرغم من أن ثروتها تكمُن في الفولاذ والحديد، وليس الخشب. عاصمتها، (بيتاروس)، هي المدينة الوحيدة في المنطقة، ومركز عصبي صناعي. تقع على تقاطُع نهرَين، تربط معامل تكرير الصُّلب بجبهة الحرب، وكذلك مدن الفحم الجنوبية ببقية المملكة. على الرغم من أن منطقة الصدع يَحكمها رسميًا عائلة (لاريس) من المُتحكِّمين بالرياح (الويندويفر)، إلا أنه موطن أجداد عائلة (ساموس). بصِفتهم أصحاب مناجم الحديد ومصانع الصلب، فهم يُسيطرون حقًّا على (بيتاروس) ومنطقة الصدع. إذا كنَّا محظوظين، قد تكون (إيفانجلين)

تتجوّل في الأنحاء، وسأُكافئها على كل شرورها.

يقع أقرب وادٍ مُتصدِّع من (بيتاروس) على بُعد أكثر من خمسة عشر ميلًا، لكنه يوفر غطاءً جيدًا للهبوط. هذا هو الأكثر وعورةً من بين جميع المهابط المُدمرة، وأتساءل عما إذا كنّا تخطّينا الحدود. لكن (كال) يُبقي (البلاك رن) تحت السيطرة، ونهبط بأمان، ولو مُهتزِّين.

تُصفق (ناني) بيدَيها، مسرورة بالرحلة، ووجهها المُجعَّد مُضاء بابتسامةٍ عريضة. «هل هذا دومًا بهذه المتعة؟» سألت وهي تُحدق بنا.

مُقابلها، يتجهَّم (شايد). لم يعتَدْ بَعدُ على الطيران، ويبذل قصارى جهده حتى لا يفقد وجبة الإفطار على ساقَيها.

«نبحث عن أربعةٍ من دماء-جديدة.» يُدوِّي صوتي خلال الطائرة، فوق صوت فكّ الأحزمة والقيود.

يشعر (شايد) بشعورٍ أفضل، لذا هو هنا مُجددًا، يجلس بجانب (فارلي). ثم هناك (ناني) والدماء-الجديدة (جاريث بومونت). هذه ستكون عملية التجنيد الثالثة بالنسبة له خلال أربعة أيام، منذ أن قرَّر (كال) أن مُدرب الخيول السابق سيكون إضافةً مُرحبًا بها لمهامنا اليومية. ذات مرةٍ عمِل لدى السيدة (آرا إيرال) نفسها، في مُراعاة إسطبل الخيول الواسع في عزبة العائلة على نهر العاصمة.

في البلاط، دعاها الجميع بالفهد لشعرها الأسود اللامع وخفَّة حركتها الشبيهة بالقطط. (جاريث) أقل مُجاملة منهم. من المُرجح أن يدعوها بالعاهرة (السيلك). لحُسن الحظ، أبقاه عمله في منزل (إيرال) لائقًا ورشيقًا، وقُدراته ليست شيئًا يُسخَر منه أيضًا. عندما استجوبتُه أول مرة، وسألتُه عما إذا كان بإمكانه فِعل أي شيءٍ مميز، انتهى بي الأمر على السقف. تلاعب (جاريث) بقوى الجاذبية التي تُثبِّتني إلى الأرض. إذا كنَّا نقف في العراء، فربما كان سينتهي بي الأمر بين الغيوم. لكنني أترك هذا لـ(جاريث). بجانب طرح الناس في الهواء، يُمكنه استخدام قُدرته في الطيران.

«سيهبط (جاريث) بـ(ناني) في المدينة، وتدخُل مركز الأمن كاللورد الجنرال (لاريس).»

أنظر ناحيتها، لأجِد نفسي أُحدق برجل أكبر عمرًا قليلًا من المرأة التي أعرفها. يومئ برأسه في وجهي ويثني أصابعه، كما لو أنه لم يستخدمها من قبل. لكنني أعرف أن هذه (ناني) تحت هذا الجلد، تتظاهر بأنها القائد الفضِّي للأسطول الجوي.

«ستحضر لنا نسخةً مطبوعة بمعلومات الدماء-الجديدة الأربعة الذين يعيشون في (بيتاروس) والباقي في منطقة الصدع. سنتبعُهم سيرًا على الأقدام، وسيُخرجنا (شايد) جميعًا.»

كالعادة، (فارلي) هي أول من يخرج من مقعدها. «حظًّا مُوفقًا يا (نان).» تقول وهي تَكِزُ (جاريث) بإصبعها. «إذا أعجبكِ هذا، فستُحبِّين ما يفعله.»

«لا أُحب هذه الابتسامة أيتها السيدة الصغيرة.» تقول (ناني) بصوت (لاريس).

رغم أنني رأيتها تتحوَّل من قبل لكني لست معتادة بعدُ على هذا المشهد الغريب.

يضحك (جاريث) بجانب (ناني)، ويُساعدها في النهوض من مقعدها. «حلقت (فارلي) معي آخر مرة. سببت فوضى حقيقية فوق حذائي عندما هبطنا.»

«لم أفعل مثل هذا الشيء.» أجابت (فارلي) لكنها تتحركَّ مُبتعدةً لجانب الطائرة بسرعة. ربما لإخفاء وجهها الخجِل.

يتبعها (شايد) كما يفعل دائمًا، يُحاول كتم ضحكته بيده. لقد كانت مريضة مؤخرًا وبذلت قصارى جهدها لإخفاء ذلك، لمتعة الجميع.

(كال) وأنا آخِر من بقي على متن الطائرة، على الرغم من أنه ليس لدي سبب لانتظاره. يقوم بالحركات المعتادة، يدير المقابض ويُحول المفاتيح التي تغلق أجزاء مُختلفة من الطائرة في تتابع سريع. أشعر بكل جزءٍ يغرق في موتٍ كهربائي، حتى يتبقَّى الطنين المُنخفض للبطاريات الكاملة. يخفق الصمتُ مُتزامنًا مع قلبي النابض، وفجأة لا أستطيع النزول من الطائرة بسرعةٍ كافية. شيء ما يخيفني من أن أكون وحدي مع (كال)، على الأقل في

وضح النهار. ولكن عندما يحل الليل، لا يوجد أحد أفضَل رؤيته أكثر منه.
«يجب أن تتحدَّثي مع (كيلورن).»
يُوقفني صوته في نصف خطوة، أتجمَّد في منتصف الطريق للممر المنحدر الخلفي.
«لا أريد التحدُّث إليه.»
ترتفع الحرارة بمرور كل لحظة، بينما يقترب أكثر وأكثر مني.
«مُضحك، أنتِ كاذبة بارعة في العادة.»
ألتفت لأجد نفسي أُحدق في صدره. بدلة الطيران، التي كانت مثالية عندما ارتداها منذ أكثر من شهر، تظهر الآن عليها علامات واضحة للاستخدام. على الرغم من أنه يبذل قصارى جهده للابتعاد عن معاركنا، إلا أن المعركة لا تزال تؤثر عليه.
«أعرف (كيلورن) أفضل منك، ولا شيء أقوله سيُخرجه من نوبة غضبه الصغيرة.»
«هل تعلَمِين أنه يطلُب المجيء معنا؟» عيناه مُظلمتان، ثقيلتان. يبدو كما يبدو في اللحظات التي تسبق نومه.«يسألني كل ليلة.»
وقتي في الشقِّ جعلني صريحةً وسهلة القراءة. لا أشك في أن (كال) يرى الارتباك الذي أشعر به، أو تيارات الغيرة المُنخفضة. «يتحدَّث إليك؟ لن يتحدَّث معي بسببك، فلماذا يفعل ذلك بحق ...»
فجأة أصبحَتْ أصابعه تحت ذقني، يميل رأسي حتى لا أستطيع النظر بعيدًا.«ليس أنا من هو غاضِب منه. هو ليس غاضبًا لأننا ...» ثم حان دوره ليتوقَّف. «يحترِمك بما يكفي لتتخذي خياراتك الخاصة.»
«أخبرني نفس القدر.»
«لكنك لا تُصدِّقيه.» صَمْتي إجابة كافية. «أعلم لماذا تعتقدِين أنه لا يمكنك الثقة بأي أحد، بحق ألواني، أعلم. لكن لا يُمكنك أن تمرِّي بهذا وحدك. ولا تقولي إنه لديكِ أنا، لأن كِلينا نعلم أنكِ لا تُصدقيني أيضًا.»
يكاد الألَم في صوتِه أن يهزمني. ترتجف أصابعه، ترتجف على جسدي.
ببطء، أسحبُ وجهي من قبضته. «لم أكن أنوي ذلك.» نصف كذبة. لا

أشعر بأي حقٍّ في (كال)، ولن أسمح لنفسي بالثقة به، لكنني لا أستطيع أن أُبعِد نفسي عنه أيضًا. في كل مرة أحاول، أجد نفسي عائدةً مرة أخرى.

«هو ليس طفلًا يا (ماير). ليس عليكِ حمايته بعد الآن.»

كنتُ أفكر طوال هذا الوقت، كان (كيلورن) غاضبًا لأنني أريد إبقاءه على قيد الحياة. أكاد أضحك على الفكرة. كيف أجرؤ على فعل شيءٍ كهذا؟ كيف أجرؤ على إبقائه آمنًا؟

«إذن أحضره معك في المرة القادمة. دعْه يتعثَّر تجاه قبر.» أعلم أنه يسمع الرعشة في صوتي، لكنه يتظاهر بأدبٍ بتجاهُلها. «ومنذ متى تهتمُّ لأمره؟»

بالكاد أسمع إجابته بينما أبتعِد. «لا أفعل هذا من أجله.»

في نهاية الممر المُنحدِر، ينتظرنا الآخرون.

تشغل (فارلي) نفسها بربط (ناني) بصدر (جاريث)، باستخدام حِزام من أحد مقاعد الطائرة، لكن (شايد) يُحدق في قدمَيه. سمع كل كلمة، حُكمًا على ملامحه الصارمة. يُحدق في وجهي بينما نمر، لكنه لا يقول شيئًا. سأتعرَّض لتوبيخٍ آخَر لاحقًا، ولكن في الوقت الحالي، يتحول تركيزنا نحو (بيتاروس) ونأمُلُ أن يكون تجنيدًا ناجحًا آخر.

«ذراعاك للداخل، رأسُك للأسفل.» يقول (جاريث) وهو يرشد (ناني). أمام أعيُننا، تتحوَّل من اللورد الجنرال الضخم إلى نفسها الأصغر والأنحف بكثير. تشدُّ الأحزمة وفقًا لذلك.

«أخفُّ بهذه الطريقة.» تشرح بقهقهةٍ صغيرة. بعد أيامٍ طويلة من الحديث الجاد والليالي المُضطربة، يجعلني المنظر أضحك بشكلٍ صريح. لا يمكنني منع نفسي، وأضطر أن أغطي فمي بيدي.

يربت (جاريث) على قمَّةِ رأسها بشكل مُحرج. «أنت لا تتوقفين عن إدهاشي، يا (نان). لا ترددي في إغلاق عينَيك.»

تهز رأسها. «لقد أغلقتُ عيني طوال حياتي.» تقول. «لن يحدُث ذلك مرة أخرى.»

عندما كنتُ طفلة، حلمت بالطيران مثل الطائر، لم أتخيل أبدًا أي شيء

من هذا القبيل. ساقا (جاريث) لا تنحنيان، وعضلاته لا تشتد. لا يندفع من فوق الأرض. بدلًا من ذلك، يفرد راحتَي يده، بالتوازي مع المَهبط، ويبدأ ببساطة في الرفع. أعلم أن الجاذبية من حوله ترتخي كخيطٍ يتم فكه. يرتفع مع (ناني) المربوطة بحِرص عن الأرض، أسرع وأسرع، حتى يصير مجرد نقطةٍ في السماء. ثم يضيق الخيط، ويسحب النقطة الصغيرة بطول الأرض، لأعلى ولأسفل في أقواس سلسلةٍ كروية. مُرتخية، ثم مشدودة، حتى يختفيا خلف أقرب تل. من هنا، يبدو المكان هادئًا تقريبًا، لكنني أشكُّ في أنني سأكتشف ذلك بشكلٍ مباشر. رحلة الطائرة تحليق كافٍ بالنسبة لي.

(فارلي) أول من تنظُر بعيدًا عن الأفق وتعود إلى المهمَّة التي بين أيدينا. أشارت إلى التلِّ المرتفع أمامنا، مُتوَّج بأشجار حمراء وذهبية. «هل نذهب؟»

أتحرك للأمام ردًّا عليها، وأبدأ وتيرة جيدة لإيصالنا أعلى وعبر التل. وفقًا لمجموعتنا الواسعة الآن من الخرائط، يجب أن تكون قرية (روزن) للتعدين على الجانب الآخر. أو على الأقل، ما كان قرية (روزن) ذات مرة. دمَّر حريقٌ فحم المكان منذ سنوات، وأجبر الحُمر والفضِّين على حدٍّ سواء على التخلي عن المناجم القيمة، وإن كانت غير مُستقرة. وفقًا لقراءات (آدا)، تم هجرها بين عشيةٍ وضحاها، وعلى الأرجح بها ثروة من الإمدادات لنا. في الوقت الحالي، أنوي المرور عبرها، فقط لرؤية ما يُمكننا سلبه في طريق العودة.

تصدمني رائحة الرماد أولًا. تلتصق بالجانب الغربي من المنحدَر، وتزداد قوةً مع كل خطوة نهبطها من التل. نسرع (فارلي) و(شايد) وأنا في تغطية أنوفنا بأوشِحتنا، لكن (كال) لا تزعِجه رائحة الدخان الثقيلة. بكلِّ وضوح، لن تُزعجه مثل هذه الرائحة. بالأحرى، يشتُمها بشكلٍ تجريبي.

«ما زالت تحترق.» يهمس، وينظر تجاه الأشجار. عكس الجانب الآخَر من التل، تبدو أشجار البلوط والدردار ميتة. أوراقها قليلة، وجذوعها رمادية، لا تنمو حتى الأعشاب الضارية بين فروعها.

«في مكانٍ ما عميق.»

لو لم يكن (كال) معنا، كنتُ سأخاف من حريق الفحم المُستمر. لكن حتى الحرارة الحمراء للمناجم لا تضاهيه. الأمير يُمكنه صرف انفجارٍ بتلويحٍ من يدِه إذا أراد، وهكذا نواصل في صمتٍ لطيف عبر الغابة المُحتضِرة.

تنتشر فتحات المنجم على جانب التل، وكلٌّ منها مُغلق بألواح على عجلَة. تزفر إحداها دخانًا، في مسارٍ كليلٍ من الغيوم الرمادية التي ترتفع في السماء الضبابية. تُحارب (فارلي) الرغبة في التحقق، لكنها سريعة في تسلُّق الأغصان أو الصخور المُنخفضة. تستكشف المنطقة بحدَّةٍ هادئة، دائمًا على أُهبة الاستعداد. ودائمًا على بُعد بضعة أقدامٍ من (شايد)، الذي لا يرفع عينَيه عنها أبدًا. أتذكَّر بهدوء (جوليان) و(سارة)، راقصين يتحرَّكان مع موسيقى لا يمكن لأي شخصٍ آخر سماعها.

(روزن) هي أكثر مكان رمادي رأيته في حياتي. يُغطي الرماد القرية بأكملها مثل الثلج، ويطفو على الهواء في موجات، ويُعانق المباني في انجرافاتٍ بارتفاع الخصر. يحجب حتى أشعة الشمس، ويُحيط بالقرية في سحابةٍ دائمة من الضباب. أتذكر الأحياء الفقيرة التقنية في (جراي تاون)، لكن هذا المكان الكريه لا يزال ينبض مثل قلبٍ بطيءٍ ومُظلم. هذه القرية ميتة منذ فترة طويلة، قُتلت في حادث، بواسطة شرارة عميقة في المناجم. فقط الشارع الرئيسي لا يزال قائمًا، وهو تقاطع رديءٌ من عددٍ قليل من واجهات المحلَّات المكوَّنة من الطوب والمنازل من الألواح الخشبية. أما الباقي فقد انهار أو احترق. أتساءل عمَّا إذا كان هناك غبار عظمي يحُوم في الرماد الذي نتنفَّسه.

«لا كهرباء.» لا أشعر بأي شيء، ولا حتى مِصباح. يرتخي وتَر مشدود داخل صدري. قد رحلت (روزن) منذ فترة طويلة ولا تُسبِّب لنا أي ضرر. «تفقَّدوا النوافذ.»

يحذون حذوِي، ويمسحون واجهات المتاجر الزجاجية بأكمامٍ مُتسخة بالفعل. أُحدق في أصغر المباني التي لا تزال قائمة، بالكاد خزانة مكدَّسة بين مركزٍ أمني مُحطم ومدرسة نصف منهارة. عندما تتكيَّف عيناي مع الضوء الخافت، أُدرك أنني أنظر إلى صفوفٍ وصفوف من الكتب. مُتزاحمة على

الرفوف، ومُلقاةً في أكوام عشوائية، ومُنسكبة عبر الأرضية المتَّسِخة. أبتسِم مقابل الزجاج، أحلم بعددِ الكنوز التي يُمكنني إحضارها لـ(آدا).

يصدُر صوت تحطُّم كشظيةٍ عبر أعصابي. أدور بسرعة تجاه الصوت، فقط لأرى (فارلي) تقف بجانب نافذة واجهة متجر. تحمِل قطعةً من الخشب، وشظايا زجاج عند قدمَيها. «كانوا مُحاصرين.» تُفسِّر مشيرةً للمتجر.

بعدَ لحظة، يندفع قطيع من الغربان عبر النافذة المُحطمة. يختفون في السماء الرمادية، لكن يدوي نعيقُهم لفترةٍ طويلة بعد رحيلهم. يبدو كأنهم أطفال متألِّمون.

«بحق ألواني.» يسبُّ (كال) في همس، ويهز رأسه ناحيتها.

تهزُّ كتفيها فقط، وتبتسِم في سخرية. «هل أخفتُك، سموُّك؟»

يفتح فمه ليُجيب، وطرف فمه مسحوب ليُشكل ابتسامة، لكنَّ شيئًا ما يُقاطعه. صوت لم أتعرف عليه، يأتي من شخصٍ لم أره من قبل.

«ليس بعدُ يا (ديانا فارلي).» يبدو وكأن الرجل قد تجسَّد من وسط الرماد. بشرته، وملابسه رمادية بنفس قذْر القرية الميتة. لكن عينَيه لامعة، ومُخيفة بلون الدماء. «رغم أنك ستفعلين، كلكم ستفعلون.»

يستدعي (كال) نيرانه، وأنا برقي، وترفع (فارلي) سلاحَها تجاه الرجل الرمادي. لا شيء منهم يبدو أنه يُخيفه. بدلًا من ذلك، يتقدَّم خطوة، وتجِدُني نظرته القرمزية.

«(ماير بارو).» يتنهَّد، وكأن اسمي يجلب له ألَمًا عظيمًا. تدمع عيناه. «أشعر وكأنني أعرفك بالفعل.»

لا يتحرك منَّا أحد، مذهولون من رؤيته. أُخبر نفسي أنها عيناه، أو شعره الرمادي الطويل. مظهره فريد، حتى بالنسبة لنا. لكن هذا ليس ما يُبقينا ثابتِين في أماكِننا. شيءٌ آخر يجعلني على الحافة، غريزة لا أفهمها. على الرغم من أن هذا الرجل يبدو مُنحنيًا من تقدُّم العمر، وغير قادر على لكمة، فناهيك عن شجار (كال)، لا يسعني إلا أن أخافه.

«من أنت؟» يدوِّي صوتي المُرتجف عبر القرية الفارغة.

يُميل الرجل الرمادي رأسه، ويُحدق في كلٍّ منَّا بالتتابُع. مع مرور كل

ثانية، تسقط ملامح وجهه، حتى أظن أنه على وشك البكاء. «الدماء-الجديدة في (بيتاروس) قد ماتوا. ينتظركم الملك هناك.» قبل أن يفتح (كال) فمه، ليسأل عما نُفكر به جميعًا، يرفع الرجل الرمادي يده. «أعلم لأنني رأيتُ ذلك، يا (تايبرياس). مثلما رأيتُك آتيًا.»

«ماذا تقصد بـ(رأيتُ)؟» تزمجر (فارلي)، وتأخذ خطواتٍ سريعة تجاهه. وما زالت تُمسك بسلاحها بقوة، مُستعدة لاستخدامه. «أخبرنا!»

«هذه العصبية، يا (ديانا).» يقول مُوبخًا، ويمر بجانبها في خطواتٍ سريعة لدرجةٍ مدهشة. ترمش، مرتبكة، وتندفع محاولةً الإمساك به. مُجددًا، يتفاداها.

«(فارلي)، توقفي!» أُفاجئ حتى نفسي بهذا الأمر. تُكشِّر تجاهي لكنها تُطيعني، وتدور حتى تصير خلف الرجل الرمادي. «ما هو اسمُك، يا سيدي؟»

ابتسامتُه رمادية مثل شعره. «هذا ليس له أهمية. اسمي ليس على قائمتك. أتيتُ من خارج حدود المملكة.»

قبل أن أحصل على فرصةٍ لأسأله كيف يعرف قائمة (جوليان)، تَهجُم (فارلي) بكلِّ سُرعتها، راكضةً تجاه ظهر الرجل. على الرغم من أنها لا تُصدِر أي صوت، على الرغم من أنه لا يستطيع رؤيتها، إلا أنه يخطو بسهولةٍ بعيدًا عن مسارها. تسقط بوجهها فوق الرماد، وتسبُّ، لكنها لا تُضيِّع الوقت في النهوض على قدمَيها. الآن مُسدَّسها موجَّه إلى قلبه. «هل ستتفادي هذا؟» تزمجر، وتحشو الرصاصة في مكانها.

«لن أُضطر إلى ذلك.» أجاب بابتسامةٍ ساخرة. «هل سأفعل، يا سيدة (بارو)؟»

بالطبع. «(فارلي)، دعِيه وشأنه. هو دماء-جديدة آخَر.»

«أنت ... أنت عين (آي).» يتنهَّد (كال)، ويخطو بضعَ خطواتٍ عبر الشارع الرمادي. «يمكنك أن ترى المستقبل.»

يُصدر الرجل صوتًا ساخرًا ويلوِّح بيده. «العين ترى فقط ما تبحث عنه. أبصارهم أضيق من شفرة العشب.» مرة أخرى، يُثبتنا بنظرته القرمزية الحزينة.

«لكنني أرى كل شيء.»

الفصل الحادي والعشرون

فقط عندما ندخل الهيكل المُحترق لحانةٍ في (روزن) يتحدث الرجل مجددًا، يقدم نفسه بينما نتخذ مقاعدنا حول طاولة مُتفحمة. اسمه بسيط لدرجة صادمة. (جون). وتواجده هو أكثر شيءٍ غير مريح شعرت به في حياتي. في كل مرةٍ ينظر ناحيتَي بعينَيه التي بلون الدماء، أشعر كأنه يمكنه الرؤية مباشرة عبر جِلدي، وإلى الشيء المشوَّه الذي اعتدت أن أدعوه قلبي. لكني أبقي أفكاري لنفسي، حتى أسمح لـ(فارلي) فقط بمساحةٍ للتنفيس عن شكواها. تتحول بين الزمجرة والصياح، تجادل في أنه لا يُمكننا الثقة بهذا الرجل الغريب الذي ظهر من بين الرماد. مرةً أو اثنتَين، يُضطَر (شايد) لتهدئتها، ويضع يدَيه على ذراعَيها ليُثبتها. يجلس (جون) خلال كل هذا بابتسامة ضيقة، يُحدق أثناء مُعارضاتها، فقط يتحدَّث عندما يسكت فمها.

«أعرفكم أنتم الأربعة جيدًا؛ فلا داعي للتقديمات.» يقول، ويمدُّ يدَه تجاه (شايد). يُصدر أخي صوتًا مُختنقًا ويتراجع قليلًا. «وجدتُكم لأنني علمتُ أين ستتواجدون. كان من السهل تنسيق رحلتي مع رحلتكم.» يُضيف (جون)، ويحيد نظرُه تجاه (كال). يتحوَّل وجهه للأبيض خجلًا، لكن لا يهتم (جون) بالمشاهدة. بدلًا من ذلك، ينظر ناحيتي، وتصير ابتسامته أكثر لطفًا. سيكون إضافة جيدة، مع أنها مُريبة. «ليس لدي نية في الانضمام إليكِ في الشق يا سيدة (بارو).»

ثم جاء دوري لابتلاع لساني. قبل أن أتمكَّن من التعافي بما يكفي لأسأل، يُجيب عنِّي مرة أخرى، وأشعر كأنها طعنة باردة في البطن. «لا، لا أستطيع قراءة أفكارك، لكنَّني أرى ما سيأتي. على سبيل المثال، ما ستقولينه بعد ذلك. أعتقد أنني سأوفر لنا بعض الوقت.»

«كفؤ.» تقول (فارلي). هي الوحيدة منَّا التي لم يذهلها هذا الرجل. لماذا

لا تُخبرنا فقط بما جئتَ لتقوله وتنتهي منه؟ والأفضل من ذلك، فقط أخبرنا بما سيحدُث.»

«غرائزك تخدمك جيدًا، يا (ديانا).» أجاب وهو يَحني رأسه الرمادي. «سيعود أصدقاؤك، المتحولة والمُحلِّق قريبًا. واجها مقاومةً في مركز أمن (بيتاروس)، وسيحتاجان إلى عنايةٍ طبية. لا شيء لا تستطيع (ديانا) تحقيقَه في الطائرة.»

يتحرك (شايد) ليقف من فوق كرسِيه، لكن (جون) يُشير له بالجلوس.

«سهل، لا يزال لديكم وقت، لا ينوي الملك المطاردة.»

«لِمَ لا؟» ترفع (فارلي) حاجبها.

تلتقي العيون القرمزية بعيوني، تنتظِر منِّي الإجابة. «(جاريث) يُمكنه الطيران، شيء لا يقدر عليه أي فضي. لا يريد (مافين) أن يري أي أحدٍ ذلك، حتى جنوده الأوفياء.» يومئ (كال) بجانبي، ويعلَم شقيقه كما أعرفه كثيرًا، أو قليلًا. «أخبر المَلكة أن الدماء-الجديدة غير موجودة، وينوي أن يُبقي الأمر على هذا الحال.»

«واحدٌ من أخطائه العديدة.» يقول (جون) مفكرًا، صوته حالِم وبعيد. ربما هو ذلك، ينظر تجاه مُستقبلٍ لا يفهمه أيٌّ منَّا. «لكنكم ستكتشفون هذا قريبًا بما يكفي.»

توقعتُ أن تكون (فارلي) من تزمجر بسبب المزيد من الألغاز، لكن (شايد) يسبقها. يميل للأمام على يدَيه، حتى يصير فوق (جون). «هل أتيت هنا من أجل التَّباهي؟ أم فقط لإضاعة وقتنا؟»

لا يسعني إلا التفكير في نفس الشيء.

لا يجفل الرجل الرمادي، حتى في مواجهة غضب أخي المُتحفظ. «بالفعل فعلت، يا (شايد). بضعة أميال أخرى وكان عيونُ (مافين) سيرونكم قادمِين. أم كنتَ تُفضل أن تقع في فخِّه؟ أعترف، يُمكنني رؤية الفعل، وليس الفكر، وربما أردتُم أن يُقبَض عليكم وتُعدَمون؟» ينظر إلينا، ونبرته مرحة بشكلٍ صادم. يرتفع طرف فمِه، ويلوي شفتَيه في نصف ابتسامة. «كان سينتهي الأمر في (بيتاروس) بالموت، أو حتى أقدارٍ أسوأ.»

أقدار أسوأ. أسفل الطاولة، يُغلق (كال) يده على يدي، كأنه يشعر برجفةِ الخوف تتلوَّى في معِدتي. بدون تفكير، أفتح كفي مقابل يده وأدع أصابعه تجد أصابعي. ما هي الأقدار الأسوأ التي خُطِّطَت من أجلنا، لا أريد حتى السؤال.

«شكرًا يا (جون).» صوتي سميك بالخوف. «لإنقاذنا.»

«لم تنقِذ شيئًا.» يقول (كال) بسرعة، وتشتدُّ قبضته. «أي قرار كان سيُغير ما رأيته. زلَّة في الغابة، رفرفة جناح طائر. أعلم كيف يرى من هم مِثلك، وأعلم كم يُمكن أن تصير تنبؤاتكم مُخطئة.»

تزداد ابتسامة (جون)، حتى تكاد تقسِم وجهه. هذا يُضايق (كال) أكثر من أي شيءٍ آخر، أكثر حتى من اسمه الحقيقي. «أرى أبعدَ وأكثر وضوحًا من أي عينٍ (آي) فضِّي قابلتُه قط. لكنه خيارك أن تسمع ما يجب أن أقوله. على الرغم من هذا، سوف تُصدِّقني.» يُضيف ويكاد يغمز. «في وقتٍ ما حوَّل اكتشاف السجن. (جوليان جاكوس) صديقًا لك، أليس كذلك؟»

الآن كلتا يدانا ترتجفان.

«هو ذلك.» أُتمتِم، عيناي واسعة ومليئة بالأمل. «ما زال حيًّا، أليس كذلك؟»

مُجددًا تلمع عيون (جون). يُتمتم لنفسه كلمات غير مسموعة، ويومئ من حينٍ لآخر. فوق الطاولة، ترتجف أصابعه، تتحرك ذهابًا وإيابًا مثل مجرفةٍ عبر تُربة محروثة. يجذب ويدفع، لكن ماذا؟

«نعم، هو حي. لكن مُقرر وقت إعدامه، مثل ...» يتوقف، يفكر. «(سارة سكونوس).»

تمر اللحظات التالية بطريقةٍ غريبة، (جون) يُجيب عن كل أسئلتنا قبل أن تعبر خلال شفتِنا. «يُخطط (مافين) لإعلان إعدامهما، لينصبَ فخًّا آخر لكِ وجماعتك. هم محبوسان في سجن (كوروس). هو ليس مهجورًا يا (تايرياس)، لكن أُعيد بناؤه من أجل سَجن الفضِّيين. أحجار صامتة في الجدران، وتعزيزات من الزجاج الماسي وحرس عسكري. لا، هذا ليس كله من أجل (جوليان) و(سارة). هناك مُعارضون داخل الزنازين، سُجنوا من

أجل تشكيكهم في الملك الجديد وتجاوز والدتِه. كان منزل (ليرولان) صعبًا بالأخص، ومنزل (إيرال) أيضًا. والمسجونون من الدماء-الجديدة أثبتوا أنهم بِخطورة الفضِّيين.»

«الدماء-الجديدة؟» تندفع منِّي، وتُقاطع (جون) بينما يُكمل، بسرعة إطلاق النيران.

«الذين لم تجدوهم، والذين اعتبرتموهم موتى. أخذوهم للملاحظة، للفحص، لكن لورد (جاكوس) رفض دراستهم. حتى بعد ... وسائل الإقناع.»

ترتفع عصارة المعِدة لفمي. وسائل الإقناع يمكن أن تعني فقط التعذيب.

«هناك أشياء أسوأ من الألَم يا سيدة (بارو).» يقول (جون) في لُطف. «الدماء-الجديدة الآن تحت رحمة الملكة (إيلارا). تنوي استغلالهم ... بدقة.» تتحرك عيناه لـ(كال) ويتشاركان نظرة مليئةً بالتفهم الأليم. «سيكونون أسلحةً ضد من مثلهم، تتحكَّم بهم الملكة (إيلارا) وأقاربها، إذا توفر لهم الوقت الكافي. وهذا طريق مُظلم للغاية. يجب ألا تسمحوا لهذا بالحدوث.» تحفر أظافره المُتشقِّقة والسوداء في الخشب المُتفحم. «يجب ألا تسمحوا بهذا!.»

«ماذا سيحدث إذا حرَّرنا (جوليان) والآخرين؟» أميل للأمام من على كرسيّ. «هل يُمكنك رؤية هذا؟»

لا أستطيع القول إذا كان يكذب. «لا. أرى فقط المسار الحالي، وإلى أي مدًى يؤدي. على سبيل المثال، أراكم الآن، تنجون من فخ (بيتاروس)، فقط لتموتوا بعد أربعة أيام. انتظرتم وقتًا طويلًا للهجوم على (كوروس). انتظِر، لقد تغيَّر هذا الآن بعد أن أخبرتُك.» ابتسامة حزينة غريبة أخرى. «هممم.»

«هذا هراء.» يزمجر (كال) ويفكُّ يده من يدي. يقف أمام الطاولة، في بطءٍ وتعمُّد كالرعد المتحوِّل. «يُصاب الناس بالجنون عند الاستماع إلى تنبؤات مثل تنبؤاتك، تُدمرهم معرفة مستقبل غير مؤكد.»

«ليس لدَينا دليل سوى كلمتك.» تقول (فارلي). لمرةٍ واحدة، تجد نفسها مُتفقة مع (كال)، وهذا يفاجئهما معًا. تركل كرسيَّها للخلف، في سرعةٍ

وعنف. «وقليل من حِيل الحفلات.»

حيل الحفلات. توقَّع ما سنقوله، قراءة هجمات (فارلي) قبل أن تقوم بها، هذا ليس شيئًا من هذا القبيل. لكنه أسهل من تصديق أن (جون) شيء مُستحيل. هذا هو السبب في تصديق الجميع لأكاذيب (مافين) عني، وعن الدماء-الجديدة. لقد رأوا قُدرتي بأعيُنهم، واختاروا أن يثقوا بما يمكنهم فهمه، بدلًا مما هو حقيقي. سأجعلهم يدفعون ثمن حماقتهم، لكنني لن أرتكب خطأهم.

شيء ما بشأن (جون) يُزعجني، وغريزتي تُخبرني أن يكون لديَّ إيمان، ليس بالرجل، ولكن على الأقل في رؤاه. ما يقوله حقيقي، على الرغم من أن سبب إخباره لنا قد يكون أقلَّ من شريف.

تبرز ابتسامته المجنونة، وتلتوي في عبوسٍ يكشف عصبيةً سريعة. «أرى التاج يقطر الدم. عاصفة بدون رعد. الظل يتلوَّى على سرير من اللهب.» ترتعش يد (كال) إلى جانبه. «أرى البحيرات تغمر شواطئها، وتبتلع الرجال بالكامل. أرى رجلًا بعينٍ حمراء واحدة، ومعطفه أزرق، ومُسدسه يدخن ...»

تضرب (فارلي) الطاولة بقبضتها. «كفى!»

«أنا أُصدقه.» طعم الكلمات غريب.

لا يمكنني أن أثق بأصدقائي، لكن ها أنا أتحالَف مع غريب ملعون. ينظر (كال) تجاهي وكأنني قد نما لي رأس ثانٍ، عيناه تصرخ بسؤال لا يجرؤ على قوله بصوتٍ عالٍ. يمكنني فقط أن أهز كتفيَّ، وأن أتجاهل الثقل الحارق لعيون (جون). تتحرك عليَّ، وتفحص كل إنشٍ من فتاة البرق. لأول مرة منذ أزمنة، أتمنَّى درعًا من الفضة والحرير، وأن أبدو كالقائدة التي أتظاهر بأنني إيَّاها. بدلًا من ذلك، أرتجف داخل سُترتي المُهترئة، أحاول إخفاء الندبات والعظام أسفلها. أنا شاكرة أنه لا يقدر على رؤية وشمي، لكن شيئًا ما يُخبرني أنه يعرف عنه بأي حال.

تشجَّعي، يا (ماير بارو). مع دفعةٍ كبيرة من القوة، أرفع ذقني وأتحرك في كرسيِّي، وأُدير ظهري للآخرين. يبتسِم (جون) في الضوء الرمادي.

«أين سُجن (كوروس)؟»

«(ماير) ...»

«يُمكنك أن تُوصلني في طريقك.» أقول لـ(كال) في اندفاع، ولا أهتم برؤية نتيجة ضربتي الكلامية. «لن أتركهم ليُصبحوا دُمَى (إيلارا). ولن أهجر (جوليان) مجددًا.»

تتعمَّق الخطوط في ملامح وجه (جون)، دالَّةً على العديد من العقود المؤلِمة. هو أصغر مما كنت أعتقد، يُخفي الشباب تحت التجاعيد والشعر الرمادي. كم رأى ليصير على هذا الحال؟! كل شيء، أدرك ذلك. كل شيء فظيع أو رائع يُمكن أن يحدُث في أي وقتٍ مضى. الموت والحياة وكل شيء بينهما.

«أنتِ بالضبط كما اعتقدتُ أن تكوني.» يُتمتم، ويُغطي يديَّ بيده. تبرز الأوردة تحت جلده، زرقاء وبنفسجية ومليئة بالدماء الحمراء. رؤيتها تجلب لي راحة. «أنا مُمتن لمقابلتك.»

أقدم ابتسامةً رفيعة لكن مُلزمة، أفضل ما يمكنني فعله. «أين السجن؟»

«لن يتركوكِ تذهبين وحدَك.» ينظر (جون) خلف كتفيَّ. «لكن كلَينا يعلم ذلك، أليس كذلك؟»

تظهر حُمرة خدود دافئة على وجنتَيَّ ويجب أن أُومئ برأسي.

يقلد (جون) الفعل قبل أن يتحول نظرُه، ويهبط على الطاولة. تعود النظرة الحالمة ويسحب يدَيه بعيدًا. يقف على أقدامٍ مُرتعشة، ولا يزال يراقب شيئًا لا يمكننا رؤيته. ثم يستنشق ويسحب ياقته، ويشير إلينا لنفعل الشيء نفسه.

«أمطار.» يحذرنا قبل ثوانٍ من هطول أمطار غزيرة على السطح فوقنا. «من المؤسف أنه يجب أن نمشي على أقدامنا.»

أشعر وكأنني فأر غارق بحلول الوقت الذي نصل فيه إلى الطائرة، بعد أن مشيتُ مباشرة عبر الوحل والأمطار الغزيرة. يُبقينا (جون) على وتيرةٍ ثابتة، هو حتى يُبطئنا مرة أو مرتَين، من أجل «ترتيب الأمور»، كما قال. بعد بضع ثوانٍ من ظهور الطائرة، أدركتُ ما كان يعنيه. يسقط (جاريث)

من السماء، كنَيزكٍ بطيء من الملابس الرطبة والدم. يهبط على ما يرام، والكومة في ذراعَيه، طفل من مظهره، تندفع في الهواء، وتتحول أمام أعيننا. تهبط قدما (ناني) على الأرض وتتعثر، وتسقط على ركبتَين عجوزين. يقفز (شايد) إلى جانبها، ويُبقيها متزنة، بينما تضع (فارلي) ذراع (جاريث) فوق كتفِها. يحملها وزنه في سرور، ويميل ليُعوِّض عن ساقه العديمة الفائدة التي تقطر دماءً.

«كمين في (بيتاروس).» يزمجر في غضبٍ وألَم معًا. «خرجت (ناني) بدون أذًى، لكنهم حاصروني. اضطررت لقلبٍ مُربع سكني قبل أن أقدر على الهرب.»

على الرغم من أن (جون) أكَّد لنا أنهم لن يُطاردونا، لا يسعني إلا أن أُراقب السماء المُظلمة. كل لفَّةٍ في السحب تبدو وكأنها طائرة نفاثة أخرى، لكنني لا أسمع ولا أشعر بشيءٍ سوى رجفة الرعد البعيدة.

«لن يأتوا يا سيدة (بارو).» يقول (جون) فوق صوت المطر. وعادت ابتسامته المجنونة.

نظر إليه (جاريث) مرتبكًا، لكنه يومئ برأسه. «لا أعتقد أن أحدًا تتبعنا.» يقول ويتحول صوته لزمجرة من الألم.

تعدل (فارلي) قبضتها على (جاريث)، وتحمل وزنه بالكامل تقريبًا. على الرغم من أنها تساعده نحو الطائرة، إلا أن تركيزها ينصب على (جون). «هل كان الوحش الصغير هناك؟»

يومئ (جاريث). «كان هناك حرّاس (سينتنال)، لذا أظن أن الملك لم يكن بعيدًا.»

تلعن، لكن لا أعلم ممَّن هي أكثر غضبًا. من (مافين) بسبب نصب كمينٍ لأصدقائها أو من (جون) لأنه مُحق.

«تبدو الساق أسوأ مما هي عليه.» يصيح (جون) فوق صوت المطر. يُشير لـ(جاريث) بينما تساعده (فارلي) على الصعود للطائرة. ثم تُشير أصابعه ناحية (ناني)، التي ما زالت منبطحة مقابل (شايد). «هي مُرهقة حتى عظامها وتشعر بالبرد. الأغطية ستكفي.»

«لستُ عجوزًا ساذجة ليتمَّ لفُّها بالأغطية وإبعادها.» تزمجر (ناني) من مكانها على الأرض. تنهض على قدمَيها بأسرع ما يُمكنها. وتمنح (جون) نظرة حارقة. «دعني أمشي يا (شايد)، وإلا سأوبخك حتى تندثر.»

«قرارك يا (ناني).» يتمتم (شايد)، ويقاوم ابتسامةً ساخرة بينما تتبختَر جانبه. يمنحها مساحة كافية للحركة، لكنه لا يبعد عنها أكثر من مسافة ذراع طوال الوقت. تدخل (ناني) الطائرة في فخر، ورأسها مرفوع وظهرها مفرود مُستقيم كالعصا.

«قمتَ بهذا عن قصد.» يزمجر (كال) بينما يمرُّ بجانب كتف (جون)، لا يبالي بالنظر للخلف، حتى عندما يضحك (جون) من خلف ظهره.

«ونجحت.» يقول، بصوتٍ منخفض كفاية لأسمعه أنا فقط.

ثِقي بالرُّؤى وليس بالرجل. درسٌ جيد لتعلُّمه. «(كال) لا يُفضل الألعاب الذهنية.» أُحذره، وأرفع يدي مشيرة. تجري شرارة من البرق عبر أصبعي. التهديد واضح وضوح الصباح. «وأنا أيضًا.»

«لا ألعب الألعاب.» يهز (جون) كتفَيه، ويُميل جانب رأسه. «حتى عندما كنتُ فتًى، إيجاد منافسةٍ جعل هذا الأمر صعبًا، أترَين؟»

«هذا ليس ...»

«أعلم ما قصدتِ يا سيدة (بارو).» ابتسامته الوديعة، التي كانت غير مريحة، صارت مُحبطة. أدور على كاحلي وأتوجَّه للطائرة، لكن بعد عدة خطوات سريعة، أُدرك أن (جون) لا يتبعني.

يُحدق بالمطر، لكن عينَيه واسعة ولامعة. لم تسيطر عليه رؤية. هو فقط يقف ساكنًا، يتمتع بالشعور بالبرد، والمياه النقية التي تغسل الرماد من على جلده.

«هنا حيث أترككم.»

يتردَّد نبض الطائرة النفاثة بينما تدور للحياة في قفصي الصدري، لكنه يبدو بعيدًا وغير مُهم. لا يسعني سوى التحديق في (جون). في الضوء الخافت لعاصفة الأمطار، يبدو وكأنه يتلاشى. رمادي كالرماد، رمادي كالمطر، عابر كالاثنَين.

«اعتقدتُ أنكَ ستساعدنا في السجن؟» يغمر اليأس صوتي، وأتركه. لا يبدو أن (جون) يمانع، لذلك جربتُ أسلوبًا آخر. «(مافين) يُطاردك أيضًا. إنه يقتلنا جميعًا، وسيقتلك عندما تسنح له الفرصة.»

هذا يجعله يضحك بشدةٍ لدرجة أنه ينحني. «هل تعتقدين أنني لا أعرف اللحظة التي أموت فيها؟ أعرفها يا سيدة (بارو)، ولن يكون موتي بيد الملك.»

تُغلَق أسناني فوق بعضها في انزعاج. كيف يمكنه المغادرة؟ اختار جميع الآخرين القتال. لماذا لا يفعل ذلك؟

«أنت تعرف أنني أستطيع أن أُجبرك أن تأتي معنا.»

في هطول الأمطار الرمادية، يبدو يرقي كأنه يشتعل ضِعف سطوعه. أرجواني أبيض، يطنُّ في المطر، يلتفُّ بين أصابعي ويرسل رجفةً من المتعة إلى عمودي الفقري.

مرة أخرى، يبتسِم جون. «أعلم أنكِ تستطيعين، وأعلم أنكِ لن تفعلي. لكن ثِقي يا سيدة (بارو) في أننا سنلتقي مرةً أخرى.» يُميل رأسه، يفكر. «نعم، نعم، سنفعل.»

أنا أفعل ما وعدتُ به فقط. أُعطيه خيارًا. ومع ذلك، يتطلّب الأمر كل ما لدي حتى لا أُجرجره إلى الطائرة. «نحن بحاجةٍ إليك، يا (جون)!»

لكنه بدأ بالفعل في التراجُع. كل خطوة تجعل من الصعب رؤيته. «ثقي بي عندما أقول لكِ لا تحتاجونني! أترك لكِ هذه التعليمات حلّقي لأطراف (سيراكاس)، إلى بحيرة السيف الصغيرة. احمي ما تَجِدينه هناك، وإلا سيصير أصدقاؤك المسجونون بِحُكم الموتى.»

(سيراكاس)، بحيرة السيف الصغيرة. أُكرر الكلمات حتى أحفظها في ذاكرتي.

«ليس غدًا، ليس الليلة، لكن الآن. يجب أن تُحلِّقوا الآن.»

زمجرة الطائرة تتضخَّم، حتى يهتز الهواء نفسه في توتر.

«عم نبحث؟» أصيح فوق الضجة، وأضع يدي أمام وجهي لأحمِيَه من الأمطار الدائرية. تلسعني، ولكنى أُضيق عينيّ وأتحمَّلها، فقط لأرى

الخيال الأخير للرجل الرمادي.

«ستعرفين!» تأتي من وسط الأمطار. «وقولي لـ(ديانا) عندما تشكُّ فإن إجابة سؤالها: نعم.»

«أي سؤال؟»

لكنه ينقر بأصبعه، يكاد يكون مُوبخًا.

«اهتمِّي بقدَرِك الخاص يا (ماير بارو).»

«وهذا هو؟»

«أن تنهضي. وتنهضي وحدَك.» تتردَّد مثل عواء الذئب. «أراكِ كما يمكن أن تصيري عليه، لم تعودي البرق، ولكن العاصفة. العاصفة التي ستبتلع العالَم بأجمعِه.»

لجزء من الثانية، يبدو أن عينَيه مُتوهجة. الأحمر ضد الرمادي، يحترق خلالي، للنظر في كل مستقبل. تلتوي شفتاه إلى تلك الابتسامة المجنونة، وتدع أسنانه تلمع في الضوء الفضي. ثم يرحل. عندما أركب الطائرة بمفردي، يتمتع (كال) بحسٍّ جيد للسماح لي بالغليان غضبًا. فقط اليأس يغرق غضبي. تنهضي وحدَك. وحدك. أحفر أظافري في راحة يدي، مُحاوِلةً أن أطرد الحزن بالألَم. يمكن أن تتغير الأقدار.

(فارلي) ليست لبِقةً مثل (كال). تنظر من ضمَّادة ساق (جاريث)، وأصابعها ملتصقة بالدم القرمزي، وتهزأ. «جيد، لا نحتاجُ هذا المُختل العجوز بأي حال.»

«هذا المُختل العجوز كان بإمكانه الفوز في هذه الحرب مباشرة.» يضرب (شايد) كتفها بخفة، ويجني نظرةً قاتمة. «فكِّري فيما يُمكنه أن يفعل بقُدرته.»

من مقعد الطيار، يزمجر (كال). «لقد فعل ما يكفي.» يُشاهدني أجلس بجانبه، وأشتاط غضبًا طول الوقت. «ترغبين فعلًا في الهجوم على سجنٍ سرِّيٍّ مبني من أجل مَن هم مثلنا؟»

«هل تُفضل أن أترك (جوليان) للموت؟» لا يجيب عدا هسيس خافت. «هذا ما ظننتُه.»

«حسنًا إذن.» يتنهَّد، ويُبطئ سرعة الطائرة. تصطدم العجلات أسفلنا وتدور على طريقٍ غيرِ مُمهد. «يجب أن نُعيد التجمع والتخطيط معًا. كل من يريد المجيء مُرحَّب به، لكن ليس الأطفال.»

«لا أطفال.» أوافق. ويفكر عقلي بـ(لوثر) والأطفال الآخرين من الدماء-الجديدة في الشق. صغار جدًا على القتال، لكن ليس لدرجة أن يتم إعفاؤهم من مطاردة (مافن). لن يُحبوا أن يظلوا وحدَهم، لكنني أعرف كيف يهتم بهم (كال). لن يسمح لأيٍّ منهم برؤية الجانب الخطأ من سلاح.

«مهما كان ما تتحدَّثان عنه، فأنا موافق.» ينظر (جاريث) إلينا من خلف (فارلي)، وتصطكُّ أسنانه من الألم في ساقه. «على الرغم من أنني أودُّ أن أعرف ما الذي أشترك فيه.»

في سخرية، تضربه (ناني) بيدٍ عظمية. «فقط لأنك أُصِبت في ساقك لا يعني أنه يمكنك التوقف عن التركيز. هذا هروب من السجن.»

«صحيح جدًّا يا (نان).» توافق (فارلي). «ومطاردة غير مُجدية إذا سألتني. الذهاب بسبب كلمة رجل مجنون.»

هذا يوقف حتى مزاح (ناني). تنظر ناحيتي بطريقةٍ لا يمكن أن تستدعِيَها سوى جدة. «هل هذا صحيح يا (ماير)؟»

«مجنون كلمة قاسية بعض الشيء.» يتمتم (شايد)، لكنه لا يُنكر ما يفكرون فيه جميعًا. أنا الوحيدة التي تصدق (جون)، وهم يثِقون بي بما يكفي لاتِّباع هذا الإيمان. «كان مُحقًّا بشأن (بيتاروس)، وكل شيء آخَر قاله. لماذا يكذب بشأن السجن؟»

تنهضي وتنهضي وحدَك.

«لم يكذب!»

صراخي يُسكتهم جميعًا، حتى لا يكون هناك إلا دويُّ المُحركات النفاثة. ترتفع إلى هديرٍ خافت مألوف يرتجف عبر المركبة، وسريعًا يسقط الرصيف تحتنا. تتناثر الأمطار على النوافذ، مما يجعل من المستحيل الرؤية، لكن (كال) بارع جدًّا فلن يسمح لنا بالسقوط. بعد لحظاتٍ قليلة، نندفع عبر

السحب الرمادية ونحو شمس منتصف النهار الساطعة. هذا مثل التخلُّص من وزنٍ حديدي.

«خذنا إلى بحيرة السيف الصغير.» أتمتم. «قال (جون) إننا سنجد شيئًا هناك، شيء سيُساعد.»

أتوقَّع المزيد من الجدال، لكن لا أحد يجرؤ على تجاوزي. ليس من الحكمة أن تُزعج فتاة البرق عندما تطير داخل أنبوبٍ معدني. يدور الرعد تحتنا، في السحب بالأسفل، نذير البرق الذي يتمايل في العاصفة الممطرة. تضرب صواعق عظيمة الأرض، وأشعر أن كل واحدةٍ منها امتداد لنفسي. مرنة، ولكنها حادة كالزجاج، تحرق كل شيءٍ في طريقها. بحيرة السيف الصغير ليست بعيدة، على الحافة الشمالية للعاصفة، وتعكس السماء التي تُصفَّى باطراد مثل المرآة. يدور (كال) مرة واحدة، عالية بما فيه الكفاية وعميقة بما فيه الكفاية في الغيوم لإخفاء وجودنا، قبل أن يُكتشَف مهبط نصف مدفون في التلال المُشجرة حول البحيرة. عندما نهبط، أقفز من مقعدي، على الرغم من أنني ليس لديَّ أي فكرة عما أبحث عنه.

(شايد) قريب خلفي بينما أركض تجاه ممرِّ الطائرة المائل، في لهفةٍ للوصول إلى البحيرة. هي على بُعد ميل شمالًا، إذا كانت ذاكرتي مُحقة، وتركتُ بوصلتي الداخلية تقود. لكنني بالكاد أصل إلى حدود الأشجار قبل أن يُوقفني صوتٌ مألوف.

صوت تلقيم مُسدَّس.

الفصل الثاني والعشرون

تُمسك بالمسدس بشكلٍ خاطئ. حتى أنا أعرف ذلك. هو كبير جدًّا بالنسبة لها، مصنوع من المعدن الأسود المصقول، مع أسطوانةٍ طولها قدم تقريبًا. أكثر ملاءمةً لجندي مُدرب بدلًا من فتاة مراهقة ترتجف قليلًا. جندي، أُدرك بوضوحٍ بارد. فضيَّة. هذا نفس نوع السلاح الذي أطلقه عليَّ الحارس، منذ فترة طويلة في الزنزانات العميقة تحت قاعة الشمس. شعرتُ بالرصاصة وكأنها ضربة من مطرقة وعبرت مباشرةً خلال عمودي الفقري. كنتُ سأموت لولا وجود (جوليان) ومعالج دمٍ تحت سيطرته. على الرغم من قُدرتي، أرفع يدي، وراحتا يدَيَّ مفتوحتانِ في استسلام. أنا فتاة البرق، لكنني لستُ مضادة للرصاص. لكنها تُعتبَر هذا تهديدًا بدلًا من خضوع، وتتوتر، وإصبعها يرتعش قريبًا جدًّا من الزناد.

«لا تتحركي.» تقول في هسيس، وتتجرأ على اتخاذ خطوةٍ أخرى نحوي. جلدها، اللون الداكن الغني لِلحاء الخشب الأسود، يُقدم لها تمويهًا مثاليًا في الغابة. ومع ذلك، أرى التفتح الأحمر تحته، والأوردة القرمزية الصغيرة التي تربط بياض كل عين. أشهق لنفسي. إنها حمراء.

«لا تفكري في ذلك بحقِّ الدماء.»

«لن أفعل.» أُخبرها، وأحني رأسي. «لكني لا أستطيع الحديث نيابةً عنه.»

ترفع حاجبها في حيرة. ليس لدَيها الوقت لتخاف.

يظهر (شايد) خلفها، يتجسَّد من الهواء الطلق، ويُمسكها في قبضةٍ عسكرية مُتخصصة. يُسقط المسدس من قبضتها، وأختطفه قبل أن يصطدم بالأرض الصخرية. تُقاوم وتزمجر، لكن مع ذراعَي (شايد) مُثبتتان بقوة خلف رأسها، لا يُمكنها أن تفعل أكثر من السقوط على ركبتَيها. يتبعها، ويُبقيها ثابتة بين يدَيه، وفمه يرسُم خطًّا مُتجهِّمًا. الفتاة الهزيلة

ليست ندًا له.

يُشعرني المُسدس بشعورٍ غريب في يدي. ليس الشكل الذي أُفضله في الأسلحة. لم أطلق النار حتى من قبل. كدت أضحك على ذلك. أن أصل إلى هذا الحد دون أن أطلق النار.

«أبعِدْ يدَيك الفضيتَين عني!» تزمجر وهي تقاوم قبضة (شايد). هي ليست قوية، لكنها زلِقة، ذات عضلات طويلة ورشيقة. إبقاؤها ثابتة يُشبه التمسُّك بثعبان بحر. «لن أعود، لن أعود! سيتعين عليك قتلي!»

تتطاير الشرارات في يدي الفارغة، بينما لا تزال الأخرى تمسك بالمسدس. مشهد برقي يُجمِّدها على الفور. فقط عيناها تتحركان وتتَّسع في خوف.

يخرج لسانها ليرطِّب شفاهها الجافة المُتشقِّقة. «علمت أنني تعرفتُ عليكِ.»

تسبق حرارة (كال) جسده، وتُحيطني في جيبٍ من الدفء للحظاتٍ قبل أن تمر بجانبي. تشتعل أطراف أصابعه باللَّون الأزرق من الخوف، لكن نيرانه تتراجَع عند رؤية الفتاة.

«أحضرت لك هدية.» أهمس، وأضع المُسدس في يده. يُحدق به، ويرى بالضبط ما رأيته.

«كيف حصلتِ على هذا؟» يسألها وينحني حتى يتمكن من النظر في عينَيها. تُعيدني طريقته، الباردة والحازمة، إلى آخِر مرة شاهدتُه فيها يستجوب شخصًا ما. لا تزال ذكرى صراخ (فارلي) والدماء المتجمدة تقلب معِدتي. عندما لا تُجيب، يتوتر، يصير لفافةً من العضلات الصلبة. «هذا المسدس؟ كيف؟»

«أخذته!» تُجيب غاضبة، وتتلوَّى. تُصدر مفاصلها أصوات فرقعة مع الحركة. أجفل معها، وأقابل عيون أخي. «دعها وشأنها يا (شايد). أعتقد أنه يُمكننا التعامُل مع هذا الأمر بشكلٍ جيد.»

يومئ برأسه، سعيدًا بترك المُراهقة المتلوية، ويطلق سراحها. تميل للأمام، لكنها تُمسك نفسها قبل أن تأكل التراب. تبتعِد عن محاولة (كال) للمساعدة. «لا تلمسني يا لوردي.» تبدو مُستعدة للعض، أسنانها مكشوفة

ولامعة.

«لوردي؟» يتمتم تحت أنفاسه، مُرتبكًا تمامًا مثل الفتاة.

يقف أعلى منها، يُضيق (شايد) عينَيه في إدراك. «لوردي. اللوردات النبيلة. الفضيُّون، في اللغة العامية للأحياء الفقيرة.» يشرح من أجلنا. «من أي بلدة أنتِ؟» يسألها، نبرتُه ألطف بكثيرٍ من نبرة (كال).

أخذتها على حين غرة، تنظر إليه، وتتحرك عيناها السوداء في خوف. لكنها تستمر في النظر إليَّ، مذهولة بالشرارات الرفيعة الرقيقة بين أصابعي.

«(نيو تاون).» أجابت أخيرًا. «أخذوني من (نيو تاون).»

الآن حان دوري للانحناء، حتى أتمكن من النظر إليها بالكامل. تبدو وكأنها نقيضي، طويلة وهزيلة بينما أنا قصيرة، وشعرها المَضفور أسود لامع بينما يتلاشى شعري من اللون البني إلى شظايا من اللون الرمادي. أصغر منِّي؛ أستطيع أن أرى ذلك في وجهها. ربما خمسة عشر أو ستة عشر، لكن عينَيها تدل على إرهاق أكثر من أعوامها القصيرة. أصابعها طويلة وملتوية، ربما كسرتها الآلات مرَّاتٍ عديدة لا يمكن إحصاؤها. إذا كانت من الأحياء الفقيرة في (نيو تاون)، فهي تقنية، محكوم عليها بالعمل في المصانع وخطوط التجميع في مدينة وُلِدت في الدخان. هناك وشْم على رقبتِها، لكن لا شيء مُفرط مثل مرساة (كرانس). أرقام، أدرك ذلك. (ن ت - أ ر س م- 188907). كبيرة ومُمتلئة، ارتفاعها اثنان من الإنشات، تدور حول حلقها إلى منتصفه.

«ليس جميلًا، أليس كذلك، يا فتاة البرق؟» تقول وتُكشِّر في سخرية، ملاحظة تحديقي. يقطر الازدراء من كلماتها كالسُّمِّ من الأنياب. «لكن لا تُحبين أن تبالي بالأشياء القبيحة.»

تصير نبرتها مُزعجة، وأميل إلى أن أريها بالضبط كم يمكن أن أكون قبيحة. بدلًا من ذلك، أستمع مرةً أخرى إلى تدريباتي في البلاط وأفعل ما فعله الكثيرون بي. أبتسِم في وجهها، وأضحك بهدوء. أنا أحمل كل البطاقات هنا، وهي بحاجةٍ إلى معرفة ذلك. تتعكر تعابيرها، مُنزعجة من ردِّ فعلي.

«هل أخذتِ هذا من فضي؟» يستمر (كال) في الضغط، مُشيرًا إلى المسدس. عدم تصديقه واضح للجميع. «من ساعدكِ؟»

«لم يساعدني أحد. يجب أن تعرف ذلك مباشرة.» تُجيبه في هجوم. «كان عليَّ أن أفعل كل شيء بنفسي. لم يرَني الحارس (إيجيري) قادمة.»

«ماذا؟» فقط دروسي مع السيدة (بلونوس) تمنعني من أن أشهق. جندي من منزل (إيجيري). منزل العيون (آيز). يُمكن لأي واحدٍ منهم رؤية المستقبل القريب، كأنهم الإصدارات الأقل من (جون). يكاد يكون من المستحيل على فضيٍّ مهاجمتهم دون علمهم، ناهيك عن فتاة حمراء. مُستحيل.

تهز كتفَيها فقط. «اعتقدتُ أن الفضيين من المُفترَض أن يكونوا أقوياء، لكنهم لا شيء. وكان القتال أفضل من الانتظار في زنزانتي. أيًّا ما كان الذي يُخططون له.»

زنزانة.

أتراجع على كعبي، يسقطني إدراكي. «لقد هربتِ من سجن (كوروس).»

تلتفِت عيناها نحو عيني، وترتجف شفتُها السُّفلى. هذا المؤشر الوحيد على الخوف الذي يتدفَّق تحت مظهرها الخارجي الغاضب.

تلمس يد (كال) مرفقي، ويُثبّتني. «ما هو اسمكِ؟» يسأل، نبرته تأخذ منحنًى ألطف. يُعاملها مثل حيوان خائف، وهذا يستفزُّها مثل لا شيء آخر.

تقف بسرعة، وتشتدُّ قبضتها، فتبرز الأوردة في أذرُعها التي شوَّهتها سنوات من العمل في المصنع. عيناها ضيقتان، وللحظة، أعتقد أنها قد تهرب. بدلًا من ذلك، تحفر قدماها في التراب وتعدل عمودها الفقري في فخر. «اسمي (كاميرون كول)، وإذا كنتَ لا تمانع، فسأذهب في طريقي.»

هي أطول مني، في رشاقةِ وأناقة أي سيدة في البلاط. بالكاد يصل رأسي لذقنها عندما أنهض لطولي الكامل، لكن لا تزال رجفة الخوف بداخلها. تعرف بالضبط مَن وما أكون.

«(كاميرون كول).» أُجيب. تُغرق عقلي قائمة (جوليان)، بها اسمُها

والمعلومات عنها. ثم السجلّات من خليج (هاربور)، أكثر تفصيلًا مما وجده (جوليان). أشعر وكأنني (آدا) عندما ألفظ ما أتذكره، كلماتي سريعة وواثقة. «وُلدت في الثالث من يناير، ٣٠٥، في (نيو تاون). المهنة: ميكانيكية تحت التدريب، مُتعاقدة مع هيئة التجميع والتصليح، قطاع الصناعة الصغير. العنوان: وحدة رقم ثمانٍ وأربعين، مُجمع رقم اثني عشر، المنطقة السكنية، (نيو تاون). فصيلة الدماء: لا ينطبق. تحوُّر جيني، سلالة مجهولة.»

يسقط فمها مفتوحًا، وتخرج شهقة صغيرة.

«هل يبدو ذلك صحيحًا؟»

بالكاد تستطيع أن تُومئ في موافقة. وهمسُها أكثر ضعفًا. «نعم.»

يصفر (شايد) بالكاد غير مسموع. «اللعنة، (جون).» يُتمتم، ويهز رأسه.

أومئ ناحيته، في موافقة. ما أرسلنا لنجده لم يكن شيئًا على الإطلاق، لكن شخص.

«أنت من الدماء-الجديدة يا (كاميرون) مثلي ومثل (شايد). دماؤك حمراء، ولدَيك قدرات فضية. لهذا حبسوكِ في (كوروس)، ولهذا قدرتِ على الهروب. أيًّا كانت قُدرتك فقد حرَّرتك، حتى تجدينا.» أخطو للأمام، أنوي أن أضمَّ شقيقتي في الدماء-الجديدة، لكن تبتعِد عن لمستي سريعًا.

«لم أهرب لإيجادك.» تقول مندفعة.

أبتسِم قدر استطاعتي من أجلها، أحاول أن أضعها في ارتياح. بعد عمليات التجنيد العديدة، تأتي الكلمات بسهولة. أعرف بالضبط ما أقول، وكيف ستُجيب. الأمر مُتشابِه دومًا.

«لا يجب أن تأتي، بالطبع، لكنك ستموتين بمفردك. الملك (مافين) سيجدك مجددًا ...»

تخطو للخلف ثانيةً، وتصدمني. تُكشِّر في سخرية، وتهز رأسها.

«المكان الوحيد الذي سأذهب إليه هو منطقة الاختناق، ولا أنتِ أو برقك يُمكنه منعي.»

«منطقة الاختناق؟» أقول في استنكار، وارتباك.

بجانبي يحاول (كال) كلَّ ما بوسعه ليظلَّ مُهذبًا. وكل ما بوسعه ليس جيدًا.

«حماقة.» يقول في غضب. «منطقة الاختناق بها فضيُّون أكثر مما تظُنّين، كل منهم لدَيه أمر بالقبض عليكِ أو قتلك عند رؤيتكِ. إذا كنتِ محظوظة، سيُعيدونك للسجن.»

يرتعش طرف فمِها. «منطقة الاختناق بها أخي التوءم وخمسة آلاف آخرون مثله يسيرون مباشرة إلى قبورهم. كانوا سيأخذونني أيضًا لولا حبسي في السجن. قد تكوني موافقة على التخلِّي عمَّن هم منك، لكنني لستُ كذلك.»

تخرج أنفاسها خشنة وقاسية. أكاد أرى المقاييس تنقلب ذهابًا وإيابًا في رأسها، وتزن خياراتها. هي سهلة القراءة، وتضع أفكارها وعواطفها بوضوح في كل رجفةٍ في وجهها. لا أجفل عندما تركض، مندفعةً تجاه الأشجار. لا نتبعها، وأشعر أن (شايد) و(كال) يُراقبانني، في انتظار ما يجب القيام به بعد ذلك.

قلت لنفسي إنني سأعطي الجميع خيارًا. تركت (جون) يذهب، على الرغم من أننا كنا بحاجة إليه. لكن هناك شيء يُخبرني أننا بحاجة إلى (كاميرون) أكثر، وأنه لا يمكن الوثوق بالفتاة الصغيرة، ليس بشأن قرارٍ بهذا الحجم الهائل. هي لا تعرف مدى أهميتها، بغضِّ النظر عن قدرتها. لقد هربت من (كوروس) بطريقةٍ ما، وسوف تعود بنا للداخل.

«أمسكا بها.» أهمس. وأشعر أنه أمر خاطئ.

يختفي (شايد) مع إيماءةٍ كئيبة. في عمق الغابة، تصرخ (كاميرون).

***

اضطررتُ إلى تبديل المقاعد مع (فارلي)، والسماح لها بأخذ كرسي جانب الطيار الخاص بي حتى أتمكن من الجلوس مقابل (كاميرون) ومراقبتها. هي مربوطة بإحكام، ويداها مقيدتان بحزام أمان احتياطي. هذا، مقترنًا بارتفاعنا الحالي، يجب أن يكون كافيًا لمنعها من الهرب مرة أخرى. لكنني لستُ على استعداد لأُخاطر بمثل هذه الفرصة. على حدِّ علمي، يمكنها

الطيران أو النجاة من السقوط من طائرة نفاثة. بقدْر ما أريد استخدام رحلة العودة إلى الشقِّ لأعوِّض عن النوم الذي تشتدُّ الحاجة إليه، أُبقي عيني مفتوحتَين، وأواجه نظرتها الحانقة بأكبر قدر ممكن من النار. اخطأت في الاختيار، أقول لنفسي في كل مرة يزحف داخلي الشعور بالذنب. نحن بحاجة إليها، وقيمتها كبيرة فلا يجب أن نخسرها.

تثرثر (ناني) جانبها، وتروي لها حكايات الشق بالإضافة إلى قصة حياتها الخاصة. أتوقع منها أن تسحب صور أحفادها المُجفَّفة، كما تفعل دائمًا، لكن (كاميرون) تثبت بحزمٍ حيث لا يستطيع أيٌّ منَّا ذلك. حتى المرأة العجوز اللطيفة لا تستطيع الوصول إلى الفتاة العابسة، التي تبقى صامتة وتُحدق في قدمَيها.

«ما هي قدرتك يا عزيزتي؟ وقاحة خارقة؟» تقول ساخرة أخيرًا، وقد سئمت من التجاهل.

هذا يجعل (كاميرون) تدير رأسها على الأقل، وتُبعد عينَيها عن الأرض. فتحت فمها لتُكشر في سخرية، ولكن بدلًا من امرأة عجوز، تجد نفسها تُحدق بوجهها هي.

«فليقف الخط!» تلعن، وتدع المزيد من اللغة العامية من حيِّها تخرج. تتسع عيناها وتتلوي يداها المقيدة، تحاول أن تتحرَّر. «هل يرى أحد آخَر هذا؟»

أضحك بطريقةٍ مُخيفة مع نفسي، ولا أهتم بإخفاء ابتسامتي الساخرة. أترك الأمر لـ(ناني) لإرعاب الفتاة حتى تتحدث. «يمكن لـ(ناني) أن تُغير مظهرها.» أقول لها. «(جاريث) يتلاعب بالجاذبية». يلوح من نقالته المؤقتة المُثبتة على جانب الطائرة. «وتعرفين بالفعل عن البقية.»

«أنا عديمة الفائدة.» تقول (فارلي) بصوتٍ عالي التردُّد من مقعدها. يتحرك سِكِّينها ذهابًا وإيابًا في يديها، ويكشف بالضبط مدى خطئها.

تُصدر (كاميرون) صوتًا ساخرًا وعيناها تتبعان السكين وهي تومِض. «مثلي تمامًا.» ليس هناك ذرة من الشفقة في صوتها، فقط الحقائق.

«ليس صحيحًا.» أربِّت على مذكرات جوليان بجانبي. «لقد تفوقتِ على

عين (آي)، إذا كنتِ نسيتِ.»

«حسنًا، هذا كل ما فعلته فقط، وكل ما سأفعله.» تلتوي القيود حول ذراعَيها، لكن لا تزال ثابتة. «لقد أمسكتِ بشخصٍ عديم الفائدة، يا فتاة البرق. لا تريدين أن تُضيعي وقتك عليَّ.»

إذا جاء هذا من أي شخصٍ آخر، قد يبدو الأمر مُحزنًا، لكن (كاميرون) أذكى من ذلك. تعتقد أنني لا أفهم ما تفعله. ولكن بغضِّ النظر عما تقوله، ومهما حاولَتْ أن تجعل نفسها تبدو عديمة الفائدة، فلن أُصدق ذلك. اسمها مُدرَج في القائمة، وهذا ليس خطأ. ربما لا تعرف ما هي بعد، لكننا سنكتشِف ذلك بالتأكيد. أنا لستُ عمياء أيضًا. حتى أثناء تحمُّلي لتحديقها المتحدِّي، والسماح لها بالاعتقاد بأنها خدعتني، فأنا على درايةٍ بلعبتها الأعمق. تعمل أصابعها القادرة، المدربة على أرضية المصنع، على فك الأربطة بكفاءةٍ بطيئة، ولكن أكيدة. إذا لم أُراقبها، فلن يمرَّ وقتٌ طويل حتى تتخلص من قيودها.

«تعرفين (كوروس) أفضل من أي شخصٍ منَّا.» بينما أتحدث، تتحول (ناني) عائدة لهيئتها الطبيعية. «هذا كافٍ بالنسبة لي.»

«لديكِ قارئ أفكار هنا إذن؟ لأن هذه هي الطريقة الوحيدة لإخراج كلمة لعينة منِّي.»

أتوقَّع أن تبصق عند قدمي. على الرغم من بذل قصارى جهدي، أجد نفسي أفقد صبري.

«أنت إما عديمة الفائدة أو تقاوِمين. اختاري إحداهما.» ترفع حاجبها، مُندهشة من لهجتي. «إذا كنتِ ستكذِبين، افعلي ذلك بشكلٍ صحيح.»

يرتعش طرف فمِها، يكشف عن ابتسامةٍ شريرة. «نسيتُ أنكِ تعرفين كل شيءٍ عن ذلك.»

أكره الأطفال.

«لا تتصرفي بهذا العُلوِّ والأهمية.» تستمر في القول، وتُلقي بالكلمات مثل الخناجر. إلى جانب صوتها، يملأ الهواء طنينُ الطائرة. الآخرون يستمعون باهتمام، (كال) أكثر من أيِّ أحدٍ آخر. أتوقَّع أن أشعر بارتفاع الحرارة في

أي لحظة.

«لستِ سيدة لوردية الآن، بغضِّ النظر عن عدد مَن تحاولين أن تأمُري منَّا. فراش الأمير لا يجعلك ملكة المجموعة.»

تومِض الأضواء فوق رأسها، المؤشر الوحيد على غضبي. من طرف عيني، أرى (كال) يشد قبضته على أدوات التحكُّم في الطائرة. مثلي، يبذل قصارى جهده للحفاظ على الهدوء والعقلانية. لكن هذه الوغدة تصرُّ على جعل الأمر صعبًا للغاية. لماذا لم يُرسِل لنا (جون) خريطة بدلًا من ذلك؟

«(كاميرون)، ستُخبرِيننا كيف هربتِ من ذلك السجن.» كانت السيدة (بلونوس) ستكون فخورة بهدوئي. «ستُخبرينا كيف يبدو، وأين الزنازين، وأين الحرَّاس، وأين يحتفظون بالفضيين، والدماء-الجديدة، وكل شيءٍ آخَر تتذكَّرينه، وصولًا إلى آخِر مسمارٍ لَعين. هل هذا واضح؟»

تزيح واحدةً من ضفائرها العديدة فوق كتفِها. الشيء الوحيد الذي يُمكنها تحريكه دون شدِّ العديد من الأحزمة.

«ماذا سأستفيد من ذلك، إذن؟»

«البراءة.» أسحب نفسًا. «تستمرِّين في الثرثرة وتترُكين كل هؤلاء السجناء لمصيرهم.» تعود كلمات (جون) إليَّ، كصدًى مؤلِم مُحذِّر. «الموت، أو لمواجهة الأسوأ. أنا أُنقذك من ذنب ذلك.» ذنب أعرفه جيدًا.

هناك ضغط بطيء على كتفي. (شايد) يتَّكئ عليَّ، ويُخبرني أنه هنا من أجلي. شقيق في الدم والقتال، فرد آخَر للمشاركة في النصر، واللوم.

ولكن بدلًا من الموافقة، كما يجب على أي شخصٍ عاقل، تبدو (كاميرون) أكثر غضبًا من ذي قبل. يُظلِم وجهها، سحابة رعدية من المشاعر.

«لا أُصدق أن لديكِ الجرأة لقول ذلك. أنتِ، التي تخليتِ عن الكثير بعدَ أن حكمتِ عليهم بالخنادق.»

اكتفى (كال). يضرب ذراع كرسِيِّه بقبضتِه. يتردَّد صداها بوضوح. «لم يكن هذا أمرها ...»

«لكنه كان خطأك. أنت وفرقتك الغبية من الخِرَق الحمراء الوضيعة.» ترمي نظرة على (فارلي)، وتقطع أي ردٍّ قد تُلقيه. «المراهنة على عائلاتنا،

وحيواتنا، بينما كنتِ تركضين وتختبئين في الغابة. والآن تعتقدين أنكِ نوع من الأبطال، تُحلِّقين وتُنقِذين كل شخصٍ تعتقِدين أنه مُميز، ويستحق الوقت الثمين لفتاة البرق. أراهن أنك تمرِّين مباشرة عبر الأحياء الفقيرة والقرى الفقيرة. أراهن أنكِ لا ترَين ما فعلتِه بنا.» تغلي الدماء مع غضبها، وتلون خدَّيها بحمرة قاتمة متوهجة. لا أستطيع أن أفعل أكثر من التحديق. «دماء جديدة، دماء فضية، دماء حمراء، كل شيء مُتشابه، مرة أخرى. البعض مُميَّزون، البعض أفضل من البقية، والباقي لا يملكون أي شيءٍ على الإطلاق.»

تنقلب بطني في سقم، في موجةٍ من الفزع مُنذرة بالخطر. «ماذا تقصدين؟»

«انقسام. تفضيل أحدهما على الآخر. تبحثين عن أشخاصٍ مثلك، لحمايتهم، لتدريبهم، لجعلهم يخوضون حربك. ليس لأنهم يريدون ذلك، ولكن لأنك تحتاجينهم. ماذا عن هؤلاء الأطفال الذين سيقاتلون؟ لا تهتمِّين بهم على الإطلاق. ستُقايضينهم جميعًا بشمعةٍ أخرى تحترق من أجل الآخر تمشي وتتذمَّر.»

تومِض الأضواء مرة أخرى، أسرع من قبل. أشعر بكل دورةٍ للمحركات النفاثة، على الرغم من سرعتها البالغة. الإحساس مُثير للجنون.

«أحاول إنقاذ الناس من (مافين). سيحول الدماء-الجديدة إلى أسلحة، وهذا سينتهي بالمزيد من الموت والمزيد من الدماء ...»

«تفعلين بالضبط مثل ما فعلوه.» تُشير بيدَيها المقيدتَين إلى (كال). وتهتز في غضب. أعرف هذا الشعور، وأحاول إخفاء هزات الغضب في أصابعي.

«(ماير).» يسقط تحذير (كال) على آذانٍ صماء، غارقة في نبضاتي التي مثل الرعد.

(كاميرون) تبصق سُمًّا. تستمتع بذلك. «منذ زمنٍ بعيد، عندما كان الفضيون حديثين. عندما كانوا قليلين، مُطاردين من قِبَل الناس الذين اعتقدوا أنهم مُختلفون.»

تقبض يدي على حافة مقعدي، وتحفر في شيءٍ صلب.

السيطرة. الآن تئنُّ الطائرة في أذني، في صراخٍ يفصل العظام. نرتدُّ في الهواء، ويصرخ (جاريث)، متشبثًا بساقه.

«(كاميرون)، توقفي!» تصرخ (فارلي)، ويداها تطير إلى أحزمتها. تفتحها في تتابُع سريع. «إذا لم تُغلقي فمك، سأفعل!» لكن (كاميرون) لدَيها عيون وغضب فقط من أجلي.

«انظري إلى أين أدَّى هذا الطريق.» تزمجر وتَميل إلى أقصى حدٍّ تسمح به أحزمتها.

قبل أن أعرف ذلك، أقف على قدمي، وتوازُني غير مستقر بينما تتأرجح الطائرة. بالكاد أستطيع سماعها فوق الصرخات المعدنية التي تقفز داخل جمجمتي. تخلَّصَت يداها من قيودها، وفكَّتْ أحزمتها بدقةٍ مُذهلة. تقفز لتقِف، وتزمجر في وجهي.

«بعد مئة عامٍ من الآن، سيجلس ملك جديد على العرش الذي بنيتِهِ فوق جماجم الأطفال.»

يتمزق شيء بداخلي. الحاجز بين الإنسان والحيوان، بين المنطق والجنون. فجأة أنسى أمر الطائرة، والارتفاع وكل من يعتمِد على سيطرتي التي تزداد ضعفًا. كل ما أفكر به هو توعية هذه الشقية، وأريها بالضبط مَن وما نحاول أن نُنقذه. عندما تصطدم قبضتي بفكِّها، أتوقَّع أن أرى الشرارات تنتشر عبر جلدها، تجرُّها للأرض.

لا يوجَد غير مفاصل يدي المكدومة.

تُحدق، في دهشة مثلي. حولنا، تعود الأضواء الوامِضة لطبيعتها وتستقر الطائرة. ينقطع الطنين في رأسي فجأة، وكأن غطاءً من الصمت سقط فوق حواسي. تصدمني كضربةٍ في أحشائي، وأسقط على ركبتي.

يمسك (شايد) بذراعي خلال ثانية، في قلقٍ أخوي. «أنتِ بخير؟ ما الخطب؟»

من قمرة القيادة، ينظر (كال) بيني وبين لوح التحكُّم، يتحوَّل رأسه للأمام والخلف. «استقرت.» يتمتم، على الرغم من أنني أبعدُ ما أكون عن هذا.

«(ماير).»

«ليس أنا.» يسقط عرَق بارد عبر حاجبي، وأكافح الرغبة المفاجئة في أن أتقيَّأ. تخرج أنفاسي في لهاثٍ قصير، مثل الهواء يتم ضغطه من رئتي. شيءٌ ما يَخنقني. «هي.»

تتراجع خطوةً إلى الوراء، مصدومة جدًّا فلا تكذب. تفتح فمها خوفًا. «لم أفعل أي شيء. لم أفعل، أقسم بذلك.»

«لم تقصدي ذلك، يا (كاميرون).» قد يُفاجئها ذلك أكثر من أي شيءٍ آخر.

«فقط هدِّئي نفسك ... فقط توقفي ...» لا أستطيع التنفُّس، لا أستطيع التنفُّس حقًّا.

تشتد قبضتي على (شايد)، وتحفر أظافري بجلده. يتصاعد الذُّعر خلال أعصابي، وحدي دون برقي.

يحمل وزني كاملًا على كتفِه المُصابة، متجاهلًا وخْز الألم الطفيف. على الأقل (شايد) ذكي بما يكفي لمعرفة ما أحاول قوله.

«أنت تكتُمينها، يا (كاميرون). تُوقِفين قُدراتها، تُغلقينها.»

«لا أستطيع ... كيف؟» عيناها الداكنتان مليئتان بالرُّعب.

تظهر بُقَع في رؤيتي، لكنني أرى (كال) يمر جانبي. تجفل (كاميرون) مبتعدةً عنه، كما يفعل أي شخصٍ في عقله السليم، لكن (كال) يعرف ماذا يفعل. لقد درب الأطفال، وأنا، خلال نوبات مُماثلة من الفوضى الخارقة.

«اتركيها.» يقول بثباتٍ وحزم. لا تدليل، ولكن لا غضب. «تنفَّسي دخولًا من الأنف، وخروجًا من الفم. اتركي ما تتمسَّكين به.»

أرجوكِ اتركيه، أرجوكِ اتركيه. تخرج أنفاسي في شهقات، كل نفَسٍ أقل عمقًا من سابقه.

«اتركيها يا (كاميرون).»

وكأن صخرةً عملاقة وُضِعت على صدري وتضغط عليّ حتى الموت، تعتصر كل ما يُشبه نفسي.

«اتركيها.»

«أحاول!»

«اهدئي.»
«أحاول.» صوتها أرق، وأكثر تحكُّمًا. «أحاول.»
يومئ (كال) برأسه، حركاته ناعِمة مثل الأمواج الدائرية. «هذا هو. هذا هو.»
شهيق آخر، لكن هذه المرة يدخل الهواء إلى رئتي. يُمكنني التنفُّس مرة أخرى. حواسّي ضعيفة، لكنها تعود. تزداد مع كل نبضةٍ تزداد قوةً في قلبي.
قال (كال) مرة أخرى وهو ينظر من فوق كتفِه. «هذا هو.»
عيناه تجد عينيَّ، ويتحرر خيط من التوتر بيننا. «هذا هو.»
لا أحافظ على نظرتي طويلًا. يجب أن أنظر لـ(كاميرون)، لخوفها. تضغط عيناها لإغلاقهما وتُكشر حاجبها في تركيز. تهرب منها دمعة واحدة، تجري على وجنتها، وتُدلِّك يدها الوشم على عنقها. هي في الخامسة عشرة من عمرها فقط. لا تستحقُّ هذا. ليس من المُفترَض أن تكون بهذا الخوف من نفسها.
«أنا بخير.» أجبر نفسي على القول
وتفتح عينيها. قبل أن تغلق بعنف الجدران حول قلبها، يظهر الارتياح على ملامح وجهها. لا يدوم طويلًا.
«هذا لا يُغير ما أشعُر به يا (بارو).»
لو كنتُ قادرة على النهوض، لفَعلْت. لكن عضلاتي ما زالت ترتجِف في ضعف.
«أتُريدين أن تفعلي هذا لشخصٍ آخر؟ لأخيك عندما تجدِينه؟»
ها هي. المساومة التي يجب أنّ نقوم بها. هي تعلم ذلك أيضًا.
«أدخلينا إلى (كوروس)، وسنتأكَّد من أنكِ تعرفين كيفية استخدام قُدرتك. سنجعلك أكثر شخصٍ مُميت في العالم.» أخشى أن أندم على هذه الكلمات.

الفصل الثالث والعشرون

يتردَّد صوتي بشكلٍ غريب في غرفة المدخل الواسعة للمنزل الآمن. لحقِت بنا العاصفة من الصدع، ويعوي مزيج ثقيل من الثلج والأمطار الباردة في الجانب الآخر من الجدار الترابي. يأتي البرد معه، لكن (كال) يبذل قصارى جهده للتخلُّص منه. تجمع سكان الشق معًا، في محاولة لتدفئة أنفسهم حول نار المخيم التي أشعلها على الأرض. كل عينٍ تعكس ضوء النار، ويصير هناك الكثير من المجوهرات الحمراء والبرتقالية. تومِض مع كل لمسةٍ من اللهب، وتحدق بي دومًا. مجموعهم خمسة عشر زوجًا. بالإضافة إلى (كاميرون) و(كال) و(فارلي) وأخي، جاء البالغون في الشق لسماع ما يجِب أن أقوله. تجلس بجانب (آدا) (كيثا) و(هاريك) و(نيكس). (فليتشر)، مُعالج جلد منيع ضدَّ الألَم، يمد يدَيه الشاحبتَين بالقرب من النار. يسحبه (جاريث) للخلف قبل أن يحترق جلده. هناك أيضًا (دارميان)، منيع مثل (نيكس)، و(لوري) من جزر (كنتوسبورت) الصخرية. حتى (كيلورن) ينعم علينا بحضوره، ويجلس بثباتٍ بين شريكَيه في الصيد، (كرانس) و(فاره).

لحُسن الحظ لا يُوجَد أطفال حاضرون. لن يكون لهم دور في هذا، وسيستمرون في أي أمانٍ يُمكنني تقديمه. تُبقيهم (ناني) في غرفتهم، وتُسلِّيهم بتحوُّلاتها، بينما يستمع إليَّ أي شخص يزيد عمره عن ستة عشر عامًا أُفسِّر كل ما تعلَّمناه في الطريق إلى (بيتاروس). يجلسون في حالةٍ من الاهتمام الشديد، وجوههم مشدودة في حالة صدمة أو خوف أو تصميم.

«قال (جون) إن أربعةَ أيام وقتٌ طويل للغاية. لذلك يجب أن نفعل ذلك في ثلاثة.»

ثلاثة أيام لاقتحام السجن، ثلاثة أيام للتخطيط. لديَّ أكثر من شهرٍ من التدريب الشاق مع الفضيِّين، وقبل ذلك أعوام في شوارع (الستيلتز). (كال) جندي منذ ولادته، وقضى (شايد) أكثر من عامٍ في الجيش، و(فارلي) كابتن في حدِّ ذاتها، على الرغم من أنه ليس لدَيها قدرات خاصة بها. لكن

الآخرين؟ بينما أنظر إلى القوة المُجمَّعة في الشق، تتذبذب عزيمتي. لو كان فقط لدَينا المزيد من الوقت. (آدا)، (جاريث)، و(نيكس) هم أفضل فُرَصنا، ولديهم القدرات الأنسب للهجوم، ناهيك عن الوقت الأكبر في التدريب في الشق. الآخرون أقوياء؛ يمكن لـ(كيثا) أن تمحو كائنًا بغمضة عين، ولكنها عديمة الخبرة لحدٍّ يُرثى له. قضَوا هنا بضعة أيام أو أسابيع على الأكثر، قادمين من الأحياء الفقيرة والقرى المنسية حيث كانوا لا شيء ولا أحد. إرسالهم إلى قتال سيكون بمثابة وضع طفلٍ خلف مِقود وسيلة نقل. سيُصبحون خطرًا على الجميع، خاصة أنفسهم.

يعلم الجميع أنه أمرٌ أحمق، استحالة، لكن لا أحدَ يقول ذلك. حتى (كاميرون) لدَيها الحسُّ السليم لإبقاء فمِها مغلقًا. تُحدق في النار، وترفض النظر إلى الأعلى. لا أستطيع مراقبتها لفترة طويلة. تجعلني غاضبة جدًّا وحزينة جدًّا. هي بالضبط ما كنت أحاول تجنُّبه.

تجد (فارلي) صوتها أولًا. «حتى لو كان (جون) هذا يتحدث بصدقٍ عن قُدراته، فلا يوجد دليل على أن ما أخبرنا به ليس كذبة.» تميل إلى الأمام، وتعكس ظلًّا حادًّا مقابل حفرة النار. «يمكن أن يكون عميلًا لـ(مافين). قال إن (إيلارا) ستبدأ في السيطرة على الدماء-الجديدة. ماذا لو كانت تتحكم فيه؟ تستغلُّه لجذبنا؟ قال إن (مافين) سينصب فخًّا. ربما هذا هو؟»

في شعورٍ سيئ، أرى بعض الإيماءات موافقة. (كرانس) و(فاره) و(فليتشر). أتوقع أن يقف (كيلورن) إلى جانب طاقم الصيد الخاص به، لكنه يظلُّ ساكنًا وصامتًا. مثل (كاميرون)، لن ينظر إليَّ.

يُحيط بي الدفء من جميع الجوانب. من النار أمامنا، و(كال) خلفنا، مُتكئ على الجدار الترابي. يشع مثل الفرن، لكنه هادئ مثل القبر. يعرف أفضل من أن يتحدَّث. الكثير هنا يتسامحون مع وجوده فقط بسببي، أو بسبب الأطفال، أو كليهما. لا أستطيع الاعتماد عليه للفوز بالجنود. يجب أن أفعل ذلك بنفسي.

«أُصدقه.» تبدو الكلمات غريبةً جدًّا في فمي، لكنها صلبة للغاية. هؤلاء الناس يُصرُّون على مُعاملتي كقائد، لذلك سأتصرَّف كقائد. وسأُقنعهم

باتِّباعي.

«أنا ذاهبة إلى (كوروس)، فخٌّ أم لا. تُواجه الدماء-الجديدة هناك مَصيرَين؛ إما أن يموت، أو تستغله مُحركة الدُّمى التي يُسمِّيها الجميع الملكة. كلاهما غير مقبول.»

تتحرك تمتمات الموافقة بين الذين أحاول الفوز بهم. يقودهم (جاريث)، ويهز رأسه في عرضٍ للولاء. رأى (جون) بعينَيه، ولا يحتاج إلى إقناعٍ أكثر مما أحتاج.

«لن أجعل أي شخصٍ يذهب. مثل ذي قبل، لدَيكم جميعًا خيار في هذا.»

تهز (كاميرون) رأسها قليلًا، لكنها لا تقول شيئًا. يبقى (شايد) قريبًا منها، دائمًا هي في متناول يده، في حال قرَّرت القيام بشيءٍ غبيٍّ آخر. «لن يكون الأمر سهلًا، لكنه ليس مُستحيلًا.»

إذا قلت ذلك بما فيه الكفاية، فقد أبدأ في التصديق بنفسي.

«كيف ذلك؟» يندفع (كرانس). «إذا سمعتك بشكلٍ صحيح، فقد تم بناء هذا السجن لإبقاء الناس مثلك صامِتين. ليس فقط القضبان والأبواب المُغلقة التي سيتعين عليكِ اجتيازها. ستكون هناك عيون على كل بوابة، أسطول من الضبَّاط الفضِّيين، ترسانة أسلحة، كاميرات، أحجار صامتة، وهذا فقط إذا كنَّا محظوظين يا فتاة البرق.»

بجانبه، يبتلِع (فليتشر) ريقه. قد لا يكون قادرًا على الشعور بالألم، لكن الرجل الشاحب البدِين يُمكنه الشعور بالخوف بالتأكيد. «وماذا لو لم تكوني كذلك؟»

«أسألها.» أُدير رأسي نحو (كاميرون).«لقد هربت.»

تتموج شهقات عبر الحشد كما لو كانت على سطح بركة. الآن أنا لستُ الشخص الذي يحدقون فيه، وأشعر بالراحة للاسترخاء قليلًا. في المقابل، تتوتر (كاميرون)، ويبدو أن أطرافها الطويلة تنطوي إلى الداخل، وتحميها من عيونهم الكثيرة.

حتى (كيلورن) ينظر إلى الأعلى، ولكن ليس إلى (كاميرون). تتحرك

نظراته، وتجدني وأنا أستند إلى الحائط. ويزيل كل ما عندي من الراحة، يستبدلها بلمسةٍ من بعض المشاعر التي لا أستطيع فهمها. لا خوف ولا غضب. لا، هذا شيء آخر. شوق.

في ضوء النار المتحول، والعاصفة في الخارج، يمكنني التظاهر بأننا صبيٌّ وفتاة مُجتمعَين تحت منزل في (الستيلتز)، بحثًا عن ملجأ من عواء الخريف. هل يمكن أن يتحكم شخص ما في امتداد الزمن، ويُعيدني إلى تلك الأيام. كنت سأتمسك بهم في غيرة، بدلًا من التذمر من البرد والجوع. الآن أشعر بنفس البرد والجوع، ولكن لا يُوجد غطاء يمكنه أن يدفئني، ولا طعام يمكنه أن يرضيني. لن يكون هناك أي شيء على الإطلاق. هذا خطئي. وتبعني (كيلورن) إلى هذا الكابوس.

«هل تتحدث؟» يسخر (كرانس) عندما يرهقه انتظار (كاميرون) أن تفتح فمها.

تضحك (فارلي). «أكثر ممّا أُفضل. هيا يا (كول)، أخبرينا بكل ما تتذكرينه.»

أتوقع أن تنفجر (كاميرون) مرة أخرى، وربما تعض أنف (فارلي)، لكن الحضور يُهدئ أعصابها. ترى خدعتي، لكن هذا لا يمنعها من العمل. هناك الكثير من العيون المتفائلة، والكثير منها على استعداد أن يخطو في طريق الأذى. لا يمكنها تجاهلها الآن.

«هو بعد (ديلفي).» تتنهّد. تُغيم عيناها بذكرى مؤلمة. «في مكانٍ ما بالقُرب من منطقة الجرف. قريبة جدًا فيمكنك تقريبًا أن تشتمّ رائحة الإشعاع.»

تشكل منطقة الجرف الحدود الجنوبية لـ(نورتا)، فصلًا طبيعيًا بين (بيدمونت) والأمراء الفضيِّين الذين يحكُمون هناك. مثل (نايرسي)، الجرف أرض خربة، في حالة سيئة لدرجة لا يمكن للفضيين استعادتها. حتى الحرس القرمزي لا يجرؤ على المشي هناك، حيث الإشعاع ليس خداعًا، ولا يزال دخان ألف عامٍ باقيًا.

«أبقونا مُنعزِلين.» تُكمل (كاميرون). «واحدٌ في كل زنزانة، والكثير لم

يمتلكوا القوة الكافية للقيام بأي شيء غير الاستلقاء في أفرشتهم. شيءٌ ما في ذلك المكان يجعل الآخرين مرضى.»

«الحجر الصامت.» أجيب سؤالها غير المنطوق، لأنني أتذكر نفس الشعور جيدًا. مرتان كنت في زنزانة مماثلة، ومرتان امتُصت قوّتي منّي.

«لا يوجد ضوء كافٍ، لا يوجد طعام كافٍ.» تتململ فوق مقعدها، وتُضيق عينيها مقابل اللهب. «لم نتحدث كثيرًا أيضًا. لم يعجب الحراس حديثنا مع بعضنا البعض، وكانوا طوال الوقت في مناوبات. في بعض الأحيان جاء حراس (السينتنال) وأخذوا الناس بعيدًا. بعضهم كان ضعيفًا جدًا للمشي، فاضطروا لجرجرتهم. لا أظن أن المجمع كان ممتلئًا؛ فرأيتُ العديد من الزنازين الفارغة هناك». ينقطع نفسها. «وتزداد كلَّ يومٍ دامٍ.»

«صِفِيه، المبنى.» تقول (فارلي). وتكِز (هاريك) وأفهم طريقة تفكيرها.

«كنا في مجمع خاص بنا، الدماء-الجديدة الذين أُخذوا من منطقة (بيكون). مربع كبير، مع أربعة أدوار من الزنازين على طول الجدران. كانت هناك ممرات تربط بين المستويات المختلفة، وكلها متشابكة، ويسحبها (الماجنيترونون) في الليل. نفس الشيء مع الزنزانات، إذا كان عليهم فتحها. (الماجنيترون) في كل مكان.» تَسبُّ، ولا ألومها على غضبها.

لم يكن هناك رجال مثل (لوكاس ساموس) في السجن، لا (ماجنيترون) لطيف مثل الذي مات من أجلي في (أركيون).

«لا توجد نوافذ، ولكن كان هناك نافذة في السقف. صغيرة، لكنها كافية للسماح لنا برؤية الشمس لبضع دقائق.»

«مثل هذه»؟ يسأل (هاريك) ويُدلك يديه معًا. أمام أعيننا يظهر أحد أوهامه البصرية فوق نيران المخيم، صورة تتحول ببطء. صندوق مُصنّع من خطوط خضراء باهتة. بينما تعتاد عيناي على ما أرى، أُدرك أنه مخطط بسيط ثلاثي الأبعاد لمجمع زنازين (كاميرون).

تُحدق به، وعيناها تتحرك عبر كل إنش من الوهم. «أوسع». تتمتم، وتقفز أصابع (هاريك). يستجيب الوهم. «هناك ممرّان آخران. أربع بوابات في الطابق العلوي، واحدة عند كل جدار.»

يقوم (هاريك) بما يُقال له، ويتلاعب بالصورة حتى تصير (كاميرون) راضية. يكاد يبتسم. هذا سهل بالنسبة له، لعبة بسيطة، مثل الرسم. نحدق بالصورة التقريبية في صمت، كل منا يحاول أن يحل لغز الدخول للمكان.

«حفرة.» تتأوّه (فاره)، ويسقط رأسُها بين يديها. بالتأكيد، مجمع الزنازين يبدو مثل حفرة حادة مربعة.

(آدا) أقل تشاؤمًا، وأكثر اهتمامًا بتشريح أكبر جزء من السجن ممكن. «إلى أين تقود البوابات؟»

مع تنهيدة، يسقط كتفا (كاميرون). «مجمعات أخرى. لا أعلم كم عددها بالكامل. مررت عبر ثلاثة متتالية قبل أن أخرج.

يتغير الوهم، مضيفًا مجمعات أخرى على جانبي مجمع (كاميرون). يشعرني المشهد بضربة في المعدة. العديد من الزنازين. العديد من البوابات. أماكن متعددة لنقَع بها ونسقط. لكن (كاميرون) هربت. (كاميرون)، التي لم تحظ بأيٍّ تدريبات ولا فكرة عما تقدِر على فعله.

«قلت إن هناك فضيين في السجن». يتحدث (كال) لأول مرة منذ بدأنا الاجتماع، ومزاجه مُظلم بالفعل. لن يقترب من دائرة ضوء النار. للحظة، يبدو كالظل الذي ادَّعى (مافين) دومًا بكونه. «أين؟»

تهرب ضحكة غاضبة مُزعجة وقاسية كحجرٍ يحتك بمعدن من (نيكس). يشير بأصبعه في الهواء، كالطعنة. «لمَ؟ أتريد أن تُخرج أصدقاءك من أقفاصهم وتُرسلهم عائدين للقصور وحفلات الشاي؟ فلندعهم يتعفنون!» يلوّح بيدٍ تبرز بها الأوردة ناحية (كال)، وضحكته تتحول باردة كعاصفة خريفية. «يجب أن تترُكي هذا الشخص بالخلف يا (ماير). والأفضل من ذلك، أرسليه بعيدًا. ليس لديه أي نية لحماية أي شخصٍ غير قومه.»

يتحرك فمي أسرع من عقلي، لكن هذه المرة، في موافقة. «كل واحد منكم يعلم أن هذه كذبة. نزف (كال) من أجلنا، وقام بحمايتنا، ولا داعي لذكر أنه درّب معظمكم. إذا كان يسأل عن الفضيين الآخرين في (كوروس)، فلدَيه سبب، وليس لتحريرهم.»

«في الواقع ...»

التفتُّ وعيناي متسعة، وتتردد دهشتي عبر الغرفة. «تريد تحريرهم حقًا؟»

«فكري بالأمر. هم مسجونون بسبب مُعارضتهم لـ(مافين) أو (إيلارا) أو كليهما. صعد أخي للعرش تحت ظروف غريبة، والعديد، العديد لن يُصدقوا الكذبة التي تقولها والدته. البعض ذكي بما يكفي للبقاء في الخفاء، وتقضية الوقت في صبر، لكن آخرين لن يفعلوا. وتنتهي مخططات البلاط الخاصة بهم في زنزانة. وبالطبع، هناك من هم مثل خالي (جوليان)، الذي علّم (ماير) ماهيتها. وساعد الحرس القرمزي، وأنقذ (كيلورن) و(فارلي) من الإعدام، ودماؤه فضية صارخة. هو في هذا السجن أيضًا، مع آخرين ممن يؤمنون بالمساواة دون النظر للون الدماء. هم ليسوا أعداءنا، الآن». يجيب. ويفكُّ ذراعَيه المُتشابكين، يشير بهما في جنون، يحاول أن يجعلنا نفهم ما يراه الجندي بداخله. «إذا حررناهم داخل (كوروس)، ستصير فوضى. سيهاجمون الحراس ويفعلون كل ما بوسعهم للهروب. هذا إلهاء أفضل مما يمكن لأي منّا أن يمنحه.»

حتى (نيكس) ينكمش، يرضخ من الاقتراح السريع والحاسم. على الرغم من أنه يكره (كال)، ويلومه على وفاة بناته، إلا أنه لا يستطيع إنكار أن هذه خطة جيدة. ربما أفضل ما قد نتوصل إليه.

«إلى جانب ذلك». يضيف (كال) وهو يتراجع إلى الظل. هذه المرة، كلماته مخصصة لي فقط. «سيكون (جوليان) و(سارة) مع الفضيين، وليس مع الدماء-الجديدة.»

في عجلتي، نسيت بطريقة ما أن في الواقع دماءهما لم تكن بنفس لون دمي. وأنهم من الفضيين أيضًا.

يضغط (كال)، في محاولة للشرح. «تذكُرين من هما، وكيف يشعران. ليسا وحدهما اللذين يريان الخراب في هذا العالم.»

ليسا وحدهما. المنطق يقول لي إنه يجب أن يكون على حق. بعد كل شيء، في وقتي المحدود مع الفضيين، قابلت (جوليان) و(كال) و(سارة)

و(لوكاس)، أربعة فضيين لم يكونوا قساة كما اعتقدت. يجب أن يكون هناك المزيد. ومثل الدماء-الجديدة في (نورتا)، يقوم (مافين) بالقضاء عليهم، ويلقي بكل من المُعارضين والخصوم السياسيين في السجن للتلاشي والنسيان.

تسحب (كاميرون) شفتَيها، وتومِض أسنانها. «المجمعات الفضية هي نفس مجمعاتنا، متداخلة في خليطٍ؛ فضي واحد، دماء-جديدة واحد، فضي، دماء-جديدة، وما إلى ذلك.»

«مربعات تبادُلية». يتمتم (كال)، ويومئ. «ليبقيهم منفصلين عن بعضهم. سهل التحكم، وسهل المقاتلة. وهروبك؟»

«سمحوا لنا بالمشي مرةً بالأسبوع، حتى يبقونا على قيد الحياة. كان بعض الحراس يمزحون بهذا الشأن، قالوا إن الزنازين ستقتُلنا إذا لم يدعونا نخرج قليلًا. الباقي بصعوبة قدروا على المتابعة، فناهيك عن القتال، ولستُ منهم. لم تجعلني الزنزانة مريضة.»

»لأنها لم تؤثر عليكِ». تقول (آدا)، صوتها تحت السيطرة وصائب في لطف. تبدو كـ(جوليان) لدرجة تجعلني أقفز.

للحظة مؤلمة، أعود لغرفة دروسه المُمتلئة بالكتب، وأنا التي يتم فحصها. «قدرتك على الكتم قوية للغاية لدرجة أن التدابير الأمنية العادية لا تعمل. تأثير إلغاء، على ما أعتقد. شكلٌ من الكتم أمام آخر.»

تهز (كاميرون) كتفيها في عدم مبالاة. «بالطبع.»

«إذن تسللتِ خلال فترة المشي». يتمتم (كال)، لنفسه أكثر من أيِّ أحدٍ آخر. يفكر بهذا مليًّا، يضع نفسه في مكان (كاميرون)، يتخيل السجن أثناء هروبها، حتى يكتشف طريقة للاقتحام. «لم يقدر العيون (آيز) على رؤية ما تُخططين لفعله، فلم يستطيعوا إيقافك. كانوا يحرسون البوابات، أليس كذلك؟»

تومئ في موافقة. «واحد منهم يحرس المجمع. أخذت سلاحه، وتسللت في هدوء وهربت.»

يخرج (كرانس) صافرةً صغيرة، مُعجب بجرأتها. لكن (كال) ليس بهذا

العمى، ويضغط أكثر. «ماذا عن البوابات نفسها؟ فقط (ماجنيترون) يمكنه فتحها.»

وبذلك تبتسم (كاميرون) ابتسامة هشة. «يبدو أن الفضيين لم يعودوا حمقى بما يكفي ليتركوا تحكم كل زنزانة وبوابة بيد حفنةٍ من مُتلاعبي المعادن. هناك مفتاح رئيسي، لفتح الأبواب في حالة عدم تواجد (ماجنيترون) في الأنحاء، أو لإغلاقهم بمزلاقٍ حجري إذا قرّر أحدهم عدم اللعب بشكل لطيف.»

هذه فعلتي، أُدرك هذا. استخدمت (لوكاس) ضد الزنازين في قصر قاعة الشمس. يتخذ (مافين) خطوات لضمان ألا يفعل شخصٌ آخر نفس الشيء.

ينظر (كال) ناحيتي، يفكر في نفس الشيء. «وأنتِ لديكِ المفتاح؟»

تهز رأسها، وتُشير تجاه عنقها. الوشْم عليها أسود، أكثر قتامة من بشرتها. يميزها كتقنية (تيكي)، عَبدةٌ للمصانع والدخان. «أنا ميكانيكية.» تُلاعب أصابعها المُنحنية.

«المفاتيح بها تروس وأسلاك. فقط الأحمق يحتاج لمفتاحٍ ليجعلها تعمل بشكل صحيح.»

ربما تكون (كاميرون) تتألّم، لكنها بالتأكيد مفيدة. حتى أنا يجب أن أعترف بذلك.

«تم تجنيدي، حتى مع أننا لدَينا عمل في (نيو تاون)». تُكمل، وتَخفض نبرتها.

«السجن يا (كاميرون).» أقول لها. «يجِب أن نُركز ...»

«الجميع يعمل هناك، وكان الوضع أننا لا نستطيع الانضمام للجيش حتى إذا أردنا ذلك.» تتحدث وتُقاطعني بصوتٍ أعلى وأقوى. إذا نافستُها سيتحول الأمر لمسابقة صياح. «غيَّرَتِ التدابير هذا. كان هناك قرعة. واحد من كل عشرين، لكل من هُم بين عمر الخامسة عشرة والسابعة عشرة. وقع الاختيار علينا أنا وأخي. احتمال ضئيل، أليس كذلك؟»

«الفرص أقل من ثلاثة بالمئة.» تهمس (آدا).

«فصلونا، أنا في فيلق (بيكون) في حصن (باتريوت) و(موري) فيلق

الخنجر. هذا ما فعلوه مع أي مُسبب للمشاكل، حتى مَن نظر لضابط بطريقةٍ خاطئة. فيلق الخنجر بمثابة حُكم بالإعدام، تعلم ذلك. خمسة آلاف طفل كان لديهم الجرأة للقتال، وسينتهي بهم الأمر في قبر جماعي«.

أجزُّ على أسناني. ذكرى الأوامر العسكرية تحترق بحدةٍ وسطوع في عقلي.

«إنها مسيرة موت بعد أن يُغادروا (كورفيوم)، مذبحة. مباشرة خلال الخنادق وإلى قلب منطقة الاختناق. أرسلوا (موري) إلى هناك لأنه حاول عناق والدتنا مرةً أخيرة.»

قبضتي الواهنة على القيادة تتوتَّر. أرى ذلك في كل وجه، بينما يستوعب الدماء-الجديدة كلمات (كاميرون). (آدا) الأسوأ بينهم. تُحدق في وجهي، ولا ترمش أبدًا. ليست نظرة قاسية، بل نظرة فارغة. تبذل قصارى جهدها لمنع الحكم من التعتيم على عينَيها، لكنها لا تنجح. تشتعل النار في وسط الأرض، وتُحوِّل بياض عينَيها إلى ذهبي وأحمر وصارخ.

«هناك دماء-جديدة في هذا السجن، وفضيُّون أيضًا.» تعلم (كاميرون) أنها وضعتهم في يدها، وتُضيق قبضتها. «لكن هناك خمسة آلاف طفل، خمسة آلاف؛ فتيات وفتيان حُمر، على وشك أن يختفوا للأبد. هل ستتركونهم يموتون؟ هل تتبعونها ...» وترمي برأسها ناحيتي. «وأميرها الأليف؟»

ترتعش أصابع (كال) بالقُرب من أصابعي فأسحبها. ليس هنا. الجميع يعرفون أننا نتشارك غرفة نوم، ومن يدري ماذا يفترضون أيضًا. لكنَّني لن أعطي (كاميرون) أي ذخيرة أكثر مما لدَيها بالفعل.

«تقول إن لدَيكم خيارًا، لكنها لا تعرف معنى الكلمة. تم أخذي إلى هنا، تمامًا كما أخذني الفيلق، كما أخذني (السينتنال) منذ بضعة أيامٍ سابقة. فتاة البرق لا تُعطي الناس خيارات.»

تتوقَّع منِّي أن أقاوم الاتهام، لكنني أمسك لساني. يبدو الأمر وكأنه هزيمة، وهي تعرف ذلك جيدًا. خلف عينَيها، بدأت التروس بالفعل في الدوران. لقد آذتني من قبل، ويمكنها أن تفعل ذلك مرة أخرى. فلماذا تبقى؟ يُمكنها كتم قدراتنا والخروج من هنا. لماذا البقاء؟

«تنقذ (ماير) الناس.»

يبدو صوت (كيلورن) مُختلفًا، أكبر عمرًا. يعود ألَم الاشتياق في صدري.

«أنقذَت (ماير) كلَّ واحدٍ منكم من السجن أو الموت. خاطرَت بحياتها في كل مرة دخلت مُدنكم. هي ليست مثالية، لكنها ليست وحشًا، ليس بأي مِعيار. ثِقوا بي.» يُضيف، ما زال يرفض أن ينظر ناحيتي. «رأيت الوحوش. وأنتم أيضًا، إذا تركنا الدماء-الجديدة تحت رحمة الملكة. فستجعلكم تقتلون بعضكم بعضًا، حتى لا يعود هناك شيءٌ يتبقّى ممّا كنتم عليه، أو أحدٌ حيًا يتذكّر كيف كنتم.»

رحمة. أكاد أهزأ. ليس لدى (إيلارا) أي رحمة.

لا أتوقّع أن تكون كلمات (كيلورن) ذات وقعٍ كبير، لكني مُخطئة. ينظر إليه الباقون باحترام وانتباه. ليست نفس الطريقة التي ينظرون بها إليَّ. لا، عيونهم يلوّثها الخوف دومًا. أنا جنرال بالنسبة لهم، قائد، لكن (كيلورن) شقيقهم. يُحبونه كما لا يستطيعون حُب (كال) أو أنا. يستمعون.

وهكذا انتزع نصر (كاميرون).

«سنحول هذا السجن إلى غبار». يصيح (نيكس)، ويضع يدَه على كتِف (كيلورن). قبضته شديدة، لكن (كيلورن) لا يجفل. «سأذهب.»

«وأنا.»

«وأنا.»

«أنا أيضًا.»

تتردَّد الأصوات في رأسي. تطوّع حتى أكثر مما كنتُ آمُل. هناك (جاريث)، (نيكس)، (آدا)، (كيتا) المُفجرة، المدمِّر المنيع الآخر (دارميان)، (لوري) صاحبة الحواس الفائقة، وبالطبع، (ناني) تعهدت بالانضمام. الصامتون، (كرانس)، (فاره)، (فليتشر) والساحر (هاريك)، يتململون في مقاعدهم.

«جيد». أتقدَّم مُجددًا، وأنظر تجاههم بأقوى نظرةٍ أقدِر عليها. «سنحتاج باقيكم هنا، لمنع الأطفال من إشعال الغابة بأكملها. وحمايتهم إذا حدث شيءٌ ما.»

شيءٌ ما. اقتحام آخر، هجوم شامل، ما الذي يمكن أن يُصبح مذبحة

لأولئك الذين حاولت جاهدة إنقاذهم. لكن البقاء في الخلف أقل خطورة من الذهاب إلى (كوروس)، يتنهَّدون في راحة هادئة. تُراقبهم (كاميرون) يسترخون، ووجهها مُلتوٍ في حَسد. كانت ستبقى معهم إذا استطاعت، ولكن حينها من سيقوم بتدريبها؟ من سيُعلمها كيفية التحكم في قدراتها واستخدامها؟ ليس (كال)، وبالتأكيد ليس أنا. لا تُحب الثمن، لكنها ستدفعه.

أُحاول أن أنظر إلى المتطوِّعين الآخرين تباعًا، على أمَل أن أرى العزيمة أو التركيز. بدلًا من ذلك، أجد الخوف والشك، والأسوأ من ذلك كله، الندَم. مُسبقًا، حتى قبل أن نبدأ. لا يُوجَد ما سأعطيه الآن للحصول على حرس (فارلي) القرمزي المهدر، أو حتى جنود الكولونيل (اللايكلاندريين). على الأقل لديهم بعض الإيمان بقضيتهم، إن لم يكن أنفسهم.

يجب أن أومن بشكل كافٍ لنا جميعًا. يجب أن أضع قناعي ثانيةً، وأكون فتاة البرق التي يحتاجونها.

يمكن أن تنتظر (ماير).

أتساءل بشكلٍ طفيف إذا كنتُ سأحظى بفرصةٍ أن أصير (ماير) ثانية.

«سأحتاج منكِ أن تشرحي خطوات هذا ثانيةً.» يقول (كال)، ويُشير بين (كاميرون) والوهم الدائر لسجن (كوروس). «الباقي، تناوَلوا طعامكم بشكلٍ جيد، وتدرَّبوا على قدر استطاعتكم. عندما تهدأ العاصفة، أريد أن أراكم جميعًا في الساحة.»

ينتبه الآخرون، غير قادِرين على العصيان. بينما تعلَّمت أنا كيفية التحدُّث كأميرة، كان (كال) دومًا يعلم كيفية التحدُّث كجنرال. يأمر، هذا ما هو بارع به، هذا ما هو مُقدَّر له. والآن لديه مهمة، هدف مُحدد يفوق التجنيد والاختباء، وكل شيءٍ آخر يتلاشى. حتى أنا. مثل الآخرين، أتركه لخُططه التي يغمغم بها. تلمع عيناه البرونزية مقابل الضوء الخافت للوهم، كأنه مسحور بها. يبقى (هاريك) ليحافظ على وهمِه حيًّا في إخلاص.

لا أتبع الدماء-الجديدة لعُمق الشق، والأنفاق والحُفَر حيث يمكنهم

التدريب دون أن يُلحقوا الأذى ببعضهم. بدلًا من ذلك، أواجه العاصفة وأخطو للخارج، أدع الهجوم البارد من الأمطار المتجمدة تصدمني مباشرة. يخبو دفء (كال) سريعًا، ويهجُرني.

أنا فتاة البرق.

السحب مُظلمة بالأعلى، تتموّج مع ثقل الأمطار والثلوج. كان سيجد أي (نيمف) هذا سهل التلاعب، ومثله عاصفي (ستورم). عندما كنت (مارينا)، كذبتُ وقلتُ إن أُمي عاصفية من منزل (نول). كان بإمكانها التأثير في الطقس كما أقدِر على التحكُّم بالكهرباء. وفي وعاء العظام، استدعيتُ صواعق من البرق من السماء، ودمَّرتُ الدرع البنفسجي من فوقي، وحميتُ (كال) وأنا من جنود (مافين) بينما حاصرونا. أضعفَني ذلك، لكني أقوى الآن. يجب أن أكون أقوى.

أُضيق عينيَّ مقابل الأمطار، وأتجاهل لسعة كل نقطة متجمِّدة. تبلل معطفي السميك الشتوي، وتبعث بالبرودة في أصابع يديّ وقدميّ. لكنها لا تتخدَّر. أشعر بكل شيء من المفترض أن أشعر به، من الشبكة النابضة تحت جلدي إلى الشيء خلف السحب، ينبض ببطءٍ مثل قلب أسود. يتكثّف كلما ركزتُ عليه، حتى يبدو نازفًا. تدور أصابع من الطاقة الاستاتيكية من زوبعة العاصفة التي لا أراها، حتى تتشابك بسُحب المطر المُنخفضة. يقشعر الشعر في مؤخرة عنقي بينما تتشكل عاصفة أخرى، تطقطق بها الطاقة. عاصفة برقيّة. أُغلق قبضتي، وأشدُّها على ما قد خلقْتُه، آمِلةً أن يتردد صداها.

الصوت الأول للرعد خفيف، بالكاد يدوي. يتبع ذلك صاعقة ضعيفة، تهبط في الوادي، مرئية لفترةٍ وجيزة خلال ضباب الثلج والمطر. التالي أقوى، عروقه أرجوانية وبيضاء. أشهق من المشهد، في فخرٍ وإرهاق. كل انفجار من البرق يُشعرني بشعورٍ رائع داخلي، لكنه يستنزف قدْرًا من الطاقة بينما يستمر.

«ليس لديك تصويب جيد.»

يتّكئ (كيلورن) على فتحة الشق، حريصًا على الحفاظ على جفافه قدْر

الإمكان تحت حافة السقف. وبعيدًا عن النار، يبدو أكثر قسوةً ونحافة من أي وقتٍ مضى، على الرغم من أنه يأكل مثلما كان يأكل في (الستيلتز). لقد تركتِ المطاردة الطويلة والغضب المُستمر أثرهما.

«أعتقد أن هذا من الأفضل، إذا كنتِ تصرِّين على التدريب هكذا بالقُرب من المنزل.» يضيف، مشيرًا إلى الوادي. على بُعد، تُدخِّن شجرة صنوبر طويلة. «ولكن إذا كنتِ تُخططين للتحسّن، فقدِّمي لنا جميعًا معروفًا واذهبي في نزهة.»

«هل تتحدَّث معي الآن؟» أزفر، في محاولةٍ لإخفاء مدى ضيق أنفاسي. أُضيق عينيَّ، مُحدقةً في الشجرة المُدخنة. تهبط صاعقة ضعيفة على بُعد مئة ياردة، بعيدًا عن المكان الذي كنتُ أُصوِّب ناحيته.

قبل عام، كان (كيلورن) سيضحك على جهودي ويُضايقني حتى أُعاركه. لكن عقله نضج مثل جسده. تختفي طرُقُه الطفولية. كرهتُها ذات مرة. الآن أحزن عليها.

يرفع غطاء سُترته، ويُخفي شعره ذو القصّة السيئة. رفض السماح لـ(فارلي) بقصِّه قصيرًا مثلها، لذلك جرَّب (نيكس) يده، تاركًا (كيلورن) بستارةٍ غير مستوية من الخصل السمراء.

«هل ستسمحين لي بالذهاب إلى (كوروس)؟» سأل أخيرًا.

«تطوَّعت.»

الابتسامة التي ترتسِم على وجهه بيضاء مثل الثلج الذي يتساقط من حولنا. أتمنّى لو أنه لم يكن يريد هذا بشدة. أتمنّى أن يستمع، ويبقى هنا. لكن (كال) يقول إن (كيلورن) سيثِق بي لاتخاذ قراراتي الخاصة. لذلك يجب أن أتركه يتَّخِذ قراراتِه.

«شكرًا لك على التحدُّث دفاعًا عني هناك.» أتابع، وأقصد كل كلمة.

يُميل رأسه، ويدفع شعره بعيدًا عن عينَيه. يعبث بالجدار الترابي خلفه ويُجبر نفسه على هز كتفَيه في عدم مبالاة. «اعتقدتُ أنكِ تعلمتِ كيفية إقناع الناس بعد كل تلك الدروس الفضية. مع ذلك، أنتِ حمقاء للغاية«.

يمتزج ضحكنا معًا، صوت أتعرّف عليه من الأيام الماضية. في تلك

اللحظة، نحن مختلفان عما نحن عليه الآن، ولكن كما كنًا دائمًا. لم نتحدَّث منذ أسابيع، ولم أُدرك كم افتقدتُه. للحظة، أفكر بالبوح بكلِّ شيء، ولكني أُحارب الرغبة المؤلمة. من المؤلِم كبح هذا، وعدم إخباره عن ملاحظات (مافين)، أو الوجوه الميتة التي أراها كل ليلة، أو كيف كوابيس (كال) تُبقيه مُستيقظًا. أريد أن أخبره بكل شيء. يعرف (ماير) كما لا يعرفها أي شخصٍ آخَر، كما أعرف الصبي الصياد (كيلورن). لكن هؤلاء الناس رحلوا. يجب أن يرحل هؤلاء الناس. لا يُمكنهم النجاة في عالمٍ كهذا.

أحتاج إلى أن أكون شخصًا آخر، شخصًا لا يعتمد على أي شيءٍ سوى قوَّته الخاصة. يجعل من السهل جدًا العودة إلى (ماير)، ونسيان الشخص الذي أحتاج إلى أن أكون إيَّاه.

الصمت باقٍ، خفيف مثل غيوم أنفاسنا في الهواء البارد.

«إذا مت، سأقتُلك.»

يبتسِم في حزن. «كذلك أنتِ.»

الفصل الرابع والعشرون

الغريب أنني حظيتُ بنومٍ في الأيام الثلاثة التالية أكثر مما نمتُ في الأسابيع الماضية. التدريب الشاق في الساحة بجانب جلسات تخطيط طويلة يجعلوننا جميعًا مُرهقِين. تتوقف رحلات التجنيد تمامًا. لا أفتقِدهم. كانت كل مهمة واحدة عبارة عن شهيقٍ من الراحة أو الرّعب، وكلاهما مُدمر لي. الكثير من الجثث على المشانق، والكثير من الأطفال يختارون ترك أمهاتهم، والكثير منهم مُمزَّقون من الحياة التي عرفوها. للأفضل أو للأسوأ، فعلت ذلك بهم جميعًا. ولكن الآن بعد أن أصبحتِ الطائرة على الأرض، وقضيتُ وقتي في البحث في الخرائط والمُخططات، أشعر بنوع آخَر من العار. لقد تخليتُ عن الأطفال الذين لا يزالون هناك، تمامًا كما قالت (كاميرون) أنني تخليتُ عن أطفال الفيلق الصغير. كم عدد الرُّضَّع والأطفال الذين سيموتون؟

لكني شخصٌ واحد فقط، فتاة صغيرة واحدة لم تعُد قادرة على الابتسام. أُخفيها عن البقية، خلف قناع البرق الخاص بي. لكنها لا تزال فزِعة، واسعة العينَين، خائفة. أدفعها بعيدًا في كل لحظة استيقاظ. لكنها لا تزال تُطاردني. لا تُغادر أبدًا.

الجميع ينام بعُمق، حتى (كال)، يتأكد من حصول الجميع على أكبر قدرٍ ممكن من الراحة بعد التدريب. بينما يتحدَّث (كيلورن) مرة أخرى، ويسمح لنفسه بالعودة إلى المجموعة، يبتعد (كال) أكثر فأكثر مع مرور الساعات. يبدو كما أنه لم يعد لدَيه مساحة في رأسه للمحادثات. لقد سجنه (كوروس) بالفعل. يستيقظ قبلي، لتدوين المزيد من الأفكار، والمزيد من القوائم، والخربشة على كل قصاصة ورق يُمكننا إيجادها عنها معًا. (آدا) هي أكبر مساعِدة له، تحفظ كل شيء باهتمام لدرجة أنني أخشى أن تحرق عيناها ثقوبًا في الخرائط. (كاميرون) دومًا في الأرجاء. على الرغم من أوامر (كال)، تبدو أكثر إرهاقًا مع مرور كل دقيقة. تُحيط الهالات السوداء

بعينَيها، تستند أو تجلس كلما استطاعت. لكنها لا تشكو، على الأقل أمام الآخرين.

اليوم، آخر يومٍ قبل الاقتحام، هي في مزاجٍ سيئ بشكلٍ خاص. تصبُّ اهتمامها على أهدافها التدريبية. وبالتحديد، أنا و(لوري).

«كفى.» تقول (لوري) في هسيسٍ بين أسنانٍ مُطبقة. تسقط على ركبتَيها، تلوّح بيدها في اتجاه (كاميرون). تُشدد المراهقة على قبضة يدِها لكنها تدعها، وتختفي قُدرتها، وتسحب ستارة الصمت الخانقة. تضيف (لوري)، وهي تقاتل لتنهض على قدَميها. «من المُفترَض أن تضربِي حواسي، وليس أنا.»

على الرغم من أنها من (كينتوسبورت) المتجمِّدة، قرية على ميناءٍ صخري نصف مَنسي تُهاجمها مسبقًا الثلوج والعواصف البحرية، تسحب معطفها بالقُرب منها. قدرة الصمت الخاصة بـ(كاميرون) لا تسلبك أسلحتك الدموية فحسب، بل تُوقفك تمامًا. يتباطأ نبضك، وتظلم عيناك، وتنخفض درجة حرارتك. تزعزع شيئًا في عظامك.

«آسف.» اعتادت (كاميرون) على التحدُث بأقل عددٍ ممكن من الكلمات. تغيير مُرحَّب به بعد خطاباتها الصاخبة. «لست جيدة في هذا.»تقول (لوري) في اندفاع. «حسنًا، من الأفضل أن تصيري جيدةً وبسرعة. سنغادر الليلة يا (كول)، ولن تأتي فقط للعب دور المُرشد السياحي.»

ليس من شأني إنهاء المشاجرات. أحرض عليها، نعم، أراقبها، بالتأكيد، لكن أُوقفها؟! ومع ذلك، ليس لدَينا وقت للجدال.

«(لوري)، كفى. (كاميرون)، مرة أخرى». يُفيدني صوت (مارينا) في البلاط هنا، وتتوقفان للاستماع. «احجُبي حواسَّها. اجعليها طبيعية. سيطري على ماهيتها.»

ترتعش عضلة في وجنة (كاميرون)، لكنها لا تنطق اعتراضها. مع كلِّ شكواها، تعلم أن هذا شيء يجب أن تفعله. لو ليس من أجلنا، إذن من أجلها. تعلم أن كيفية التحكُّم بقُدرتها هو أفضل ما يمكنها فعله، وهذا هو اتفاقنا. أُدرِّبها، وتأخذنا لـ(كوروس).

لا توافق (لوري). «أنتِ التالية يا (بارو)». تزمجر لي.

لَكْنة الشمال البعيد في صوتها حادة وقاسية، مثل (لوري) والمكان القاسي الذي جاءت منه.

«(كول) إذا جعلتني أمرض ثانية، سأطعنُك في أحشائك أثناء نومك.»

بطريقةٍ ما، يجلب هذا تجعيدة ابتسامة من (كاميرون). «يمكنكِ المحاولة.» تُجيب، وتمدُّ أصابعها الطويلة الملتوية. «دعيني أعلم عندما تشعُرين بها.»

أراقب، في انتظار الإشارة. لكن مثل (كاميرون)، قدرات (لوري) صعبة الرؤية قليلًا. ما تدعوه بقدراتها الحسِّية تعني أن كل ما تسمع، ترى، تلمس، تشتمُّ، تتذوقُ مُضاعف لحدٍّ مذهل. يمكنها الرؤية للبُعد الذي يقدِر عليه الصقر، وتسمع الأغصان تنكسِر على بُعد ميل، حتى تتعقب مثل كلب الصيد. إذا كانت تُحب الصيد فقط. لكن (لوري) تميل أكثر إلى حراسة المُخيم، وتُراقب الغابة ببصرِها وسمعها المُتفوِّقَين.

»اهدئي». أُدربها. يتجعد حاجِبا (كاميرون) في تركيز، وأتفهم. هذا أمر آخر أن تتحرَّر، وتسقط جدران اليد داخلها وببساطةٍ تدع كل شيءٍ يتدفق. هذا أسهل من التمسك بها، والتحكم بنفسك، الحفاظ على الثبات والحزم والسيطرة. «هذه ملكك يا (كاميرون)، تملكينها. تستجيب لكِ«.

يومِض شيء في عينَيها. ليس غضبها المعتاد. فخر. أتفهَّم هذا أيضًا. بالنسبة لفتيات مثلنا، من لم يكن لديهنَّ شيء، ولا يتوقعنَ شيئًا، من المُسكِر أن نعلم أن هناك شيئًا ملكنا، شيئًا لا يقدر أحد على المُطالبة به أو سلبه منَّا.

إلى يساري، ترمش (لوري)، وتُضيق عينَيها. «تذهب.» تقول. «بالكاد يُمكنني أن أسمع عبر المخيم.»

ما زال هذا بعيدًا. لاتزال قُدرتها باقية. «أكثر قليلًا يا (كاميرون).»

تفعل (كاميرون) ما أقول، وترمي بيدِها الأخرى. ترتعش أصابعها بالتزامُن مع ما يبدو أنه نبضها، تُشكِّل ما تشعر به إلى ما تُريد أن تكونَه. «الآن»؟ تقول.

تميل (لوري) رأسها. «ماذا؟» تصيح، وتُضيق عينَيها أكثر.

بالكاد ترى أو تسمع.

«هذا هو الشيء الثابت لديك.» بدون تفكير، أمدُّ يدي وأضعها على كتفَيها. «هذا ما تُصوبين تجاهه. قريبًا سيكون سهلًا كإدارة مفتاح، مألوف فلا يمكن نسيانه. سيكون لحظيًّا«.

«قريبًا»؟ تقول، وتدير رأسها. «سنُحلِّق الليلة.»

بدون تفكير، أُجبرها أن تنظر لـ(لوري)، أصابعي تدفع فكَّها. «انسَي هذا. فلنرَ كم من الوقت يُمكنك التحكُّم بقُدراتك بدون أن تؤذِيها«.

«عمياء كليًّا.» تصيح (لوري)، صوتها عالٍ للغاية. صمَّاء كليًّا أيضًا على ما أظن.

«مهما كان ما تفعلينه، فهو ناجح.» أخبر (كاميرون). «لست بحاجة إلى أن تقولي ما هو، ولكن عليكِ أن تعرفي فقط أن هذا هو مُحفزك.»

قبل أشهر، أخبرَني (جوليان) بالشيء نفسه، للعثور على الزناد الذي أطلق شراراتي في الحديقة الحلزونية. أعلم الآن أن التخلِّي هو ما يَمنحني القوة، ويبدو أن (كاميرون) مهما كان فقد وجدت ما يُمكِّنها.

«تذكري كيف تشعرين.»

على الرغم من البرد، تسقط قطرة من العرق على رقبة (كاميرون) وتختفي في ياقتها. تجزُّ على أسنانها، وتشدُّ فكَّيها لمنع شعورها بالإحباط.

«سيُصبح الأمر أسهل.» أُتابع، وأزيح يدي من على كتفَيها.

أشعر بعضلاتها تتوتَّر تحت أصابعي، نحيفة ومشدودة مثل الحبال المَسحوبة بشدة. في حين أن قُدرتها تعيث فسادًا في حواس (لوري)، لكنها تضعف (كاميرون) أيضًا. لو فقط كان لدينا المزيد من الوقت. أسبوع آخر، أو حتى يوم آخر.

على الأقل لا يجِب على (كاميرون) أن تكبح قواها بمجرد وصولنا إلى (كوروس). داخل السجن، أريدها أن تُسبب أكبر قدرٍ ممكن من الألَم. مع انفعالاتها وتاريخها في الزنازين، لا ينبغي أن يكون كتم قُدرات الحراس أمرًا صعبًا للغاية، وستشق لنا طريقًا واضحًا عبر الصخور واللَّحم. ولكن

ماذا يحدث عندما يقف الشخص الخطأ في طريقها؟ دماء-جديدة لا تعرفه؟ (كال)؟ أنا؟

يمكن أن تكون قُدرتها هي أقوى ما رأيتُ وشعرت به قط، لكن بالتأكيد لا أريد أن أكون ضحيتّه مجددًا. مجرد التفكير بها يجعل جسدي يقشعر. عميقًا بداخلي، تستجيب الشرارات، وتتفجَّر داخل أعصابي. أضطر أن أكبحها، باستخدام دروسي الخاصة لإبقاء البرق هادئًا وبعيدًا. على الرغم من أنه يُطيعني، ويتلاشى إلى طنينٍ خافت بالكاد ألاحظه، إلا أن الشرارات تتلوَّى بقوة. على الرغم من قلقي وتوتُّري المُستمر، يبدو أن قُدرتي قد نمت. صارت أقوى من ذي قبل، سليمة وحية. على الأقل جزءٌ منّي حَي، أفكر. لأنه تحت البرق، هناك عنصر آخَر باقٍ.

البرد لا يرحل أبدًا. لا ينتهي، وأشعر به أسوأ من أيِّ عبء. البرد أجوف، ويأكلني من الداخل. ينتشر مثل العفن، مثل المرض، وفي يوم من الأيام أخشى أنه سيتركني خاوية، قشرة من فتاة البرق، جثة (ماير بارو) التي تتنفَّس.

أثناء عَمَى (لوري)، تدير عينَيها، وتبحث عبثًا داخل غطاء (كاميرون) المُظلم. تقول بصوتٍ عالٍ، «بدأت أشعر بها ثانية.»

صوت الهسيس في كلماتها يكشف ألَمَها. على الرغم من أنها قاسية مثل الصخور المالحة التي نشأت عليها، حتى (لوري) لا تستطيع أن تصمت مقابل أسلحة (كاميرون). «تزداد سوءًا.»

«اتركيها.»

بعد لحظة طويلة أكثر مما أُحب، تسقط ذراعَي (كاميرون)، ويسترخي جسدها. يبدو أنها تنكمش، وتسقط (لوري) على ركبتَيها مرة أخرى. تُدلك رأسها وترمش بسرعة، تدع حواسَّها تعود.

«آه.» تُتمتم، وتبتسِم ابتسامةً ساخرة في وجه (كاميرون).

لكن الفتاة التقنية ليس لدَيها ابتسامة في المقابل. تستدير بحدَّة على كعبَيها، تتأرجح ضفائرها مع الحركة، حتى تُواجهني بالكامل. أو، يجب أن أقول، أعلى رأسي. أرى الغضب فيها، من النوع المألوف. سيخدمها بشكلٍ

جيد الليلة.

«نعم؟»

«انتهيتِ لهذا اليوم.» تقول في اندفاع، وتظهر أسنانها الناصعة البياض.

لا يسعني إلّا أن أُشبك ذراعَي، وأُعدل عمودي الفقري لشكلٍ مستقيم قدر الإمكان. أشعر إلى حد كبير مثل السيدة (بلونوس) عندما أُحدق بها.

«ستنتهين في غضون ساعتَين، يا (كاميرون). من المُفترَض أن تتمنَّي لو كان لديكِ أكثر من ذلك. نحن بحاجةٍ إلى كل ثانية يُمكننا الحصول عليها ...»

«قلت انتهيتِ.» تُكرِّر.

بالنسبة لفتاة في الخامسة عشرة من عمرها يُمكنها أن تكون حازمة بشكلٍ غير عدواني. تلمع عضلات رقبتها الطويلة بالعرَق، وتخرج أنفاسها قاسيةً. لكنها تقاوم الرغبة في اللهث، تحاول أن تُواجِهني على أساسٍ متساوٍ. تحاول أن تبدو كنظيرٍ لي.

«أنا متعبة، أنا جائعة، وعلى وشك أن أُساق لمعركة لا أريد أن أُقاتل بها مُجددًا. وسأكون ملعونة إذا مِتُّ ومعِدتي فارغة.»

خلفها، تُراقبنا (لوري) بعيونٍ واسعة لا ترمش. أعرف ما كان سيفعله (كال). عصيان أوامر، كما يدعوه، ولا يمكن التسامُح معه. يجب أن أضغط على (كاميرون) بقوة أكبر، وأجعلها تركض في جولة حول الساحة، وربما أرى ما إذا كان بإمكانها إسقاط طائر بضغط قُدرتها. كان (كال) سيجعل الأمر واضحًا. هي ليست المسئولة. يعرف (كال) الجنود، لكن هذه الفتاة ليست واحدة من قوَّاته. لن تنحني لإرادتي أو لإرادته. لقد أمضت وقتًا طويلًا في إطاعة صافرات تغيير المناوبات، والجداول الزمنية التي تنتقِل عبر أجيال من عمَّال المصانع المُستعبَدين. لقد ذاقت الحرية، ولن تخضع لأي أمرٍ لا تريد اتِّباعه. وعلى الرغم من أنها تحتجُّ في كل لحظةٍ من وقتها هنا، إلا أنَّها تبقى. حتى مع قُدرتها، تبقى.

لن أشكرها على ذلك، لكنني سأتركها تأكل. بهدوء، أتنحَّى جانبًا.

«ثلاثون دقيقة من الراحة، ثم عودي.»

تشتعل عيناها بالغضب، ويكاد المنظر المألوف يجعلني أبتسم. لا

يسعني إلا الإعجاب بالفتاة. في يومٍ من الأيام، قد نكون أصدقاء. لا توافق، لكنها لا تُجادل أيضًا، وتبتعِد عن زاويتنا في الساحة. يُراقبها الآخرون في الساحة وهي تذهب، وعيونهم تُلاحقها بينما تتحدى فتاة البرق، لكنني لا أهتمُّ البتة بما قد يفكرون فيه. لستُ الكابتن، لستُ ملكتهم. لستُ أفضل أو أسوأ من أي منهم، وحان الوقت ليبدءوا برؤيتي كما أنا. دماء-جديدة أخرى، مقاتلة أخرى، ولا شيء أكثر من ذلك.

«لدى (كيلورن) بعض الأرانب.» تقول (لوري). فقط لكسر الصمت. تشمُّ الهواء وتلعَق شفتَيها بطريقة كانت ستجعل السيدة (بلونوس) تصرخ. «طرية أيضًا.»

«اذهبي إذن.» أُغمغم، وألوِّح بيدي ناحية نيران الطهي على الجانب الآخر من الساحة. ليس من الضروري أن أُخبرها مرتَين.

«بالمناسبة، (كال) في مزاجٍ سيئ.» تضيف بينما تمرُّ بجانبي مُتبخترة. «أو على الأقل، يستمر في لعْن الأشياء وركلِها.»

أعلم من نظرة واحدة أن (كال) ليس في الخارج. للحظة، أنا مندهشة، ثم أتذكر. تسمع (لوري) كل شيءٍ تقريبًا، إذا توقفَتْ للاستماع.

«سأنظر في أمره.» قلتُ لها. وأرحل بخطواتٍ سريعة. تحاول اللحاق، ثم تفكر بشكلٍ أفضل في الأمر، وتدعني أُسرع إلى الأمام.

لا أزعج نفسي بإخفاء قلقي. (كال) ليس سريع الغضب، والتخطيط يُهدئه، يجعله سعيدًا حتى. لذا أيًّا كان ما يجعله يتحوَّل هكذا فإنه يُقلقني أيضًا، أكثر بكثيرٍ مما يجِب أن أكون في ليلة الاقتحام.

الشق فارغ، مع وجود الجميع خارج للتدريب. حتى الأطفال ذهبوا لمشاهدة كبارهم يتعلَّمون القتال وإطلاق النار والتحكم في قدراتهم. أنا سعيدة لأنهم ليسوا تحت أقدامي، يسحبون يدي، ويُزعجونني بأسئلةٍ سخيفة حول بطلِهم، الأمير المَنفي. ليس لديَّ صبر على الأطفال مثل (كال). عندما ألتفُّ حول زاوية، كدتُ أصطدم بأخي مباشرة. قادمًا من اتجاه غُرَف النوم، وتتبعه (فارلي) وهي تبتسِم لنفسها، لكن تختفي الابتسامة في اللحظة التي تراني فيها.

«(ماير).» تُتمتِم في تحية. لا تتوقَّف وتمرُّ جانبي.
يُحاول (شايد) أن يقوم بنفس الشيء، لكني أرفع يدي لأوقفه.
«هل يُمكنني مساعدتك في شيء؟» يسألني. وترتعش شفتاه، تُقاوِم في معركة خاسرة ضد ابتسامة مرحة هزيلة.
أحاول أن أبدو غاضبةً منه، ولو فقط لأحافظ على المظاهر. «من المفترَض أن تتدرَّب.»
«هل أنتِ قلقة أنني لا أحظى بالتدريب الكافي؟ أؤكد لكِ يا (ماير).» يقول ويغمز بعينِه. «نفعل هذا.»
هذا منطقي. (فارلي) و(شايد) لا ينفصلان منذ فترة طويلة. ومع ذلك، أشهق بصوتٍ عالٍ، وأضرب ذراعَه. «(شايد بارو)!»
«أوه، هيا، الجميع يعرف. ليس خطئي أنكِ لم تكتشفي ذلك.»
«كان بإمكانك إخباري.» أقول مندفعةً، أحاول التشبُّث بشيءٍ لتوبيخه.
يهز كتفَيه فقط، ولا يزال يبتسِم ابتسامةً عريضة. «كما تُخبرينني بكل شيءٍ عن (كال)؟»
«هذا ...» مختلف، أريد أن أقول. نحن لا نتسلَّل في منتصف النهار، أو حتى نفعل الكثير من أي شيء في الليل.
لكن (شايد) يرفع يده، ويُوقفني. ويقول، «إذا كان كل هذا مُتشابِهًا بالنسبة لكِ، فلا أريد أن أعرف حقًّا. وإذا سمحتِ لي، أعتقد أن لديَّ بعض التدريبات للقيام بها، كما أشرتِ في لطف.»
يتراجع، ويداه للأمام، مثل رجلٍ يستسلِم في معركة. أدعه يذهب، وأصرفه بتلويحة من يدي بينما أحارب ابتسامة. تشرق نبتة صغيرة من السعادة في صدري، شعور غريب بعد أيام عديدة من اليأس. أحميها كما أحمي لهب الشمعة، في محاولة لإبقائها حية ومضاءة. لكن منظر (كال) سرعان ما يُطفئها.
هو في غرفتنا، يجلس على صندوقٍ مقلوب، مع ورقةٍ مألوفة مفرودة على ركبتَيه. هذا الجزء الخلفي من إحدى خرائط الكولونيل، مُغطاة الآن بخطوط مرسومة بشِقِّ الأنفُس. خريطة لسجن (كوروس)، أو على الأقل

بقدر ما تتذكره (كاميرون).

أتوقع أن أرى حواف الورقة تُدخن، لكنه يحافظ على احتواء نيرانه في الفجوة المتفحمة في الأرض. تعكس ضوءًا أحمرَ راقصًا يصعب القراءة خلاله، لكن (كال) يُضيق عينَيه في تركيز. في زاوية الغرفة، تستقر حقيبتي دون اضطراب، مليئة بملاحظات (مافين) المؤرقة.

ببطء، أسحب صندوقًا آخر، وأجلس بجانبه. لا يبدو أنه يلاحظ، لكنني أعرف أنه يجب أن يلاحظ. لا يفوت عقل الجندي شيءٌ. عندما يصطدم كتفي به، لا يرفع عينَيه عن الخريطة، لكن يدَه تنزلق إلى ساقي، وتجذبني إلى دفئه. لا يُخفف قبضته، ولا أدفعه بعيدًا. لا أستطيع بحق أبدًا.

«ما الأمر الآن؟» أسأل، وأضع رأسي على كتفه. حتى أتمكن من رؤية الخريطة بشكل أفضل، أقول لنفسي.

«بجانب (مافين)، ووالدته، وحقيقة أنني أكره الأرانب، وتخطيط هذا السجن الجحيمي؟ لا شيء على الإطلاق، شكرًا لسؤالك.»

أريد أن أضحك، لكنني بالكاد أستطيع أن أبتسم. ليس من عادته أن يمزح، ليس في مثل هذه الأوقات. أترك الحسَّ السيئ في هذا لـ(كيلورن).

«تتطور (كاميرون) جيدًا، إذا كان هذا سيُساعد.»

«حقًّا؟» يرتجف صوته في صدره، ويصدمني اهتزازه. «ألهذا أنتِ هنا ولا تقومين بتدريبها أكثر؟»

«تحتاج للطعام يا (كال). ليست كتلةً من الحجر الصامت.»

يزمجر، لا يزال يُحدق بمُخطط (كوروس). «لا تُذكِّريني.»

«هذه في الزنازين فقط، يا (كال)، ليست في باقي السجن.» أُذكِّره.

آمُل أن يستمع لي، ويستجمع شتاته للوقت الكافي ليخرج من مزاجه الغريب. «سنكون بخيرٍ ما لم يَسجِنَّا أحد بالداخل.»

«دعي (كيلورن) يعرف.» لمُفاجأتي، يضحك على مزحته، ويبدو كصبيٍّ في المدرسة بدلًا من الجندي الذي نحتاجه. والأكثر من ذلك، يُضيق قبضته على رُكبتي. ليس بالقدْر الكافي ليؤلِمني، لكن بما يكفي ليجعل أفكاره واضحة.

«(كال)؟» أدفع يدَه بعيدًا، أزيحها كأنها عنكبوت. «ماذا بك؟»

أخيرًا، ينظر ناحيتي. لا يزال يبتسِم، لكن لا يُوجد ذرة مرح في عينَيه. يعبر شيءٌ مُظلم خلالهما، ويُحوِّله لشخصٍ لا أعرفه على الإطلاق. حتى في وعاء العظام، قبل أن يحكُم عليه أخوه بالإعدام، لم يبدُ (كال) هكذا. كان خائفًا، مُضطربًا تعيسًا بدلًا من أمير، لكنه كان لا يزال (كال). كان بإمكاني الثقة بذلك الشخص المرتعِب. لكن هذا؟ هذا الفتى الضاحك بأيدٍ شاردة وأعينٍ بائسة؟ من هو؟

«هل تريدين قائمة؟» يُجيب، وتتَّسِع ابتسامته أكثر، وينفجر شيء بداخلي. أضربه بقوة، لكمة دائرية موجهه لكتفِه. هو ضخم، لكنه لا يُقاوِم عزم ضربتي، ويدعها تُسقطه للخلف، مما يفاجئني. أسقط معه، ونهبط على الأرض الترابية. يرتطم رأسه بها ويُصدِر صوتًا خاويًا، ويزمجر في ألَم. عندما أنهض، أدفعه وأُثبِّته بقوةٍ أسفلي.

«لن تنهض قبل أن تجمع شتات نفسك.»

لدهشتي، يهز كتفَيه فقط. ويغمز حتى. «ليس مُحفزًا قويًا.»

في وقتٍ ما، كانت سيدات (نورتا) النبيلات سيفقدنَ الوعي إذا غمز ناحيتهنَّ الأمير (تايبرياس). هذا فقط يقلب معِدتي، وألْكمُهُ مُجددًا، لكن هذه المرة في معدته. على الأقل لدَيه الحس المنطقي ليُبقي فمه مغلقًا، وعينَيه لا تغمزان.

«الآن، أخبرني ما هي مشكلتك؟»

ما بدأ كابتسامةٍ يتحوَّل لتجهُّم، ويسند رأسه للخلف. يُكشر حاجبَيه ويتأمَّل في السقف. أفضل من التصرف كأحمق.

«(كال)، هناك أحد عشر شخصًا قادمون معنا إلى (كوروس). أحد عشر.»

يُطبق فكَّه. يعرف ما الذي أحاول الوصول إليه. أحد عشر شخصًا سيموتون إذا لم ننجح في ذلك، وعدد لا يحصى من الأشخاص سيموتون في (كوروس) إذا تركناهم وحدهم.

«أنا خائفة أيضًا.» يرتجف صوتي أكثر مما أريد. «لا أريد أن أُخيِّب آمالهم، أو أجعلهم يتأذّون.»

مرة أخرى، تجد يدُه ساقي. لكن لمسته ليست طارئة، ليست ملحّة. هي مجرد تذكير. أنا هنا.

«لكن الأهم من ذلك كله.» ينقطع نفسي، مُعلّقة على حافةٍ حادةٍ من الحقيقة. «أنا خائفة لأجلي. خائفة من الجهاز الصوتي، من الشعور بذلك مرةً أخرى. أخشى مما ستفعله (إيلارا) إذا تمكنت مني. أعلم أنني أكثر قيمةً من معظم الناس، بسبب ما قمتُ به وما يمكنني القيام به. اسمي ووجهي لهما قوة البرق، وهذا يجعلني مهمة. هذا يجعلني جائزة أفضل.» هذا يجعلني وحيدة. «وأكره التفكير بهذه الطريقة، لكنني ما زلتُ أفكّر بها.»

ما بدأ بانهيار (كال) أصبح يحدث لي. في إحدى الليالي المُظلمة، أفشيتُ له أسراري، على طريق مليء بحرارة الصيف. كنتُ الفتاة التي حاولت سرقة أمواله في ذلك الوقت. الآن، يقترب الشتاء، وأنا الفتاة التي سرقت حياته.

تبقى أسوأ اعترافاتي، تهتز داخل رأسي مثل طائر في قفص. يطرق على أسناني، ويتوسل أن يكون حرًّا.

«أفتقده.» أهمس، غير قادرة على النظر لـ(كال). «أفتقد من اعتقدتُ أنه هو.»

تتكوَّر اليد على ساقي في قبضة، وتنتشر الحرارة منها. الغضب. (كال) سهل القراءة، وهذه راحة مُرحَّب بها بعد فترة طويلة في عرين الذئاب الكاذبة.

«أفتقده أيضًا.»

تعود عيناي إلى عينَيه، مذهولتَين إلى أبعد الحدود.

«لا أعرف ما الذي سيُسهِّل نسيانه. التفكير في أنه لم يكن دائمًا بهذه الطريقة، وأن والدته سمّمتْه. أو أنه ببساطة وُلِد وحشًا.»

«لا أحد يُولَد وحشًا.» لكنني أتمنَّى لو كان بعض الناس كذلك. سيجعل ذلك من السهل كرههم وقتلهم ونسيان وجوههم الميتة. «حتى (مافين).»

دون تفكير، أستلقي، قلبي مقابل قلبه. ينبضان في نفس الوقت،

يعكسان ذكرياتنا المشتركة عن صبيٍّ بلسانٍ سريع وعيون زرقاء. ذكي، مُهمل، عطوف، لن نرى ذلك الصبي مرة أخرى.

«علينا أن ندعه يرحل.» أهمس بجانب رقبته. «حتى لو كان يعني ذلك قتلَه.»

«إذا كان بـ(كوروس) ...»

«يُمكنني فعلها يا (كال). إذا لن تقدِر.»

يظل هادئًا لما يبدو وكأنه للأبد، ولكن لا يمرُّ أكثر من دقيقة. ومع ذلك، كدتُ أنام. دفئه أكثر جاذبيةً من أفضل سرير في أي قصر.

«إذا كان في (كوروس)، فسأفقد السيطرة.» يقول أخيرًا. «سألاحقه بكل ما أملك، هو و(إيلارا) معًا. ستستخدم غضبي، وستُحوِّلني ضدك. ستجعلني أقتلك، كما أجبرتني ...»

تجد أصابعي شفتَيه، وتمنعه من قول الكلمات. تُسبب له الكثير من الألم. في تلك اللحظة، ألمح رجلًا بلا دافعٍ سوى الانتقام، ولا قلب سوى الذي كسرتُه له. وحش آخر، في انتظار أن يتخذ شكلًا حقيقيًّا.

«لن أسمح بحدوث ذلك.» قلتُ له. وأبعدتُ أعمق مخاوفنا. لا يُصدقني. أرى ذلك في ظلام عينَيه. الفراغ، الذي رأيته في تل (أوشن)، يُهدد بالعودة.

«لن نموت يا (كال). لقد قطعنا شوطًا طويلًا لذلك.»

ضحكته جوفاء، متألِّمة. يدفع يدي بعيدًا، لكنه لا يترك مِعصمي. «هل تعلمين كم من الناس الذين أُحبهم فارقوا الحياة؟»

أعلم أنه يسمع ضربات قلبي، وأنا قريبة للغاية فلا يُمكنني إخفاء الألم الذي أشعر به تجاهه. يكاد يسخر من شفقتي.

«جميعهم رحلوا. جميعهم قتلوا. بواسطتها.» الملكة (إيلارا). «تقتلهم ثم تمحوهم.»

قد يظن شخص آخر أنه يُفكر بوالده، أو حتى الشقيق الذي ظن (مافين) عليه. لكني أعلم أفضل من ذلك. «(كوريان).» أهمس باسم والدته. شقيقة (جوليان). الملكة المُغنية (السينجر). لا يتذكرها (كال)، ولكنه بالتأكيد يحزن عليها.

«لهذا كان قصر تل (أوشن) المُفضل لي. كان لها. منحَه أبي لها.»

أرمش، محاولةً تذكُّر الكابوس الذي كان القصر في خليج (هاربور). أحاول تذكر كيف كان يبدو بينما قاتلنا من أجل حيواتنا. بشكلٍ طفيف، وببطءٍ أتذكر الألوان المسيطرة داخله. ذهبي، أصفر. مثل الأوراق القديمة، مثل زي (جوليان). ألوان منزل (جاكوس). لهذا بدا بذلك الحزن، ولم يقدر على حرق الرايات. راياتها.

لا أعلم شعور اليتيم. كان دومًا لدي أبٌ وأم. هذه نعمة لم أفهمها قطّ حتى سُلبت منّي. يبدو خاطئًا افتقادهما الآن، وأنا أعلم أنهما في أمانٍ بينما والدا (كال) قد فارقا الحياة. والآن أكثر من أي وقتٍ آخر، أكره البرودة بداخلي، وخوفي الأناني من أن أُترك وحيدة. من بيننا (كال) أكثر وحدةً ممّا يمكن أن أكون أبدًا.

لكن لا يُمكننا البقاء داخل أفكارنا وذكرياتنا. لا يمكننا البقاء داخل هذه اللحظة.

«أخبرني عن السجن.» أستمر، وأفرض موضوعًا جديدًا. سأُخرج (كال) من هذا الركود، حتى لو قتلني هذا.

قوة تنهُّده تُحرك جسده كله، لكنه مُمتن للإلهاء.

«هو حفرة. حصن مَحمي بتصميم عبقري. البوابات في المستوى العلوي، والزنازين تحتها مع المنصات التي تربط كل شيء يتحكم بها (الماجنيترون). سيُسقطنا تلويحٌ من معصم من علوّ أربعين قدمًا، وتضعنا في أسوأ وضع. سيذبحوننا مع أي شخص نُحرِّره.»

«ماذا عن السجناء الفضيين؟ ألا تعتقد أنهم سيُقاتلون لحدٍّ ما؟»

«ليس بعدَ سجنِهم أسابيع في الزنازين الصامتة. سيُمثلون عقبة، لكن ليس كثيرًا. وسيجعل هذا هروبهم بطيئًا.»

«أنت ... ستدعهم يهربون؟»

صمتُه إجابةٌ كافية.

«يمكن أن يتحولوا ضدنا هناك، أو يُطاردونا لاحقًا؟»

«لست سياسيًا، لكن أظن أن الهروب من السجن سيُسبب لأخي أكثر

من قليل من الصداع، خاصة إذا كان بين الهاربين أعداؤه السياسيون.»
أهز رأسي.
«لا يعجبكِ هذا؟»
«لا أثق بهذا.»
«هذه مفاجأة.» يقول بنبرة جافة. يلمس أحد أصابعه عنقي، يتتبع الندبات التي سببها جهاز أخيه. «القوة الغاشمة لن تجلب لنا الفوز في هذا يا (ماير). مهما كان عدد الدماء-الجديدة الذين تجميعهم. سيَفوقكِ الفضيُّون عددًا، وسيكون لديهم الأفضلية.»
الجندي يدافع عن نوعٍ آخر من القتال. كم هذا مُثير للسخرية.
«أتمنَّى أن تكون واعيًا لما تفعله.»
يهز كتفَيه أسفلي. «التفاصيل السياسية المُعقدة ليست من نقاط قوتي.» يقول. « ولكني سأمنحها فرصة.»
«حتى إذا كان هذا يَعني حربًا أهلية؟»
منذ أشهر، أخبرني (كال) كيف سيكون التمرُّد. حرب على كِلا الجانبَين، في كل لون من الدماء. الأحمر ضد الأحمر، والفضي ضد الفضي، وكل شيءٍ بينهما. أخبرَني أنه لن يُخاطر بإرث والده من أجل حربٍ كهذه، حتى لو كانت الحرب عادلة. يسقط الصمت مرة أخرى، ويرفض (كال) الإجابة. أفترض أنه لا يعرف أين يقف بعد الآن. ليس متمردًا، ولا أميرًا، ليس متأكدًا من أي شيء سوى النار في عظامه.
أقول، «قد يفوقونا عددًا، لكن هذا لا يُكدس الاحتمالات ضدنا.»
أقوى من كليهما. هذا ما كتبه لي (جوليان)، عندما اكتشف ماهيتي. (جوليان)، الذي، ومع دهشتي الضخمة، قد أراه مرة أخرى.
«لدى الدماء-الجديدة قدرات لا يمكن للفضيين التخطيط لها، ولا حتى أنت.»
«ما الذي تقصدينه؟»
«تخوض في هذا وكأنك تقود قواتك، بقدراتٍ تفهمها وتدربتَ معها.»
« و؟»

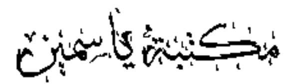
«وأود أن أرى ما سيحدث عندما يحاول أحد الحراس إطلاق النار على (نيكس) أو يُسقط (ماجنيترون) (جاريث).»

يستغرق (كال) ثانية لإدراك ما أقوله. (نيكس) منيع، أقوى من (الستونسكن). و(جاريث)، الذي يمكنه التلاعُب بالجاذبية، لن يسقط من أي مكانٍ في أي وقت قريب. ليس لدينا جيش، لكن لدينا بالتأكيد جنودًا، وقدرات لا يعرف الحراس الفضيون كيف يقاتلونها. عندما يستوعب الأمر، يمسك (كال) بجانبي وجهي، ويسحبني لأعلى. يُقبلني قبلةً قوية نارية وقصيرة جدًّا لما أُحب.

«أنتِ عبقرية.» يُتمتم، ويندفع ناهضًا. «عودي لـ(كاميرون)، وأخبري الجميع أن يستعدُّوا.»

يُمسك بخريطة بيده، يكاد يبدو مجنونًا من التركيز. وتعود نفس الابتسامة الملتوية، لكني لا أكرهها هذه المرة.

«هذا يمكن أن ينجح فعلًا.»



الفصل الخامس والعشرون

يومِض الشق خلفي، وأشاهد في دهشة بيتي في الأشهُر القليلة الماضية يختفي بلمسة واحدة من يد (هاريك). يبقى التل، وكذلك الساحة، ولكن أي علامة تدل على مُخيمنا تزول مثل الرمال من فوق الحجر المسطح. لا يمكننا حتى سماع الأطفال الذين كانوا يقفون هناك منذ لحظة، يلوّحون مُودّعين، وأصواتهم تتردد في الليل. تكتم (فاره) أصواتهم جميعًا، وتُلقي مع (هاريك) ستارة حماية حول أصغر الدماء-الجديدة. لم يقترب أحد من العثور علينا، لكن الدفاع الإضافي يَمنحني راحة أكثر مما أريد الاعتراف به. مُعظم الآخرين أطلقوا صيحات نصر، كما لو أن فعل إخفاء الشق وحدَه هو سببٌ للاحتفال. ما يُسبب انزعاجي، يقود (كيلورن) الهتاف، ويصفِّر بقوة. لكنني لا أوبِّخه، ليس الآن بعدما عُدنا أخيرًا إلى التحدّث مع بعضنا. بدلًا من ذلك، أتكلَّف الابتسام، أضغط أسناني معًا لحدٍّ مؤلم. وأمنع الكلمات التي أتمنَّى أن أقولها.

وفِّري طاقتك.

(شايد) هادئ مثلي، ويسقط بجواري. لا ينظر إلى الخلف إلى الساحة الفارغة الآن، ويُبقي عينَيه إلى الأمام، إلى الغابة المُظلمة الباردة والمهمة التي تنتظرنا. لقد اختفى عرَجُه بالكامل تقريبًا ويتقدم بوتيرة سريعة أتبعها بحماس، ويجذب الباقي معنا.

رحلة المشي إلى الطائرة النفاثة ليست طويلة. أحاول استيعاب كل ثانيةٍ منها. يعضُّ هواء الليل البارد وجهي المكشوف، لكن السماء صافية بهناء. لا ثلج، لا عواصف، حتى الآن. لأن العاصفة قادمة بالتأكيد، سواء بيدي أو بيد شخصٍ آخر. وليس لدي أي فكرة عمن سيبقى على قيد الحياة ليرى الفجر.

يُتمتم (شايد) بشيءٍ لا أسمعه، ويضع يده على كتفي. اثنان من أصابعه ملتوية، ولا تزال تتعافى بعدَ عملية تجنيد (ناني) في (كانكوردا). تمكن

(ستونسكن) من القبض على (شايد)، وسحَق الأصابع الأولى في يدِه اليُسرى قبل أن يتمكن من القفز بعيدًا. عالجَتْه (فارلي)، بالطبع، لكن المنظر لا يزال يجعلني أجفل. يُذكرني بـ(جيسا)، تحطَّمَ فردٌ آخر من عائلة (بارو) لدفع ثمن أعمالي.

«هذا يستحق الثمن.» يقول مجددًا، وصوته أعلى من قبل. «نقوم بالشيء الصحيح.»

أعلم ذلك. بقدْر خوفي على نفسي وعلى من هم قريبون منّي، أعلم أن (كوروس) الخيار الصحيح. حتى بدون تأكيد (جون)ـ أومن بطريقِنا. كيف لنا ألّا نفعل ذلك؟ لا يمكن ترك الدماء-الجديدة لهمس (إيلارا)، لتقتُلهم أو تُحوِّلهم إلى قذائف مُجوّفة بلا روح لتنفيذ أوامرها. هذا ما يجب أن نفعله لوقف عالَمٍ أكثر فظاعة من العالَم الذي نعيش فيه الآن.

ومع ذلك، فإن طمأنينة (شايد) تُمثل غطاءً دافئًا من الراحة. «شكرًا لك.» تمتمتُ مرة أخرى، ووضعتُ يدي على يده.

يُجيبني بابتسامة، هلال أبيض ليعكس القمر المنحسِر. في الظلام، يبدو مثل والِدنا إلى حدٍّ كبير. بدون العمر الكبير، بدون كرسي مُتحرك، بدون أعباء حياة تفكَّكت. لكن لدَيهما نفس الذكاء، ونفس الميل للشكِّ الذي أبقاهما على قيد الحياة في جبهة الحرب، ويُبقي (شايد) الآن على قيد الحياة في ساحة معركة مختلفة تمامًا. يربِّت على خدي، لفتة مألوفة تجعلني أشعر وكأنني طفلة، لكنني لا أكرهها. هي بمثابة تذكرةٍ بالدماء التي نتشاركها. ليس في الطفرة، ولكن الميلاد. شيء أعمق وأقوى من أي قدرة.

يسير (كال) على يميني، وأتظاهر بعدم الشعور بنظرته. أعلم أنه يفكر في أخيه وروابط دمائه المُمزقة الآن. وخلفه (كيلورن)، يُمسك ببندقية الصيد الخاصة به، ويفحص الغابة بحثًا عن أي ظلال. على الرغم من كل اختلافاتهما، يتشارك الصبيّان في علاقة مذهلة. كلاهما يتيم، وكلاهما مهجور، ولا أحد غيري ليرتكزا عليه.

يمر الوقت بسرعةٍ كبيرة عكس ما أُفضِّله. يبدو أننا نصير على متن (البلاك

رن) ونحلق في الهواء خلال لحظات. تتحرك كل ثانية أسرع من السابقة بينما نندفع نحو المنحدَر المُظلم أمامنا جميعًا. أقول لنفسي إن هذا يستحق الثمن، وأُكرر كلمات (شايد) مرارًا وتكرارًا. يجب أن أظل هادئة، من أجل الطائرة. يجب ألا أبدوَ خائفة، من أجل الآخرين. لكن قلبي يطرُق في صدري بصوتٍ عالٍ، أخشى أن يسمعه الجميع.

لمقاومة الإيقاع المزعج، أضغط نفسي مقابل خوذة الطيران في حضني، وألفُّ ذراعي حول الشكل الناعم والبارد. أُحدق في المعدن المصقول، وأفحص انعكاسي. الفتاة التي أراها مألوفة وغريبة، (ماير)، (مارينا)، فتاة البرق، الملكة الحمراء، ولا أحدَ على الإطلاق. لا تبدو خائفة. تبدو منحوتة من الحجر، بملامح حادة، وشعرٍ مضفور مشدود على رأسها، وتشابُك من الندبات على رقبتها. ليست في السابعة عشرة من عمرها، لكنها خالدة، فضية لكن ليست كذلك، حمراء لكن ليست كذلك، بشرية لكن ليست كذلك. راية للحرس القرمزي، وجه على لافتة مطلوب للعدالة، انهيار أمير، لصة ... قاتلة. دُمية يمكنها أن تأخذ أي شكلٍ عدا شكلها.

بذْلات الطيران الإضافية من مخزن الطائرة سوداء وفضية، توفِّر لنا زيًّا موحدًا يبدو وضيعًا، سيخدُم أيضًا كتنكُّر لنا. يعبث الآخرون ببذْلاتهم، يُجْرُون التعديلات التي يحتاجونها لتُناسبهم. وكما هو الحال دومًا، يتلاعب (كيلورن) بياقتِه، يحاول أن يرخي القماش القاسي قليلًا. بدلة (نيكس) بالكاد تُغلق فوق بطنه، وتبدو معرَّضة للتمزق في أي لحظة. في المقابل، تكاد (ناني) تسبح في بدلتها، لكنها لا تُبالي بِطَيِّ أكمامِها أو سيقان البدلة مثلما أُضطر لذلك. ستتخذ هيئة أخرى عندما تهبط الطائرة، هيئة تقلِب معِدتي وتجعل قلبي يتسارع بعددٍ من المشاعر لا حصر له.

لحُسن الحظ، بُنِيت (البلاك رن) للنقل، وتحمل الأحد عشر فردًا جميعًا ومع وجود مساحة إضافية. توقعت أن يُبطئنا الوزن الزائد، لكن طبقًا للوحة التحكّم، نُحلِّق بنفس السرعة المعتادة. وربما أسرع قليلًا. يضغط (كال) بالمركبة على قدر استطاعته، يُبعدنا عن ضوء القمر، مُختبئين في أمان بين سُحب الخريف الدائرية على طول الساحل الشمالي.

ينظر خارج النافذة، تنتقِل عيناه بسرعةٍ بين السحب والمعدات الوامضة المُتعددة أمامه. لا زلت لا أفهم ماذا يعني أيٌّ منها، على الرغم من الأسابيع العديدة التي جلستُ بها بجانبه في قمرة القيادة. كنت تلميذة ضعيفة في (الستيلتز) وهذا لم يتغيَّر. ببساطة ليس لدي القدرة العقلية مثله. أعرف فقط الطُّرُق المختصرة، كيفية الغش، كيفية الكذب، كيفية السرقة، وأعرف كيفية رؤية ما يُخبئه الناس. وفي هذا الوقت، (كال) بالتأكيد يُخبئ أمرًا ما. كنت سأخاف من أسرار أي شخصٍ آخر، لكني أعلم أن ما يُخبئه (كال) لا يمكن أن يؤذيني. يحاول دفن ضَعفِه، وخوفه. رُبِّيَ على الإيمان بالقوة والقُدرة ولا شيء آخر. التردُّد هو الخطأ الأكبر. قلت له من قبل إنني خائفة أيضًا، لكن الكلمات القليلة التي همستُ بها ليست كافية لتحطيم أعوامٍ من الإيمان. مثلي، يضع (كال) قناعًا، ولن يتركني أرى ما خلفَه.

يفكر الجزء العملي داخلي أن هذا للأفضل. والجزء الآخر، الذي يهتم لدرجةٍ كبيرة بالأمير المنفي، يقلق ببشاعة. أعرف الخطر الجسماني لهذه المهمة، لكن العاطفي لم يخطر بعقلي حتى هذه الظهيرة. ما الذي سيُصبح عليه (كال) في (كوروس)؟ هل سيرحل وهو نفس الشخص الذي دخل؟ هل سيرحل على الإطلاق؟

تتفقد (فارلي) مخزون الأسلحة للمرة الثانية عشرة. يحاول (شايد) مساعدتها وتربِّت عليه لتبعده، لكن هناك بعض القوة خلف هذه الحركة. لمرة، ألمح ابتسامةً تمر بينهما، وتدَعه أخيرًا يعد الطلقات من عبوةٍ مكتوب عليها (كورفيوم). شحنة مسروقة أخرى، فعل (كرانس) أغلب الظن. مع علاقات (فارلي)، تمكَّن من تهريب مسدسات أكثر، وخناجر، ومُختلف أنواع الأسلحة أكثر مما كنتُ أظنُّه ممكنًا. الجميع سيكون مسلحًا، بقدراتهم وأيًّا كان ما سيختارونه. أنا شخصيًّا لا أريد أكثر من برقي، لكن الآخرين أكثر حماسًا، يأخذون خناجر أو مُسدسات أو في حالة (نيكس)، الرمح الوحشي القابل للطيِّ الذي فضَّله خلال الأسابيع الماضية السابقة. يضمه بالقرب منه، ويُمرر أصابعه على طول المعدن الحاد بلا مبالاة. شخص آخر كان سيجرح نفسه بحلول هذا الوقت، لكن جلد (نيكس) أقوى من مُعظم

الناس. الدماء-الجديدة المنيعة (دارميان)، تفعل مثله وتضع شفرةً سميكة تُشبه الساطور على ركبتَيها البارزتَين. تلمع حافتها، في توسُّل لتمزيق بعض العظام.

بينما أشاهد، تأخذ (كاميرون) مُرتجفة سكينًا صغيرًا في حذر، وتُبقيه في حافظته. أمضت الأيام الثلاثة الماضية في شحذ قُدرتها وليس التدريبات بالسكين، وهذا الخنجر هو الملاذ الأخير، واحد أتمنَّى ألا تُضطرَّ أن تستخدِمَه.

تراني أنظر إليها، وتعابير وجهها مُتألمة. وللحظةٍ أخشى أن تنفجر بي أو أسوأ، ترى عبر قناعي. بدلًا من ذلك، تُومئ في تقديرٍ كئيب.

أومئ أيضًا، وأمدُّ يدًا خفية للصداقة بيننا. لكن نظرتها تقسو وتنظر بعيدًا في حدة. مقصدها واضح. نحن حلفاء وليس أصدقاء.

«سنصل قريبًا.» يقول (كال)، ويكِز ذراعي حتى أستدير.

يصرخ عقلي، قريب للغاية، على الرغم من أننا مُطابقان للجدول الزمني.

«سوف ينجح هذا.» يرتجف صوتي، وأنا شاكرة أنه هو الذي يسمعه فقط. لا يضغط على نقطة ضعفي ويدَعُها تتفاقم.

«سوف ينجح هذا.» أقول بصوتٍ أضعف.

«من لدَيه الأفضلية؟» يسألني.

تصدمني الكلمات، وتؤلِمني، ثم تُهدئني بهذا الترتيب. سأل المدرب (أرفين) نفس السؤال خلال التدريبات، عندما جعل كلَّ تلميذَين يقاتلان ضد بعضهما في معارك من أجل الدماء والفخر.

سأله مرةً أخرى في وعاء العظام، قبل أن يضربه (سترونج أرم) من منزل (رامبوز) مثل خنزير سمينٍ كريه. لقد كرهتُ الرجل، لكن هذا لا يعني أنني لم أتعلَّم أي شيءٍ منه.

لدَينا عنصر المفاجأة؛ لدينا (كاميرون)؛ لدينا (شايد) و(جاريث) و(ناني) وخمسة أشخاصٍ جدد آخرون لا يمكن أن يُخطط لوجودهم أي فضي. لدينا (كال)، وعبقريته العسكرية.

ولدينا قضية. لدينا الفجر الأحمر في ظهورنا، يتوسَّل للشروق.

«لدينا الأفضلية.»

ابتسامة (كال) مُتكلِّفة مثل ابتسامتي، لكنها تُدفئني على أي حال. «هذه فتاتي.» مرة أخرى، تُثير كلماته مشاعر مؤرقةً ومُتضاربة.

يمحو صوت نقرةٍ وصوت كهرباء ساكنة من الراديو كل التفكير بـ(كال) من ذهني. أدير نظري إلى (ناني)، التي تُومئ برأسها ردًّا. أمام عيني، يتغير جسدها، ويتحوَّل من امرأةٍ عجوز إلى صبيٍّ بعيون زرقاء ثلجية، وشعرٍ أسود، ولا روح. (مافين). تتغيَّر ملابسها مع مظهرها، وتستبدل بدلة الطيران بزيٍّ رسمي أسود أنيق، مع صفٍّ من الميداليات اللامعة وعباءة حمراء. يستقر التاج بين خصلات الشعر الأسود، وأضطر لمحاربة الرغبة لرميه من الطائرة.

يُشاهد الآخرون في انتباهٍ شديد، مُندهشين من مشهد الملك المُزيف، لكنني أشعر فقط بالكراهية، ووخزة ندمٍ صغيرة. تبرز طِيبة (ناني) عبر التنكُّر، وتحوُّل شفتي (مافين) إلى ابتسامة ناعمة أعرفها جيدًا. للحظةٍ واحدة مؤلِمة، أنظر إلى الصبيِّ الذي اعتقدتُ أنه هو، وليس الوحش الذي تبيَّن أنه هو.

«جيد.» أُجبر الكلمة على الخروج، صوتي مليء بالعاطفة. يبدو أن (كيلورن) هو الوحيد الذي يلاحظ ذلك، ويلفِت نظره بعيدًا عن (ناني). بالكاد أهز رأسي ناحيتَه، وأخبره ألا يقلق. لدينا أشياء أكثر أهمية للتركيز عليها.

«برج طيران (كوروس)، هذا أسطول (برايم).» يقول (كال) في الراديو. في رحلاتٍ أخرى، بذل قصارى جهده ليبدو ضجرًا، غير مُهتم بالمكالمات الإلزامية للقواعد المختلفة، لكنه الآن يبدو جديًّا. بعد كل شيء، نحن نتظاهر بأننا وسيلة نقل الملك الخاصة، ما يُعرف باسم أسطول (برايم)، مركبة فوق أي شك. ويعرف (كال) بشكلٍ مباشر كيف من المُفترَض أن تكون هذه الاتصالات خاصة. «يقترب العرش.»

«تل ... تلقيتُ الأمر، أسطول (برايم).» يقول رجل. لا يقوم صوته العميق المُرتجِف بشيءٍ لإخفاء توتُّره. «معذرة، لكننا لم نكن نتوقَّع سموَّه

حتى ظهيرة الغد.»

غدًا، اليوم الرابع. عندها قال (جون) إننا سنموت، وكان مُحقًّا. سيجلب (مافين) جيشًا من الحراس معه، من (السينتنال) والمُحاربين المُميتين مثل (بتوليموس) و(إيفانجلين). لن نكون ندًّا لهم.

يدي خلف ظهري أُشير لـ(ناني) لكنها بالفعل هنا. قربها على هيئة (مافين) يجعل جلدي يقشعر.

«لا يتبع الملك أي جدولٍ زمني غير الخاص به.» تقول في الراديو، ووجنتاها تتحوَّلان للفضي. نبرتها ليست حادةً بشكلٍ كافٍ، لكن صوته لا لبس فيه. «ولن أفسِّر تصرفاتي لبوابٍ مُمجَّد.»

لا يمكن أن يعني صوت الارتطام على الطرف الآخر من الراديو إلا سقوط العامل من مقعده.

«نعم، نعم، بالطبع، سموك.»

خلفنا، شخصٌ ما يكتم صوتًا ساخرًا بكمِّه. ربما (كيلورن). يومئ (كال) لـ(ناني)، قبل استعادة جهاز إرسال الراديو. أرى نفس الألَم عليه، الألَم الذي أشعر به بعُمق شديد.

«سنهبط في غضون عشر دقائق. أعدُّوا (كوروس) لوصول الملك.»

«سأحرص شخصيًا أن ...»

لكن (كال) يُطفئ الراديو قبل أن يتمكن العامل من الانتهاء، ويسمح لنفسه بابتسامةٍ راحة واحدة. مرة أخرى، يهتف الآخرون، ويحتفلون بانتصارٍ غير موجود. نعم، تخطَّينا هذه العقبة، ولكن سيتبعها المزيد.

جميعهم بالأسفل، على الحقول الرمادية الخضراء التي تُحيط بأراضي الجرف القاحلة، التي تخفي السجن الذي قد يكون هلاكنا. يتسلَّل جزء من ضوء النهار في الأفق الشرقي، لكن السماء أعلانا لا تزال زرقاء عميقة غارقة، عندما تهبط (البلاك رن) على مهبط (كوروس) السلس. هذه ليست قاعدة عسكرية مزدحمة بالأسراب النفاثة والحظائر، لكنها لا تزال منشأة فضية، ويُخيم جو واضح من الخطر على كل شيء. أضع خوذة الطيران فوق رأسي، لأُخفي وجهي. يحذو (كال) والآخرون حذوي،

ويرتدون خوذاتهم ويضعون دروع الوجه في مكانها. بالنسبة للغريب، نبدو مُخيفين بالتأكيد. نرتدي ملابس سوداء، مُلثمين، نرافق الملك الشاب الذي لا يرحم إلى سجنه. نأمُل ألا ينظر الحراس إلينا مباشرة، وأن يكونوا أكثر اهتمامًا بحضور الملك من رفاقه.

لا أستطيع الجلوس لفترةٍ أطول، وأنهض من مقعدي بأسرع ما يمكن. تتدلى أحزمة الأمان إثري، وتهتز مُصدرةً أصوات جلجلة. أفعل ما يجب أن أفعله، ما أتمنى لو أنني لم أكُن مضطرة إليه، وأمسك بـ(ناني) من ذراعها. حتى في لمسها تبدو كـ(مافين).

«انظري عبر الناس.» أقول لها. تضعف الخوذة صوتي. «ابتسمي دون لُطف. لا حديث قصيرًا، لا حديث البلاط. تصرَّفي وكأن لديكِ مليون سِرٍّ وأنتِ الوحيدة التي بالأهمية الكافية لمعرفتها كلها.»

أومأت برأسها، وتستوعِب كل هذا بدون تردُّد. فقد قُمنا أنا و(كال) بإرشادها حول كيفية تأدية دور (مافين) بنجاح. هذا مجرد تذكير، نظرة أخيرة على الكتاب قبل الاختبار.

أجابت ببرود «أنا لستُ حمقاء.»

وأكاد ألكمُها في فكِّها. هي ليست (مافين)، أُردد في رأسي، أعلى من صوت الجرس.

«أعتقد أنكِ فهمتِ الأمر.» يقول (كيلورن) وهو يقف. يُمسك بذراعي، ويسحبني بعيدًا قليلًا. «كادت (ماير) أن تقتلك.»

«الجميع مُستعدُّون؟» تصرخ (فارلي) من مؤخرة الطائرة. تحوم يدُها بجانب زر إنزال الممر، متلهفةً للضغط عليه.

«اصطفوا!» يصيح (كال)، ويبدو مثل رقيب تدريبات. لكننا نستجيب، نقف في الخطوط المرتبة التي علَّمنا إياها، وفي مُقدمتها (ناني). يقف إلى جانبها، ويتخذ دور حارسها الشخصي الأكثر فتكًا.

«دعونا نتخذ بعض القرارات السيئة.» تقول (فارلي). أكاد أسمعها تبتسِم وهي تضغط الزر.

صوت هسيس ثم تدور التروس، وتنبض الأسلاك، ويفتح الممر الخلفي

للطائرة النفاثة للترحيب بالصباح الأخير الذي سيراه بعضنا.

تنتظر دزينة من الجنود على بُعدٍ لائق من (البلاك رن)، بتشكيلةٍ صارمة ومدربة. وبرؤية الدماء-الجديدة المُتنكِّرة بهيئة ملكهم، يندفعون لوضع تحيةٍ حادة ومثالية. يد واحدة فوق القلب، وركبة واحدة تجاه الأرض. يبدو العالَم أكثر ظلامًا خلف درع خوذة الطيران الخاصة بي، لكنه لا يخفي اللون الرمادي الغائم لزيِّهم العسكري، أو المُجمع القصير المتواضع خلفهم. لا توجد بوابات برونزية، ولا جدران ماسية زجاجية. لا توجد حتى نوافذ. مجرد كتلة واحدة مُسطحة من الخرسانة تمتد إلى الحقول المهجورة في هذه الأرض القاحلة. سجن (كوروس).

أسمح لنفسي بإلقاء نظرةٍ واحدة على المركبة والمهبط الممتدّ إلى المسافة حيث ترقص الظلال والإشعاع. أستطيع فقط أن أرى زوجًا من الطائرات النفاثة تستقران في الظلام، بطونها المعدنية ممتلئة ومستديرة. طائرات السجن، وتُستخدَم لنقل الأسرى. وإذا سارت الأمور وفقًا للخطة، فسوف تعملان مرةً أخرى قريبًا.

نقترب من (كوروس) في صمت، نحاول أن نتقدَّم في تزامن. (كال) على جانب (ناني)، وقبضته مشدودة بجانبه، بينما أتبع خلفهما مباشرة، (كاميرون) على يساري و(شايد) على يميني. يحافظ (كيلورن) و(فارلي) على مكانهما في منتصف التشكيلة، لا يتركان أسلحتهما أبدًا. الهواء نفسه يبدو مكهربًا، يتدفق به الخطر.

ليس الموت ما أخشاه ليس بعد الآن. لقد واجهتُ الموت مراتٍ عديدة فلم أعُد أخافه. لكن السجن نفسه، فكرة أن يمسكوا بي، ويُقيدوني، ويُحولوني لدميةٍ للملكة بلا عقل، هذا ما لا أقدر على تحمُّله. أُفضِّل الموت مئات المرَّات عوضًا عن مواجهة مثل هذا القدَر. وهكذا أيٌّ منَّا.

«سموك.» يقول أحد الجنود، ويتجرأ أن ينظر لأعلى تجاه من يظنُّه الملك. الشارة على صدره، ثلاثة سيوف متقاطعة من المعدن الأحمر، تُشير إلى أنه كابتن. والأشرطة على كتفَيه، أحمر زاهٍ وأزرق، يمكن أن تعني فقط ألوان منزله. منزل (إيرال).

«مرحبًا بك في سجن (كوروس).»

وفقًا للتعليمات، لا تنظر (ناني) مباشرةً تجاهه، وتلوِّح بيدٍ واحدة شاحبة لصرفه. يجب أن يكون ذلك كافيًا لإقناع أي شخصٍ بهويتها المُفترَضة. ولكن بينما يقف الجنود، تتحرك عيون الكابتن بيننا، وتُلاحظ زيَّنا الخاص، وعدم وجود حراس (السينتنال) برفقة الملك. يتردَّد عند (كال)، يركز نظرةً واحدة شائكة على خوذته.

ومع ذلك، فهو لا يقول شيئًا، ويصطفُّ جنوده في التشكيل بجانبنا، وتتردد خطوات أقدامهم مع أقدامنا. (هافين)، (أوسانوس)، (بروفوز)، (ماكنثوس)، (إيجيري). ألاحظ الألوان المألوفة على بضعةٍ من الأزياء الرسمية. الأخير، منزل (إيجيري)، بيت العيون، هو هدفنا الأول. أشدُّ كُم (كاميرون)، وأومئ برأسي برفقٍ نحو الرجل الأشقر المُلتحي ذي العيون المندفعة، وخطوط بيضاء وسوداء على كتفِه.

يميل رأسها، وتتكوَّر يداها على جانبَيها في تركيز هادئ. بدأ الهجوم.

يمشي الكابتن على جانب (ناني) الآخر، ويخطو أمامي بسلاسةٍ شديدة بالكاد ألاحظه. (سيلك). لديه نفس الجلد الأسمر، والشعر الأسود اللامع، والملامح الحادة مثل (سونيا إيرال) وجدتها، الفهد الرشيق الخطير. لا يسعني إلا أن آمُل ألا يكون الكابتن موهوبًا في المؤامرات مثلها، وإلا سيكون هذا أصعب بكثيرٍ مما كان مُتوقَّعًا.

«أوشكت المواصفات التي أمرتَ بها على الاكتمال، سموك.» يقول الكابتن.

هناك خشونة في كلماته. «يتم إغلاق كل مجمع زنازين بشكلٍ فردي، وفقًا للتعليمات، وتصل الشحنة التالية من الحجر الصامت غدًا مع وحدة الحراس الجديدة.»

«جيد.»

أجابت (ناني)، وتبدو غير مُبالية. تتسارع وتيرتُها قليلًا، ويتبعها الكابتن بالمثل، ويواكب خطواتها. يقوم (كال) بنفس الشيء ونتبعه. يبدو الوضع كمطاردة.

بينما كان المركز الأمني في خليج (هاربور) بناءً جميلًا، رؤية من الحجر المنحوت والزجاج البراق، فإن (كوروس) رمادي وبائس مثل الأراضي القاحلة حوله. فقط المدخل، باب معدني أسود وحيد، يبرز وسط الجدار، ويكسر رتابة السجن. ليس به مفصّلات ولا قفل أو مقبض، يبدو الباب كهاوية، كفمٍ مفتوح. لكني أشعر بالكهرباء، تنزف حول أطرافه، تصدُر من لوحٍ مربع صغير وُضع بجانبه. المفتاح الرئيسي. كما قالت (كاميرون) يتدلى المفتاح نفسه من سلسة سوداء برقبة (إيرال)، لكنه لا يُحرره منها.

هناك كاميرات أيضًا، عيون بارزة صغيرة على الباب. لا يُزعجوني حتى بقدرٍ بسيط. أهتم أكثر بأمر الكابتن (السيلك) وجنوده، الذين يُحيطون بنا، ويُبقوننا نتقدَّم للأمام.

«أخشى أنني لا أعرفك أيها الطيار، أو أيًا من الباقي أيضًا.» يقول الكابتن ضاغطًا، ويميل حتى يرى خلف (ناني) وينظر لـ(كال) نظرةً صارمة. «هل تقوم بتعريف نفسك؟»

أقبض يديَّ حتى أمنع أصابعي من الارتجاف. لا يفعل (كال) مثل هذا الشيء، وبالكاد يدير رأسه، غير راغب في أن يعترف حتى بوجود الكابتن. «لقب طيار يفي بالغرَض بالنسبة لي، يا كابتن (إيرال).»

ينزعج (إيرال) كما توقعت. «منشأة (كوروس) تحت قيادتي وحمايتي يا طيار. إذا ظننتَ أنني سأتركك تدخل دون أن ...»

«دون ماذا يا كابتن؟» تخرج كلُّ كلمةٍ من فم (ناني) كشفرةٍ تقطع ما بداخلي عميقًا. يتوقف الكابتن فجأة ويتحول وجهه للفضي، يبتلع ردَّه المندفع غير الحكيم.

«آخِر ما تفقدتُ أن (كوروس) تنتمي لـ(نورتا). وإلى من تنتمي (نورتا)؟»

«أنا أقوم بواجبي فقط سموُّك.» يقول لاهثًا، لكن هذه المعركة خاسرة. يضع يدَه فوق قلبه مجددًا في تحية. «كلفتني الملكة بالدفاع عن هذا السجن، وأريد فقط أن أُطيع أمرها، وأمرك.»

تُومئ (ناني). «إذن آمُرك بفتح الباب.»

يخفض رأسه في استسلام. يتقدَّم أحد جنوده، امرأة أكبر في العمر ذات

ضفائر مشدودة فضية وفكٍّ مربع. تضع يدَها على الباب المعدني. لا أحتاج الأشرطة السوداء والفضية على كتفَيها لأعرف أنها من منزل (ساموس). يتحرك المعدن مع لمستِها (الماجنيترونية)، ينفصل لأجزاء حادة تتراجع في كفاءةٍ عالية. تصطدم بنا موجة من الهواء البارد فورًا، رائحته مثل شيءٍ رطب وشيء مُر.

دماء. لكن ردهة المدخل مُصنعة من بلاطٍ أبيض ناصع، بلا بُقَع عليه. (ناني) أول من يخطو للداخل ونتبعها. بجانبي ترتجف (كاميرون)، وأكزُها برفق. كنتُ سأمسك يدَها إذا استطعت. يمكنني فقط أن أتخيل كم هذا بشع، سأمزق نفسي إرْبًا إرْبًا قَبل العودة لـ(أركيون). ومع ذلك، عادت لسجنها من أجلي.

المدخل فارغ بشكلٍ غريب. لا توجد صور لـ(مافين) ولا رايات. هذا المكان لم يُبنَ لإثارة الإعجاب، ولا يحتاج لزينة. هناك فقط الكاميرات التي تطنُّ. يتخذ جنود كابتن (إيرال) مواقعهم سريعًا، على جانبي كلٍّ من الأبواب الأربعة حولنا. يغلق الباب الأسود خلفنا، في صوت صريرٍ ممزِّق للآذان، من احتكاك المعدن بالمعدن. الأبواب على اليسار واليمين مَطلية بالفضي، وتلمع تحت ضوء السجن القاسي. الباب أمامنا الذي يجب أن نعبُر خلاله، بلونٍ أحمر مُقزِّز.

لكن (إيرال) يتوقف فجأة، ويشير لأحد الأبواب الفضية. «أفترض أنك تريد رؤية جلالتها؛ الملكة؟»

أنا مسرورة بوجود الخوذات، وإلا كان سيرى الكابتن الفزَع على وجه كلٍّ منَّا. (إيلارا) هنا. تنقلب معِدتي من فكرة مواجهتها، وأكاد أتقيَّأ داخل خوذتي. حتى وجه (ناني) يشحب وينقطع صوتُها، رغم أفضل جهودها. أشعر بـ(كيلورن) خلفي، على بُعد إنشات. هو صامت، ومع ذلك أسمع ما يقصده. اهربي. اهربي. لكن الهروب ليس شيئًا يُمكنني فِعله بعدَ الآن.

«جلالتها هنا؟» يقول (كال)، في اندفاع. وللحظةٍ أخشى أنه قد نسي نفسه. «ما زالت هنا؟» يضيف، ككذبةٍ جاءت متأخرة. لكن مع ذلك

يشتعل الشك داخل الكابتن. أراه كالانفجار داخل عينَيه.

(ناني) المباركة تضحك بصوتٍ عالٍ، وضحكاتها الجبرية باردة ومُنفصلة. «أُمي تفعل دومًا ما تشاء، تعرف ذلك.» تقول لـ(كال)، في توبيخ. «لكني هنا من أجل شأنٍ آخر يا كابتن. لا داعيَ لإزعاجها.»

يقدم الكابتن ابتسامةً ملزمة. تُغيِّر وجهَه لسخريةٍ وتُحوِّل ملامحه لشيء قبيح. «جيد جدًا يا سيدي.»

ينقر (كيلورن) على ذراعي، ولمستُه ملحّة. يرى ما أرى. لم يعد الكابتن يُصدقنا. ألتفت وأُمسك بمرفق (كاميرون) وأضغط. إشاراتها التالية. تحت يدي، تتوتَّر عضلاتها. تسكب كل ما لدَيها لمنع قدرة (الإيجيري)، لمنعه من رؤية القادم. تظهر على وجهه الحيرة، ولكنه يصرفها، ويحاول أن يركز. لا يفهم ما يحدث له.

«وما الذي جئتَ هنا لفعله؟» يقول (إيرال) ضاغطًا، ولا تزال ابتسامتُه حادة، كابتسامة شيطان. يتخذ خطوةً متكاسلة تجاهنا. ستكون آخِر واحدة.

«اخلعي خوذتك من فضلك.»

«لا.» أقول له.

بأنفاس سهلة، أسيطر على الكاميرات المُوجهة علينا. بينما يفتح (إيرال) فمه ليصيح، أُطلِق زفيرًا، وتنفجر الكاميرات في شراراتٍ كمفرقعات نارية. وبعدها الأضواء، تومِض فتغرقنا في ظلامٍ دامس ثم سطوع يسبب العَمى بالتبادل. لقد استعددنا لهذا. ولم يستعدَّ لنا جنود (كوروس).

تتسابق النيران عبر الجدران، وترمي بضوءٍ غريب راقص عبر البياض. تُحيط بكل باب وتقفز للسقف، فتحصر الجنود معنا في الظلام الخانق. الجندي من منزل (أوسانوس)، (نيمف)، يسحب الرطوبة سريعًا من الهواء، لكن ليس بالقدْر الكافي لمقاومة نيران (كال). يهجم عليَّ (ستونسكن)، يتحول جسده لصخرٍ أمام عيني، لكنه يصطدم بالجدار الذي هو (نيكس مارستن). تنضم له (دارميان)، ويبدأ زوج الدماء-الجديدة المَنيعان في تمزيق الجنود. يقوم الآخرون بعملٍ جيد أيضًا. تُدمر (كيثا) (تيلكي) من

منزل (بروفوز)، تضع انفجارًا داخل قلبه يُمزقه من الداخل للخارج. تقوم الجندية من منزل (هافين) بما في وسعها لمقاومة ظلامي، وتستخدِم قُدرتها لتجمع كل الظلال في ضباب أسود ينفجِر فجأة مصدرًا ضوءًا مُذهلًا ساطعًا. لا تقدر حتى خوذاتنا على منع إشراقه، وأُضطر لإغلاق عيني. عندما أفتحهما، أرى الجندية (هافين) على الأرض، وجرح عميق في رقبتها. تسعل بدماءٍ فضية، ويقف أخي وبيدِه سكين فوقها. خلفه، يسقط (الإيجيري) على ركبتَيه، ممسكًا برأسه صارخًا.

«لا أستطيع الرؤية!» يبكي، ويخدش عينَيه بعُنف. تمتزج دماؤه بدموعه المتألِّمة. «لا أستطيع رؤية أي شيء، ماذا يحدُث؟ ما هذا؟ ما أنت؟» يصيح، لا إلى أحد.

(كاميرون) هي أول من تخلع خوذتها. لم تقتل شخصًا من قبل، ليس حتى أثناء هروبها. أرى هذا على وجهها، في الفزع المُلتوي داخلها. لكنها لا تتركه. بدافع الشجاعة أو الأذية، لا أعرف. تسيطر قُدرتها الصامتة حتى يتوقَّف الرجل على الأرض عن البكاء والخدش والتنفس. يموت وعيناه مفتوحتان على اتِّساعهما، يُحدق بلا شيء، أعمى وأصمّ في لحظاته الأخيرة. يبدو أنه شعر كمن يُدفن حيًّا.

ينتهي الأمر خلال دقيقة أو ما يقرب. اثنا عشر جنديًّا فضيًّا موتى على الأرض، بعضهم محروق، بعضهم مصعوق، بعضهم مضروب بالرصاص، بعضهم رءوسهم مُحطمة. قتلى (كيثا) هم الأكثر فوضى. تلهث بصوتٍ عالٍ، تُحاول ألا تنظر إلى ما فعلته، قُدرتها على التفجير أفضل ما يقال عنها وحشية.

فقط (لوري) مجروحة بعد هزيمتها للـ(ماجنيترون) مع (جاريث). تلقَّت شظية معدنية في ذراعها، لكنها ليس إصابة سيئة. (فارلي) أول من تكون جانبها، وتسحب الشفرة المُرتجلة، وتدعها تسقط على الأرض. لا تُصدر (لوري) حتى تأوُّهًا من الألم.

«نسينا الضمَّادات.» تهمس (فارلي)، وتضع يدَها فوق الجرح النازف.

«نسيتِ الضمَّادات.» تُجيب (آدا)، وتُخرج قماشًا أبيض من بذلتها. تقوم

بربطه حول ذراع (لوري) بمهارة. يتحول لونه في ثانية.

يضحك (كيلورن) لنفسه، فقط هو من يقدِر على الاستمتاع بمزحةٍ في وقت كهذا. لراحتي، يبدو بخير، ويركز على إعادة تعبئة سلاحه. تُدخن الماسورة، وهناك على الأقل جثتان مزقهما الرصاص. أي شخص آخر قد يظنُّه غير متأثر، لكني أعرف أكثر. رغم ضحكه، لا يجد (كيلورن) أي سرور في عمله الدموي.

ولا (كال) أيضًا. ينحني فوق جثة الكابتن (إيرال)، ويأخذ المفتاح برفقٍ من حول رقبته. لن أقتُلهم. قال لي مرة قبل أن نقتحِم المركز الأمني في خليج (هاربور). لم يفِ بوعده لنفسِه، وجرح هذا أكثر عمقًا من أي معركةٍ أخرى.

«(ناني).» يهمس، غير قادرٍ على النظر بعيدًا عن (إيرال). بيد مرتعشة، يُغلق عينَيه. وخلفه، تركز (ناني) على وجه (إيرال)، تُحدق به. يتطلَّب الأمر لحظة قبل أن تتغير ملامحها لتُطابقه، وأتنفَّس قليلًا في ارتياح. حتى (مافين) المُزيف كان أكثر مما يُمكنني تحمُّله.

يصدر هسيس كهرباء ساكنة من حزام (إيرال). الراديو، مركز التحكُّم يحاول الاتصال. «كابتن (إيرال)! كابتن، ماذا يحدث هناك؟ فقدنا الرؤية.»

«فقط عطل.» تُجيب (ناني) بصوت (إيرال). «ربما سينتشِر وربما لا.»

«تلقيتُ يا كابتن.»

تُبعد (كاميرون) عينَيها بصعوبة عن جثة (الإيجيري). وتضع يدَها على الباب الأحمر. «هذا الطريق.» تقول، بصوتٍ غير مسموع تقريبًا مع صوت قطرات الدماء وتنهُّدات الموتى.

أشعر أن مركز تحكم السجن كأنه عصبٌ نابض ويُسيطر على جميع الكاميرات في المنشأة. يجذبني، ويسحبني عبر المنعطفات الحادة بين ممرات السجن. الممرات من البلاط الأبيض، تمامًا مثل المدخل، ولكنها ليست نظيفةً جدًّا. إذا نظرت عن كثب، يُمكنني رؤية الدم بين البلاط، تحوَّل إلى اللون البني بمرور الوقت. حاول شخصٌ ما أن يغسل ما حدث أيًّا كان ، لكنَّه لم يكن دقيقًا بما فيه الكفاية. من الصعب تنظيف الدم

الأحمر. أرى الملكة في هذا الفعل، في أي كوابيس تطبخها في أعماق أحشاء (كوروس).

هي هنا في مكانٍ ما، تُواصل عملها المُخيف. قد تكون قادمة من أجلنا الآن، تم تنبيهها بحدوث اضطراب. آمُل أن تكون قادمة. آمُل أن تظهر من خلف ممرٍّ الآن، حتى أتمكن من قتلها. ولكن بدلًا من الملكة (إيلارا)، نتعطف لممرٍّ ونعثر على بابٍ آخر عليه حرف (D) كبير ولا يوجد قفل. تركض (كاميرون) إليه، وسكّينها في يدِها، وتشرع في العمل على لوحة المفاتيح. تفتحها في ثانية، وتغرق أصابعها بين الأسلاك.

«علينا أن نمرَّ من هنا للوصول إلى مركز التحكُّم.» تقول وتشير برأسها تجاه الباب. «هناك حارسان من (الماجنيترون) في الداخل. كونوا مُستعدِّين.»

يسعل (كال) في هدوء، ويُعلق المفتاح أمامها.

«أوه.» تزمجر وتخجل وتأخذه من يده. في عبوس، تضعه في الفتحة المناسبة. «أخبرني متى.»

«(جاريث).» يبدأ (كال)، لكن (جاريث) يتقدم بالفعل، ويستعد أمام للباب المعدني. تقف (ناني) إلى جانبه، ولا تزال مُتنكرة في زي الكابتن (إيرال). كلاهما يعرف ما يجب عليهما فعله.

الآخرون ليسوا متأكّدين من ذلك. تبدو (كيثا) على وشك البكاء، ويداها تتحركان لأعلى ولأسفل ذراعَيها، كما لو كانت خائفة من أنها فقدت أحد أطرافها. تمد (فارلي) يدها، فقط ليتم ضربها بعيدًا. يغرق قلبي عندما أُدرك أنني لا أعرف كيف أطمْئِن (كيثا). هل تحتاج إلى عناقٍ أو صفعة؟

«راقبي ظهورنا.» أقول لها، وأختار ما آمُل أن يكون الوسط السعيد. ترتجف وهي تُحدق بي. تفككت ضفائرها، وتشدُّ خيوط شعرها الداكن. تُومئ برأسها ببطء، واستدارت على الفور لمراقبة الممر الفارغ خلفنا. يتردَّد صدى شهيقها مقابل البلاط.

«لا مزيد.» تتمتم. لكنها تظل ثابتة.

يقف (نيكس) و(دارميان) على جانبيها، في إظهارٍ للتضامن أكثر من

القوة. على الأقل سيمثلان جدارًا جيدًا عندما يُدرك الحراس ما يحدث هنا. وهذ سيكون قريبًا.

يفهم (كال) كم أن الوضعَ طارئ كما أعرف. «الآن.» يقول ويضع نفسه مقابل الجدار مع بقيتنا.

يدور المفتاح، أشعر بالكهرباء تقفز وتغمر آلية الباب. يُفتح على مصراعيه، ويعود للجدار صارخًا ويكشف عن مجمع زنازين كالكهف. في تناقُضٍ صارخ مع ممرات البلاط الأبيض، الزنازين رمادية وباردة وقذرة. يقطر الماء في مكانٍ ما، والهواء رطب بشكلٍ مُقزز.

أربعة مستوياتٍ من الزنازين تصل للظلام بالأسفل، مُكدسون فوق بعضهم، بدون منصّات هبوط أو سلالم تربط بين الطوابق. أربع كاميرات، واحدة في كل زاوية من السقف، تراقب الجميع. أغلقهم بسهولة. الضوء الوحيد هو أصفر وامِض وقاسٍ، على الرغم من أن فتحة السقف الصغيرة في الأعلى قد أصبحت زرقاء، تكشف الشمس المُشرقة. يقف تحتها، على منصةٍ واحدة مصنوعة من معدن عاكس لامع، اثنان من (الماجنيترون) يرتديان الزيّ الرمادي. يدور كلاهما مع صوت الاقتراب.

«ما الذي ...؟» يقول الأول، ويخطو خطوة واحدة نحونا. لدَيه ألوان منزل (ساموس) على زيّه الرسمي. يتجمّد عند رؤية (ناني)، تقف بجانب كتف (جاريث). «كابتن(إيرال)، سيدي.» يلوح بيده، يرفع الضابط (الماجنيترون) (ساموس) ألواحًا مسطحة من المعدن من أرضية المبنى، ويقوم ببناء قسمٍ جديد من منصّةٍ أمام أعيُننا. يتصل بالتي يقفان عليها، مما يسمح لـ(جاريث) و(ناني) بالمضي قدمًا.

«دم حديث؟» يضحك الضابط الآخر، ويومئ برأسه نحو (جاريث) بابتسامة خبيثة. «من أي فيلق أنت؟»

تتدخل (ناني) قبل أن يتمكن (جاريث) من الإجابة. «افتح الزنزانات. حان الوقت للمشي.»

أثار استياءنا تبادُل الضباط نظراتٍ في حيرة. «تركناهم يفعلون ذلك بالأمس، ليس من المُقرر ...»

«الأوامر هي الأوامر، ولديَّ أوامري.» أجابت (ناني). ترفع مفتاح (إيرال)، وتُعلقه في الهواء في تهديدٍ مباشر. «افتح الزنزانات.»

«إذن هذا صحيح؟ عاد الملك مرةً أخرى؟» سأل (ساموس) وهو يهز رأسه. «لا عجب أن الجميع في حالةٍ من الصخب مرةً أخرى في مركز التحكم. يجب أن تبدو قويًا أمام التاج، على ما أظن، خاصة أن والدتَه لا تزال تحوم في المكان.»

«هي غريبة، الملكة.» يقول الآخر وهو يحكُّ ذقنه. «لا أعرف ماذا تفعل في البئر، ولا أريد أن أعرف أيضًا.»

«الزنازين.» تُكرر (ناني)، وصوتها قوي.

«حسنًا يا سيدي.» يزمجر (الماجنيترون) الأول. يَكِز الآخر بمرفقه ويستديران معًا، ويواجهان دزينة الزنازين المرتفعة من الأرض للسقف.

العديد منها فارغ، لكن يحوي بعضها ظلالًا واهنة تحت سحْق الحجر الصامت. سجناء من الدماء-الجديدة، على وشك أن يُطلَق سراحهم.

تستقر المزيد من المنصَّات في مكانها، يُشبه الصوت مطرقةً عملاقة تضرب جدارًا من الألومنيوم. تحيط بالزنازين، وتخلق ممراتٍ حول مُحيط المجمع، بينما تلتوي المزيد من الألواح وتنطوي إلى درجاتٍ لتربط المستويات. للحظة، ينتابني شعور بالعجب. رأيت فقط (الماجنيترون) في المعركة. يستخدمون قُدراتهم في القتل والتدمير.

لا للخلق أبدًا. ليس من الصعب تخيُلهم يُصمِّمون طائرات نفاثة ووسائل نقل فاخرة، ويثنون الحديد المتعرج إلى أقواس ناعمة من الجمال الرفيع. أو حتى الفساتين المعدنية التي كانت (إيفانجلين) مولعة بها. حتى الآن، أعترف أنها كانت رائعة، على الرغم من أن الفتاة التي ترتديها كانت وحشًا. ولكن عندما تنفتح قضبان كل زنزانة، ويُسبب هذا حركة الناس في الداخل، أنسى كل عجبي ودهشتي. هذان (الماجنيترونان) سجَّانان، قتَلة، يُجبران الأبرياء على المعاناة والموت خلف القضبان لأي سببٍ واهٍ يُعطيه لهم (مافين). هما يتبعان الأوامر، نعم، لكنهما يختاران اتباعها، مع ذلك.

«هيا، اخرجوا.»

«على أقدامكم، وقت تمشية الكلاب.»

يتحرك ضابطا (الماجنيترون) في تتابُع سريع، ويهرولان إلى المجموعة الأولى من الزنازين. يسحبان أجساد الدماء-الجديدة من أسِرَّتهم، ويقذفون أولئك الذين لا يستطيعون النهوض بسرعة كافية على المنصة. هبطت فتاة صغيرة بالقُرب من الحافة بشكلٍ خطير، وكادت تسقط. إنها تُشبه (جيسا) إلى حدٍّ كبير لدرجة أنني أتقدمُ خطوةً إلى الأمام، ويُضطر (كيلورن) أن يسحبني للخلف.

«ليس بعد»، يزمجر في أذني.

ليس بعد. أقبض يدي، تحكُّني لأُحرر قُدرتي ضد الضابطَين وهما يقتربان أكثر فأكثر من الباب. لم يرَونا بعد، لكنهم سيفعلون بالتأكيد.

(كال) هو أول من يخلع خوذته. يتوقف الضابط (ساموس) فجأة، كما لو أطلق عليه الرصاص. يرمش مرةً واحدة، ولا يصدق عينَيه. قبل أن يتمكن من الاستجابة، تترك قدماه الأرض، ويندفع نحو السقف. يحذو الآخر حذوه بينما تتحرَّر قبضته الضعيفة على الجاذبية. يقذف (جاريث) بكليهما، ويضرب بهما السقف الخرساني في صوت تحطُّم عظامٍ مُغِث ونهائي.

نندفع ناحية مجمع الزنازين، ونتحرك كواحد، بأسرع ما يمكن. أصل إلى الفتاة التي سقطت أولًا، وأسحبها لتنهض على قدمَيها. تتنفَّس بصعوبة، يرتجف جسدها الصغير. لكن ضغط الحجر الصامت صار أضعف، ويعود بعض اللون إلى خدَّيها الشاحبَين الرطبين.

أزيل قناعي.

«فتاة البرق.» تتمتم وهي تلمس وجهي. هذا يُحطم قلبي.

جزء منِّي يريد أن يأخذها ويهرب، ليُبعدها عن كل هذا. لكن مهمتنا لم تنتَهِ بعد، ولا يمكنني المغادرة. حتى من أجل الفتاة الصغيرة. لذلك أوقفها على ساقَيها المهزوزتَين، وأسحب يدي برفق من قبضتها.

«اتبعونا بكلِّ ما في وسعكم. قاتلوا بكلِّ ما في وسعكم!» أصرخ في المجمع. أحرص على الانحناء على حافة المنصة، حتى يتمكن الجميع من سماعي

ورؤيتي. بعيدًا بالأسفل، بدأ عدد قليل من السجناء الذين لا يزالون على قيد الحياة في الزنازين المُنخفضة في تسلق الدرجات المعدنية بالفعل.

«سنغادر هذا السجن الليلة، معًا، وعلى قيد الحياة!»

الآن، يجب أن أعرف أفضل أنه لا يجب أن أكذب. لكن الكذب هو ما يحتاجونه للاستمرار، وإذا كان خداعي سيُنقذ حتى واحدًا منهم، فهو يستحقُّ الثمن الذي ستدفعه روحي.

الفصل السادس والعشرون

لا يمكن للكاميرات العمياء حمايتنا لفترة طويلة، ويبدو أن وقتنا قد نفد. يبدأ الأمر بالانفجارات في الممر. أسمع (كيثا) تصرخ مع كل انفجار، خائفة مما فعلته وما تواصل فعله باللحم والعظم. تتردَّد كل صرخة قاسية خلال المجمع، مما يوقف تقدُّم الدماء-الجديدة البطيئين بالفعل.

«استمروا في التحرك!» تصيح (فارلي). اختفت طاقتها الجنونية، واستبدلت بها سُلطة صارمة. «اتبعوا (آدا)، اتبعوا (آدا)!» تجمعهم مثل الأغنام، وتسحب الكثير منهم جسديًّا إلى أعلى الدرج.

(شايد) أكثر فائدة، حيث يقفز بالأكبر عمرًا والأكثر مرضًا من أدنى المستويات للأعلى، مع أنه يُربك معظمهم. (كيلورن) يمنعهم من التعثُّر من فوق المنصة، وتُساعده أطرافه الطويلة. تلوح (آدا) بيدِها، لترشد الدماء-الجديدة للباب بجانبها. عليه حرف (C) كبير.

«معي.» تصيح، وعيناها تتحرك بين كل شيءٍ وكل شخص، تُحصيهم.

أُضطر لدفع العديد منهم تجاهها، مع أنهم مُنجذبون لي على نحوٍ غير مفهوم. على الأقل تفهم الفتاة الصغيرة الرسالة. تمشي تجاه (آدا) وتتعلَّق بساقِها، تحاول أن تختبئ من الصخب. يتردد صدى صوت كلِّ شيء في المجمع بشكلٍ بشع، ويتحول لصيحاتٍ وحشية بسبب الجدران الأسمنتية والألواح المعدنية. تدوِّي أصوات إطلاقِ النيران تاليًا، ويتعبها صوت ضحك (نيكس) غير المشكوك به. لكنه لن يضحك طويلًا إذا استمر الهجوم.

حان الآن وقت الجزء الذي أخشاه أكثر من أي شيء، الذي حاربتُ ضده لأقصى حد. لكن (كال) كان واضحًا، يجب أن ننفصِل. لنُغطِّي مساحةً أكبر، ونُحرر مساجين أكثر، والأهم من ذلك، إخراجهم في سلامة. لذا أتحرك عبر حشد الدماء-الجديدة، وأحارب التيار، مع (كاميرون) بجانبي. تقذف بالمفتاح خلف كتفِها، ويلتقِطه (كيلورن) بمهارة. يُشاهدنا نذهب، لا يقدر أن يرمِش. ربما تكون هذه آخر مرة يراني بها، وكلانا نعلم ذلك.

يتبعنا (كال). أشعر بدفئه من على بُعد ياردات. يحرق المنصات خلفنا، ويُذيبها، ويفصلنا عن الآخرين. عندما نصل للباب في الجهة المقابلة، الذي عليه كلمة «مركز التحكم»، تشرع (كاميرون) بالعمل على لوحة التحكّم. لا يمكنني فعل شيءٍ غير التحديق، وأدير نظري بين (كيلورن) وأخي، أحفظ تفاصيل وجوههما. تركض (كيتا)، و(نيكس)، و(دارميان) عائدِين للمجمع. يسرعون بعيدًا عن الهجوم الذي لم يَعودوا قادرين على منعه. تُلاحقهم طلقات النيران، وترتدُّ من على المعدن وجسد (نيكس). مُجددًا، يصير العالم بطيئًا، وأتمنّى أن يتوقف تمامًا. أتمنى أن يكون (جوليان) هنا، ليُخبرني ماذا أفعل، وأنني قمتُ بالاختيار الصحيح. ليُخبرني مَن يموت.

تمسك بوجنتي يدٌ ساخنة تكاد تكون حارقة، وتُجبرني على الاستدارة بعيدًا عن الآخرين.

«ركزي.» يقول (كال)، ويُحدق بعينيّ. «(ماير) يجب عليكِ أن تنسيهم للوقت الحالي. ثِقي فيما تفعلين.»

بالكاد يُمكنني أن أومئ. بالكاد يُمكنني أن أتحدث. «حسنًا.»

خلفنا، يصير المجمع خاليًا. وأمامنا يشتعل المفتاح. ويفتح الباب.

يدفعنا (كال) للدخول، وأسقط بقوةٍ على بلاط الأرض. يستجيب جسدي قبل عقلي، ويشتعل البرق حولي. يُحطم أفكاري بـ(كيلورن) و(شايد)، حتى يصير مركز التحكُّم أمامي وما يجب أن أفعله هو كلُّ ما يبقى.

تمامًا كما قال (كاميرون)، هي غرفة مُثلَّثة من الماس الزجاجي المموّج المنيع، مليئة بلوحات التحكم، وشاشات المراقبة، وستة جنود صاخبين، ونفس الأبواب المعدنية مثل الزنازين. ثلاثة في المجموع، واحد في كل جدار. أركض إلى الأول، مُتوقعةً أن يفتح، وأن يرتقي جنود القيادة في الداخل إلى مستوى المناسبة. لدهشتي، يبقون على كراسِيِّهم ومَحطاتهم، يُراقبونني بعيونٍ واسعة وخائفة. ضربت الباب بقبضةٍ واحدة، مُستمتعة بالألَم الذي ينطلِق خلال يدي.

«افتح الباب!» أصرخ، وكأن هذا يمكن أن يفعل أيَّ شيء. بدلًا من ذلك، يجفل الجندي الأقرب إليّ، ويبتعِد عن الجدار. لدَيه أيضًا شارة الكابتن.

«لا تفعلوا!» يأمرهم، ويمدُّ يدَه ليُثبِّت زملاءه.

فوقنا يصرخ جرس إنذار.

«إذا كانت هذه الطريقة التي يُريدونها.» يُتمتم (كال) ويتحرك للباب الآخر.

صوت ارتطام يجعلني أجفل، وأستدير لأرى أحجار رخام ضخمة تنزلق في أماكنها، لتبدل الباب المعدني الذي مرَرْنا خلاله للتو.

تبتسِم (كاميرون) في سخرية تجاه لوح التحكم، وحتى تربِّت عليه في شغف. «يجب أن يبتاع لنا هذا بضع الدقائق.» تنهض على قدمَيها، تُطقطق ركبتاها. يظهر على وجهها الاستياء عند رؤية مركز التحكم. «الحمقى الدامُون خائفون.» تزمجر، وتقوم بإشارةٍ فظَّةٍ بيدِها تليق أكثر بأحياء (الستيلتز). «هل يمكننا الوصول لهم عبر الزجاج؟»

إجابة عليها، أُدير نظري تجاه شاشات المراقبة. تنفجر في تتابُع سريع، وتمطر الجنود برذاذ من الشرار والزجاج المُحطم. يخبو صريخ جرس الإنذار إلى أنينٍ مُنخفض ثم ينقطع. يقفز كل جزء من المعدن داخل مركز القيادة بسبب الكهرباء، ويُقلى مثل البيض في مقلاة؛ فيجعل الجنود يتجمَّعون في وسط الغرفة. ينهار واحد منهم، مُمسكًا برأسه إشارةً لشيءٍ أستطيع التعرف عليه الآن. يهتز جسده مع غلْق قبضة (كاميرون)، يُحارب موجةً بعد موجةٍ من القدرة الخانقة. تنزف أذناه وأنفه وفمه. لا يتطلَّب وقتًا طويلًا حتى يختنق بدمائه.

«(كاميرون)!» يصيح (كال)، لكنها تتظاهر بعدم سماعه.

«(جوليان جاكوس)!» أصرخ، وأضرب على الزجاج مجددًا. «(سارة سكونوس)! أين هما؟»

يسقط جندي آخر، صارخًا.

«(كاميرون)!»

لا تُظهر أي نيةٍ للتوقف، ولا يجب عليها. هؤلاء سجنوها، وعذَّبوها، وجوَّعوها، وكانوا سيقتلونها. الانتقام من حقِّها.

يزداد برقي قوة، ويقفز داخل الصندوق الزجاجي، ويُجبر الجنود على

الانكماش من الغضب البنفسجي الأبيض. كل صاعقةٍ تطقطق وتندفع منفجرةً أقرب وأقرب من أجسادهم.

«(ماير) توقفي ...» يستمر (كال) بالصياح، لكنّي بالكاد أسمعه.

«(جوليان جاكوس)! (سارة سكـ ...»

الكابتن، الآن يتخبّط عبر الأرض، يرمي بنفسه تجاه الجدار أمامي. «مجمع (G)!» يصرخ، ويضرب الزجاج بكفٍّ يدِه على بُعد إنشاتٍ من وجهي. «هما في مجمع (G)! عبر ذلك الباب!»

«هذا هو. هيا!» يزمجر (كال). داخل وحدة التحكم، تتحول عيون الكابتن تجاه الأمير الساقط.

تضحك (كاميرون) بصوتٍ عالٍ وواضح. «تريد أن تتركهم على قيد الحياة؟ هل تعلم ماذا فعلوا بنا؟ لكل من هنا، وبكم كفضيِّين أيضًا.»

«أرجوك، أرجوك، نحن نتبع الأوامر، أوامر الملك ...» يتوسّل الكابتن، ويتفادى قوسًا آخر من البرق. خلفه، يلتوي ضحية (كاميرون) الثانية حول نفسه، ويستسلِم لقدرتها. تلتصق دموعه برموشه كقطراتٍ من الكريستال. «سموُّك، أتوسّل للرحمة، رحمتك ...»

أفكر في الفتاة الصغيرة في الزنزانات. عيناها مُلطختان بالدماء، واستطعتُ أن أشعر بأضلاعها خلال ملابسها. أفكر في (جيسا) ويدها المكسورة. الرضيع النازف في (تيمبلين). أطفال أبرياء، أفكر في كلِّ ما حدث لي منذ هذا الصيف المشئوم، عندما بدأ موت صياد سمكٍ كلَّ هذه المتاعب.

لا، لم يكن هذا ذنبه. هذا ذنبهم. قوانينهم، تجنيدهم، هلاكهم لأجل كلِّ واحدٍ منّا. هم فعلوا هذا. جلبوا هذه النهاية لأنفسهم. حتى الآن، عندما أكون أنا و(كاميرون) من نُدمرهم، يتوسلون لرحمة (كال). يتوسّلون لملكٍ فضي، ويبصقون على الملكات الحمراء.

أرى الأمير عبر الزجاج المموَّج. يشوَّه وجهه، ويبدو كـ(مافين) لحدٍّ كبير. «(ماير).» يهمس (كال)، ولو حتى لنفسه.

لكن همسَه لا يمكن أن يُوقفني الآن. أشعر بشيءٍ جديد داخلي، مألوف لكن غريب. قوة لا تأتي من الدماء، بل الاختيار. ممَّن أصبحتُ عليها، ليس

ممن وُلِدتُ عليها. ألتفتُ بعيدًا عن صورة (كال) المشوَّشة. أعلم أنني أبدو بنفس التشويه. أكشف أسناني في زمجرة.
«البرق ليس لدَيه رحمة.»
شاهدتُ مرة إخوتي يُحاولون حرق نملٍ بقطعةٍ من الزجاج. هذا مُشابه، ولكن أسوأ.
***

في حين أن مجمع الزنزانات المُغلقة بشكلٍ فردي تجعل من الصعب، ويكاد يكون من المستحيل، على السجناء الهروب، إلا أنها تجعل من الصعب على الحراس التواصُل مع بعضهم. الارتباك فعَّال مثل البرق أو اللهب. يكره الحرَّاس ترك مواقعهم، خاصة مع وجود شائعات عن وجود الملك، ونجد أربعةً من (الماجنيترون) الصاخبون يتجادلون في المجمع (G).
«سمعت الإنذار، هناك شيءٌ خاطئ.»
«ربما هذا تدريب، استعراض للملك الصغير.»
«لا يُمكنني الاتصال بمركز التحكُّم عبر الراديو.»
«سمعتهم من قبل، الكاميرات بها عُطل، والراديو أيضًا. ربما تكون الملكة تعبث في الأنحاء، الساحرة الدموية.»
أقذف برمحٍ من البرق عبر أحدهم لأجذب انتباههم. «الساحرة الخاطئة.»
قبل أن تسقط المنصَّة المعدنية تحتي، أقبض على القضبان على يسار الباب، متماسكة. يذهب (كال) إلى اليمين، وتتحول القضبان إلى اللون الأحمر تحت لمسته المُشتعلة، وتذوب مباشرة. تبقى (كاميرون) في المدخل، عرق خفيف يلمع على جبينها، لكنها لا تظهر أي علامات تباطؤ. يسقط واحد من (الماجنيترون) من موقعه المُتراجع، مُمسكًا برأسه وهو يسقط ثلاثة مستويات على الأرضية الخرسانية. يفقد الوعي تمامًا. يتبقى اثنان.
تندفع عاصفة من المعدن الحادّ تجاه وجهي، كل قطعة شفرة صغيرة مقصود بها القتل. قبل أن يتمكنوا من ذلك، أتوقف، وأنزلق أسفل القضبان، حتى تصطدم قدمي بالحافة الطفيفة للزنزانة بالأسفل.

«(كال)، القليل من المساعدة!» أصرخ وأتفادى انفجارًا آخر. أردُّ عليه بانفجارٍ خاصٍّ بي، لكن (الماجنيترون) ينخفض، ويخطو إلى ما يَجب أن يكون وسط الهواء. لكن، يتحرك معدنه معه، مما يسمح له بما يبدو كالركض عبر الفناء المفتوح.

ما يسبب استيائي، (كال) يتجاهلني، ويحاول خلع المعدن الذائب لقضبان الزنزانة. يشتعل ظهره باللهيب، يحمي نفسه من أي سلاحٍ يمكن أن يهجم به أي من (الماجنيترونين) الباقين عليه. بالكاد أقدِر على رؤيته خلال ألسنة اللهيب. هو غاضب بشكلٍ بشع، والسبب ليس لغزًا. يكرهني لقتلي هؤلاء الفضيين، لفعل ما لا يقدر عليه. لم أظن أنني سأرى اليوم الذي فيه (كال) الجندي المحارب غير قادر على التصرُّف. يركز الآن في فتح أكبر عددٍ من الزنازين مُمكن، ويتجاهل التماساتي للمساعدة، ويُجبرني على القتال وحدي.

«(كاميرون)، اقضي عليه!» أصيح، وأنظر تجاه حليفتي غير المرجَّحة.

«بكل سرور.» تزمجر، وتمدُّ يدَها تجاه (الماجنيترون) الذي يُهاجمني. يترنح لكنه لا يسقط. تصير ضعيفة.

أندفع متعثرة على طول الزنزانات، وأصابع قدمي تكاد تنزلق، وتجهد أصابعي مع كل ثانية تمر. أنا عدَّاءة، ولست مُتسلقة. بالكاد أستطيع القتال بهذه الطريقة. بالكاد. تخدش شفرة حادة من الزجاج الماسي وجنتي، وتفتح جرحًا في وجهي. تقطع أخرى راحةَ يدي. عندما أمسك القضيب التالي، تكون قبضتي ضعيفة، وتنزلق بسبب دمائي. أسقط لمسافة ستة أو سبعة أقدام، وأهبط بقوةٍ فوق أحشاء المجمع. للحظة، لا أستطيع التنفُّس، وأفتح عيني لأرى حربةً عملاقة مندفعة تجاه رأسي. أتدحرج، مُتفاديةً الضربة القاضية. تمطر فوقي أخرى وأخرى، ويجب أن أتلوَّى عبر الأرض للبقاء على قيد الحياة. «(كال)!» أصرخ مرة أخرى، غاضبة أكثر من خائفة.

تذوب الحربة التالية قبل أن تصل إليَّ، لكن الكرات الحديدية تتناثر بالقُرب مني، وتحرق عبر ظهري. تهرب صرخة منّي بينما يذوب نسيج

بدلتي داخل ندباتي. هذا تقريبًا أسوأ أَلَمٍ شعرت به على الإطلاق، في المرتبة الثانية بعد الجهاز الصوتي والغيبوبة المؤلِمة التي تلت ذلك. تصطدم ركبتي بالأرض، وترسِل صدماتٍ من العذاب أعلى ساقي.

يبدو أن الألم هو أحد مُحفزاتي الأخرى. تتحطَّم فتحة السقف المُرتفعة فوقنا، وتنفجر صاعقة من البرق نحوي. لجزءٍ من الثانية، يبدو الأمر كما لو أن شجرة أرجوانية قد نَمَت في المستوى الفرعي، تتفرَّع وتتعرَّق عبر الفناء المفتوح لمجمع (G). تضرب واحدًا من (الماجنيترون)، ولا تحظى بوقت حتى للصراخ.

أما الحارس الآخر، وهو الحارس الأخير، فقد انتهى تقريبًا، صار مُرتعدًا على صفيحته المعدنية الأخيرة، يتلوى أمام إرادة (كاميرون).

«(جوليان)!» أصرخ بمجرد أن يسكن الوضع. «(سارة)!»

يقفز (كال) إلى الطرف الآخَر من الأرض، ويداه حول فمِه. يرفض النظر إليَّ، ويفتِّش الزنزانات بدلًا من ذلك. «خالي (جوليان)!» يصيح.

«سأنتظر هنا.» تقول (كاميرون) وهي تُراقبنا من المدخل المفتوح في المستوى الأعلى. تتدلى ساقاها. لدَيها حتى الجرأة للتصفير، وهي تتطلَّع إلى آخر (ماجنيترون) وهو يتأوّه.

المجمع (G) رطب مثل مجمع الدماء-الجديدة (D)، وبفضلي، نصفه مُدمَّر. هناك حفرة تدخن في وسط الأرضية، وهي البقايا الوحيدة لصاعقتي الضخمة. مما أستطيع أن أرى، الزنازين السفلية تكاد تكون مُظلمة كليًّا، لكنها كلها ممتلئة. يتعثر عدد قليل من السجناء تجاه القضبان، للنظر إلى الفوضى. كم عدد الوجوه سأتعرّف عليها؟ لكنهم نحيلون للغاية، هزيلون للغاية، بشرتهم تكاد تكون زرقاء من الخوف والجوع والبرد. أشكُّ في أنني سأتعرَّف على (كال) حتى، بعد قضائه بضعة أسابيع هنا. توقعت المزيد من أجل الفضيين، لكن أعتقد أن السجناء السياسيين لا يقلُّون خطورة عن السجناء السريِّين المُتحوِّرين.

«هنا.» يقول صوت متقطع.

كدت أتعثر بجسد (ماجنيترون)، وأركض على الرغم من أن الحروق على

ظهري تحتجُّ مع كل خطوة. يُقابلني (كال) هناك، ويداه مُشتعلتان، وعلى استعدادٍ لإذابة القضبان، وإنقاذ خاله، والتعويض عن بعض خطاياه. الرجل في الزنزانة يبدو ضعيفًا، عجوزًا وهشًّا مثل كُتبه المحبوبة. أصبحَت بشرته بيضاء، وشعره المُتبقي رقيقًا، والخطوط على وجهه تضاعفت وتعمَّقت. أعتقد أنه حتى يفتقد بعض الأسنان. ولكن ليس هناك شك في عينَيه البُنيتين المألوفتَين وشرارة الذكاء التي لا تزال مشتعلة داخلهما. (جوليان).

لا أستطيع الوصول إليه بالسرعة الكافية، وأحوم بالقُرب للغاية من المعدن الذائب. (جوليان). (جوليان). (جوليان). مُعلمي، صديقي. ينهار القضيب الأول ويمزقه (كال) بعيدًا، مما يخلق مساحة كبيرة بما يكفي لي للدخول. بالكاد ألاحظ الضغط الخانق للحجَر الصامت وأُركز بدلًا من ذلك على جذب (جوليان) لينهض على قدمَيه. أشعر به هشًّا، كما لو أن عظامه قد تنكسر، ولحظة، أتساءل عمَّا إذا كان سيخرج من هذا على قيد الحياة. ثم تشتدُّ قبضتُه عليَّ ويرفع حاجبه في تركيز.

«أوصلوني لهذا الحارس.» يزمجر، ويكشف جزءًا من روحه القديمة. «وأخرجوا (سارة).»

«بالطبع. نحن هنا من أجلها أيضًا.» أضع يدَه على كتفي وأساعده على المشي. على الرغم من أنه أكثر طولًا منِّي، يبدو خفيفًا لدرجة صادمة. «نحن هنا من أجل الجميع.»

عندما نخرجه من الزنزانة، يتعثر (جوليان)، لكنه يُبقي نفسه متزنًا. «(كال).» يتمتم، ويمد يدَه تجاه ابن أخته. يضع وجهه بين يدَيه ويفحص الأمير المَنفي كأنه كتاب عتيق. «حدثت أمور، أليس كذلك؟»

«نعم، حدثت.» يزمجر (كال). ولا يريد أن ينظر بعيدًا.

غيَّرتِ الزنزانة هيئة (جوليان) لكن لم تُغيِّر شخصَه. يُومئ في تفهُّم، ويبدو رصينًا. هذا يطمئن (كال) بشكلٍ بسيط. «ليس لهذه الأفكار مكان هنا والآن، لكن لاحقًا.»

«لاحقًا.» يُكرر (كال). وأخيرًا، يدير عينَيه المشتعلتَين تجاهي. أشعر بهما تحرقانني. «لاحقًا.»

«هيا يا (ماير)، ساعديني للوصول لهذه الكتلة المُتقيِّحة.» يُشير (جوليان) للحارس على الأرض الذي ما زال حيًّا. «لنرَ إذا كنتَ بلا فائدة كليًّا.»

أفعل ما يُقال لي، وأصبح كعكاز (جوليان) وهو يعرج تجاه الضابط المُصاب. في هذه الأثناء، يعمل (كال) على فتح زنزانة (سارة)، الواقعة على الجانب الآخر من زنزانة (جوليان). على مرمى البصر والأُذن، ولكن بعيدًا جدًّا عن اللمس. تعذيب صغير آخَر كان عليهم تحمُّله.

لقد رأيت (جوليان) يفعل هذا من قبل، ولكن ليس بمثل هذا الجهد أو الألم. تهتز أصابعه وهو يفتح إحدى عيني الضابط، ويبتلع عدة مرات، مُحاولًا استدعاء الصوت الذي يحتاجه. الأغنية.

«لا بأس، يا (جوليان)، يُمكننا أن نجد طريقة أخرى ...»

«طريقة أخرى يمكن أن تقتُلنا، يا (ماير). ألَم أُعلِّمكِ شيئًا على الإطلاق؟»

على الرغم من الوضع، أبتسم. أقاوم الرغبة لمُعانقته، وأحاول أن أُخبِّئ ابتسامتي.

أخيرًا، يتنهَّد (جوليان)، وعيناه نصف مُغلقتَين. تبرُز العروق في رقبته. ثم يفتح عينَيه سريعًا، مُتَّسعة وصافية. «استيقظ.» يقول بصوتٍ أكثر جمالًا من غروب الشمس. أسفلنا، يقوم الضابط بما قِيل له، ويفتح عينَيه. «افتح الزنازين. جميعها.» يتردد صوت كصرخةٍ ملتوية أعلى وأسفل المجمع بينما تنحني كل قضبان الزنازين لتُفتَح في نفس الوقت. «ابني السلالم والمنصّات. قم بوصل كل شيءٍ ببعضه.»

كل قطعة من المعدن، والخناجر، والشظايا المصعوقة، حتى القطرات المعدنية الذائبة، تصير مسطحة وتتقوَّم، ثم تتلاقى معًا بالتتابع. «امشي معنا.» يرتجف صوت (جوليان) في هذا الأمر الأخير، لكن (الماجنيترون) يُطيع، ولو أبطأ قليلًا.

«أنتِ محظوظة لأنكِ أتيتِ اليوم يا (ماير).» يقول (جوليان) وأساعده على النهوض. «أخذونا للمشي بالأمس؛ فلسْنا ضعفاء كما نحن عادة.»

أُفكر في إخبار (جوليان) بشأن (جون)، وقُدرته، ونصيحته. سيُحب (جوليان) السماع عنه. لاحقًا، أقول لنفسي. لاحقًا. لأول مرة، لديَّ أمل.

سيكون هناك لاحقًا.

تحلُّ الفوضى بـ(كوروس). يتردد صدى إطلاق النار في كل ممر، خلف كل باب. تتبعنا مجموعة الفضيين المُرهَقين في ضعف، لكن القليل منهم لديهم القوة للشكوى. أنا لا أثق بهم على الإطلاق، وكدتُ أمشي بالخلف لمواصلة المراقبة. يتفرع الكثيرون، ويتسلَّلون خلف المنعطفات، في لهفة للتخلص من هذا المكان. آخَرون يدخلون لأعماق السجن، بحثًا عن الانتقام. قليلون يبقَون معنا، مُنكِّسي الرأس، في خجلٍ من اتباع فتاة البرق. لكن ما زالوا يتبعوننا. يُقاتلون قدْر استطاعتهم. الوضع مثل إسقاط حجَرٍ في بركة ثابتة. تبدأ التموُّجات صغيرة، لكنها تكبُر بالتأكيد. تسقط كل صخرة بسهولة أكبر من الأخيرة، حتى يُضطر فضيُّو (الماجنيترون) بالداخل إلى الهربِ منَّا. يقتل الفضيُّون أكثر مني، ويهجمون على خائنِيهم مثل الذئاب الجائعة.

ولكن حتى هذا لا يمكن أن يستمر. عندما يفجر (أوبلفين) من منزل (ليرولان) حاجزًا حجريًا، ويفتح لنا المجمع (J)، لا يسقط الحطام، بل يطفو لأعلى. وقبل أن أفهم ما يحدُث، تسحبني زوبعة من الدخان والشظايا والهمسات المُريبة. تمسك (كاميرون) بيدي، لكنها تنزلق من قبضتي، وتختفي فيما يبدو كالضباب. (نيمف). لا أستطيع أن أرى أيَّ شيءٍ سوى الظلال والضوء الأصفر القاتم، كل منها مثل شمس ضبابية بعيدة. قبل أن أسقط في هذا النسيان، أمدُّ يدي، لأتمسَّك بأي شيء. تغلق يدي المجروحة على ساقٍ باردة واهنة، وتُوقفني بصدمةٍ تهز العظام. «(كال)!» أصرخ، لكن العواء يبتلع صوتي.

بزمجرة، أسحب نفسي لأعلى الساق. بالتأكيد تنتمي إلى جثة، لأنها لا تتحرك. يمزق الخوف البارد عقلي، وتمتدُّ أصابعه باردةً وحادة. أكاد أتركها، لا أريد أن أرى الوجه الذي ينتمي إلى هذا الجسد. يُمكن أن يكون أيُّ شخص. يمكن أن يكون الجميع.

من الخطأ أن أشعر بالارتياح، لكني أفعل. لا أتعرف على الرجل المُعلق من قضبان زنزانته، إحدى ساقيه مربوطة، والأخرى لا تزال مُعلقة. هو بالتأكيد من المساجين، لكني لا أعرفه، ولن أحزن عليه. أشعر بظهري يكاد

يتمزَّق مفتوحًا من الندبات والحروق، وللحظة، أسمح لنفسي بأن أستند للخلف على القضبان. تحولت الجاذبية في هذا المجمع. (جاريث) هنا، وهذا يعني أن (كيلورن) و(شايد) و(فارلي) ليسوا بعيدِين. من المُفترَض أن يكونوا في الجانب الآخر من السجن، يفرغون المجمَّعات البعيدة، شيء ما أجبرهم على الدخول هنا. أو حاصرَهم كليًا.

قبل أن أنادي، أسقط مجددًا؛ فيبدو أن المجمع يدور. لكن ليس الزنازين هي ما تتحرك. هذه الجاذبية نفسها.

«(جاريث)، توقف!» أصرخ في الفراغ. ولا يُجيبني أحد. على الأقل ليس ممن أريد سماعهم.

فتاة البرق الصغيرة.

يكاد صوتها يقسم جمجمتي نصفَين.

الملكة (إيلارا).

هذه المرة أتمنَّى الجهاز الصوتي. أتمنَّى شيئًا يقتلني، يمنحني أمان الموت. ما زلت أسقط. ربما هذا سيفي بالأمر. ربما سأموت قبل أن تتلوّى داخل عقلي، وتُحولني ضد كل شيءٍ وكل شخصٍ أهتمُّ به. لكن أشعر بالأطراف المُلتوية داخل عقلي، بالفعل تسيطر عليَّ. ترتجف أصابعي مع أوامرها، وتقفز صاعقة بينهم. لا، أرجوك، لا.

أرتطم بالجانب الآخر من المجمع بقوة، على أغلب الظن كُسِرت ذراعي، لكنني لا أشعر بأي ألَم. تأخذه بعيدًا. مع صرخة أخيرة قاسية، أفعل ما يجب عليَّ فعله، وأستخدم آخِر قطرات إرادتي الحرة للانزلاق بين القضبان المُلتوية بالأسفل، إلى سجن الحجر الصامت. يُحطم قُدرتي وقُدرتها. تموت الشرارات، وينكسر تحكُّمها، ويحرق الألم المُسبِّب للعَمى ذراعي اليسرى ويصل حتى كتفي. أضحك خلال دموعي. كم هذا مُلائم، بنَتْ هذا السجن لإيذائي وإيذاء الدماء-الجديدة الآخرين. الآن، هذا هو الشيء الوحيد الذي يمنعها من القيام بذلك.

الآن، هذا ملاذي الأخير.

من مكاني مقابل الجدار الخلفي للزنزانة - أعتقد أنه الأرضية الآن -

أُشاهد رقصة الضباب. يتباطأ إطلاق النار، إما لأن طلقات الرصاص تنفد أو أنه من المستحيل التصويب خلال هذه الرؤية الرهيبة. يتوهّج ثعبان مُلتوٍ من اللهب، وأتوقع أن أرى (كال) يتبعه، لكن هيئته لا تظهر أبدًا. أنادي عليه على أي حال. «(كال)!» لكن صوتي ضعيف. الحجر الذي أنقذني يسيطر. يضغط كالثقل على رقبتي.

لا تستغرق وقتًا طويلًا للعثور علي. يظهر طرف حذائها أمام قضبان قفصي، ولثانية، أعتقد أنني أهذي. هذه ليست الملكة البراقة العظيمة التي أتذكَّرها. اختفت فساتينها ومجوهراتها، واستبدلت بزيٍّ أنيق أزرق داكن به تفاصيل بيضاء. حتى شعرها، الذي عادة ما يكون ملفوفًا ومضفورًا بعناية، مُشَّط للخلف في لفَّةٍ بسيطة. عندما أرى اللون الرمادي في صدغَيها، أضحك مرة أخرى.

«في المرة الأولى التي التقينا فيها، كنتِ في زنزانة مثل هذه.» تتأمَّل، تميل حتى تتمكن من رؤيتي بشكلٍ أفضل. «لم تمنعني القضبان في ذلك الوقت، ولن توقفني الآن.»

«تفضلي إذن.» أقول لها، وأبصق دماءً. بالتأكيد فقدتُ سنًّا.

«ما زلتِ نفس الفتاة. ظننتِ أن العالَم سيُغيرك، لكن بدلًا من ذلك ...» تحني رأسها وتبتسم كقطة. «غيرتِ القليلَ من العالَم. إذا انضممتِ لي، سوف نُغيره حتى أكثر.»

أتنفَّس بصعوبةٍ بسبب ضحكي. «لأي حدٍّ تظنيني حمقاء؟» أبقيها تتحدَّث. أبقيها مُشتتة. سيراها أحد قريبًا. يجب أن يراها أحد.

«كما تشائين إذن.» تتنهَّد، وتقف. تُشير لأحدٍ لا أقدر على رؤيته. الحرَّاس، أُدرك، في خضوع أجوف غامر. تظهر يدُها مجددًا وبها مُسدس، يدُها على الزناد بالفعل. «كنتُ أُفضِّل أن أكون بعقلك ثانية؛ فلديك أوهام جميلة للغاية.»

نصر صغير. أفكر، وأغلق عيني. لن تحظى بي قط. نصر بالتأكيد.

مجددًا، أشعر بنفسي أسقط.

لكن بدلًا من رصاصة، تصطدم القضبان بوجهي. أفتح عينيَّ في الوقت

المناسب لأرى (إيلارا) تطفو بعيدًا عني، ويسقط المُسدس من يدِها، وتلوي وجهها الجميل نظرة غضب بشعة. يتناثر حراسها معها، ويختفون بين السُّحب الصفراء. ويُمسك أحد بذراعي السليم ويجذبني تجاهه.

«هيا يا (ماير). لا يُمكنني نقلك بمفردي.» يقول (شايد)، ويُحاول أن يُخرجني عبر القضبان. منقطعة الأنفاس، أضغط وأسحب نفسي على قدر استطاعتي.

أعتقد أنه يكفي، لأن العالَم يتقلص فجأة، ويختفي الضباب، وأفتح عيني لرؤية البلاط الأبيض المُسبِّب للعمى. كدتُ أنهار من الفرح. عندما أرى (سارة) تركض نحوي، ويداها ممدودتان، مع (كيلورن) و(جوليان) خلفها، أفعل ذلك حقًّا. يمسك شخص آخر بي، شخص دافئ. يُديرني على جانبي وأهمس عندما يضغط على ذراعي قليلًا.

«الذراع أولًا، ثم الحروق، ثم الندبات.» يقول (كال) في جدية.

لا يسعني إلا أن أتأوَّه عندما تلمسني (سارة)، وينتشر التخدير الهانئ عبر ذراعي. يصدم شيء بارد ظهري، ويشفي الحروق، التي كانت ملتهبة بالتأكيد. ولكن قبل أن ينتشر الشفاء إلى ندوبي القبيحة البشعة، أجد نفسي على قدمي وخارج سيطرة (سارة).

ينفجر الباب في نهاية الممر إلى الخارج، مكسورًا بسبب أفرع الأشجار المنحرفة السريعة النمو. يتبعها الضباب، يدور نحوَنا بسرعة كبيرة. تأتي الظلال في النهاية. أعرف إلى مَن ينتمون. يقذف (كال) بانفجارٍ من النار على الأغصان القادمة، ويَحرقها وتتراجع للخلف، لكن الجمر المتفحِّم ينضمُّ ببساطة إلى الزوبعة الصاخبة.

«(كاميرون)؟» أصرخ، وأرفع رأسي للبحث عن الشخص الوحيد الذي يُمكنه إيقاف (إيلارا). لكن لا يمكن العثور عليها في أي مكان.

«لقد خرجت بالفعل، الآن اذهبي.» يصرخ (كيلورن) في وجهي، ويدفعني إلى الأمام.

أعلم أنني كما تريد (إيلارا). ليس فقط لقُدرتي، ولكن لوجهي. إذا تمكنَتْ من السيطرة عليّ، فيمكنها استخدامي كمذياعٍ مجددًا، للكذب على البلاد،

لفعل ما تقوله. لهذا السبب أركض أسرع من الآخرين. لطالما كنتُ الأسرع. عندما أنظر إلى الوراء من فوق كتفي، أكون على بُعد ياردات، وما أراه يجعلني أقشعر.

يضطر (كال) إلى سحب (جوليان) بالقوة، ليس لأنه ضعيف، ولكن لأنه يواصل محاولة التوقف. يريد مواجهتها. يريد أن يحرض صوته ضد عقلها، ضد همساتها. للانتقام لأختٍ ميتة، وحبٍّ مجروح، وكبرياء مكسورة مُمزقة. لكن (كال) لن يفقد آخِر جزء من العائلة التي تركها، ويقوم بكل شيءٍ عدا جرجرة (جوليان) بعيدًا. تبقى (سارة) قريبةً بجانب (جوليان)، ويدها في يده، غير قادرة على الصراخ في خوف. ثم ألتفت عند منعطف. وأصطدم بشيءٍ ما. لا، شخص ما.

امرأة أخرى، شخص آخر لم أرغب في رؤيته مرة أخرى. (أرا)، الفهد، كبيرة منزل (إيرال)، تُحدق في وجهي بعيونٍ سوداء مثل الفحم. لا تزال أصابعها مشوبة باللون الرمادي والأزرق من الحجر الصامت وملابسها مُمزقة. لكن قوَّتها تعود بالفعل، كما يتَّضح من الفولاذ النقي في نظرتها. لا طريق للتقدُّم إلا عبرها. أستدعي صاعقتي لقتلِها، هي شخص آخر عرف أنني كنتُ مختلفة طوال الوقت. تتحرك قبل أن أتمكَّن من ذلك، وتُمسك بكتفي بخفة حركةٍ لا ينبغي أن يمتلكها أي إنسان. ولكن بدلًا من كسْر رقبتي أو ذبح حلقي، تقذفني للجانب، وأشعر بشيءٍ يزعج شعري. تطير شفرة دوَّارة مقوَّسة، حادة مثل شفرة الحلاقة، كبيرة مثل طبق العَشاء، أمام وجهي، على بُعد سنتيمترات من أنفي.

أسقط على الأرض وأشهق في صدمة، مُمسكة برأسي الذي كدتُ أفقده. وفوقي، (أرا إيرال) تقف بعزيمة، وتتفادى كل شفرةٍ مندفعة تجاهنا. تأتي من الجانب المقابل للممر، حيث يقف شخص آخر من الماضي، يُكوِّن أقراصًا معدنية من الألواح على درعه المعدني.

«ألم يُعلمك والدك قط كيفية احترام من هم أكبر منك عمرًا؟» تصيح (أرا) في (بتوليموس)، وتخطو بدقة أسفل شفرة أخرى. التالية تلتقِطها من الهواء وتقذفها تجاهه. خدعة مُبهرة لكن بلا جدوى، فيلوِّح بيده ويُبعدها

مبتسمًا. «حسنًا، أيتها الحمراء، ألن تقومي بأي شيء؟» تضيف وتكِز ساقي بطرف قدمِها.

أُحدق بها في صدمة للحظة. ثم أتسلق على قدمي، وأُجبر نفسي على النهوض. يختفي قليل من الرعب. «بكل سرور، سيدتي.»

في نهاية الممر، تتّسع ابتسامة (بتوليموس). «الآن سأُنهي ما بدأتْه أختي في الحلبة.» يزمجر.

«ما هربَتْ منه أختك.» أردُّ عليه، وأقذف بصاعقةٍ تجاه رأسه.

يرمي بنفسه للجانب، مقابل جدار، وفي الوقت الذي يستغرقه للتعافي، تقترب منه (أرا) وتقفز مقابل الجدار. باستخدام قوة الدفع، وتُحطم فكَّ (بتوليموس) بِمرفقها.

أتبعها وحكمًا على وقع خطوات الأقدام خلفي، لستُ وحيدة. نار وبرق. ضباب ورياح. أمطار معدنية، وموجات من الظلام، وانفجارات مثل النجوم الصغيرة. وطلقات نارية، دومًا طلقات نارية، بالقُرب خلفي. نتقدَّم عبر عاصفة المعركة، ونأمل في نهايةٍ لهذا السجن، نتبع الخريطة التي حفظناها كلنا بقدر استطاعتنا. يجب أن تكون هنا، لا هنا، لا هنا. وسط الضباب والظلال من السهل أن نفقد طريقنا. وهناك (جاريث) من يُدير الجاذبية طوال الوقت، في بعض الأحيان يضر أكثر مما ينفع.

عندما نجد أخيرًا المدخل، الغرفة ذات الأبواب الحمراء والفضية والسوداء، أشعر بكدماتٍ جديدة مجددًا، وقُوَّتي تتلاشى بسرعة. لا أريد حتى التفكير في الآخرين، (جوليان) و(سارة)، اللّذين بالكاد استطاعا المشي في وقت سابق. نحن بحاجة إلى الخروج للعراء. إلى السماء. إلى البرق الذي يمكن أن يُنقذنا جميعًا.

في الخارج، أشرقت الشمس. تواصل (أرا) و(بتوليموس) رقصتهما الغريزية بينما تظهر منطقة الجرف، كضبابٍ رمادي في الأفق. لديَّ عيون فقط للـ(بلاك رن) والطائرة الأخرى التي تقف على المهبط. يتجمع حشد من الناس حول المركبات، دماء-جديدة وفضيون على حدٍّ سواء، يركبون على متن ما أمامهم أيًّا كان. ويختفي البعض في الحقول، على أمَل الهروب

سيرًا على الأقدام.

«(شايد)، خُذه إلى الطائرة.» أصيح وأُمسك بياقة (كال) أثناء ركضنا.

قبل أن يستطيع الاعتراض، يُطيعني (شايد) ويقفز به مسافة مئة ياردة. يمكنني دومًا الاعتماد على (شايد) ليفهمني؛ (كال) واحدٌ من الطيارين الوحيدين لدَينا. لا يمكن أن يموت هنا، ليس عندما نكون على وشك الفرار. نحتاجه أن يُحلِّق بنا، ويطير بشكلٍ جيد. بعد جزءٍ من الثانية، عاد (شايد) ويلفُّ ذراعَيه حول (جوليان) و(سارة). يختفيان معه، وأتنفَّس الصعداء قليلًا.

أستدعي كل ما تبقى لي، وصولًا إلى عمق عظامي. يجعلني هذا بطيئة، ويجعلني ضعيفة، آخُذُ إرادتي، وأحوِّلها إلى شيء أقوى. لسروري، تُظلم السماء. يتوقف (كيلورن) بجواري، وبندقيته معلقة على كتفِه. يطلق النار بدقة، ويصطاد مُطاردينا واحدًا تلو الآخر. يقف العديد من الرجال أمام الملكة، لحمايتها، سواء بإرادتهم أو بإرادتها. ستكون ضِمن المجال قريبًا، مجال قُدرتي وقدرتها. لديَّ فرصة واحدة فقط.

يحدث ذلك بالحركة البطيئة. ألقي نظرة على الفضيِّين المُتعاركين بيني وبين الطائرات. شفرة طويلة ورقيقة، مثل إبرة عملاقة، تقطع عُنق (أرا)، وتسكب نافورةً فضية. يدور (بتوليموس) مندفعًا، ويُوجهها عبرها، نحوي. أتحرك لأنبطح، وأتوقع ما أعتقد أنه الأسوأ. لا أستطيع أن أرى ما هو قادم.

شخص واحد فقط يُمكنه ذلك. (جون). ابتعَدَ عن كل هذا. وسمحَ بحدوث هذا. لم يكن يريد تحذيرنا. لم يكترث. يظهر (شايد) أمامي، ينوي إبعادي عن كلِّ هذا. بدلًا من ذلك، تطعن إبرة قاسية لامعة خلال قلبه. لا يُدرك ما يحدث. لا يشعر بأي ألَم. يموت قبل أن ترتطم ركبتاه بالأرض.

لا أتذكَّر أي شيءٍ آخر حتى نكون في الهواء. وجهي غارق بالدموع لكنني لا أستطيع مسحها. أُحدق في يدي، مرسومة بلونَين من الدماء.

الفصل السابع والعشرون

هذه ليست (البلاك رن).

بدلًا منها، يقود (كال) طائرة شحن ضخمة، بُنِيت لحمل وسائل النقل الثقيلة أو الآلات. الآن يحمل رصيف الشحن أكثر من ثلاثمائة سجينٍ هارب، العديد منهم جرحى، وجميعهم مصدومون. معظمهم من الدماء-الجديدة، ولكن هناك أيضًا فضيون بينهم، يُفضلون العزلة، وينتظرون في صبر. اليوم على الأقل، يبدو الجميع مُتشابهين، تُغطيهم الخِرَق والإرهاق والجوع. لا أريد النزول إليهم، لذلك أبقى بالمستوى العلوي من الطائرة. على الأقل المكان هادئ في هذا القسم، ويفصله عن الرصيف درَج ضيق، وعن قمرة القيادة باب مُغلق. لا أستطيع أن أُجبر نفسي على ترك الجثتَين عند قدمي. يرقُد أحدهم تحت ملاءةٍ بيضاء، مُلطَّخة فقط بالدم الأحمر كالزهرة فوق قلبه المثقوب. تجلس (فارلي)، متجمِّدة، يدُها تحت الملاءة لتُمسك بأصابع أخي الباردة الميتة. الجثة الأخرى أرفض تغطيتَها.

تبدو (إيلارا) قبيحةً في الموت. ثنى البرق عضلاتها، وجعل فمَها يُكشر بطريقة لم تقدِر عليها وهي على قيد الحياة. التصق زيُّها البسيط ببشرتها مُتفحمًا، ولم يتبقَّ الكثير من شعرها الأشقر الرمادي، احترق حتى تبقت بضعُ بُقَع من الخصلات فقط. الجثث الأخرى، حراسها، مشوهة بنفس القدْر. تركناهم يتعفنون على المهبط. لكن الملكة لا شك بها. سيتعرف الجميع على هذه الجثة. سأحرص على ذلك.

«يجب أن تستلقي.» الجسد يزعج (كيلورن)، هذا واضح. لا أعرف لماذا. يجب أن نرقص فوق عظامها. «دعي (سارة) تفحصك.»

«أخبر (كال) أن يُغير مساره.»

يرمش، في حيرة. «يغير المسار؟ ما الذي تتحدّثين عنه؟ سنعود إلى الشق، للوطن ...»

«الوطن.» أسخر من مثل هذه الكلمة الطفولية. «سنعود إلى جزيرة (تاك). أخبره، من فضلك.»

«(ماير).»

«من فضلك.»

لا يتحرك. «هل جننتِ؟ هل تتذكّرين ما حدث هناك، ماذا سيفعل بك الكولونيل إذا عدتِ؟»

جننت. أتمنّى هذا. أتمنى أن ينهار عقلي من هذا العذاب الذي صارت عليه حياتي. سيكون هذا مُريحًا، أن أفقد عقلي ببساطة.

«يمكنه المحاولة بالتأكيد. لكن هناك الكثير منا الآن، حتى بالنسبة له. وعندما يرى ما جلبته له، أشك في أنه سيرفضنا هذه المرة.»

«الجسد؟» يتنفّس ويرتجف بشكلٍ واضح. أدرك بهدوء أنها ليست الجثة التي تُخيفه. إنه أنا. «هل ستُريه الجثة؟»

«سأريها للجميع.» أقول مرة أخرى، أكثر صرامة. «أخبر (كال) أن يُغير مساره. سيفهم الأمر.»

تؤلم الكلمات (كيلورن)، لكنني لا أهتم. يتصلب، ويتراجع ليفعل ما أقوله له. يغلق باب قمرة القيادة خلفه، لكنني بالكاد ألاحظ. أنا مشغولة بأشياء أكثر أهمية من الإهانات التافهة. من هو ليشكك في أوامري؟ هو نكرة. صبي سمك يُبقيه الحظُّ السعيد وحماقتي فقط في أمان. ليس مثل (شايد)، متنقل أو دماء-جديدة أو رجل عظيم. كيف يُمكن أن يكون ميتًا؟ وهو ليس الوحيد. لا، هناك بالتأكيد آخرون جعلوا من السجن قبرهم. سنعرف فقط عندما نهبط، ويمكننا أن نرى من هرب أيضًا على متن (بلاك رن). سنهبط على مجمع الجزيرة، ولن نسافر إلى كهف وحيد في الغابات النائية.

«هل أخبرك عرّافك بشأن هذا؟»

أول كلمات تنطقها (فارلي) منذ تركنا (كوروس). لم تبكِ بعد، لكن صوتها مختنق، وكأنها قضت الأيام الفائتة تصرخ. تبدو عيناها بشعة، حولها حلقات حمراء، والحدقة أزرق زاهٍ.

«هذا الأحمق، (جون)، الذي قال لنا أن نفعل هذا؟» تتابع، وتستدير لمواجهتي.«هل أخبرك أن (شايد) سيموت؟ هل فعل ذلك؟ أفترض أن ذلك كان ثمنًا سهلًا على فتاة البرق لتدفَعه، طالما أنه يعني المزيد من الدماء-الجديدة لتتحكَّمي بها. المزيد من الجنود في حربٍ ليس لديكِ فكرة عن كيفية القتال فيها. أخ واحد مُتواضع مقابل المزيد من الأتباع لتقبيل قدمَيك. ليست صفقة سيئة، أليس كذلك؟ خاصة مع وجود الملكة في الصفقة. من يهتمُّ برجلٍ ميت لا يعرفه أحد، عندما يمكنك الحصول على جثتِّها؟»

صفعتي تدفعها خطوةً للخلف، في دهشة أكثر من الألم. تتمسّك بالغطاء وهي تسقط، وتسحبه جانبًا، وتكشف عن وجه أخي الشاحب. على الأقل عيناه مُغلقتان. يمكن أن يكون نائمًا فقط. أتحرك لسحب الغطاء مرةً أخرى لمكانه - لا أستطيع النظر إليه لفترة طويلة - لكنها تضربني بكتفها، باستخدام طولها الكبير لتدفعني مقابل الجدار.

يفتح باب قمرة القيادة، ويهرع الصبيان للخارج، بسبب الضوضاء. خلال لحظة، يهجم (كال) على (فارلي)، يضرب مؤخرة ركبتِها فتسقط. (كيلورن) ليس بنفس الأناقة، يُحيطني ببساطةٍ بذراعَيه، ويرفعني فوق الأرض.

«كان أخي.» أصرخ بها.

تصرخ مُجيبة. «كان أكثر من ذلك بكثير!»

تُحرك كلماتها ذكرى.

عندما تشك. قال لي (جون) شيئًا. عندما تشك. وبالتأكيد (فارلي) تشك الآن.

«قال لي (جون) شيئًا بالفعل.» أقول وأحاول دفع (كيلورن) عني. «شيئًا لكِ لتسمعيه.»

تندفع وتمدُّ يدها لتصل لي، لكن (كال) يدفعها للخلف مجددًا. ويحصل على ضربة من مرفقها لوجهه من أجل تعبه، لكنه لا يترك قبضته الشديدة على كتفيها. لن تذهب لأي مكان لكنها لا تزال تقاوِم. (فارلي) لا تعلمين كيف تستسلِمين كان يُعجبني ذلك بكِ لكني الآن أشفق عليكِ فقط.

«أخبرَني بإجابة سؤالك.»

هذا يوقفها لفترة قصيرة، تخرج أنفاسها صغيرة وخائفة. تحدق بعينين واسعتين. أكاد أسمع دقات قلبها.

«قال نعم.»

لا أعرف ماذا يعني ذلك، لكنه يُثبتها. ترتجف وتسقط على يدَيها وتحني رأسها خلف ستارة قصيرة من الشعر الأشقر. أرى الدموع على أي حال. لن تقاتل بعد الآن. يعرف (كال) ذلك أيضًا، ويتراجع عن جسدها المُهتز. يكاد يتعثر فوق ذراع (إيلارا) المشوهة، ويبتعِد عنها، مترنحًا.

«امنحيها مساحة.» يتمتم، ويُمسك بي من ذراعي بقبضة قوية.

يسحبني بعيدًا، على الرغم من احتجاجاتي. لا أريد أن أتركها. ليس (فارلي)، ولكن (إيلارا). على الرغم من جروحها وحروقها وعينَيها الزجاجيتَين، لا أثق في بقاء جثتها ميتة. قلق أحمق، لكنني أشعر به مع ذلك.

«بحق ألواني، ما خطبك؟» يزمجر، ويغلق بقوة باب قمرة القيادة خلفنا، فيختفي بكاء (فارلي) الخافت وتجهُّم (كيلورن). «تعرفين كيف كان (شايد) بالنسبة لها.»

«تعرف كيف كان بالنسبة لي.» أجبته. كوني متحضرة ليس على رأس قائمتي، لكنني أحاول. صوتي يرتجف على أي حال. أخي المُقرب، لقد فقدتُه من قبل، والآن ثانية. هذه المرة لن يعود. ليس هناك عودة. «لا تراني أصرخ في الناس.»

«أنت مُحقة. تقتلينهم فقط.»

يخرج نفسي كهسيسٍ من بين أسناني. هل هذا ما يدور حوله الأمر؟ كدت أضحك عليه.

«على الأقل واحد منّا يستطيع.»

أتوقع مباراة من الصراخ على أقل تقدير. ما أحصل عليه أسوأ. يأخذ (كال) خطوة إلى الوراء، ويصطدم بلوحة العدادات، في محاولة لوضع أكبر مسافةٍ ممكنة بيننا. عادة ما أكون الشخص الذي ينسحب، ولكن ليس بعد الآن. ينكسر شيءٌ ما خلف عينَيه، ويكشف الجروح التي يُخفيها تحت

جلده المشتعل.

«ماذا حدث لك يا (ماير)؟» يهمس.

ما الذي لم يحدُث لي؟ يوم واحد دون قلق، هذا ما لم يحدث. كل ذلك لتحضيري لهذا، للقدر الذي اشتريتُه لنفسي بطفرة دمائي، والأخطاء العديدة التي اخترت ارتكابها، بما في ذلك (كال).

«تُوفي أخي للتوِّ يا (كال).»

لكنه يهز رأسه، ولا ينظر بعيدًا عني. نظرته تحرق. «لقد قتلتِ هؤلاء الرجال في مركز التحكم، أنت و(كاميرون)، بينما كانوا يتوسَّلون. لم يكن (شايد) ميتًا في ذلك الوقت. لا تُلقي باللوم عليه في هذا.»

«كانوا فضيين ...»

«أنا فضي.»

«وأنا حمراء. لا تتظاهر كأنك لم تقتُل المئات منَّا.»

«ليس من أجلي، ليس كما تقتُلين. كنتُ جنديًّا أتبع أوامر الملك. وكانوا بنفس البراءة كما كنت عندما كان أبي حيًّا.»

تخِزُ الدموع عينيَّ، تتوسل للانهمار. تسبح الوجوه أمامي، جنود وضباط قتلى، لا يمكن عدُّهم.

«لماذا تقول لي هذا؟» أهمس. «قمتُ بما اضطُررتُ إليه، للبقاء على قيد الحياة، لإنقاذ الناس، لإنقاذك، أيها الأحمق العنيد، أمير اللاشيء. أنت من بين كل الناس يجِب أن تعرف العبء الذي أحمله. كيف تجرؤ على محاولة جعلي أشعر بالذنب أكثر مما أفعل مُسبقًا؟»

«أرادت أن تُحوِّلك لوحش.» يشير تجاه الباب، والجسد الملتوي خلفه. «أنا فقط أحاول أن أحرص ألا يحدث هذا.»

«(إيلارا) ماتت.» مذاق الكلمات حلو مثل النبيذ. رحلت، لا تقدر على أذيَّتي. «لا تقدر على التحكم بأيِ أحدٍ بعد الآن.»

«لكن ما زلت لا تشعرين بأي ندَم تجاه الموتى. تقومِين بكل ما تقدرين عليه لتنسيهم. هجرتِ عائلتك بدون كلمةٍ واحدة. لا يمكنكِ التحكُّم بنفسك. نصف الوقت تهربين من القيادة، والنصف الآخر تتصرَّفين كنوعٍ

من الشهداء الذين لا يمكن المساس بهم، مُتوَّجة بالذنب، الشخص الوحيد الذي يضحي بنفسه فعلًا من أجل القضية. انظري حولك يا (ماير بارو). (شايد) لم يكن الوحيد الذي فقد حياته في (كوروس). لستِ الوحيدة التي قدمت تضحيات. خانت (فارلي) والدها. أجبرتِ (كاميرون) على الانضمام إلينا ضد رغبتها. تختارين أن تتجاهلي كلَّ شيءٍ عدا قائمة (جوليان)، والآن تريدين ترك الأطفال في الشق، من أجل ماذا؟ للخطو على رقبة الكولونيل؟ لتأخُذي العرش؟ لتقتلي أيَّ أحدٍ ينظر إليكِ بطريقة غير لائقة؟»

أشعر كأنني طفلة يتم توبيخها، غير قادرة على الحديث، على الجدال، أو فعل أي شيء غير منع نفسي من البكاء. ويتطلّب كل شيء بمقدرتي أن أُبقي شراراتي تحت السيطرة.

«وما زلت تتمسكين بـ(مافين)، شخص لم يكن موجودًا.»

ربما يمكنه أيضًا أن يضع يدَه حول عنقي ويضغط. «هل فتشتِ في أشيائي؟»

«لستُ أعمى. شاهدتُك بينما تأخذين رسائل من فوق الجثث. ظننتُك ستمزِّقينهم. لكنك لم تفعلي. أظن أنني أردتُ أن أرى ماذا ستفعلين. حرقهم، رميهم بعيدًا، إرسالهم عائدِين مغموسين في دماء فضية، لكن ليس الاحتفاظ بهم. ليس قراءتهم بينما أنام بجانبك.»

«قلتَ إنك تفتقده أيضًا. قلت ذلك.» أهمس. وأُضطر لمنع نفسي من ضرب قدمِي بالأرض كطفلة مُحبطة.

«هو أخي. أفتقِده بشكلٍ مختلف للغاية.»

يخدش شيء حادٌ معصمي وأُدرك أنني أخدش نفسي في بؤس، أخلق ألَمًا جسديًا لإخفاء المعاناة بداخلي. يُراقبني في حيرة.

«كل شيء قمتُ به، وقفتَ بظهري داعمًا.» أقول له. «إذا كنتُ أتحول لوحش، إذن فأنت أيضًا.»

ينظر تجاه الأرض. «الحبُّ أعمى.»

«إذا كانت هذه فكرتك عن الحب ...»

«لا أعرف إذا كنتِ تُحبِّين أي شخصٍ على الإطلاق.» يقول مندفعًا

في غضب. «إذا كنتِ ترين أي شيءٍ هناك غير الأدوات والأسلحة. ناس لتتلاعبي وتتحكّمي بهم، للتضحية بهم.»

لا يوجد دفاع ممكن لمثل هذا الاتهام. كيف يُمكنني أن أثبت أنه مُخطئ؟ كيف يمكنني أن أريه ما أفعل، ما أحاول فعله، ما أصبحتُ عليه لأُبقي كل من أهتم بهم في أمان! مدى سوء فشلي. مدى شعوري البشع. مدى ألم الندبات والذكريات. مدي عُمق جرحه لي بهذه الكلمات. لا يمكنني إثبات حُبي له، أو لـ(كيلورن) أو لعائلتي. لا يمكنني أن أضع هذه المشاعر في كلمات، ولا يجب أن أُضطر لهذا.

لذا لا أفعل.

«بعد تفجيرات (أركيون)، استخدمت (فارلي) والحرس القرمزي إذاعةً فضية ليُعلنوا مسئوليتهم.» أتحدث ببطء، بمنهجية وهدوء في تفسيري. هذا الشيء الوحيد الذي يُبقيني عاقلة. «سأفعل نفس الشيء الآن بجثة الملكة. سأكشف لكل واحدٍ في هذه المملكة المرأة التي قتلتُها، والناس الذين سجنتُهم من الدماء-الجديدة والفضيّين. لقد انتهيتُ من ترك (مافين) يتحكم في هذه اللعبة عن طريق التفوُّه بالكذب لمملكته. ما فعلناه ليس كافيًا للإطاحة به. يجب أن ندع الدولة تفعل ذلك عوضًا عنا.»

فم (كال) يسقط مفتوحًا. «حرب أهلية؟»

«منزل ضد منزل، فضي ضد فضي. فقط الحمر سيقفون مُتَحِدين. وستفوز بسبب ذلك. ستسقط (نورتا)، وسننهض نحن، حُمر مثل الفجر.»

خطة بسيطة وباهظة الثمن ومُميتة لكلا الطرفين. لكنها خطوة يجب أن نتَّخذها. أجبرونا على هذا الطريق منذ وقتٍ طويل. أنا أفعل فقط ما يجب فعله.

أُكمل، «يمكنك جمع أطفال الشق بعدما نهبط في (تاك). لكني أحتاج للكولونيل، وأحتاج موارده لبدء هذا. هل تفهم؟»

بالكاد يومئ.

«وبعد ذلك، إذن، سأتَّجه شمالًا، لمنطقة الاختناق، لهؤلاء الذين هجرناهم طواعية. يمكنك أن تفعل ما تشاء، سموك.»

«(ماير).» يُمسك بذراعي وأجفل مبتعدة، أكاد أصطدم بالجدار.
«لا تلمسني بعد الآن.»
تبدو الكلمات وكأنني أُغلق بابًا بقوة. أعتقد أنه كذلك.

***

(تاك) هادئة ومشرقة بشكلٍ مُثير للاشمئزاز. لا غيوم، لا رياح، فقط خريف منعش وأشعة شمس. لمْ يكن من المُفترض أن يموت (شايد) في مثل هذا اليوم الجميل، لكنه مات. الكثيرون ماتوا.

أنا أول من ينزل من طائرة الشحن، مع نقالتَين مُغطاتَين خلفي. يحوم (كيلورن) و(فارلي) حول إحداهما، ويضع كل منهما يدًا على (شايد). لكن النقالة الأخرى هي ما أهتم به الآن. يبدو أن الرجال الذين يُمسكونها يخافون من جسدها، مثلما كنت أنا. جلبتِ الساعات القليلة الماضية من التأمل الهادئ، والتحديق في جثة (إيلارا) الباردة، راحةً غريبة. لن تستيقظ. تمامًا كما لن يتحدث (كال) معي مرةً أخرى، ليس بعد كل ما قُلناه لبعضنا البعض. لا أعلم أين هو في الصف، أو إذا كان سيهبط على الإطلاق. أقول لنفسي لا تقلقي، التفكير به مضيعة للوقت.

يجب أن أحمي عينيَّ لأرى حصار الكولونيل عبر المهبط. يجلس على متن وسيلة نقل طبية، وتُحيط به الممرضات في زيهنَّ الأبيض. لا بد أن (آدا) قد اتصلت به لإخباره أننا بحاجة ماسّة إلى المساعدة. (البلاك رن) الخاصة بها هنا بالفعل، الظل المُظلم الوحيد في الأفق. عندما يصطدم أول السجناء بالمهبط خلفي، ينخفض الممر الأسود المألوف من الطائرة الأخرى. خرج عددٌ أقل مما كنتُ أعتقد، بعد (آدا). تبدأ المسيرة السريعة نحو جدار (اللايكلاندريين) المسلحين، والحراس الرزينين، والمتفرِّجين الفضوليين. بهدوء، ألعن نفسي. ستكون عائلتي هناك، في انتظار رؤية أطفالهم، لكنهم سيجدون واحدًا منًّا فقط.

لا تهتمين بعائلتك. ربما كان (كال) مُحقًّا، لأنني قطعًا نسيتهم أكثر مما يفعل أي شخصٍ عاقل.

«هذه مسافة كافية يا سيدة (بارو).» يصيح الكولونيل، ويمدُّ يده للأمام.

أفعل كما يقول، وأتوقف على بُعد خمس ياردات. من هذا القرب، يمكنني أن أرى الأسلحة الموجهة ناحيتنا، لكن الأهم من ذلك، الرجال خلف الطلقات النارية. هم مُنتبهون، لكن ليسوا مُتوترين. ليس لديهم أوامر بالقتل، ليس بعد.

«هل أتيتِ لتُعيدي ما سرقتيه؟»

أُجبر نفسي على الضحك، وأضع نفسي وإياه في راحة. «أتيت ومعي هدية يا كولونيل.»

يرتفع طرف فمه. «هل هكذا تُطلقين على هؤلاء ...» يبحث عن الكلمة المناسبة لوصف الناس الرثة الذين يتبعونني. «الناس؟»

«كانوا سجناء حتى هذا الصباح، في منشأةٍ سرية تُدعى (كوروس). سجناء بأمر من الملك (مافين)، تركهم ليقوموا بالاختبارات عليهم، وتعذيبهم، وقتلهم.»

أنظر خلفي وأتوقَّع أن أرى قلوبًا وعقولًا مُحطمة. بدلًا من ذلك، أرى فخرًا لا يتزعزع. الفتاة الصغيرة التي كادت تسقط من فوق المنصة، تبدو على وشك البكاء، لكن قبضتها الصغيرة تشتدُّ بجانبها. لن تبكي.

«هم دماء-جديدة مثلي.»

خلف الفتاة، مراهقة ذات بشرةٍ شاحبة للغاية وشعر برتقالي تقوم بحمايتها وتقف كحارسةٍ لها.

«وفضيون أيضًا يا كولونيل.»

ردة فعله كما توقعت. «أيتها الحمقاء، أتيتِ بفضِّين إلى هنا؟» يصيح، في فزع. «أعدُّوا الأسلحة.»

خط (اللايكلاندريين)، بعُمق اثنَين، وربما حوالي عشرين عرضًا، يفعلون كما يُؤمرون. تتزامن أصوات أسلحتهم تمامًا، وتُحشى الرصاصات في أماكنها. جاهزة لإطلاق النار. خلفي، يجفل السجناء، ويتراجعون. لكن لا أحد يتوسَّل. لقد انتهوا من التوسُّل.

«تهديد فارغ.» أقاوم الرغبة في الابتسام.

تندفع يده تجاه المُسدس المُعلق من خصره. «لا تختبريني.»

«أعرف أوامرك يا كولونيل، وهي ألا تقتل فتاة البرق. تريدني القيادة على قيد الحياة، أليس كذلك؟» أتذكر (إيلي ويسل)، واحدة من الحرس المُكلفين بمساعدتي في مساعيَّ. ليس الكولونيل ندًّا للقيادة، مهما كانوا.

تقلُّ عصبية الكولونيل قليلًا، لكنه لا يتراجع.

«اجلبوها للأمام.» أقول، وأنظر تجاه النقالات.

يقوم رجلان بما أقول بأسرع ما يمكن. يضعان نقالة (إيلارا) عند قدمي. وتتبع الأسلحة كل خطوة مرتجفة لهما. أشعر بعلامة التصويب حتى الآن، على قلبي، رأسي، وعلى كل إنش منّي.

«هديتك يا كولونيل.» أُشير بقدمي تجاه النقالة، وأضرب الجسد أسفل الغطاء الأبيض. «ألا تريد رؤيتها؟»

تتحرك عينُه الجيدة، سريعًا جدًّا باحثة. يجد (فارلي) في الحشد، وتختفي الثنية في جبينه قليلًا. في صدمةٍ مُمرِضة، أدركت السبب. ظنَّ أنني قتلتُها.

«من هذا يا (بارو)؟ الأمير، هل قتلت أفضل ورقة مساومةٍ لديك؟»

«بصعوبة.» يُنادي صوت من الحشد. (كال).

لا أستدير للنظر إليه، واختار التركيز على الكولونيل بدلًا من ذلك. لا يزيح نظره عني، ولا يتردد أبدًا. ببطء، رفعت إحدى اليدَين، ومددتُ الأخرى، وسحبت الغطاء، وألقيتُه ليراها الجميع. أصبحت أطرافها متصلِّبة. أصابعها مُلتوية، وأجزاء من العظام تظهر من خلال لحم يدِها اليُمنى. المسلحون هم أول من يُبدون ردة فعل، ويخفضون أسلحتهم قليلًا. يشهق واحد أو اثنان، ويُغطون أفواههم لخنق الصوت. الكولونيل صامت وساكن تمامًا. راضٍ بالتحديق، بعد لحظةٍ طويلة، يرمش.

«هل هذه من أظن؟» يقول بصوتٍ أجش.

أومئ. «(إيلارا) من منزل (ميراندوس)، ملكة (نورتا)، والدة الملك. قتلها الدماء-الجديدة والفضيُّون في السجن الذي بنته من أجلهم.» هذا التفسير يجب أن يُوقفه للحظة.

تلمع عينه الحمراء. «وماذا تخططين أن تفعلي بهذه؟»

«الملك والدولة يجب أن يحظوا بفرصةٍ لتوديعها، ألا تظن؟»

يبدو الكولونيل مثل (فارلي) عندما يبتسِم.

***

«مرة أخرى.» الكولونيل (فارلي) يصيح، ويتحرك عائدًا لموقعه.

«اسمي (ماير بارو).» أقول تجاه الكاميرا، وأحاول ألا أبدو كحمقاء. بعد كل شيء، هذه المرة السادسة التي أقدم فيها نفسي خلال العشر الدقائق السابقة. «ولدت في (الستيلتز)، قرية في وادي نهر (الكابيتول). دمائي حمراء، لكن بسبب هذا ...» أمد يديَّ، وأدع كرات من الشرارات ترتفع. «أخذوني لبلاط الملك (تايبرياس) السادس، وأعطوني اسمًا جديدًا، حياة جديدة، وجعلوا منّي كذبة. أطلقوا عليّ (مارينا تيتانوس) وقالوا للعالم إنني ولدت فضية. لست كذلك.»

أجفل بينما أقطع راحة يدي بسكينٍ فوق اللحم الممزق مسبقًا. يلمع دمي مثل الياقوت في الضوء القاسي داخل الحظيرة الفارغة. «قال لكم الملك (مافين) إن هذه خدعة.» ترقص الشرارات عبر الجرح. «ليست كذلك. وليس الآخرون مثلي أيضًا. جميعكم من وُلد أحمر ولدَيه قدرات فضية غريبة. يعلم الملك أنكم موجودون ويقوم بمطاردتكم. أقول لكم هذا الآن، اهربوا. ابحثوا عنّي، ابحثوا عن الحرس القرمزي.»

بجانبي، يستقيم الكولونيل في فخر. يرتدي الوشاح الأحمر حول وجهه، وكأن عينه الحمراء ليست تمييزاً كافيًا. لكني لا أشتكي. لقد وافق على إيواء الدماء-الجديدة، ورأى أخطاء طريقته. يعلم الآن قيمة وقوة من هم مثلي. لا يُمكنه تحمّل صنع أعداء منّا أيضًا.

«على النقيض من الملوك الفضيّين، لا نرى فارقًا بيننا وبين الحُمر الآخرين. سنقاتل من أجلكم، وسنموت من أجلكم، إذا كان سيعني هذا عالمًا جديدًا. اترك فأسَك، ومجرفتك، وإبرتك، ومكنستك. وأمسك بمُسدس. انضمّ إلينا. قاتل. انهض أحمر مثل الفجر.»

يقلب الجزء التالي معدتي، وأريد أن أفرك يديَّ في حمض. عندما تتشابك أصابعي بين خصلات شعرها البالية، وأمسك برأسها لأعلى لتُواجه الكاميرا الوامضة الهرمة، أقاوم لأمنع دموعي. بقدر كرهي لها، أكره هذا أكثر.

أشعر أنه مناقض لطبيعتي، مناقض لأي خير يتبقى داخلي. لقد خسرت (كال) بالفعل، رميته بعيدًا، لكن الآن أشعر كأنني أفقد روحي. ومع ذلك أقول الكلمات التي يجب أن أقولها. أومن بها، وهذا يساعدني قليلًا.

«قاتل وانتصر. هذه (إيلارا). ملكة (نورتا)، وقتلناها. هذه الحرب ليست مستحيلة، وبكم يمكن الانتصار فيها للأبد.»

أثبت مكاني، أحاول بأقصى استطاعتي ألا أرمش. ستسقط دموعي إذا فعلت. أفكر بأي شيء آخر غير الجثة التي بين يدي.

«حتى الآن، يترك الحرس مواقعهم لينتظروا أي أحدٍ يُلبي نداءنا.»

«سلِّحوا أنفسكم، أشقائي وشقيقاتي.» يقول الكولونيل، ويتقدم للأمام. «عددكم يفوق أسيادكم، ويعلمون ذلك. ويخافون من هذا. يخافونكم وما ستصيرون عليه. انظروا تجاه الصافرات (ويستل) في الغابات. سوف يقودونكم للوطن.»

بعد ستِّ محاولات، وأخيرًا نُنهي الأمر في تزامن. «انهضوا، حُمرًا مثل الفجر.»

«وبالنسبة لفضيّي (نورتا).» أتحدث بسرعة وتشتد قبضتي على (إيلارا). «ملككم وملكتكم كذبا عليكم، وقاما بِخيانتكم. حرّر الحرس القرمزي سجنًا هذا الصباح، وداخله وجدْنا حمرًا وفضّيين. أعضاء مفقودون من منزل (إيرال)، (ليرولان) و(سكونوس) و(جاكوس) وأكثر. مسجونون ظلمًا، عذبوهم بالحجر الصامت وتركوهم للموت من أجل جرائم غير موجودة. هم معنا الآن، وهم على قيد الحياة. من فُقد منكم أحياء. انهضوا من أجل مُساعدتهم. انهضوا من أجل الانتقام للذين لم نقدر على إنقاذهم. انهضوا، وانضمُّوا إلينا. لأن ملككم وحش.» أُحدق بشدة تجاه الكاميرا وأعلم أنه سيرى هذا. «(مافين) وحش.»

يحملق الكولونيل بي، في إهانة. تتوقف الكاميرا. ويخلع وشاحه في غضب. «ماذا تفعلين يا (بارو)؟»

أحدق به. «أجعل حياتك أكثر سهولة. فرِّق تسُد، يا كولونيل.» أُشير للطاقم الذي يعمل خلف الكاميرات، ولا أهتم بتذكُّر أسمائهم. «اذهَبْ

لثكنات الفضيين، وصوِّر بعض الفيديوهات. لا تظهر الحرس في الفيديو. تذكَّر كلماتي، هذا سوف يُشعل البلد. ولا حتى (مافين) سيتمكن من إطفائها.»

لا يحتاجون أن يتحدثوا ليظهروا الموافقة. أستدير وأقول، «لقد انتهيت.»

يتبعني الكولونيل، ويتفادى خطواتي عندما أندفع خارج الحظيرة. «(بارو)، لم أقل أننا انتهينا ...» يزمجر، لكني أتوقف فجأة؛ فيتوقف هو الآخر. لا أحتاج البرق لأُخيف الناس. ليس بعد الآن.

«اجعلني أستدير عائدة يا كولونيل.» أمد يدي، وأتحدَّاه أن يُمسك بها. أتحدَّاه أن يختبرني. «هيا.»

ذات مرة، وضع هذا الرجل (كال) في زنزانة. يقود عددًا غير مُحدد من الجنود، وقتَلَ أيًا كان العدد من الرجال. لا أعرف عدد المعارك التي شاهدها، أو عدد المرات التي خدع فيها الموت.

ليس لدَيه الحق في أن يَخاف من فتاةٍ مثلي، لكنه كذلك. عدت إلى (تاك) ندًّا له، أفضل من ذلك، وهو يعرف ذلك. أدور لأُواجهه ببطء، وفقط لأنه يُناسبني الآن أن أفعل ذلك.

«ما الذي غيَّرك أيها الكولونيل؟ لأنني أعلم أنه لم يكن منطقك السليم، أو حتى أوامر قيادتك.»

بعد لحظةٍ طويلة مطولة، أومأ برأسه. «اتبعيني. لقد طلبا مُقابلتكِ.»

الفصل الثامن والعشرون

تبدو (تاك) أصغر مما أتذكَّر، حيث تجمع الثلاثمائة من (كوروس) بالإضافة إلى قوات الكولونيل في جميع أنحاء الجزيرة. يقودني مارًّا بهم جميعًا، ويتقدم بسرعة أكافح من أجل مضاهاتها. العديد من الجنود الجدد هم من سكان (لايكلاند)، يتم تهريبهم من أقصى الشمال مثل البنادق والمواد الغذائية المتدفقة من الموانئ، ولكن هناك عددًا لا بأس به من (نورتا) أيضًا. يحتشد المزارعون والخدم والهاربون وحتى بعض التقنِيين المَوشومين في الساحة المفتوحة بين الثكنات. جاء الكثيرون خلال الأشهُر القليلة الماضية. وهم باكورة للعديد من الهاربين من التدابير، وسيتبعهم المزيد بالتأكيد. أودُّ أن أبتسِم بسبب الفكرة، لكن الابتسام يأتي بصعوبةٍ للغاية هذه الأيام. يؤلِم ندباتي ورأسي.

على المهبط، تَهدُر طائرة مألوفة، وتنطلق (البلاك رن) إلى السماء، متجهةً إلى الشق أراهن، وأن (كال) قائدها. هذا أفضل. لا أحتاجه أن يحوم بالأنحاء ويُراقب ويحكم على كلِّ تحركاتي.

الثكنات رقم (١)، آخر مرة دخلتها سرًّا. الآن أدخل في وضَح النهار، مع الكولونيل بجانبي. نسير عبر الممرات الضيقة للقبو تحت الماء، ويتنحَّى (اللايكلاندريون) جانبًا للسماح لي بالمرور عند كل منعطف. أنا على دراية تامة بهذا المكان، كنت في مرةٍ سجينة فيه. لكنَّني لم أعُد أخشى أي شيء هنا. نتبع الأنابيب المعلقة بالسقف، نحو القلب النابض للثكنات والجزيرة بأكملها.

غرفة التحكم صغيرة، ولكنها مزدحمة ومليئة بالشاشات ومعدات الراديو والخرائط على كل سطح مستو. أتوقَّع أن أرى (فارلي) تصيح بالأوامر، لكن لا يُمكنني أن أعثر عليها في أي مكان. بدلًا من ذلك، هناك مزيج متوازن من أزرق (اللايكلاندريين) وأحمر الحرس. هناك رجلان مختلفان، يرتديان أزياء خضراء سميكة باهتة بتفاصيل سوداء. ليس لدي أي فكرة عن البلد

أو المملكة التي يمثلونها.

«أخلُوا الغرفة.» يقول (الكولونيل) بصوت خافت. ليس لدَيه سبب ليصرخ؛ يُطيعونه سريعًا.

باستثناء الرجلَين في اللون الأخضر. ينتابني شعور أنهما كانا ينتظران هذا. يتحركان في انسجام غريب، ويلتفِتان نحوّنا في تزامن مثالي. يرتدي كلاهما شارات على زيِّهم الرسمي، دائرة بيضاء بداخلها مثلث أخضر داكن. نفس العلامات التي رأيتُها على الصناديق المُهربة في آخِر مرة كنت فيها هنا. الرجلان توءمان، من النوع المُزعج. متطابقان، ولكن بطريقةٍ ما أكثر من ذلك. كلاهما له شعر أسود مجعد، مشدود مثل القبعة، وعيون بلون الطين، بشرة بُنية، ولحية مثالية. ندبة هي كل ما يُميزهما عن بعضهما، أحدهما لديه خطٌّ متعرج على وجنته اليُمنى، والآخر على وجنته اليسرى. للتفرقة بينهما. في رجفة باردة، أُدرك أنهما يرمشان حتى في تزامن.

«سيدة (بارو)، من دواعي سروري أن ألتقي بك أخيراً.» يمد ذو الندبة اليُمنى يده، لكنني لا أرغب مصافحته. لا يبدو أنه يمانع، ويستمر. «اسمي (راش)، وأخي ...»

«(طاهر)، في خدمتك.» يُقاطعه الآخر قائلًا. يُحنِيان رءوسهم في لباقة، ومجددًا في انسجامٍ مذهل. «لقد سافرنا بعيدًا للعثور عليك وعلى قومك. وانتظرنا ...»

«لِما يبدو كوقتٍ حتى أطول.» يكمل (راش) مكانه. ينظر تجاه الكولونيل، وألمح ومضة من البُغض في عينيه. «أحضرنا لكِ رسالة وعرضًا.»

«ممن؟» أشعر كأن أنفاسي مُتقطعة، أكاد أشعر بالدوار. بالتأكيد هما من الدماء-الجديدة، رباطتهما ليست طبيعية، وهما ليسا من (نورتا) أو (اللايكلاند). سافرا لمسافةٍ بعيدة، قالّا هذا. من أين؟

يتحدَّثان في نغمةٍ موسيقية. «جمهورية (مونتفورت) الحرة.»

فجأة أتمنّى لو كان (جوليان) بجانبي، لمساعدتي على تذكُّر دروسه، والخرائط التي أبقاها قريبة منه. (مونتفورت)، أُمة جبلية، بعيدة جدًا، يمكن أن تكون على الجانب الآخر من العالم. لكن (جوليان) أخبرني أنها

كانت مثل (بيدمونت) إلى الجنوب، تحكُمها مجموعة من الأمراء، كلهم فضيون.

«أنا لا أفهم.»

ولم يفهم الكولونيل (فارلي) أيضًا.» يقول (طاهر).

يقاطعه (راش). «الجمهورية محروسة بطريقةٍ جيدة. مُخبأة بين الجبال ...»

«الجليد...»

«الجدران ...»

«وطبقًا للتصميمات.»

هذا مزعج للغاية.

«أعتذر.» يُضيف (راش)، ملاحظًا انزعاجي. «تربط طفرتنا أدمغتنا. يُمكنها لحدٍّ ما أن تكون ...»

«غير مريحة.» أكمل نيابةً عنهما، ويبتسم كلاهما. لكن يظل الكولونيل عابسًا، وعينه الحمراء تشع. «إذن أنتما من الدماء-الجديدة مثلي؟»

يُومئ كلاهما. «في (مونتفورت)، يدعوننا بـالمتوهجين (أردينت)، لكن الأمر يختلف من أمة لأخرى. لا يتفق أحد على ما يجب أن يُطلقوا على من هم حُمر وفضيون معًا.» يقول (طاهر). «هناك العديد منّا، في جميع أنحاء العالم. بعضنا يتواجد في العلن كما في الجمهورية، أو في الخفاء كما في بلدك.» يُدير نظره ناحية الكولونيل، يتحدَّث بمقصدَين. «لكن روابطنا أقوى من الحدود بين البلاد. نحمي من هُم منّا، لأن لا أحد آخر سيفعل. كانت (مونتفورت) مُختبئة لمدة عشرين عامًا، نبني جمهوريتنا من رفات الطغيان القاسي. أعتقد أنكِ تفهمين.»

بالتأكيد، لا يُهمني حتى أنني أبتسم، على الرغم من الألم الذي يُسببه هذا.

«لكننا لا نَختبئ الآن. لدينا جيش وأسطول خاص بنا، ولن يكونوا عاطلين بعد الآن. ليس في حين أن ممالك مثل (نورتا)، و(اللايكلاند)، وكل البقية لا تزال قائمة. ليس بينما يموت الحمر، ويواجِه المُتوهجون مصائر أسوأ.»

آه. لذلك يتقبلنا الكولونيل ليس بدافع الخير أو حتى الضرورة، ولكن الخوف. انضمَّ لاعب آخر إلى اللعبة، لاعب لا يفهمه. يتشاركان في العَدُوِّ على الأقل، وهذا أمر واضح. الفضيون، أناس مثل (مافين). نتشارك عدُوًّا أيضًا. لكن تمر داخلي رجفة باردة، ولا يمكنني تجاهلها. (كال) فضي، (جوليان) فضي. كيف يفكرون بهم؟

مثل الكولونيل، يجب أن أنتظر وأرى ما يريده هؤلاء الناس حقًّا.

«أرسلنا الرئيس (ديفيدسون)، قائد الجمهورية، كسفراء، لمدِّ يدِ الصداقة إلى الحرس القرمزي.» يقول (راش) وترتعش يده فوق ساقه. «قبل الكولونيل (فارلي) هذا التحالف طواعيةً منذ أسبوعين، وكذلك رؤساؤه، جنرالات القيادة الحمر.»

القيادة. تبدو كلمات (فارلي) الغامضة قريبة جدًّا الآن. لم تشرح أبدًا ما قصَدَتْه، لكنني بدأت الآن أرى المزيد من الحرس. لم أسمع قط عن الجنرالات الحُمر، لكنني أُبقي ملامح وجهي ثابتة. لا يعرفان كم، أو كم هو قليل، ما قيل لي. إذا حكمنا على الطريقة التي يتحدث بها التوءمان، فإنهما يعتقدان أنني قائدة أيضًا، ولديَّ سيطرة على الحرس القرمزي. بالكاد لدي سيطرة على نفسي.

«لقد تحالفنا مع مجموعات وقطاعات فرعية مماثلة في الدول في جميع أنحاء القارة، وشكَّلنا شبكة مُعقدة مثل قضبان العجلة. الجمهورية هي المحور.» تخترق عينا (راش) عينيَّ. «نحن نقدِّم ممرًّا آمنًا، إلى أيٍّ من المُتوهجين هنا، إلى بلد لن يحميهم فحسب، بل يمنحهم الحرية. لا يحتاجون إلى القتال. يحتاجون فقط أن يعيشوا، والعيش بحرية. هذا هو عرضنا.»

قلبي ينبض بعُنف. يحتاجون فقط أن يعيشوا. كم مرة تمنيتُ مثل هذا الشيء؟ مرات عديدة لا يمكن عدها. حتى في (الستيلتز)، عندما اعتقدتُ أنني كنت طبيعية بشكلٍ مؤلِم، عندما كنت لا شيء. أردتُ فقط أن أعيش.

علمتني (الستيلتز) قيمة وندرة الحياة الطبيعية. لكنها أيضًا علمتني شيئًا آخر، درسًا أكثر قيمة. كلُّ شيءٍ له ثمنه.

«وماذا تطلبون في المقابل؟» أقول بصوتٍ منخفض، لا أريد أن أسمع إجابته.

يتبادل (طاهر) و(راش) نظراتٍ تحمِل معاني، وتضيق عيونهما في تواصُلٍ صامت. لا أشك في أن الشقيقين يمكنهما التواصل بدون كلام، يهمسان مثلما فعلت (إيلارا) سابقًا.

«الرئيس (ديفيدسون) يطلب منك أن تُرافقيهم.» يقولان معًا.

يطلب. لا يوجَد شيءٌ كطلَب.

«أنتِ ناشطة قوية بفعل مجهوداتك، وستقدِّمين مساعدة عظيمة في الحرب القادمة.» لا يحتاجون إلى القتال. كان يجب أن أعلم أن هذا لن ينطبق عليَّ. «سيكون لكِ فرقتك الخاصة من المتوهجين المُختارين إلى جانبك ...»

سيجلس ملك من الدماء-الجديدة على العرش الذي بنيتِه له. قالت لي (كاميرون) منذ أيام قليلة عندما أجبرتها على الانضمام إلينا. الآن، أعلم كيف شعرت، وكم يمكن أن تكون كلماتها صادقة بشكلٍ مريع.

«لكن فقط من المُتوهجين؟» أُجيبه، وأتحرك بثبات. «فقط دماء-جديدة؟ أخبرني، كيف هو الحال بحقٍّ في جمهوريتكما؟ هل بدلتم ببساطة أسيادكم الفضيين بآخَرين جدد؟»

يظل الشقيقان جالسين، ويُراقبانني بعيونٍ متحمسة. «أسأتِ الفهم.» يقول (طاهر). ويلمس الندبة أسفل عينه اليسرى. «نحن مثلك يا (ماير بارو). لقد عانَينا لما نحن عليه، ونتمنى ببساطة ألا يقابل أحدٌ آخر نفس هذا المصير. نقدم ملاذًا لمن هم مثلنا. وأنتِ بالأخص.»

كاذبان، كلاهما. لا يُقدمان أي شيء غير منصة أخرى أقف عليها وأقوم بالاستعراض.

«أنا بخير حيث أنا.» أنظر تجاه الكولونيل، وأركز على عينه السليمة. لم يعد عابسًا. «لن أهرب، ليس الآن. هناك أشياء يجب أن نتعامل معها هنا. مشاكل حُمر لا تحتاجون أن تزعجوا أنفسكم بها. يُمكنكما أن تأخُذا أي دماء-جديدة يريد الرحيل معكما، لكن ليس أنا. وإذا حاولتما أن تجعلاني

أقوم بأي شيءٍ ضد إرادتي، سأحرقكما. لا أهتم بلون دمائكما وكم هي حرة كما تدَّعِيان. أخبرا قائدكما أنني لا يمكن شرائي بالوعود.»

«وماذا عن الأفعال؟» يعرض (راش)، ويرفع حاجبه المشذَّب. «هل سيقوم ذلك باستمالتك لجانب القائد؟»

لقد مشيت في هذا الطريق من قبل. لقد اكتفيت من الملوك، بغض النظر عما يطلق عليهم. لكن البصق على التوءمين لن يُوصلني إلى أي مكان، لذلك أهز كتفي بدلًا من ذلك. «أرني الأفعال وسنرى.» ضاحكة، استدرتُ للذهاب. «أحضر لي رأس (مافين كالور) ويمكن لقائدك أن يستخدمني كمسندٍ للقدمَين.»

إجابة (طاهر) تُرسِل رجفة باردة لدمائي. «لقد قتلتِ الذئب. لا يمكن أن يكون قتل الجرو صعبًا.»

***

أخرُج من غرفة التحكم في حركة سريعة.

«غريب، يا سيدة (بارو).»

«ماذا؟» أزمجر في وجه الكولونيل.

لا يمكنه حتى السماح لي بالخروج من هذه الثكنات بسلام. يفاجئني تعبيره المفتوح، ويظهر شيئًا كالتفهم. هو آخر من توقعت أن يتفهم.

«لقد جئتِ إلى هنا مع الكثير من الأتباع، لكنكِ فقدتِ الأتباع الذين رحلتِ معهم من هنا.» يرفع حاجبًا، مُتكئًا على جدار الممر البارد والرطب. «يبدو أن صبي القرية وأميرك وابنتي يتجنبونك جميعًا. وبالطبع، أخوك ...»

أخطو خطوةً واحدة سريعة إلى الأمام، تُوقفه لفترة قصيرة، وتُخيفه فيصمت.

«تعازيَّ.» يتمتم بعد لحظةٍ طويلة، «ليس من السهل أبدًا فقدان أحد أفراد الأسرة.»

أتذكر الصورة في غرفته. كان لدَيه ابنة أخرى، وزوجة، شخصان ليسا هنا الآن.

«كلنا بحاجة إلى بعض الوقت.» قلتُ له، على أمل أن يكون ذلك كافيًا.

«لا تُعطيهم الكثير. ليس من الجيد أن تدعيهم يسكنون في خطاياكِ.»

لا أستطيع أن أجد القوة للجدال، لأنه على حق. انفجرت غضبًا في الأشخاص الأقرب إليّ، وأريتهم الوحش تحت جلدي.

«وماذا عن هذه المشكلة الحمراء التي ذكرتها؟» يتابع. «أي شيءٍ يجب أن أعرفه؟»

عندما كنّا على متن الطائرة، أخبرتُ (كال) أنني ذاهبة إلى الشمال. قالها نصفي بدافع الغضب، لإثبات شيء له. وقال النصف الآخر هذا لأنه الشيء الصحيح الذي يجب القيام به. لأنني تجاهلتُ هذه الأشياء لفترةٍ طويلة جدًّا.

«قبل بضعة أيام اعترضنا أمر مسيرة. سيتم إرسال أول فيالق الأطفال إلى منطقة الاختناق.» ينقطع نفسي، وأتذكّر ما قالته (آدا). «سيقتلونهم. أمروهم بالزحف عبر الخنادق، مباشرة إلى منطقة القتل. خمسة آلاف منهم، سيُذبَحون.»

«دماء-جديدة؟» يضغط الكولونيل.

أهز رأسي نفيًا. «ليس، على حدِّ علمي.»

يضع يدَه على المسدس، ويستقيم ظهره ويبصق على الأرض. «حسنًا، أمرَتني القيادة بمساعدتك. أظنّ أنه حان الوقت لنقوم بشيء مُفيد معًا.»

***

المشفى هادئ، مكان جيد للانتظار. سُمح لـ(سارة) بمغادرة الثكنات المُخصصة للفضيين، وقامت بعملٍ سريع في شفاء أي مُصاب. الآن الأسِرَّة فارغة، عدا شخصٍ واحد. أستلقي على جانبي، أحدق في النافذة الطويلة أمامي. تلاشت السماء الزرقاء المخادعة إلى رمادي معدني. عاصفة أخرى ربما، أو ربما أظلمت عيناي. ببساطة لا أستطيع رؤية المزيد من أشعة الشمس اليوم. الأغطية ناعمة، مُهترئة بسبب الكثير من الغسل، أقاوم الرغبة في سحبها لأعلى وفوق رأسي. كما لو أن ذلك يمكن أن يمنع الذكريات من القدوم، كل واحدة تتحطم بقوةٍ كموجة حديدية.

اللحظة الأخيرة لـ(شايد)، وعيناه واسعتان، ويد واحدة تمتد إليّ، قبل أن ينفجر الدم من صدره. كان عائدًا لإنقاذي، وتسبب ذلك في مقتله. أشعر أنني فعلت ذلك منذ عدة أشهر، عندما اختبأت في الغابة، غير قادر على مواجهة (جيسا) ويدها المُحطمة. الآن لا أستطيع تحمّل فكرة العودة إلى عائلتي ورؤية الفجوة التي تركها (شايد) وراءه. هم بالتأكيد يتساءلون أين أنا، الفتاة التي كلفتهم ابنًا. لكن ليس من عائلة (بارو) من يجِدني هنا.

«هل أعود لاحقًا، أم انتهيتِ من الشعور بالأسف على نفسك؟»

أجلس بحدة، فقط لأرى (جوليان) يقف عند طرف فراشي. عاد لونه، وكذلك أسنانه المفقودة، فضلًا لـ(سارة). عدا الملابس غير المُتطابقة، بقايا من متاجر (تاك)، يبدو مثل نفسه القديمة مرة أخرى. أتوقع ابتسامة، وربما حتى شكرًا، ولكن ليس توبيخًا. ليس منه.

«هل يمكن لفتاةٍ أن تحصل على لحظة من السلام هنا؟» أزفر، وأسقط على الوسادة الرقيقة.

«حسب تقديري، كنتِ مُختبئة لجزءٍ كبير من ساعة. أعتقد أن هذا أكثر من لحظة يا (ماير).» المعلم العجوز يبذل قصارى جهده ليكون لطيفًا. لا ينجح.

«إذا كان يجب أن تعرف، فأنا أنتظر الكولونيل. لدينا عملية للتخطيط لها، وهو يجمع المتطوعين بينما نتحدث.» إذن ها هو. لكن (جوليان) ليس من السهل ردعه.

«وقررت أن أخذ قيلولة كان استخدامًا أفضل لوقتك من، على سبيل المثال، مخاطبة أصحاب الدماء-الجديدة الآخرين، أو ربما تهدئة مجموعة من الفضيين المتوترين جدًّا، أو الحصول على بعض الرعاية الطبية، أو حتى التحدث مع عائلتك الحزينة؟»

«افتقدت محاضراتك يا (جوليان).»

«أنت تكذبين جيدًا يا (ماير).» يقول مبتسمًا.

يقترب منّي بسرعة كبيرة تقريبًا، ويأتي للجلوس بجانبي. رائحته نظيفة، خرج من الاستحمام للتو. بهذا القرب، أستطيع أن أرى كيف أصبح نحيفًا،

والفراغ المجوّف في عينَيه. حتى (سارة) لا تستطيع شفاء العقول.

«والمحاضرة تحتاج إلى مُستمع. أنتِ بالتأكيد لا تستمعين إليّ بعد الآن.» يخفض صوته ويميل وجهي، ليجعلني أنظر إليه. أنا متعبة بما فيه الكفاية فأسمح له. «أو أي شخص، في هذا الشأن. ولا حتى (كال).»

«هل ستصيح بي أيضًا؟»

يبتسم في حزن. «هل فعلت قط؟»

«لا.» أهمس، وأتمنى أنني لم أضطر لذلك. «لا، لم تفعل.»

«ولن أبدأ الآن. جئت فقط لأخبرك بما تحتاجين سماعه. لن أجبرك على الاستماع، ولن أجبرك على الطاعة. أترك لك الخيار، كما يجب أن يكون.»

«حسنًا.»

«قلت لكِ مرة أن أي أحد يمكنه خيانة أي أحد. أعلم أنكِ تتذكرين.»

أتذكر بالفعل.

«وأقولها مجددًا، أي أحد، أي شيء يمكنه خيانة أي أحد. حتى قلبك نفسه.»

«(جوليان) ...»

«لا يولد أحد شريرًا، مثلما لا يُولد أحد بمفرده. يصبحون هكذا، عبر الاختيارات والظروف. الأخيرة لا يمكن التحكم بها، لكن الأولى ... (ماير)، أخاف عليكِ. حدثت لكِ أشياء، أشياء لا يجب أن يتحملها أي أحد. رأيتِ أشياء مروعة، وقمت بأشياء مروعة، وهذه ستُغيرك. أخاف مما يمكن أن تصيري، إذا سنحت لكِ الفرصة الخاطئة.»

وأنا أيضًا.

أدع يدي تغلق على يده. هذه الرابطة مهدئة لحد كافٍ، لكنها ضعيفة. رابطتنا متوترة بأفضل حال، ولا أعلم كيف أصلحها.

«سأحاول يا (جوليان).» أهمس. «سأحاول.»

في الجزء الخلفي من ذهني، أتساءل. هل سيحكي (جوليان) حكايات عني يومًا ما؟ عندما أصبح شيئًا بائسًا، شخصًا مثل (إيلارا)، بلا شيء ولا أحد يُحبها؟ هل سأكون ببساطة الفتاة التي حاولت؟ لا، لا أستطيع التفكير

بهذه الطريقة. لن أفعل. أنا (مايرِ بارو). أنا قوية بما فيه الكفاية. لقد فعلت أشياء، أشياء فظيعة، وأنا لا أستحق الغفران عنها. لكنني أرى ذلك في عيون (جوليان) مع ذلك. ويملؤني هذا أملًا. لن أصبح وحشًا، بغضّ النظر عما يجب أن أفعله في الأيام المقبلة. لن أفقد ما أنا عليه، حتى لو قتلني ذلك.

«الآن، هل تحتاجين منّي أن أمشي معك إلى غرفة عائلتك، أم يمكنكِ أن تجدي الطريق؟»

لا يسعني إلا أن أُصدر صوتًا ساخرًا. «هل تعرف أنت الطريق حتى؟»

«ليس من الأدب الشكُّ فيمن هم أكبر منك سنًّا، يا فتاة البرق.»

«كان لدي مُعلم قال لي ذات مرة أن أشكَّ في كل شيء.»

تتلألأ عيناه وينفخ صدره الضعيف بفخر. «كان مُعلمك رجلًا ذكيًا.»

ألاحظ أن عينَيه لا تزالان مُعلقتَين عليَّ، وينطفئ الضوء فيهما. يحدق في عظمة الترقوة المكشوفة، في الوسم عليها. أُفكر في إخفائها، لكنني قررتُ عدم التحرك. لن أخفي حرف (م) المحترقة بجلدي، ليس منه.

«يمكن لـ(سارة) شفاء هذا.» يتمتم. «هل أجلُبها؟»

أقف على أرجلٍ مرتجفة. هناك العديد من الندوب التي أريدها أن تَشفيها، ولكن ليس هذه الندبة.

«لا.» فليكن ذلك بمثابة تذكيرٍ لنا جميعًا.

نترك المشفى الفارغ وأذرعنا مُتشابكة. يتردَّد به صدى خطواتنا، غرفة بيضاء تتحول في اطراد إلى اللون الرمادي. في الخارج، يظهر ظل في جميع الأنحاء. الشتاء ينتظر على عتبة بابنا، سيطرق الباب قريبًا. لكنني أُحب الهواء البارد. يوقظني.

بينما نعبر الساحة المركزية مُتجهين إلى الثكنات رقم (٣)، ألاحظ المجمع. يختلط عدد قليل من الوجوه المألوفة مع مجموعات متنوعة، البعض يتدرب، والبعض الآخر ينقل البضائع أو ببساطة يجوب المكان. رأيت (آدا) تنزلق تحت وسيلة نقل مكسورة، وفي يدها دليل تعليمات. تركع (لوري) بجانبها، وتبحث في كومة من الأدوات. على بُعد أمتار قليلة،

يقف (دارميان) مع مجموعة من رجال الحرس، لينضمَّ إليهم في هرولة. هم الوحيدون من الشق الذي أراهم، وهذا يقلب معدتي. (كاميرون)، (نيكس)، (ناني)، (جاريث)، (كيثا)، أين هم؟ أشعر بالغثيان، لكنني أبتلع الإحساس. ليس لديَّ سوى القوة للحزن على الشخص الذي أعرف بالتأكيد أنه مات.

لا يُسمح لـ(جوليان) بدخول الثكنات (٣)، يُخبرني بذلك بابتسامةٍ ضيقة، كلماته تقطر ازدراءً. لا توجد طريقة لفرض الأمر، لكنه يُطيعه مع ذلك.

«أحاول فقط أن أكون فضيًّا صالحًا.» يقول في جفاء. «لقد كان الكولونيل لطيفًا بما يكفي للسماح لنا بالخروج من ثكناتنا. أكره أن أخون ثقته.»

«سآتي لأجدك بعد ذلك.» أضغط على كتفِه. «لا بد أن الوضع يزداد سوءًا هناك.»

يهز (جوليان) كتفَيه. «تأخذ (سارة) وقتها للشفاء، لا نريد الكثير من الفضيين الغاضبين والمغلوبين ويُعانون من سوء التغذية في مكانٍ مغلق. ويعلمون ماذا فعلتِ لهم. ليس لديهم سبب لإثارة الصخب ... حتى الآن.»

حتى الآن. تحذير بسيط وفعَّال. لا يعرف الكولونيل كيفية التعامُل مع اللاجئين الفضيين، وسوف يُخطئ قريبًا بالتأكيد.

«سأقوم بما في وسعي.» أتنهّد، وأضيف إخماد شغبٍ مُحتمل لقائمة مهامي المتزايدة.

لا تبكي أمام أُمي، اعتذري لـ(فارلي)، اكتشفي كيف تُنقذين خمسة آلاف طفل، قُومي بتهدئة مجموعة من الفضيين، اضربي رأسك بجدار. يبدو كل هذا قابلًا للتنفيذ.

الثكنات كما أتذكر، مليئة بالمُنحنيات والمنعطفات مثل المتاهة. ضللتُ الطريق مرة أو مرتَين، ولكن أخيرًا وجدت الباب ذا الوشاح الأرجواني المربوط بمقبض الباب. الباب مغلق بإحكام، ويجب أن أطرق.

يفتح (بري) الباب. وجهه أحمر من البكاء، ويكاد هذا يُسبب انهياري في هذا الوقت والمكان.

«استغرقتِ وقتًا طويلًا بما فيه الكفاية.» يزمجر، ويتراجع حتى أتمكّن من الدخول.

أجفل من لهجته القاسية، لكنّني لا أرُد. بدلًا من ذلك، وضعتُ يدي على ذراعه. ينكمش، لكنه لا يبتعد.

«أنا آسفة.» أقول له. ثم، بصوتٍ أعلى، إلى بقية الغرفة، «أنا آسفة لأنني لم آتِ مبكرًا.»

تجلس (جيسا) و(ترامي) على كراسي غير مُتشابهة. تنحني أُمي فوق أحد الأسرّة، وأبي وكرسيه مُستقران بثبات بجانبها. بينما هي تستدير وتخبئ وجهها في وسادة، ينظر إليَّ مباشرة.

«كان لديكِ أشياء للقيام بها.» يقول أبي. جافٌّ كما هو الحال دومًا، ولكن أكثر إهانةً من أي وقتٍ مضى. أنا أستحق ذلك. «نفهم.»

«كان يجب أن أكون هنا.» أتحرك داخل الغرفة. كيف يُمكنني أن أشعر بالضياع في مثل هذه المساحة الصغيرة؟ «لقد أعدتُ جثته.»

«رأيناها.» يقول (بري) مندفعًا، ويجلس على السرير المُقابل لأُمي. يهبط تحت وزنه الهائل. «ضربته إبرة صغيرة مندفعة، ورحل.»

«أتذكر.» أهمس قبل أن أقدِر على منع نفسي.

ترتجف (جيسا) فوق كرسيها، وتسحب ساقَيها النحيلتَين للخلف. تُمدد يدَها المُصابة لتشتيت انتباهها. «هل تعلمين من قتله؟»

«(بتوليموس ساموس)، (ماجنيترون).»

في الحلبة سابقًا كان يقدر (كال) على قتل الرجل الحقير. لكنه كان رحيمًا وقتلت رحمته أخي.

«أعرف هذا الاسم.» يقول (ترامي)، فقط ليملأ الجو المتوتر. «كان أحد جلاديك في وعاء العظام. لم يقدر على غلبتك، لكنه غلب (شايد).»

يبدو كاتهام. أُضطر للنظر للأسفل، وأفحص حذائي بدلًا من الألَم في عينَيه.

«هل انتقمتِ منه على الأقل؟» ينهض (بري) مجددًا ـ غير قادر على البقاء ثابتًا. يقف أعلى منّي، يُحاول أن يبدو مخيفًا. نسِي أنني لم أعد أخاف

من القوة الغاشمة الآن. «هل فعلتِ؟»

«قتلتُ العديد من الناس.» ينقطع صوتي، لكني أثابر. «لا أعلم حتى عددهم، أعلم فقط أن الملكة كانت منهم.»

على السرير، تنهض أُمي، وقررت أخيرًا النظر إلي. عيناها تسبحان بالدموع. «الملكة؟» تهمس، لاهثة.

«لدينا جسدها أيضًا.» أقول، في حماسٍ يكاد يكون زائدًا. الحديث عن جثتها أسهل من الحزن على أخي. لذلك أُخبرهم عن البث، وماذا نأمل أن نفعل.

من المُفترض أن يخرج الشيء الرهيب الليلة، خلال نشرات الأخبار المسائية. هي إلزامية الآن، إضافة إلى التدابير، تُجبر كل شخص في المملكة على تناول الأكاذيب والدعاية مع عشائه. ملك شاب مُتلهف، انتصار آخر في الخنادق، وما شابه ذلك، ولكن ليس غدًا. بدلًا من ذلك، سترى (نورتا) ملكتهم الميتة. وسيسمع العالَم دعوتنا لحمل السلاح.

يتحرك (بري)، ويبتسِم بجنونٍ من فكرة الحرب الأهلية، ويتبعه (ترامي)، كما يفعل دائمًا. يثرثران مع بعضهما، ويحلُمان بالفعل بالسير إلى (أركيون) معًا، وزرع علمنا الأحمر على أنقاض قصر (وايتفاير).

(جيسا) أقل حماسًا. «أعتقد أنكِ لن تبقَي هنا لفترة طويلة.» تقول بائسة. «سيحتاجون منك العودة إلى البر الرئيسي، والتجنيد مرة أخرى.»

«لا، لن أقوم بالتجنيد، على الأقل لفترةٍ من الوقت.»

لا أستطيع تحمُّل الأمل الذي يشتعل بهم، وخاصة أُمي. كدتُ لا أخبرهم على الإطلاق، لكن في المرة الأخيرة غادرتُ فجأة. لن أفعل ذلك بهم مرة أخرى.

«سأذهب إلى منطقة الاختناق، وقريبًا.»

يزمجر أبي بصوتٍ عالٍ وأتوقع أن يسقط من فوق كرسيه المتحرك. «لن تفعلي! ليس وأنا لا أزال أتنفس!» يتنفَّس بصوتٍ عالٍ ليؤكد على موقفه. «لن يعود أي طفلٍ لي إلى ذلك المكان. أبدًا. ولا تتجرئي على إخباري أنني لا أستطيع إيقافك، لأنني صدِّقيني، أستطيع وسأفعل.»

في وقتٍ ما، سلبت منطقة الاختناق ساق أبي ورئته. منح الكثير لذلك المكان. والآن، أظن أنه يعتقد أنه سيخسرني بسبب ذلك المكان أيضًا.

«أنا متأكدة من ذلك يا أبي.» أحاول أن أمزحَ معه. عادة ما ينجح ذلك.

لكن هذه المرة يصرفني، مُتجهًا نحوي بسرعة كبيرة، تصطدم ساقه بساقي. يُحملق مثل شيطان، ويرتجف إصبعه أمام وجهي.

«أعطني كلمتك، يا (ماير بارو).»

«تعلم أنني لا أستطيع فعل ذلك.»

وأقول له لماذا. خمسة آلاف طفل، خمسة آلاف ابن وابنة. كانت (كاميرون) على حق طوال الوقت. لا تزال انقسامات الدماء حقيقية للغاية، ولا يمكن تحمُّلها بعد الآن.

«دعي شخصًا آخر يذهب.» يزمجر وهو يبذل قصارى جهده حتى لا ينهار. لم أرغب أبدًا في رؤية والدي يبكي، والآن أتمنَّى أن أنسى المشهد. «الكولونيل، هذا الأمير، يمكن لأي شخص آخر القيام بذلك.» يُمسك بذراعي مثل رجلٍ وسط البحر.

«(دانيال).» صوت أمي ناعم ومُهدئ، كسحابة بيضاء واحدة في سماء فارغة. «دعها تذهب.»

عندما أُخرج يدي من بين يدِه، أُدرك أنني أبكي أيضًا.

«سنذهب معها.» بالكاد تخرج الكلمات من فم (بري) قبل أن أتمكن من أن أقول له لا. يتحول وجه أبي بنفسجيًّا، حزنه يفسح المجال للغضب. «هل تُريدونني أن أموت من نوبة قلبية؟» يزمجر وهو يلتفت لمواجهة أخي الأكبر.

«لم تذهب أبدًا إلى منطقة الاختناق، لا تعرف كيف هو الأمر هناك.» يقول (ترامي). «نحن نعلم، قضَينا ما يقرب من عقدٍ من الزمن مُقسَّمٍ بيننا على حدود الخنادق.»

هززتُ رأسي، مددتُ يدي لإيقافه قبل أن يفقد أبي أعصابه حقًّا.

«الكولونيل قادم، لقد رأى منطقة الاختناق أيضًا، ليست هناك حاجة ...»

«ربما من الجانب (اللايكلاندري).» (بري) بالفعل أمام صندوق متاعه، يفتش في أغراضه. يبحث عما يجب إحضاره. «لكن خنادق (نورتا) لها تصميم مختلف. سوف يفقد طريقه في غضون ثوانٍ.»

ربما يكون هذا أذكى شيءٍ سمعتُ (بري) يقوله على الإطلاق. هو غير مشهور بعقله، ولكن مرة أخرى، نجا لما يقرُب من خمس سنوات على الحدود. هذا أكثر بأربع سنوات من معظم الناس. لا يمكن أن يكون بسبب الحظ. بدلًا من ذلك، أدرك أن هذه شجاعة من كليهما، أكثر مما يُمكنني أن أعرف. ذات مرة فكرتُ في كم فات إخوتي الأكبر سنًّا من حياتي، لكنني فعلت الشيء نفسه. هما ليسا كما أتذكر. هما مُحاربان مثلي.

صمتي هو كل ما يحتاجانه لبدء التحضير. أتمنَّى لو كان بإمكاني إخبارهما ألا يأتيان. سوف يستمعان إذا كنت أعني ذلك حقًّا. لكنني لا أستطيع. أنا في حاجة إليهما، تمامًا كما كنت في حاجة إلى (شايد). آمُل فقط ألا أقود أخًا آخر إلى القبر.

بعد لحظةٍ طويلة، أُدرك أنني أرتجف. لذلك صعدتُ إلى السرير بجانب والدتي، وتركتُها تضمُّني لفترةٍ طويلة. أبذل قصارى جهدي حتى لا أبكي. قصارى جهدي لا يكفي.



الفصل التاسع والعشرون

قاعة الطعام مزدحمة، لكن ليس من أجل وجبة. قام الكولونيل باستدعاء للتطوع لعملية ذات أولوية قصوى، منذ ساعة واحدة فقط، وبالفعل الغرفة تكاد تتفجَّر برجاله المختارين والمتطوعين أيضًا. (اللايكلاندريون) هادئون ومدربون تدريبًا جيدًا ورزينون. الحرس أكثر صخبًا، على الرغم من أن (فارلي) ليست كذلك. تمت إعادة تعيينها ككابتن، لكنها لا تظهر أي إشارة على الملاحظة. تجلس في صمت، وتلفّ وشاحًا أحمر حول يديها دون تركيز. عندما أدخل القاعة، محاطة بشقيقيَّ، تخبو الضوضاء، وتراقبني كل عين. باستثناء (فارلي). لا تنظر إلى الأعلى على الإطلاق. (لوري) و(دارميان) يُصفقان بينما أمشي عبر الغرفة، مما يجعلني أخجل. تنضم لهما (آدا)، وبعد ذلك، لسروري، تقف (ناني) بجانبها، كذلك (كاميرون). لقد نجوا. أتنفس قليلًا، في محاولة للشعور بالارتياح. لكن لا يوجد حتى الآن أي أثر لـ(نيكس) أو (جاريث) أو (كيتا). ربما اختاروا عدم المجيء. بحلول الآن ربما قد سئموا من الخطر. هذا ما أقوله لنفسي وأنا أجلس بجانب (فارلي). يتبعني (بري) و(ترامي)، ويأخُذان المقعدَين خلفي مباشرة، مثل الحراس الشخصيين.

لسنا آخر من يصل. يدخل (هاريك)، بعد أن وصل للتوّ من الشق، ويوجِّه لي إيماءة مقتضبة. يُبقي الباب مفتوحًا، ويسمح لـ(كيلورن) بالدخول. تتسارع نبضات قلبي عندما يتبعه (كال)، متأخرًا ومعه (جوليان) و(سارة) خلفه. كان دخولي هادئًا، عكسهم. عند رؤية ثلاثة فضيين، يقفز الكثيرون على أقدامهم، معظمهم من (اللايكلاندريين). وسط الضجيج، من الصعب سماع صياحهم، لكن المعنى واضح. لا نريدكم هنا.

تتلاقى أعيننا أنا و(كال) وسط الضجة، ولو لثانية واحدة فقط. يلتفت بعيدًا أولًا، ويجد مقعدًا في الجزء الخلفي من الغرفة. يلتصق بجانبه (جوليان) و(سارة)، متجاهلَين صيحات الاستهجان، بينما يشق (كيلورن) طريقه إلى الأمام. يسحب كرسيًا معه، ويجلس بجانبي. يومئ لي بشكلٍ عارض، كما لو كنا نجلس لتناول الغداء.

«إذن عن ماذا كل ذلك؟» يقول بصوتٍ عالٍ بما يكفي لأسمعه وسط الضوضاء.

أحدق بصديقي، في حيرة. آخر مرة رأيته فيها، كان يسحبني بعيدًا عن (فارلي)، وبدا مشمئزًا من وجودي. الآن يكاد يبتسِم. حتى إنه يخرج تفاحة من سترته ويعرض عليَّ أول قضمة. مرتعشة، ولكن واثقة، آخُذ الهدية.

«لم تكوني على طبيعتكِ.» يهمس في أذني، ويأخذ التفاحة مرة أخرى، ليقضم منها. «انسَي الأمر. لكن تصرَّفي بهذا الجنون مرة أخرى وسنُضطر لتسوية الأمر بطريقة (الستيلتز). حسنًا؟»

تؤلِمني ندباتي وأنا أبتسم. «حسنًا.» أقول بصوت منخفض، حتى يتمكن هو فقط من سماعي. «شكرًا لك.»

لثانية، يسكن، يفكر بعُمق بشكل غريب. ثم يلوح بيده مبتسمًا. «أرجوكِ، لقد رأيتك في حالات أسوأ بكثير من ذلك.» كذبة مطمئنة، لكنني تركته يقولها على أي حال. «الآن، ما هي هذه العملية ذات الأولوية القصوى؟ فكرتك أم فكرة الكولونيل؟»

كما لو كان كلامه إشارة، يدخل الكولونيل القاعة، ويداه مَمدودتان على وسعهما، يطلب الصمت.

«أنا.» أتمتم، بينما تخبو الشكاوى.

«هدوء.» يصيح، وصوته مثل صوت ضربة السوط. يُطيعه (اللايكلاندريون) على الفور، ويجلسون في حركات ممارسة. يكفي تحديقه لإسكات المعارضين الآخرين.

يشير إلى الجزء الخلفي من الغرفة، إلى (كال) و(جوليان) و(سارة). «هؤلاء الثلاثة من الفضيين، نعم، لكنهم أثبتوا أنهم حلفاء للقضية. لديهم إذن بالتواجُد هنا. ستعاملونهم كما تُعاملون أي حليف، أي أخٍ أو أخت في السلاح.»

هذا يجعلهم يصمتون جميعًا. للوقت الحالي.

«أنتم هنا لأنكم تطوَّعتم لعملية دون أن تعرفوا ما هي. هذه شجاعة حقيقية، وأنا أثني عليكم جميعًا.» يتابع، ويتخذ مكانه في مقدمة القاعة. أشعر أنه فعل هذا من قبل. في هذا الوضع، يمنحه الشعر القصير والعين الحمراء إحساس السلطة، كما يفعل صوته القيادي. «كما تعلمون، أدى

انخفاض سن التجنيد الإجباري إلى وجود جنود أصغر سنًّا، حتى سن الخامسة عشرة. في الوقت الحاضر، أحد هذه الفيالق في طريقه إلى جبهة الحرب. خمسة آلاف فرد، كلهم لديهم شهران فقط من التدريب.» تمر تمتمة غاضبة عبر الحشد. «نحن مدينون بالشكر لـ(ماير بارو) وفريقها لإعطائنا هذه المعلومات.»

لا أقدر على منع نفسي من أن أجفل. فريقي. ينتمون إلى (فارلي) أو حتى (كال)، ولكن ليس لي.

«السيدة (بارو) هي أيضًا أول من تطوع لوقف هذه المأساة قبل حدوثها.»

تفرقع رقبة (كيلورن)، من استدارته السريعة. تتسع عيناه الخضراء، ولا يمكنني معرفة ما إذا كان غاضبًا أو منبهرًا. ربما القليل من كليهما.

«أطلقوا عليهم الفيلق الصغير.» أقول، وأجبر نفسي على النهوض على قدميَّ حتى أواجه الحشد بطريقةٍ ملائمة. يُحدقون بي، في ترقب، كل عين كالسكين. ستخدمني دروس السيدة النبيلة (بلونوس) جيدًا الآن.

«طبقًا لمعلوماتنا، سيتم إرسال الأطفال مباشرة لمنطقة الاختناق، عبر حدود الخنادق. يريدهم الملك موتى، ليُخيف الناس ليصمتوا وسينجح إذا لم نفعل شيئًا. أقترح عملية ذات شقَّين، يقودها الكولونيل (فارلي) وأنا. سأخترق الفيلق خارج (كورفيوم)، مستخدمة جنودًا يمكنهم أن يبدوا في سنِّ الخامسة عشر، من أجل الفصل بين الضباط الفضيين والأطفال. بعدها ستتقدم مباشرة تجاه منطقة الاختناق.» أقوم بأقصى جهدي لأُبقي عينيَّ على الجدار الخلفي، لكنهما يظلان يلتفتان تجاه (كال). هذه المرة، أنا من أُضطر للنظر بعيدًا.

«هذا انتحار!» يصيح أحدهم.

يتحرك الكولونيل إلى جانبي، ويهز رأسه. «ستنتظِر وحدتي في الشمال، على حدود الخنادق في الجبهة (اللايكلاندرية). لديَّ علاقات في الجيش، ويمكنني أن أوفر للسيدة (بارو) وقتًا كافيًا للعبور. بمجرد أن تصل إليّ، سنتراجع لبحيرة (إريس). ستكون مركبتا شحن كافيتين لنقلنا عبرها، ومن هناك، سندخل الأراضي المتنازَع عليها.»

«هذا هزلي.»

لا أحتاج أن أنظر لأعلى لأعرف أنه (كال). هو غاضب، وقبضتيه مشدودتان، منزعج من الخطة الحمقاء. أكاد أبتسِم من المشهد.

«منذ مئة سنةٍ ولم يدخل أو يعبر أي جيش من (نورتا) منطقة الاختناق. نهائيًا. وتعتقد أنه يمكنك فعل ذلك بمجموعة من الأطفال؟» يلتفت تجاهي، مناشدًا. «سيكون لديك حظٌ أفضل في إعادتهم لـ(كورفيوم)، وإخفائهم في الغابات، أي شيء غير عبور منطقة القتل.»

يتقدم الكولونيل في اندفاع. «كم مضى من الوقت منذ أن دخلت الخنادق سموك؟»

لا يتردد (كال). «منذ ستة أشهر.»

«منذ ستة أشهر كان لدي (اللايكلاندريون) تسعة فيالق على الحدود، لمضاهاة أعداد (نورتا). ومن هذا اليوم، لديهم اثنان. منطقة الاختناق مفتوحة، ولا يدرك شقيقك ذلك.»

«فخ؟ أو إلهاء إذن؟» يقول (كال)، في حيرة مما قد يعني هذا.

يومئ الكولونيل. «يُخطط (اللايكلاندريون) للتقدم عبر بحيرة (تاريون)، بينما تنشغل جيوشك في الدفاع عن منطقة خراب لا يريدها أحد. سيدة (بارو) يمكنها العبور مغمّاةَ العينَين ولن تصاب بخدشٍ.»

«وهذا بالضبط ما أعتزم القيام به.» ببطء، وثقة، أقوّي قلبي. آمُل أن أبدو شُجاعة، لأنني بالتأكيد لا أشعر بذلك. «من سيأتي معي؟»

(كيلورن) هو أول من يقف، كما ظننت. يتبعه الكثيرون، (كاميرون)، (آدا)، (ناني)، (دارميان)، حتى (هاريك). لكن ليس (فارلي). تجلس في ثبات، وتترك مُلازميها يقفون مكانها. الوشاح مشدود للغاية حول معصمها، مما يحوِّل يدَها إلى اللون الأزرق الباهت. أحاول ألا أنظر إليه. أحاول بكل تأكيد. في الجزء الخلفي من الغرفة، يقف الأمير المنفي على قدمَيه. ينظر إليَّ، كما لو أن عينَيه وحدهما يمكن أن تشعلا النار في عينيّ.

هذا إهدار، لم يتبق بي شيء ليحرقه.

***

القبور في مقبرة (تاك) حديثة، يميزها التراب المقلب وبعض القطع المتشابكة من العشب البحري. تمثل الصخور المجمعة كشواهد القبور، كل منها منحوت بشق الأنفس من قبل الأحياء. عندما نخفض تابوت (شايد)

الخشبي إلى الأرض، ونقف كلنا عائلة (بارو) حول الحفرة، أُدرك أننا محظوظون. لدَينا جثة لدفنها، على الأقل. ولكن هناك الكثير من القبور الأخرى التي لا تُشير إلا للتربة فقط. تم نحت أسمائهم أيضًا. (نيكس) و(كيثا) و(جاريث). أجسادهم مهجورة، ولكن لا تنسى.

وفقًا لـ(آدا)، لم يصعدوا أبدًا على متن (البلاك رن) أو طائرة الشحن. ماتوا في (كوروس)، إلى جانب اثنَين وأربعين آخرين حسب إحصائها المثالي. لكن ثلاثمائة نجوا. ثلاثمائة، مقابل خمسة وأربعين. أقول لنفسي صفقة جيدة. صفقة سهلة. الكلمات تلسع، حتى في رأسي.

تضم (فارلي) نفسَها ضد الرياح الباردة لكنها ترفض ارتداء معطف. الكولونيل هنا أيضًا، يقف على بُعد مسافة محترمة. هو هنا ليس من أجل (شايد) ولكن من أجل ابنته الحزينة، على الرغم من أنه لا يتَّخذ أي خطوةٍ لمواساتها. لدهشتي، تقف (جيسا) إلى جانبها، وتلفُّ ذراعها حول خصر الكابتن. عندما سمحت لها (فارلي)، كادت الصدمة أن تُسقطني أرضًا. لم أكن أعرف أن الاثنين التقَيا من قبل، لكنهما متقاربان للغاية. بطريقةٍ ما، أسفل حزني، تمكنت من الشعور ببعض الغيرة. لا أحد يحاول مواساتي، ولا حتى (كيلورن). جنازة (شايد) أكثر من أن يستطيع تحمُّلها. يجلس على ارتفاعٍ عالٍ، بعيدًا بما يكفي حتى لا يقدر أحد على رؤيته يبكي. يخفض رأسه بين الحين والآخر، غير قادر على المشاهدة عندما يبدأ (بري) و(ترامي) في جرف التراب داخل القبر.

لا نقول أيَّ شيء. الأمر صعب للغاية. يمرُّ الهواء البارد خلالي مباشرة، وأتمنَّى الدفء. أتمنى حرارة مريحة. لكن (كال) ليس هنا. أخي ميت، ولا يجد (كال) في قلبه العنيد القدرة على حضور دفنه.

تجرف أمِّي آخِر كومة من التراب، وعيناها جافة. لم يعُد لديها المزيد من الدموع لتعطيها. لدينا هذا الشيء المشترك على الأقل.

(شايد بارو)، مكتوب على شاهد قبره. تبدو الحروف غير مستوية، كأنه كتبها بعض الوحوش الوحشية بمخالبها بدلًا من والدي. يبدو من الخطأ دفنه هنا. يجب أن يكون في المنزل، على ضفاف النهر، في الغابة التي أحبَّها كثيرًا. ليس هنا، في جزيرة قاحلة، مُحاطة بالكثبان الرملية والخرسانة، ولا شيء سوى السماء الفارغة لصحبته. لم يكن هذا مصيرًا يستحقه.

علم (جون) أن هذا سيحدث. ترك (جون) ذلك يحدث. تسيطر عليَّ فكرة أكثر ظلامًا. ربما كانت هذه صفقة أخرى، مقايضة أخرى. ربما كان هذا أفضل مصير سيواجهه قط. أذكى إخوتي وأكثرهم حنانًا، من سيأتي دائمًا لإنقاذي، والذي يعرف دائمًا ماذا يقول. كيف يمكن أن تكون هذه نهايته؟ كيف يكون هذا عادلًا؟

أعرف أكثر من معظم الناس أنه لا يوجد شيء عادل في هذا العالم. تصير رؤيتي ضبابية. أُحدق في الأرض المزدحمة لا أدري لِكَم من الوقت، حتى نبقى أنا و(فارلي) فقط في المقبرة. عندما أنظر إلى الأعلى، تُحدق في وجهي، عاصفة مستعرة بين الغضب والحزن. تحرك الرياح شعرها. لقد نما خلال الأشهر القليلة الماضية، وكاد يصل إلى ذقنها. تزيحه بعيدًا بعنف لدرجة أنني أخشى أنها قد تمزق فروة رأسها.

«لن أذهب معك.» تجبر الكلمات على الخروج.

يمكنني فقط أن أومئ برأسي. «لقد فعلتِ ما يكفي من أجلنا، أكثر مما يكفي. أفهمك.»

تسخر عند سماعها هذا. «لا تفهمين. لا يُهمني حماية نفسي، ليس الآن.»

تعود عيناها إلى القبر. تسقط منها دمعة، لكنها لا تُلاحظ. «الإجابة على سؤالي.» تهمس. ولم تعد تُفكر بي بعد الآن. ثم تهز رأسها وتقترب. «لم يكن سؤالًا فعليًّا على أي حال. كنتُ أعرف، في أعماقي. أعتقد أن (شايد) علم ذلك أيضًا. هو ... كان قويَّ الإدراك. ليس مثلك.»

«أنا آسفة على كل شخص فقدتِه.» أقول في فظاظة أكثر مما أريد. «أنا آسفة.»

تلوح بيدها فقط، وترفض اعتذاري. لا تهتم حتى بسؤالي كيف أعرف. «(شايد)، أمي، أختي. ووالدي، هو على قيد الحياة، لكنني فقدته أيضًا.»

أتذكر القلق على وجه الكولونيل، بريق القلق القصير عندما عُدنا إلى (تاك). كان خائفًا على ابنته.

«لن أكون بهذه الثقة. لا يمكن أن يُفقد أي أبٍ حقيقي بالنسبة لطفلِه الذي يُحبه.»

تحرك الرياح خصلاتٍ من شعرها فوق وجهها، وتُخفي تقريبًا ملامح

الصدمة التي تلمع في عينيها. الصدمة والأمل. تفرد يدَها على بطنها، بلطف غريب. والأخرى تربت على كتفي.

«آمل أن تتمكّني من الخروج من هذا على قيد الحياة، يا فتاة البرق. لستِ فظيعة كليًّا.»

قد يكون ألطف شيءٍ قالته لي على الإطلاق. ثم تستدير، ولا تنظر إلى الوراء. عندما أغادر بعد بضع دقائق، لا أفعل أيضًا.

ليس هناك وقت للحداد على (شايد) أو الآخرين بشكل ملائم. للمرة الثانية خلال أربع وعشرين ساعة، يجب أن أركب (البلاك رن)، وأنسى قلبي، وأستعد للقتال. كانت فكرة (كال) الانتظار حتى المساء، لمغادرة الجزيرة بينما يعبُر بثُّنا المسروق البلادَ. بحلول الوقت الذي تأتي فيه كلاب (مافين) للصيد، سنكون بالفعل في الهواء وفي طريقنا إلى المطار الخفي خارج (كورفيوم). سيتقدم الكولونيل شمالًا، مستخدمًا غطاء الليل لعبور البحيرات والدوران حولها. بحلول الصباح، إذا صمدت الخطة، فستكون مسئولين عن فيالقنا، واحدٌ على كل جانب من الحدود. ثم نتقدم.

آخر مرة تركت فيها والدي، لم يكن هناك تحذير. بطريقةٍ ما، كان ذلك أسهل من هذا. توديعهم أمر صعب للغاية لدرجة أنني أكاد أركض إلى (البلاك رن) وسلامتها المألوفة. لكنني أُجبر نفسي على عناق كليهما، لمنحهما أي راحة صغيرة ممكنة، حتى لو كانت كذبة.

«سأُبقيهم آمنين.» أهمس وأضع رأسي على كتف أُمي. تمرُّ أصابعها عبر شعري، وتضفره بسرعة. انتشرت الأطراف الرمادية، وكادت تصِل إلى كتفي. «(بري) و(ترامي).»

«وأنتِ.» تهمس مرة أخرى. «احمي نفسَك أيضًا، يا (ماير). من فضلك.»

أومئ برأسي، لا أريد أن أتحرك.

تجد يدُ أبي مِعصمي، ويسحبني بلُطف. على الرغم من غضبه سابقًا، فهو الشخص الذي يذكرني بأنني يجب أن أذهب. تتباطأ عيناه خلف كتفي، وعلى (البلاك رن) خلفنا. صعد الآخرون بالفعل، تاركين عائلة (بارو) فقط على المهبط. أفترض أنهم يريدون أن يعطوني بعض الخصوصية، مع أنه

ليس لدي استخدام لمثل هذه الخصوصية. فقد قضيتُ الأشهر القليلة الماضية أعيش في حفرة، وقبل ذلك، قصر ممتلئ بالكاميرات والحراس. لا أهتم بالمشاهِدين.

«من أجلك.» تقول (جيسا) وهي تمد يدها السليمة. تتدلّى منها قطعة من الحرير الأسود. أشعر بالبرودة والنعومة وهي في يدي، مثل الزيت المنسوج.

«من ذي قبل.»

تزين زهور حمراء وذهبية القماش، مُطرزة بمهارة خبير.

«أتذكر.» أهمس، وأمرر إصبعًا على هذه البراعة المُستحيلة. لقد حاكته منذ فترة طويلة، في الليلة التي سبقت تحطيم أحد الضباط ليدِها. هو غير مكتمل، تمامًا مثل مصيرها القديم. تمامًا مثل (شايد). أرتجف، أربطه حول مِعصمي. «شكرًا لك يا (جيسا).»

أمد يدي في جيبي. «ولديّ شيء لكِ يا فتاتي.»

حلية، رخيصة الصنع. القرط الواحد يُطابق المحيط الشتوي من حولنا. تلتقِط أنفاسها وهي تأخذها. تأتي الدموع بسرعة، لكنني لا أستطيع مشاهدتها. أبتعِد عنهم جميعًا وأصعد على متن (البلاك رن). يغلق الممر المنحدِر خلفي، وبحلول الوقت الذي يتوقّف فيه قلبي عن التسارع، نكون في السماء، ونرتفع عاليًا فوق البحر.

جنودي قليلون مقارنة بعددِ من يتبعون الكولونيل إلى (اللايكلاند). بعد كل شيء، لم أتمكن إلا من أخذ الأشخاص الذين بدَوا صغارًا بما يكفي للعب دور الفيلق الصغير، ويفضل أولئك الذين خدموا في جيش، والذين يعرفون كيف يتصرفون كجنود. ثمانية عشر من الحرس يتناسَبون مع المهمة، وانضموا إلينا في السماء. يجلس (كيلورن) معهم، ويبذل قصارى جهده ليتأقلموا مع مجموعتنا المتماسكة.

(آدا) ليست معنا، وكذلك (دارميان) و(هاريك). غير قادرَين على لعب دور المُراهقين، ذهبوا مع الكولونيل، لمساعدة قضيتنا كيفما استطاعوا. (ناني) ليست مقيدة بهذه الشروط، على الرغم من تقدُّمها في السن. تغير مظهرها، يتحول بين هيئات مختلفة لوجوه شابّة. بالطبع انضمت إلينا

(كاميرون)، كانت هذه حقيقةً فكرتها في المقام الأول، وتكاد تقفز من الأدرينالين. تفكر في شقيقها، الذي خسرته للفيلق. أجد نفسي أحسدها. لا تزال لدَيها فرصة لإنقاذه.

سيكون (كال) وإخوتي الأصعب في التنكُّر. (بري) لدَيه وجه شاب، لكنه أكبر من خمسة عشر عامًا. (ترامي) طويل جدًّا، و(كال) معروف جدًّا. لكن قيمتهم لا تكمن في مظهرهم أو حتى قوتهم، بل في معرفتهم بحدود الخنادق. بدونهم، لن يكون لدَينا أحد للتنقُّل في مثل هذه المتاهة، والدخول إلى أرض منطقة الاختناق القاحلة الكابوسية. لقد رأيتها فقط في الصور الفوتوغرافية ونشرات الأخبار وأحلامي. بعد اكتشاف قدرتي، اعتقدت أنني لن أضطر أبدًا إلى الذهاب إلى هناك. اعتقدت أنني هربت من هذا المصير. كم أنا مُخطئة.

«ثلاث ساعات حتى نصل لـ(كورفيوم).» يصيح (كال)، ولا ينظر أعلى من مُعداته.

المقعد المجاور له فارغ بشكلٍ لافت للنظر، محجوز لي. لكنني لن أنضم إليه، ليس بعد أن تخلّى عني لأُواجه جنازة (شايد) بمفردي.

«انهَضْ أحمرَ مثل الفجر.» يقول الحرس في تزامن، ويضربون الأرض بمؤخرات أسلحتهم. يأخذوننا جميعًا على حين غرة، على الرغم من أن (كال) يبذل قصارى جهده لعدم الرد. ومع ذلك، أرى النفور في طرف فمِه. أنا لست جزءًا من ثورتك، قال ذات مرة. حسنًا، أنت بالتأكيد تبدو كذلك، سموّك.

«انهض أحمر مثل الفجر.» أقول، في هدوء، ولكن في ثقة.

يتجهّم (كال) علانية، ويُحدق خارج النافذة. يجعله التعبير يبدو مثل والده، وأفكر فيما كان من الممكن أن يكون. أمير مُحارب مراعٍ، مُتزوج من الأفعى (إيفانجلين). قال (مافين) إنه لم يكن ليعيش بعد ليلة التتويج، لكنني لا أعتقد ذلك حقًّا. يتشكل المعدن في اللهب، وليس العكس. كان سيعيش ويحكم. للقيام بماذا، لا أستطيع أن أقول. ذات مرة، اعتقدتُ أنني أعرف قلب (كال)، لكنني أدركتُ الآن أن هذا مُستحيل. لا يمكن فهم أي

قلبٍ حقًا. ولا حتى قلبك.

يمر الوقت في صمتٍ خانق. داخل الطائرة، نحن هادِئين، ولكن على الأرض، تتحرك الأمور. تصرخ رسالتي على شاشات الفيديو في جميع أنحاء المملكة. أتمنى لو كنتُ في (أركيون)، أقف في وسط القطاع التجاري، وأشاهد العالم وهو يتغير. هل سيكون رد فعل الفضيين كما آمُل؟ هل سيرون خيانة (مافين) على حقيقتها؟ أم سينظرون بعيدًا؟

«حرائق في (كورفيوم).»

يتكئ (كال) على زجاج قمرة القيادة، وفمه مفتوح. «في وسط المدينة، والأحياء الفقيرة في (ريفر تاون).» يُمرر يده خلال شعره، في حيرة. «شغب.»

يقفز قلبي، ثم يغرق. لقد بدأت الحرب وليس لدَينا أي فكرة عن التكلفة.

تتفجر بقية الطائرة في هتافات وتصفيق والكثير من المصافحات حتى المعدة. أكاد أن أسقط من مقعدي، وأقدامي تتعثر فوق نفسها. أنا لا أتعثر أبدًا، أبدًا. لكنني بالكاد أصل إلى الجزء الخلفي من الطائرة قطعة واحدة. أشعر بالدوار والمرض، وعلى استعدادٍ لفقدان العشاء الذي لم أتناوله على جميع أنحاء الجدار. تجد إحدى يديَّ المعدن، ويدع البرودة تُهدئني. ينجح قليلًا، لكن رأسي لا يزال يدور. أردتِ هذا، انتظرتِ هذا، جعلتِ هذا يحدث. هذه هي الصفقة. هذه هي المقايضة.

السيطرة التي عملت بجدٍ للحفاظ عليها تبدأ في الانشقاق. أشعر بكل نبض للطائرة، كل لفة للمحركات. تتفرع في رأسي، كخريطة باللونَين الأبيض والأرجواني، مشرقة للغاية لا يمكن تحمُّلها.

«(ماير)؟» يقف (كيلورن) من مقعده. يخطو خطوة نحوي، بيدٍ واحدة ممدودة. يبدو كما فعل (شايد) في لحظاته الأخيرة.

«أنا بخير.» أكذب.

مثل رنين الجرس. يستدير (كال) في مقعده، ويجدني في لحظة. يعبر الطائرة بخطوات قوية متعمدة، وحذاؤه يضرب الأرض المعدنية. يسمح له الآخرون بالمرور، خائفين من إيقاف أمير النار. لا أشاركهم هذا الخوف، وأُدير له ظهري. يُديرني، ولا يكلف نفسه عناء أن يكون لطيفًا.

«اهدئي.» يقول في غضب. ليس لدَيه وقت لنوبات الغضب والعصبية.

تُسيطر عليَّ رغبة دفعه بعيدًا عني، لكنني أفهم ما يحاول فعله. أُومئ، وأحاول أن أوافق، أحاول أن أفعل كما يقول. يهدئه هذا قليلًا. «(ماير)، اهدئي.» يقول ثانية، هذا المرة فقط من أجلي، برفقٍ كما أتذكر. لولا نبض الطائرة، كان من الممكن أن نكون في الشق، في غرفتنا، في فراشنا، مُحاطان بأحلامنا. «(ماير).»

يصدر صوت الإنذار قبل ثوانٍ من انفجار ذيل الطائرة. تسقطني القوة على ظهري، بشدّة لدرجة أنني أرى نجومًا. أتذوَّق دماء، وأشعر بحرارة حارقة. لولا (كال)، لكانت النار ستحرقني. بدلًا من ذلك، تمر على ذراعَيه وظهره، غير مؤذية مثل لمسة الأم. تتراجع بسرعة مثلما نمَت، تدفعها قوة (كال)، تحتوي نفسها في جمر. لكن حتى هو لا يستطيع إعادة بناء الجزء الخلفي من الطائرة، أو منعنا من السقوط من السماء. تهدد الضجة بشق رأسي، تزمجر مثل القطار، وتصرخ بصوت ألفِ صرخةٍ من الصارخين (البانشي). أتمسك بكل ما أستطيع، سواء كان معدنًا أو جسدًا.

عندما تصفو رؤيتي، أرى السماء السوداء والعيون البرونزية. نتمسّك ببعضنا البعض، طفلان مُحاصران في نجمٍ ساقط. في كل مكان حولنا، تتمزق (البلاك رن) قطعة تلوَ الأخرى، كل قطعة تُطلقُ صرخةً أخرى مرعبة. مع كل ثانية تمر، يختفي المزيد من الطائرة، حتى يتبقى فقط قضبان رقيقة من المعدن. البرد قارس، والتنفُّس صعب، ويستحيل تحريك أي شيءٍ بمحض إرادتي. أتشبَّث بالقضيب تحتي، مُتمسكة بكل ما تبقى لي، من خلال عيون ضيقة، أشاهد الأرض المظلمة أسفلنا، تقترب مع كل ثانية مفزعة. تندفع كسهمٍ مار. لديها قلب كهربائي وأجنحة لامعة. (سناب دراجون).

تسقط معدني مع بقايا (البلاك رن). لا أستطيع حتى استدعاء القوة للصراخ. لكن الآخرين يفعلون ذلك بالتأكيد. أسمعهم جميعًا يصرخون ويترجَّون ويتوسَّلون للرحمة من قوة الجاذبية. يرتجف الهيكل في كل مكان، مصحوبًا بصوتٍ معدني مألوف. المعدن، يصطدم ببعضه البعض. يُعاد تشكيلُه. مع شهقة، أدرك ما يحدث لنا. الطائرة لم تعد طائرة. هي

قفص، فخ فولاذي.

قبر.

إذا كان بإمكاني التحدث، فسأخبر (كال) أنني آسفة، وأنني أُحبه، وأنني أحتاجه. لكن الرياح والسقوط يسرقان أنفاسي. لم يعُد لدي الكلمات. لمسته مألوفة بشكلٍ مؤلِم، يدٌ واحدة على رقبتي، تتوسل إليّ أن أنظر إليه. مثلي، لا يستطيع الكلام. لكنني أسمع اعتذاره على الرغم من ذلك، وهو يفهم اعتذاري. لا نرى سوى بعضنا البعض. ليست أضواء (كورفيوم) في الأفق، أو الأرض التي ترتفع لمقابلتنا، أو المصير الذي نحن على وشك ملاقاته.

لا يوجد سوى عينَيه. حتى في الظلام، تبرق. الرياح قوية جدًا، تمزق شعري وبشرتي. تنهار ضفيرة والدتي، وينفك آخِر جزء منها. أتساءل من سيُخبرها كيف متُّ، إذا كان أي شخص سيعرف النهاية التي لاقيناها. يا له من موت يحلم به (مافين). يجب أن تكون هذه فكرته، قتلنا معًا، ومنحنا الوقت لإدراك ما هو قادِم.

عندما يتوقف القفص فجأة، أصرخ.

هناك عشب قاسٍ تحت ذراعيَّ المتدلّيتَين، يلمس فقط أطراف أصابعي. كيف؟ أتساءل، وأبتعد. من الصعب إيجاد التوازن، وأسقط. يهتز القفص بحركتي، مثل أرجوحةٍ معلقة على شجرة.

«لا تتحركي.» يزمجر (كال) وهو يضع يدَه على مؤخرة رقبتي. يمسك بالأخرى قضيبًا فولاذيًا، ويشعُّ باللون الأحمر في قبضته.

أتبع نظره، عبر الغابة نحو الناس الذين يقفون في دائرة واسعة من حولنا. من الصعب أن يفوتنا الفضي في شعرهم. هم (ماجنيترون) من منزل (ساموس). يمدّون أذرُعهم، ويتحركون في انسجام تام، ينخفض القفص ببطء. يسقط المسافة الباقية، يجعلنا جميعًا نصرخ.

«حرر.»

يبدو الصوت وكأنه صاعقة برق. أتخلّص من قبضة (كال) وأقفز على قدمي، أركض إلى حافة القفص. قبل أن أتمكن من الوصول إلى الجانب، تنخفض القضبان، وتَسحبني قوة دفعي بعيدًا جدًا. أتعثر، وأسقط على

العشب نصف المتجمّد، وأنزلق على ركبتي. شخصٌ ما يركلني في وجهي، ويرسلني مترامية الأطراف في الوحل. أطلق شرارة قاسية في اتجاههم، لكن مهاجمي سريع للغاية.

بدلًا منه، تتشقَّق شجرة، وتسقط في صوتِ انفصال. يضرب ظهري (السترونج أرم) بركبته، ويثبتني بقوةٍ لدرجة أنه يُفرغ رئتي من الهواء. أصابع ذات شعور غريب، مُغطاة بالبلاستيك، وربما قفازات، تقبض على حلقي. أخدش قبضته، وأصعق، ولكن لا يبدو أن هذا ناجح. يرفعني دون أي جهدٍ على الإطلاق، مما يُجبرني على الدفع لأعلى بأصابع قدمي لتجنّب الاختناق. أحاول الصراخ، لكن بلا فائدة. يضربني الذعر وتتَّسع عيناي، بحثًا عن مخرج من هذا. بدلًا من ذلك، لا أرى سوى أصدقائي، الذين لا يزالون مُحاصرين في القفص، يسحبون القضبان دون جدوى.

يصرخ المعدن مرة أخرى، ينحني ويلتوي، ويصبح كل قضيبٍ سجنًا خاصًا. خلال عينٍ مكدومة، أشاهد ثعابين معدنية تلتفُّ حول (كال) و(كيلورن) والآخرين، وتربط معاصمهم وكواحلهم وأعناقهم. حتى (بري)، الضخم مثل الدب، ليس لدَيه وسيلة دفاع ضد القضبان الملتوية. تحارب (كاميرون) بأقصى قُدرتها، وتكتم قدرات (الماجنيترونين) واحدًا تلوَ الآخر. ولكن هناك الكثير منهم. عندما يسقط أحدهم، يأخذ الآخر مكانه. يمكن لـ(كال) فقط أن يُقاوم بحق، ويحرق قضيبًا يقترب منه. لكنه سقط من السماء. هو مُرتبك في أحسن الأحوال، وينزف من جرحٍ فوق العين. يضرب أحد القضبان مؤخرة رأسه، ويفقد الوعي. ترتعش جفونه، وأطلب منه الاستيقاظ. بدلًا من ذلك، تلتف الأفرع الفضية حوله، وتزداد ضيقًا مع كل ثانية تمر. القضيب الذي حول حلقه هو الأسوأ، يحفر عميقًا، بما يكفي لخنقه.

«توقف!» أقول مُختنقة، والتفت نحو الصوت. الآن أقاتل بعضلاتي الهزيلة، في محاولة لكسر قبضة (السترونج أرم) بالطريقة القديمة. لا شيء يمكن أن يكون بلا فائدة أكثر من هذا. «توقف!»

«لستِ في موضع يُمكنك فيه التفاوض يا (ماير).»

(مافين) خجل، يبقى في الظلام، بين ظلاله. أشاهد صورة له تقترب، ألاحظ التاج الشائك على رأسه. عندما يخطو إلى ضوء النجوم، أشعر بوخزةٍ قصيرة من الرضا. وجهه لا يتطابق مع نبرته الواثقة. هناك دوائر تُشبه الكدمات تحت عينَيه، وبريق من العرق يُغطي جبهته. كان لوفاة والدته أثر. ترتخي اليدان حول حلقي قليلًا، مما يسمح لي بالتحدّث. لكنني ما زلت معلقة، تنزلق أصابع قدمي في العشب البارد والطين الجليدي. لا مُقايضة، لا صفقة.

«إنه أخوك.» أقول. دون أن أزعج نفسي بالتفكير. لا يهتم (مافين) بذلك على الإطلاق.

«و؟» يرفع أحدَ حاجبَيه القاتمَين.

على الأرض، يتلوى (كيلورن) بين قيوده. تشتد ردًّا عليه، يلهث مُختنقًا. بجانبه، تتحرك جفون (كال). يفيق، وعندها سيقتله (مافين) بالتأكيد. ليس لديَّ وقت، لا وقت على الإطلاق. سأُقدم أي شيء لإبقاء هذين الاثنين على قيد الحياة، أي شيء.

مع انفجار واحد أخير من الغضب والخوف واليأس، أُحرر قدرتي. لقد قتلت (إيلارا ميراندس). يجب أن أكون قادرة على قتل ابنها وجنوده. لكن (السترونج أرم) مُستعد لي، ويضغط. تصمد قفازاته، وتحمي جلده من البرق، تفعل بالضبط ما صنعتْ من أجله. ألهث بين قبضته، في محاولة لاستدعاء السماء أعلاه. لكن رؤيتي تضعف، وأسمع نبضي بطيئًا في أذني. سيخنقني قبل أن تتجمع الغيوم. وسيموت الآخرون معي.

سأفعل أي شيء لإبقائه على قيد الحياة. لإبقائه معي. حتى لا أكون بمفردي.

لم يبد برقي ضعيفًا أو بائسًا هكذا من قبل. تتلاشى الشرارات ببطء، مثل نبض قلب يحتضِر.

«لدي شيء للمقايضة.» أهمس بصوتٍ أجش.

«أوه؟» يأخذ (مافين) خطوة أخرى. وجوده يجعل بشرتي تقشعر. «قولي.»

مرة أخرى، يرخي القبضة على رقبتي. لكن (السترونج أرم) يضغط إبهامه على الوريد في حلقي، كتهديدٍ صريح.

«سأقاتلك حتى النهاية». أقول. «سنفعل ذلك جميعًا، وسنموت ونحن نفعل ذلك. وقد نأخذك معنا، تمامًا مثل والدتك.»

ترتعش جفون (مافين)، المؤشِّر الوحيد على ألمِه. «ستُعاقبين على ذلك، تذكَّري كلماتي.»

يستجيب الإبهام لهذا، ويضغط أكثر، ربما سيترك كدمةً مذهلة. لكن هذا ليس العقاب الذي يتحدث عنه (مافين)، ليس قريبًا حتى. ما يُخبئه لنا سيكون أسوأ بكثير.

تحمر القضبان حول مِعصمَي (كال)، متوهِّجة بالحرارة. تعكس عيناه نصف المُغلقتَين ضوء النجوم، يُراقبني لاهثًا. أتمنَّى لو كان بإمكاني أن أقول له أن يسكن، ليتركني أفعل ما يجب عليَّ فعله. للسماح لي بإنقاذه كما أنقذني عدة مرات.

بجانبه، يهدأ (كيلورن). يعرفني أكثر من أي شخصٍ آخر، ويفهم تعبيري بوضوح. ببطء، يتوتر فكه، ويهز رأسه من جانبٍ إلى آخر.

«دعهم يذهبون، دعهم يعيشون.» أهمس. تبدو أيدي (السترونج أرم) مثل السلاسل، وأتخيَّلها تزحف فوق كل إنش، تتلوَّى مثل الأفاعي المعدنية

«(ماير)، لا أعرف ما إذا كنت تفهمين تعريف كلمة مقايضة.» يسخر (مافين)، ويستمر. «يجب أن تُعطيني شيئًا.»

لن أعود إليه من أجل أي شخص. أخبرت (كال) هذا ذات مرة، بعد أن نجوت من جهاز الصوت، وأدرك سبب كل هذا. استسلِمي، قالت ملاحظة (مافين)، متوسِّلًا أن أعود إليه.

«لن نقاتل. لن أقاتل.» عندما يُسقطني (السترونج أرم)، تنهار دفاعاتي. أخفض رأسي، غير قادرة على النظر لأعلى. أشعر وكأنني أنحني. هذه مُقايضتي. «دع الباقي يذهب، وسأكون أسيرتك. سأستسلِم، سأعود.»

أُركِّز على يدي فوق العشب. برودة الصقيع مألوفة. تنادي قلبي، والحفرة التي تنمو به. يد (مافين) دافئة تحت ذقني، تحترق بحرارة

مُمرضة. الجرأة على لمسي هي رسالة صارخة. لا يخشى فتاة البرق، أو على الأقل يريد أن يبدو بهذه الطريقة. يُجبرني على النظر إليه، ولا أرى شيئًا من الصبي الذي كان عليه ذات مرة. لا يوجد سوى الظلام.

«(ماير) لا! لا تكوني حمقاء!» بالكاد أسمع (كيلورن) يتوسّل الآن.

الأنين في رأسي صاخب جدًا، مؤلِم جدًا. ليس هسيسًا كهربائيًا، ولكن شيء آخر، بداخلي. أعصابي تصرخ احتجاجًا. ولكن في الوقت نفسه، أشعر بارتياحٍ مريضٍ ومُضطرب. قُدِّمت الكثير من التضحيات من أجلي، من أجل اختياراتي. من العدل أن يأتي دوري، وأقبل العقاب الذي يحفظه لي القدر

يقرؤني (مافين) جيدًا، يبحث عن كذبة غير موجودة. وأفعل الشيء نفسه. على الرغم من موقفه، فهو خائف مما فعلته، من كلمات فتاة البرق والتأثير الذي أحدثته. جاء إلى هنا لقتلي، ليدفنني في الأرض. الآن وجد جائزة أكبر. وأعطيتُه إيّاها طواعية. هو خائن بطبيعته، لكن هذه صفقة يريد التمسُّك بها. أرى ذلك في عينَيه، سمعت ذلك في ملاحظاته. يريدني، وسيفعل أي شيء ليمسك بلجامي مرةً أخرى.

يتلوّى (كيلورن) في قيوده، لكن بلا فائدة على الإطلاق. «(كال)، افعل شيئًا!» يصرخ، غاضبًا على الجسد المجاور له. تصطدم قيودهما معًا في صدًى مجوف. «لا تدعها!»

لا أستطيع النظر إليه. أريده أن يتذكّرني بشكلٍ مختلف. على قدمي، مُسيطرة. ليس هكذا.

«هل لدَينا اتفاق؟» لقد أصبحتُ فقيرة، أتوسّل إلى (مافين) أن يُعيدني إلى قفصه الذهبي. «هل أنت رجل يلتزم بكلمته؟»

فوقي، يبتسم (مافين) بينما أقتبس كلماته. تلمع أسنانه. يصرخ الآخرون الآن، يرتجفون في قيودهم. لا أسمع أي شيءٍ من ذلك. أغلق عقلي أمام الجميع باستثناء الصفقة التي أنا مستعدة لإجرائها. أعتقد أن (جون) رأى هذا قادمًا.

تتحرك يد (مافين) من ذقني إلى رقبتي. تَضيق قبضتُه. أكثر رفقًا من (السترونج أرم)، لكن أكثر ألمًا.

«لدينا اتفاق.»

خاتمة

تمر أيام. على الأقل أظن أنها أيام. أقضي وقتي في عمًى فاتر، تحت سيطرة الجهاز الصوتي. لا يؤلمني بنفس القدر الآن. لقد أتقن سجاني الجرعة المثالية، يستخدمونها لإبقائي غائبة عن الوعي، لكن ليس في ألَم مُحطم للجمجمة. كل مرة أستعيد بها وعيي، أرى عبر نظري الضعيف رجالًا في أزياء بيضاء، يلفون بكَرَة التحكّم، ويبدأ الجهاز مجددًا. تحفر الحشرة في عقلي، تنقر دومًا تنقر.

أشعر أحيانًا بشيءٍ يسحبني، لكن ليس بما يكفي للاستيقاظ تمامًا. في بعض الأحيان، أسمع صوت (مافين). ثم يتحول السجن الأبيض إلى الأسود والأحمر، وكِلا اللونَين قويَان للغاية فلا يمكنني الوقوف. هذه المرة عندما أستيقظ، لا شيء ينقر. العالم مُشرق للغاية، وضبابي قليلًا، لكنني لا أفقد وعيي. أستيقظ حقًّا.

قيود يديّ شفافة، ربما من البلاستيك أو حتى الزجاج الماسي. تُقيد معصمي وكاحلي، مشدودَان للغاية فلا أشعر بالراحة، لكنهم باتساعٍ يكفي للسماح للدورة الدموية بالمرور. السلاسل هي أسوأ جزء، حادة ومشدودة ضد جلدي الحساس. تنزف جروحٌ متقرّحة، سطحية من ألمِها. يبرز اللون الأحمر مقابل زيِّي الشاحب، ولا أحد يُكلف نفسه عناء مسحه. حاليًّا عندما لا يتمكن (مافين) من إخفاء ما أنا عليه، يجب أن يظهره للعالم بأسره، لأي مُخطط منحرفٍ لدَيه الآن. تُصدر السلاسل صوتًا، وأدرك أنني في عربةٍ مصفحة، عربة مُتحركة. تستخدم هذا للسجناء، لأنه لا توجد نوافذ، والجدران بها حلقات. قيودي معلقة في واحدة من الحلقات، وتتأرجح قليلًا.

أمامي الرجلان اللذان يرتديان اللون الأبيض، كلاهما أصلع مثل البَيض. يُشبهان المُدرب (أرفين) بشكل لافت للنظر. إخوته أو أبناء عمومته، على

الأرجح. هذا يفسر الإحساس الخانق وصعوبة تنفُّسي. هذان الرَّجُلان يكتمان قُدرتي، ويحتجزانني كرهينة في جسدي. من الغريب أنهما بحاجة إلى سلاسل. بدون برقي، أنا مجرد فتاة تبلغ من العمر سبعة عشر عامًا، وتقترب من ثمانية عشر الآن. لا يسعني إلا أن أبتسِم. سأقضي عيد ميلادي كسجينةٍ بمحض إرادتي. في هذا الوقت من العام الماضي، اعتقدت أنني سأزحف إلى جبهة الحرب. الآن أنا أتَّجِه إلى من يعرف أين، محبوسة في عربة نقل مُتحركة مع رجُلَين يرغبان بشدة في قتلي. ليس تطورًا كبيرًا.

وأعتقد أن (مافين) على حق. حذَّرني من أننا سنقضي عيد ميلادي التالي معًا. يبدو أنه بالفعل رجل يلتزم بكلمته.

«أي يوم هذا؟» أسأل، لكن لا أحد يُجيب. لا يرمشان حتى. تركيزهما عليَّ، لإسكات ما أنا عليه، مثالي وغير قابل للكسر. في الخارج، يبدأ هدير غريب وخافت في النمو. لا أستطيع فهمه، ولا أريد إهدار الطاقة في المحاولة. أنا متأكدة من أنني سأكتشف ذلك قريبًا. ولست مخطئة. بعد بضع دقائق أخرى، تتوقف عربة النقل، ويتم فتح الباب الخلفي. الهدير هو حشد، متلهف. للحظة مرعبة، أتساءل عما إذا كانوا أعادوني إلى وعاء العظام، إلى الحلبة التي حاول فيها (مافين) قتلي. يبدو أنه يرغب في إنهاء المهمة. شخص ما يفتح قيودي، ويسحبني إلى الأمام. كدت أسقط من وسيلة النقل، لكن أحد كاتمي القُدرات من منزل (أرفين) أمسك بي في اللحظة الأخيرة. ليس من باب اللطف، بل من باب الضرورة. يجب أن أبدو خطرة، مثل فتاة البرق القديمة. لا أحد يهتم بسجينٍ ضعيف. لا أحد يسخر من جبان باكٍ. يريدون أن يرَوا قاهرًا يخضع، جائزة حية. لأن هذا ما أنا عليه الآن.

دخلت طواعية إلى هذا القفص.

دائمًا ما أفعل.

يرتجف جسدي عندما أدرك أين أكون.

جسر (أركيون). ذات مرة، شاهدته ينهار ويحترق، لكن رمز القوة والقدرة أُعيد بناؤه. ويجب أن أعبُره، وقدمي مجروحة وعارية، وسلاسلي

وسجّاني بالقُرب مني. أحدق في الأرض، غير قادرة على النظر لأعلى. لا أريد أن أرى وجوه هذا الكم من الناس، هذا الكم من الكاميرات. لا يمكنني السماح لهم برؤيتي أنكسر. هذا ما يريده (مافين)، ولن أمنحه هذا أبدًا.

اعتقدتُ أنه سيكون من السهل أن يتم استعراضي في موكب، بعد كل شيء، اعتدت على ذلك الآن. لكن هذا أسوأ بكثير من ذي قبل. اختفى شعور الارتياح الذي شعرتُ به في ساحة الغابات الآن، وأفسح المجال للفزع. كل عين تفحصني، تبحث عن الشقوق في وجهي الشهير. يجدون الكثير. أحاول ألا أستمع إلى صيحاتهم، ولبضع ثوانٍ، أنجح. ثم أدرك ما يقوله معظمهم، والأشياء الرهيبة التي يرفعونها لأراها. أسماء. صور. كل الفضيين الموتى أو المفقودين. كان لي يد في كل مصائرهم. يصرخون في وجهي، ويقذفون بكلماتٍ أكثر ضررًا من أي شيء.

بحلول الوقت الذي أصل فيه إلى الطرف الآخر من الجسر وساحة القيصر المزدحمة، تأتي الدموع بسرعة كبيرة ويصعب إيقافها. يراها الجميع. مع كل خطوة، يتوتر جسدي. أحاول الوصول إلى ما لا يمكنني الحصول عليه، للقدرة التي لا يمكنها إنقاذي. بالكاد أستطيع التنفس، كما لو أن المشنقة بالفعل حول رقبتي. ماذا فعلت؟

هناك العديد مُجتمعون على درجات قصر (وايتفاير)، متلهِّفون لرؤية سقوطي. النبلاء والجنرالات جميعهم في زي حداد أسود، هذه المرة من أجل الملكة. من الصعب تجاهُل ثوب (إيفانجلين) الخاص، أشواك قاتمة كمنتصف الليل من الكريستال، تلمع بينما تتحرك.

شخص واحد وحدَه يرتدي اللون الرمادي، اللون الوحيد الذي يُناسبه. (جون).

بطريقةٍ ما، يقف مع بقيتهم ويُراقبني أقترب. عيناه، حمراء كالدماء، تحمِلان اعتذارًا لن أقبله أبدًا. ما كان يجب أن أسمح له بالذهاب. ألعن نفسي.

قال ذات مرة إنني سأنهض بمفردي. الآن أعرف أنه كان يكذب. لأنني بالتأكيد سقطت.

واجهة المنصة فارغة، مرفوعة فوق كل شيءٍ آخر. مكان جيد للإعدام، إذا كان (مافين) يرغب في ذلك. يجلس هناك، ينتظر، يجلس على عرشٍ لا أعرفه.

يسحبني سُجَّاني نحوه، ويُجبرونني على الاقتراب من الملك. أتساءل عما إذا كان سيقتلني أمام الجميع، ويطلي درجات قصره بدمي. أجفل بينما يقف. نواجِه بعضنا البعض كما يفعل الخطيبان، بشكلٍ واضح ووحيد أمام حشدٍ من الوجوه. لكن هذا ليس حفل زفاف. قد تكون هذه جنازتي، نهايتي.

شيء ما يلمع في قبضته. سيف والده؟ نصل الجلاد؟ أشعر بالارتجاف من البرد وهو يشبك الشيء حول رقبتي. طوق. مُرصع بالجواهر، مُذهَّب، حاد الأطراف، شيء جميل من الرعب. تجعل دموعي الضبابية من الصعب الرؤية، حتى لا أكون متأكدة من أي شيءٍ سوى الملك في الدرع الأسود أمامي، والوسْم الذي يحرق عظمة الترقوة.

هناك سلسلة مُتصلة بالياقة. لجام، أنا لست أكثر من كلب. يُمسكها بإحكامٍ في قبضته، وأتوقع منه أن يسحبني من المنصة. بدلًا من ذلك، يقف بحزم.

يسحب بذكاء، ويختبر السلسلة في يده، مما يجعلني أتعثر نحوه. تضغط عليَّ أشواك الطوق. وأكاد أختنق.

«لقد وضعتِ جثتها في عرض.» شفتاه تلمس أُذني وهو يُجبر الكلمات على الخروج عبر أسنانه المطبقة. يظهر الألم في صوته. «سأفعل الشيء نفسه لك.» تعبيره غير قابل للقراءة، لكن معناه واضح.

بيدٍ واحدة، يُشير إلى قدمَيه. أصابعه أكثر بياضًا مما أتذكر.

أفعل ما يقوله.

أركع.

شكر وتقدير

قبل أن أشكر أي شخص، أودُّ أن أشكر بقايا البيتزا التي أتناولها حاليًّا. هي لذيذة حقًّا. كما هو الحال في المرة السابقة، أنا مدينة بالشكر للكثير من الناس، وسأبذل قصارى جهدي لإدراجهم جميعًا هنا. أولًا وقبل كل شيء، إلى والديَّ، هيذر ولويس، اللذَين يواصلان دعمهما المثير للاشمئزاز. بصراحة لم أكن لأفعل هذا، وأواصل القيام بذلك، بدونكما. وبالطبع، أخي الصغير، أندرو، الذي أصبح الآن بالغًا بطريقةٍ ما. متى حدث ذلك، لا أعرف، لكنني فخورة جدًّا بك ومتحمسة جدًّا لرؤيتك تستمر في النمو. الكثير من الحب والشكر لأجدادي - جورج وباربرا وماري وفرانك - أقدركم جميعًا وأفتقدكم كثيرًا. وبالنسبة لبقية أفراد الأسرة، الخالات والأعمام وأبناء العمومة، وما إلى ذلك، أشكركم على دعمكم وصداقتكم. شكر خاص وتهاني لميشيل، وهي مؤلفة أيضًا على طريق النشر.

شكرًا لجميع أصدقائي على كِلا الساحلَين. آسفة لكوني غريبة الأطوار. شكر صادق لمورغان وجين، اللذين يتسامحان وأحيانًا يشجعان هُرائي. شكرًا جزيلًا للفريق في بيندرسبنك، الذين يواصلون اتخاذ خطوات كبيرة في المعركة لجلب الملكة الحمراء إلى شاشة السينما، ناهيك عن الحفاظ على حياتي المهنية في كتابة السيناريو. كريستوفر كوزموس، دانيال فانغ، جايكس، جي سي، ديفيد، وجميع المُتدربين وتغطيتهم. وبالطبع، شكرًا لجنيفر هاتشينسون وسارة سكوت أيضًا. لا أطيق الانتظار لأرى إلى أين سنذهب من هنا. أخيرًا، إلى المحامي الخاص بي، ستيف يانجر، الذي يحمي ظهري دائمًا مهما حدث.

يمكنني كتابة صفحات شكر لفريق وكالة نيو ليف الأدبية، لكنني سأعفيكم وألخص ذلك في: إنهم، بلا شك، الأفضل. من أعلى إلى أسفل، ومن جانب إلى آخر، كل شخص في وكالتي موهوب بشكل رهيب وأشكر

نجومي المحظوظة الذين هبطت معهم. إلى جو، بويا، دانييل، جاكي، جايدا، جيس، كاثلين، ودايف. أشكركم على وجودكم والتنازل للتعامل معي. بالنسبة لسوزي، أقول ذلك طوال الوقت، ولكن فقط لأنه صحيح: أنتِ رائعة ولا مثيل لكِ والسبب في أنني أستطيع أن أفعل ما أفعله. في حال لم يكن اندفاعي في الحديث مُقززًا بما فيه الكفاية، سأستمر. أنا أعتبر حقًّا نجاح الملكة الحمراء معجزة صغيرة، والتي أعتقد أنها تجعل الناس في هاربر تينز قديسين. أولًا وقبل كل شيء، كاري ساذرلاند، مُحررتي الأولى، عرضي الأول والوحيد، التي آمنَت بكتاباتي.

إلى الجوهرة مُحررتي الأخرى، كريستين بيتيت، راعية بملابس رائعة وإحساس كبير بالقص. أشكرك على عملك المُستمر ومثابرتك في تشكيل أفكاري الطينية إلى منحوتة قصة جميلة. وأيضًا إلى إليزابيث لينش (بين)، التي تعمل بجد وتتحملني جيدًا. بقية فريق هاربر لا يختلفون: كيت جاكسون (حتى لو كانت مدونتك الغذائية تطاردني)، سوزان كاتز، سوزان ميرفي، جين كلونسكي، سحرة جميعكم. في مجال التسويق، إليزابيث وارد التي لا تكل، وكارا برامر، والنجمة المشهورة الفعلية مارجوت وود، وبقية إيبك ريدز. لم تكن الملكة الحمراء لتُحدث مثل هذه الضجة من دون أي منكم. إلى جينا، وكيلة الدعاية المحبوبة، التي تجعل من الممكن رؤية المزيد من القراء المحبوبين. في إدارة التحرير والإنتاج، أعرب عن امتناني لألكسندرا ألكسو وليليان صن وستيفاني إيفانز وإيريكا فيرغسون وجوين مورتون وجوش وايس. لولاكم، لكانت الملكة الحمراء والسيف الزجاجي كتلة غير مُتسقة. في المبيعات، أندريا بابنهايمر، كيري مويناغ، كاثي فابر، سوزان ييغر، وجين وايجاند. وصيحة إلى كيتلين لوس، التي تساعد في التنسيق مع الناشرين الدوليين. أخيرًا، ولكن ليس آخرًا، فريق التصميم، الذي أعتقد أنه قد يكون به كائنات سحرية حقيقية؟ فعلًا، هل رأيتم أغلفتي؟ من المستحيل أن يكون البشر قد صنعوها. ولكن شكرًا لكم على الرسومات. وأنا أراقبكم: سارة كوفمان، أليسون دونالتي، بارب فيتزسيمونز، وتوبي وبيتي.

بعد أن تم نشري وأنا الآن رسميًا في عالم الأدب الحي، أدركت مدى اتساعه، وكيف يمكن أن يكون مخيفًا. شكرًا جزيلًا لجميع الأشخاص الذين جعلوا انتقالي من المؤلفة الصغيرة إلى المؤلفة المنشورة سلسًا وسهلًا للغاية. إلى المدونين، ومدونات الفيديو، ومغردي تويتر، والقراء، والحمام الزاجل الذين يواصلون في دفع الملكة الحمراء والآن السيف الزجاجي، شكرًا لكم، شكرًا لكم، شكرًا لكم. إلى زملائي الكتّاب الذين لا يمثلون سوى الدعم، أنا مُمتنة جدًّا لصداقتكم. كنت سأذكر الأسماء، لكن هناك الكثير منكم، وبصراحة أشعر وكأنني أتفاخر بدعوتكم أصدقائي. ومرة أخرى، إلى إيما ثيريولت، الكريمة في الملاحظات، والمستعدة دائمًا للدردشة.

كما هو الحال مع التقاليد، سأشكر أيضًا بعض الأشياء التي ليست من البشر. حسنًا، الأول هو مجموعة من الناس. إلى نيو إنجلاند باتريوتس. في العام الماضي شكرتكم وفزتم ببطولة السوبر بول. دعونا نستمر في هذا التقليد. فري برادي. إلى ويكيبيديا، دائرة المتنزهات الوطنية، اسكتلندا، تارجت، سان دييغو كوميك كون، تغيير الفصول، أوشحة الكشمير، طابعتي الجديدة الممتازة، الكرات، القهوة مع الكثير من الكريمة، نقاط دلتا الخاصة بي، والغداء. ولمُلهميّ الشخصيين: تولكين، رولينج، مارتن، سبيلبرج، لوكاس، جاكسون، باي. نعم، قلتُ مايكل باي، اغرب عن وجهي. أوشكت على الانتهاء. هذه تكرارات، لكنها مهمة، لذلك إذا كنتَ قد وصلتَ إلى هذا الحد، فلتقرأ أيضًا. نخب مورغان، نخب سوزي ومرة أخرى لوالدي. هذا يبدأ وينتهي معكما.

